

# **الواضح في أركان الإيمان**

**إعداد  
الباحث في القرآن والسنة  
علي نايف الشحود**

**حقوق الطبع لكل مسلم**

الطبعة الأولى  
( (بمانج- دار المعمور )

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين  
أما بعد :

فقد كنت ألفت كتاباً في أركان الإيمان قبل سنوات ، وكان كتاباً مختصراً في هذا الموضوع ، وقد قمت بتعديله والإضافة عليه مرات عديدة وآخرها هذه المرة فقد توسعت فيه ، وفصلت القول في كثير من المسائل ، بحيث أصبح كتاباً شاملاً لهذا الموضوع ، مما تمس الحاجة إليه اليوم ، فكأنه شرح للكتاب الأول تماماً ، وتفصيل لمجمله .

وقد جمعت فيه الطريقة القديمة والحديثة معاً ، في طريقة عرضه ، وركزت على جوهر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وابتعدت عن كثير من مواطن الخلاف التي لا طائل تحتها ، وذكرت بعضاً مما اختلف في فهمه أهل العلم ، فليست كل قضايا العقيدة متفق عليها ، ففي تفاصيلها اجتهاد واختلاف سائغ عند أهل السنة والجماعة .

هذا وقد قسمته للأبواب التالية :

الباب الأول- مفهوم العقيدة الإسلامية

وفيه تعريف بالعقيدة و بعض مفرداتها لغة واصطلاحاً

الباب الثاني -أهمية العقيدة في حياة الإنسان

بينت أثر العقيدة الإسلامية في حياة الإنسان المسلم ، وأنه لا يمكن الاستغناء عن العقيدة مطلقاً .

الباب الثالث- مفهوم الإيمان

تحدثت فيها عن مفهوم الإيمان ، وماذا يشمل ، وشمله للاعتقاد والقول والعمل والزيادة ، وشعبه ، وعراه .....

الباب الرابع- نواقض الإيمان القولية والعملية وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول-الكفر

المبحث الثاني-الشرك

المبحث الثالث الردة

المبحث الرابع-النفاق

الباب الخامس-الإيمان بالغيب ، ويشمل المباحث التالية :

المبحث الأول-مفهوم الغيب في الإسلام وتحت مطالب ..

المبحث الثاني-أقسام الغيب ، وتحت مطالب ...

الباب السادس - أركان الإيمان ، وهو بيت القصيد ، وقد تحدث فيه بالتفصيل عن أركان الإيمان كما يلي :

- الركن الأول = الإيمان بالله تعالى ، ويشتمل على عدة مباحث :
- المبحث الأول - الإيمان بوجوده وجوداً ذاتياً حقيقياً - وفيه ثمانية مطالب وخلاصة
- المبحث الثاني - منهج القرآن في تقرير وجود الله تعالى - وتحت مطالبان
- المبحث الثالث - منهج القرآن في أدلته العقلية
- المبحث الرابع - أنواع التوحيد وفيه ستة مطالب ...
- المبحث الخامس - أسباب التركيز على عقيدة التوحيد - وفيه مطلبان
- المبحث السادس - ثمرات الإيمان بالله تعالى - وهي كثيرة ..
- الركن الثاني = الإيمان بالملائكة ، وفيه المباحث التالية
- المبحث الأول - ما يتعلق بالإيمان بهم ، وفيه ثلاثة مطالب ...
- المبحث الثاني - صفات الملائكة وفيه ثلاثة مطالب ..
- المبحث الثالث - أعمال الملائكة ، وهي كثيرة ذكرت منها إحدى وعشرين عملاً ...
- المبحث الرابع - الملائكة والأنبياء عليهم السلام ، وفيه تفاصيل ...
- المبحث الخامس - الملائكة والمؤمنون وفيه تفاصيل ..
- المبحث السادس - خصوصيات بعض المؤمنين مع الملائكة
- المبحث السابع - حقوق الملائكة على المؤمنين
- المبحث الثامن - آداب المؤمنين مع الملائكة
- المبحث التاسع - الملائكة والدار الآخرة
- المبحث العاشر - ثمرات الإيمان بالملائكة ...
- المبحث الحادي عشر - الإيمان بالجن ، وفيه المطالب التالية :
- المطلب الأول - طوائف الجن
- المطلب الثاني - قدرات الجن
- المطلب الثالث - مساكن الجن
- المطلب الرابع - طعام الجن
- المطلب الخامس - العلاقة بين الجن والإنس
- الركن الثالث = الإيمان بالكتب السماوية ، وفيه المباحث التالية :
- المبحث الأول - حكم الإيمان بالكتب السماوية
- المبحث الثاني - موقفنا من الكتب السماوية السابقة

- المبحث الثالث- ما تضمنته الكتب السابقة وموقفنا منه
- المبحث الرابع- الإيمان المفصل بالقرآن الكريم
- المبحث الخامس- أعدى أعداء البشرية اليوم
- المبحث السادس- ثمراتُ الإيمان بالكتب السماوية، وهي عديدة ..
- الركنُ الرابع = الإيمان بالرسول عليهم السلام ، وفيه مباحث:
- المبحث الأول- تعريف النبي والرسول والفرق بينهما
- المبحث الثاني- حكم الإيمان بالرسول وأدلته
- المبحث الثالث- أول الرسل وآخرهم
- المبحث الرابع- الرسلُ من جنس البشر
- المبحث الخامس- كيفية الإيمان بالرسول
- المبحث السادس- ما يجب علينا نحو الرسل
- المبحث السابع- أولو العزم من الرسل
- المبحث الثامن- خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفيه تفاصيل ..
- المبحث التاسع- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أُمته
- المبحث العاشر- رُؤْيَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَنَامِ
- المبحث الحادي عشر- ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده
- المبحث الثاني عشر- الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم حقيقته وأدلته- والمعراج كذلك .
- المبحث الثالث عشر- القول في حياة الأنبياء عليهم السلام
- المبحث الرابع عشر- معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء
- المبحث الخامس عشر- الولي والولاية في الإسلام
- المبحث السادس عشر- ثمراتُ الإيمان بالرسول، وهي عديدة ...
- الركن الخامس = الإيمان بالقضاء والقدر وفي المباحث التالية :
- المبحث الأول- تعريف القضاء والقدر
- المبحث الثاني- الفرق بين القضاء والقدر
- المبحث الثالث- علم الله تعالى بما كان وبما سيكون
- المبحث الرابع- الأدلة على إثبات القدر
- المبحث الخامس- الخيرُ والشرُّ مقدران
- المبحث السادس- مراتب القدر
- المبحث السابع- غنى الله تعالى عن عباده

المبحث الثامن-آثار الإيمان بالقدر، وهي عديدة ...

الركن السادس= الإيمان باليوم الآخر، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول-الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

المبحث الثاني-الإيمان بأشراط الساعة ، وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول-أهمية الإيمان بالغيبات

المطلب الثاني-وجوب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث-معنى الأشراط والعلامات لغة

المطلب الرابع-الأدلة من الكتاب والسنة على أشراط الساعة وعلاماتها

المطلب الخامس-بعض علامات الساعة الصغرى

المطلب السادس-أشراط الساعة الكبرى

أولاً : خروج المهدي

ثانياً: فتنة المسيح الدجال

ثالثاً : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

رابعاً: خروج يأجوج ومأجوج

خامساً: طلوع الشمس من مغربها

سادساً : خروج الدابة

سابعاً: الدخان الذي يكون في آخر الزمان

ثامناً : الخسوفات الثلاثة

تاسعاً : النار التي تحشر الناس

المبحث الثالث-الإيمان بالبعث بعد الموت

المطلب الأول-مفهوم الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثاني-ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر

-الإيمان بالبعث -الإيمان بالحساب والجزاء- الإيمان بحوض نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في عرصات القيامة - الإيمان بالصراط المنصوب على متن جهنم -الإيمان بالجنة والنار، وأههما مخلوقتان لا تفتيان والجنة دار النعيم التي أعدّها الله تعالى للمؤمنين في مقعد صدق عند مليك مقتدر- الإيمان بالشفاعة التي أذن الله تعالى بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وفي الجنة.....

المبحث الرابع- حقائق هامة عن البعث والنشور

المطلب الأول-البعث ضرورة شرعية وعقلية

## المطب الثاني-إمكانُ البعث

المبحث الخامس-ثمرات الإيمان باليوم الآخر ، وهي كثيرة ...

الباب السابع-أهمُّ خصائص العقيدة الإسلامية ، ويشتمل على ستة وعشرين خصيصة أساسية...

الباب الثامن- فوائد الإيمان وثمراته، وهي كثيرة ومنوعة وشاملة لسعادة الدارين ...

وقد قمت بتخريج الأحاديث من مظانها والحكم المناسب عليها إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما ، وذلك بشكل مختصر ومعتدل ، وغالبها تدور بين الصحة والحسن ، إذ لا يجوز إثبات العقيدة بالأحاديث الضعيفة أو الواهية .

وكلُّ قول ذكرت مصدره في الهامش .

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه، إنه نعم المولى ونعم النصير، قال تعالى على لسان النبي شعيب عليه السلام : { ... إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (٨٨) سورة هود

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ليلة الخميس ٧ ربيع الآخر لعام ١٤٣٠ هـ الموافق ١/٤/٢٠٠٩ م



## الباب الأول

### مفهوم العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية هي: مجموعة من الأسس والمبادئ المتعلقة بالخالق عز وجل والنبوات، وما أخبر به الأنبياء من الأمور الغيبية ، مثل الملائكة والبعث واليوم الآخر وغيرها من الأمور التي أخبر بها الرسل بناءً على ما أوحى الله عز وجل إليهم، ومن ثمَّ دعوا الناس إلى الإيمان الجازم بها مع اعتقاد بطلان كلِّ ما يخالفها.

#### ما يدخل في مفهوم العقيدة الإسلامية :

- ١- ما يتعلق بالله تعالى وكل ما أخبر به عن نفسه تعالى: ذاتا، وصفاتا، وأفعالا.
- ٢- الرسل الكرام الذين بعثهم الله تعالى برسالاته إلى البشر، وما يتعلق بأولئك الرسل عليهم السلام من صفات، وما يجب في حقهم، وما يستحيل عليهم، وما هو جائر منهم.
- ٣- الأمور الغيبية : وهي التي لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلا بوحي من الله تعالى، بواسطة رسول من رسله- عليهم السلام- أو كتاب من كتبه .

#### ويدخل في هذه الأمور:

- ١- الملائكة: فيجب الإيمان بهم جملة، وبمن علمنا اسمه، ومن علمنا عمله تفصيلاً.
- ٢- الكتب: فيجب الإيمان بأن الله كتبنا أنزلها على رسله عليهم السلام. فنؤمن بما نص عليه تفصيلاً كما قال الله تعالى : { .. وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } (٥٥) سورة الإسراء ، وقوله { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... } (٤٤) سورة المائدة ، وقوله تعالى : { وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ... } (٤٧) سورة المائدة ، كما نؤمن بما لم يسمَّ منها إجمالاً.
- ٣- اليوم الآخر: وما يتعلق بوقته وكل ما أخبرنا به مما يقع فيه من البعث والنشور والحساب والجنة والنار وغير ذلك.
- ٤- أخبار بدء الخليقة وما يتعلق بذلك.



## الباب الثاني

### أهمية العقيدة في حياة الإنسان

١- لابد لكل بناءٍ ماديا كان أو معنويا من أساسٍ يقوم عليه. والدين الإسلاميُّ بناءٌ متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يصير إليه بعد موته. وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقا لها، كما قال تعالى : {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٦٢) سورة الأنعام .

فالإسلامُ يعنى بالعقيدة ويوليها أكبر عناية، سواء من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها، أو من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها. لذا نجد أن الرسول ﷺ مكث ثلاثة عشر سنة بمكة المكرمة يتزل عليه القرآن، وكان في غالبه ينصبُّ على البناء العقدي، حتى إذا ما تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم نزلت التشريعات الأخرى بعد الهجرة إلى المدينة.

٢- إن العقيدة- أيا كانت هذه العقيدة- تعدُّ ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها، ذلك أن الإنسان بحسب فطرته، يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القوة الخارقة، والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله. وهذا الاعتقادُ يحقق له الميل الفطري للتدين، ويشيع نزعتَه تلك، فإذا كان الأمر كذلك فإنَّ أولى ما يحقق ذلك هو الاعتقادُ الصحيح الذي يوافق تلك الفطرة، ويحترم عقل الإنسان ومكانته في الكون، وهذا ما جاءت به العقيدة الإسلامية. قال الله تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (٨٢) سورة الأنعام .

٣- لما كان الدين الإسلامي بناءً متكاملًا اعتقادًا وعبادة وسلوكًا، لزم أن يكون هذا البناء متناسقا ومنسجما، لذا نجد أن العنصر الأساسي فيه هو العقيدة الإسلامية التي يقوم عليها، وهي عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، مما يكسبها مركزا مهما لفهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً. فالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات والسلوك كلها تتجه لوجهة واحدة هي إخلاص الدين لله تعالى، وهذا الاتجاه المتحد له أهمية قصوى في فهم الدين الإسلامي، قال تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} (١٢٥) سورة النساء

٤- إن إخلاص الدين لله تعالى لا يبلغ كماله إلا بإخلاص المحبة لله المعبود، والمحبة لا تكتمل إلا بتمام المعرفة. والعقيدة الإسلامية تقدم للإنسان كل ما يجب عليه معرفته في حق الله تعالى، وبذلك يبلغ كمال المحبة، وبالتالي يسعى لكمال الإخلاص لله تعالى؛ لأنه أتم معرفته به، كما قال ﷺ: (أَنَا وَاللَّهِ أَغْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)<sup>١</sup>، وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَأْمُرُهُمْ بِمَا يُطِيقُونَ

<sup>١</sup> - المستدرک للحاکم برقم (١٧٤٢) وصحيح ابن خزيمة برقم (٢٧٠٤) وهو صحيح

فَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَسْنَا كَهَيْئَتِكَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَغْضَبُ حَتَّى يُرَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ ثُمَّ يَقُولُ « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ قَلْبًا » (أخرجه أحمد) <sup>٢</sup>.

٥- إن الإنسان هو خليفة الله تعالى في الأرض <sup>٣</sup>، وقد وكل إليه إعمارها، كما أمر بعبادة الله تعالى والدعوة إلى دينه. والمسلم في حياته كلها يستشعر أنه يؤدي رسالة الله تعالى بتحقيق شرعه في الأرض، فعقيدته تدفعه إلى العمل الجاد المخلص، لأنه يعلم أنه مأمور بذلك ديناً، وأنه مثاب على كل ما يقوم به من عمل جلّ ذلك العمل أم صغر قال تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) [النجم/٣٩-٤١] } .

٦- إن أفراد الله تعالى بالتوجه إليه في جميع الأمور يحقق للإنسان الحرية الحقيقية التي يسعى إليها، فلا يكون إلا عبداً لله تعالى وحده لا شريك له، فتصغر بذلك في عينه جميع المعبودات من دون الله، وتصغر العبودية للمادة والانقياد للشهوات. فإن العقيدة ما إن تتمكن من قلب المسلم حتى تطرد منه الخوف إلا من الله تعالى، والذل إلا لله . وهذا التحرر من العبودية لغير الله تعالى هو الذي جعل جندياً من جنود الإسلام - وهو ربعي بن عامر رضي الله عنه <sup>٤</sup> - عندما ذهب لملك الفرس حين سألته عن سبب محبتهم ، فقال: " اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعْيِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبَلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُنْضِيَهُ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظُّفْرُ لِمَنْ بَقِيَ. فَقَالَ رُسْتُمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُؤَخَّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَنَنْظُرُوا ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ؟ أَيَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ؟ قَالَ: لَا، بَلْ

<sup>٢</sup> - برقم (٢٥٠٢١) وهو صحيح

<sup>٣</sup> - هناك خلاف في إطلاق هذه اللفظة ، والصواب جوازها انظر : التحرير والتنوير - الطبعة التونسية - ( ٢٣ / ٢٤٢ ) والتفسير القرآني للقرآن - موافقاً للمطبوع - ( ١ / ٧ ) وتفسير الشعراوي - ( ٢٨٨ / ) وتفسير الشيخ المراغي - موافقاً للمطبوع - ( ١ / ٨٠ ) وتفسير المنار - ( ٩ / ٢٣٠ ) وتفسير روح البيان - موافق للمطبوع - ( ١ / ٨٦ ) وجامع لطائف التفسير ١-٢٨ - ( ١ / ٣٠٥ ) وزهرة التفاسير لأبي زهرة - ( ١ / ١٣٤٦ ) ومحاسن التأويل تفسير القاسمي - ( ٦ / ٥٠ ) وفتاوى الأزهر - ( ٧ / ٣٥٤ ) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - ( ٦ / ١٠٥ ) رقم الفتوى ٤٠١١٢ لا حرج في مقولة "الإنسان خليفة الله في الأرض" تاريخ الفتوى : ١٨ رمضان ١٤٢٤ ومجلة مجمع الفقه الإسلامي - ( ٢ / ٧٠٩٧ ) ومجلة مجمع الفقه الإسلامي - ( ٢ / ٢٠٩٨٢ )

<sup>٤</sup> - ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو. قال الطبري: كان عمر أمد به المثنى بن حارثة وكان من أشرف العرب وللنجاشي الشاعر فيه مدح. ، وقال سيف في الفتوح عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قالاً: قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن يصرف جند العراق إلى العراق وعليهم هاشم بن عتبة وعلي مقدمته القعقاع بن عمرو وعلي مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر وفي ذلك يقول ربعي:

أَخْنَا إِلَيْهَا كُورَةٌ بَعْدَ كُورَةٍ ... نَقْصُهُمْ حَتَّى احْتَوَيْنَا الْمَنَاهِلَا

وله ذكر أيضاً في غزوة نهاوند وكان ممن بنى فسطاطاً أمير تلك الغزوة النعمان بن مقرن وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان.

وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة. الإصابة في معرفة الصحابة - ( ج ١ / ص ٣٤٩ ) و تاريخ دمشق - ( ج ١٨ / ص ٤٩ ) ت ٢١٣٦

حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤُسَاءَ قَوْمِنَا. فَقَالَ: مَا سَنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُؤَخِّرَ الْأَعْدَاءَ عِنْدَ اللَّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ<sup>٥</sup>.



---

<sup>٥</sup> - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - (١ / ٣٧٣) والمنتظم - (١ / ٤٧٥) والبداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع - (٧) / ٤٦) وتاريخ الرسل والملوك - (ج ٢ / ص ٢٦٨)

## الباب الثالث

### مفهوم الإيمان

١. الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ فهو اعتقاد القلب في الله ورسوله ﷺ ، وكل ما جاء به الشرع اعتقاداً جازماً لا يردُّ عليه شكٌّ، ولا ريبة <sup>٦</sup> .

٢. ثم اتباع ذلك الاعتقاد بعمل الجوارح حتى يطابق الظاهر الباطن. قال الله تعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٥) سورة الحجرات.

وهذا الاعتقاد الجازم لابد أن يكون في أمر معيَّبٍ عن الناس، فالإيمان بهذا الغيب هو الذي يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون.

فالإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي ، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود ، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتديبر. كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته ويتلقى أصداؤه وإيجاءاته في أطوائه وأعماقه ، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود. وأن وراء الكون ظاهره وخافيه ، حقيقة أكبر من الكون ، هي التي صدر عنها ، واستمد من وجودها وجوده .. <sup>٧</sup> .

٣. والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية<sup>٨</sup> ، قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) } [الأنفال/٢-٥] . وقال تعالى : { وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

<sup>٦</sup> - انظر اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث - (١ / ١٠٥) والوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة - (١ /

٩١) وشرح الفتوى الحموية - (١ / ٤٢٨)

<sup>٧</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٣٩)

<sup>٨</sup> - انظر : البحر المديد - موافق للمطبوع - (٣ / ٤) والبحر المديد - نسخة محققة - (٢ / ٣٠٤) وتفسير البيضاوي - موافق للمطبوع - (٣ / ٨٨) وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - (١ / ٣٤٠) والتمهيد لشرح كتاب التوحيد - (٢ / ٢٣) والفصل في الملل - (٢ / ٨٩) وشرح العقيدة الواسطية - (١ / ٣١٣) ومجمل اعتقاد أئمة السلف - (١ / ٧٢)

فَرَأَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (١٢٤) سورة التوبة ، وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (٤) سورة الفتح

٤. وله شعبٌ كثيرةٌ كما أخبر الصادقُ المصدوقُ ، أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ». وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ». أخرجه مسلم ٩.

٥. وله عرى كثيرةٌ أوثقها: الحبُّ في الله والبغضُ في الله ، والموالاتةُ في الله والمعاداةُ في الله. فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ : " أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ " . فَقَالُوا : الصَّلَاةُ . قَالَ : " حَسَنَةٌ ، وَمَا هِيَ بِهَا ؟ " قَالُوا : صِيَامُ رَمَضَانَ . قَالَ : " حَسَنٌ ، وَمَا هُوَ بِهِ ؟ "

٩ - صحيح مسلم - المكثر - (١٦١ و ١٦٢) وعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ». صحيح البخاري - (٩)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : اخْتَصَرَ سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ هَذَا الْخَبَرَ ، فَلَمْ يَذْكُرْ ذِكْرَ الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى مِنَ الشُّعْبِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ السَّتِينَ دُونَ السَّبْعِينَ ، وَالْخَبَرُ فِي بَضْعٍ وَسَبْعِينَ خَبَرٌ مُتَقَصِّصٌ صَحِيحٌ لَا ارْتِيَابَ فِي ثُبُوتِهِ ، وَخَبَرُ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ خَبَرٌ مُخْتَصَرٌ غَيْرُ مُتَقَصِّصٍ. وَأَمَّا الْبِضْعُ ، فَهُوَ اسْمٌ يَفْعُ عَلَى أَحَدِ أَجْزَاءِ الْأَعْدَادِ ، لِأَنَّ الْحِسَابَ بِنَاؤُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : عَلَى الْأَعْدَادِ ، وَالْفُصُولِ ، وَالتَّرْكِيبِ ، فَلِأَعْدَادِ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى التَّسْعَةِ ، وَالْفُصُولُ هِيَ الْعَشْرَاتُ وَالْمِئُونَ وَالْأَلُوفُ ، وَالتَّرْكِيبُ مَا عَدَا مَا ذَكَرْنَا. وَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَعْنَى الْخَبَرِ مَدَّةً ، وَذَلِكَ أَنَّ مَذْهَبَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِلَّا بِفَائِدَةٍ ، وَلَا مِنْ سُنَنِ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ ، فَجَعَلَتْ أَعْدُ الطَّاعَاتِ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا هِيَ تَزِيدُ عَلَى هَذَا الْعَدَدِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَرَجَعَتْ إِلَى السُّنَنِ ، فَعَدَدَتْ كُلَّ طَاعَةٍ عَدَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا هِيَ تَنْقُصُ مِنْ الْبِضْعِ وَالسَّبْعِينَ ، فَرَجَعَتْ إِلَى مَا بَيْنَ الدُّفْتَيْنِ مِنْ كَلَامِ رَبَّنَا ، وَلَوْلَاهُ آيَةُ آيَةِ التَّكْوِينِ ، وَعَدَدَتْ كُلَّ طَاعَةٍ عَدَدَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنَ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا هِيَ تَنْقُصُ عَنِ الْبِضْعِ وَالسَّبْعِينَ ، فَضَمَمَتْ الْكِتَابَ إِلَى السُّنَنِ ، وَأَسْفَطَتْ الْمُعَادَ مِنْهَا ، فَإِذَا كُلُّ شَيْءٍ عَدَّهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنَ الْإِيمَانِ فِي كِتَابِهِ ، وَكُلُّ طَاعَةٍ جَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ فِي سُنَنِ نَسْعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْإِيمَانَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ، فَذَكَرْتُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِكَمَالِهَا بِذِكْرِ شُعْبَةٍ فِي كِتَابٍ وَصَفَ الْإِيمَانَ وَشُعْبِهِ بِمَا أَرْجُو أَنَّ فِيهَا الْغَنِيَّةَ لِلْمُتَأَمِّلِ إِذَا تَأَمَّلَهَا ، فَأَعْنَى ذَلِكَ عَنْ تَكَرُّرِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ أَجْزَاءُ بِشُعْبٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي خَبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ : الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً : أَغْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَذَكَرَ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ شُعْبِهِ ، هِيَ كُلُّهَا فَرَضَ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَقُلْ : وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْحَقِّهِ وَالتَّائِرِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنْ أَجْزَاءِ هَذِهِ الشُّعْبَةِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ جُزْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَا ، حَيْثُ قَالَ : أَغْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَذَلِكَ هَذَا عَلَى أَنَّ سَائِرَ الْأَجْزَاءِ مِنْ هَذِهِ الشُّعْبَةِ كُلِّهَا مِنَ الْإِيمَانِ ، ثُمَّ عَطَفَ فَقَالَ : وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، فَذَكَرَ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ شُعْبِهِ هِيَ نَفْلُ كُلِّهَا لِلْمُخَاطَبِينَ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ سَائِرَ الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ مِنْ هَذِهِ الشُّعْبَةِ وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الشُّعْبِ الَّتِي هِيَ مِنْ بَيْنِ الْجُزْأَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي هَذَا الْخَبَرِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أَعْلَى الْإِيمَانِ وَأَدْنَاهُ كُلُّهُ مِنَ الْإِيمَانِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَهُوَ لَفْظَةٌ أُطْلِقَتْ عَلَى شَيْءٍ بِكَانِيَةٍ سَبَبِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيَاءَ جَبَلَةٌ فِي الْإِنْسَانِ ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكْثُرُ فِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقَلُّ ذَلِكَ فِيهِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ صَحِيحٌ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانِهِ ، لِأَنَّ النَّاسَ لَيْسُوا كُلُّهُمْ عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْحَيَاءِ. فَلَمَّا اسْتَحَالَ اسْتَوَاؤُهُمْ عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهِ ، صَحَّ أَنْ مَنْ وَجَدَ فِيهِ أَكْثَرُ ، كَانَ إِيمَانُهُ أَزِيدَ ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهِ مِنْهُ أَقَلُّ ، كَانَ إِيمَانُهُ أَنْقَصَ. وَالْحَيَاءُ فِي نَفْسِهِ : هُوَ الشَّيْءُ الْحَائِلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ مَا يَبْغِيهِ مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ ، فَكَانَهُ ﷺ جَعَلَ تَرْكُ الْمَحْظُورَاتِ شُعْبَةً مِنَ الْإِيمَانِ بِإِطْلَاقِ اسْمِ الْحَيَاءِ عَلَيْهِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ. صحيح ابن حبان - (١ / ٣٨٦) ، وللحليمي كلامٌ بديعٌ هنا انظره في شعب الإيمان - (١ / ١٩٠)

قَالُوا : الْجِهَادُ . قَالَ : " حَسَنٌ ، وَمَا هُوَ بِهِ ؟ " قَالَ : " إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ " أخرجه أحمد<sup>١٠</sup>

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ الْجَهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنْعَ لِلَّهِ ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيْمَانَهُ " <sup>١١</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَا عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ » قَالَ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « الْوَلَايَةُ فِي اللَّهِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالتَّبَعُ فِي اللَّهِ » السنن الكبرى للبيهقي <sup>١٢</sup> .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُوقَدَ فِيهَا " لَفْظُ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>١٣</sup>

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَالرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا فِي اللَّهِ ، وَالرَّجُلُ إِنْ قَذِفَ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا. " <sup>١٤</sup>

٦. ومن انتقض إيمانه بشيء من نواقض الإيمان فكفر، لم تنفعه بقية شعب الإيمان إن وجدت عنده لقوله تعالى : { إِنْ اللَّهُ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) سورة النساء ، وقوله تعالى : { ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٥) سورة المائدة. ومن ارتكب المعاصي (غير الكفر والشرك بالله) فهو إلى مشيئة الله، إن شاء عذبه بقدر ذنوبه، وإن شاء غفر له ولم يدخله النار أصلاً، ما دام عنده أصل الإيمان ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ مَاتَ

<sup>١٠</sup> - المسند الجامع - ( ٣ / ١٨٤ ) ( ١٦٩١ ) وأخرجه أحمد ٢٨٦/٤ ( ١٩٠٢٧ ) حسن لغيره

<sup>١١</sup> - شعب الإيمان - ( ١ / ١٠٦ ) ( ١٥ ) حسن

وَرَوَى ذَلِكَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَيْرِ الْإِنِّكَاحِ ، فَصَرَّحَ بِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ كُلَّهَا إِيْمَانٌ ، وَأَبَانَ أَنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْإِخْلَاصُ "

<sup>١٢</sup> - ( ج ١٠ / ص ٢٣٣ ) برقم ( ٢١٦٠٠ ) وهو صحيح

<sup>١٣</sup> - شعب الإيمان - ( ٢ / ٧ ) ( ٤٠١ ) وصحيح البخارى - ( ١٦ ) ومسلم ( ١٧٤ )

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " فَأَبَانَ الْمُصْطَفَى ﷺ بِهَذَا أَنَّ حُبَّ اللَّهِ ، وَحُبَّ رَسُولِهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَأَبَانَ بِمَا قَبْلَهُ أَنَّ تَرْكَ مُتَابَعِهِ يَذُلُّ عَلَى خِلَافِ الْمَحَبَّةِ ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى وَجُوبِ الْمَحَبَّةِ ، وَوُجُوبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْمُتَابَعَةِ وَالْمُؤَافَقَةِ "

<sup>١٤</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٤٧٣ ) لا ( ٢٣٧ ) وصحيح مسلم - ( ٦١ )

يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». وَقُلْتُ أَنَا وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ". (أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم) <sup>١٥</sup>

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ فَقَالَ « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » أخرجه مسلم <sup>١٦</sup>.

وَعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : مَا الْمُوجِبَتَانِ ؟ قَالَ : مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ <sup>١٧</sup>

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ . <sup>١٨</sup>

وَعَنْ جَابِرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ أَدْخَلَهُ النَّارَ . <sup>١٩</sup>

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ - قَالَ - فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ - قَالَ - فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ فَالْتَفَتَ فَرَأَنِي فَقَالَ « مَنْ هَذَا » . قُلْتُ أَبُو ذَرٍّ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهُ » . قَالَ فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ « إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقْتُلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيَّنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا » . قَالَ فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ لِي « اجْلِسْ هَا هُنَا » . قَالَ فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ فَقَالَ لِي « اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ » . قَالَ فَأَنْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَا أَرَاهُ فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللَّبْثَ ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ وَهُوَ يَقُولُ « وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى » . قَالَ فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا . قَالَ « ذَلِكَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ ، قَالَ بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ نَعَمْ . قَالَ قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ نَعَمْ ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ » . (أخرجه البخاري) <sup>٢٠</sup>

<sup>١٥</sup> - صحيح البخاري - (١٢٣٨) وصحيح مسلم - (٢٧٨)

<sup>١٦</sup> - صحيح مسلم - (٢٧٩)

<sup>١٧</sup> - مسند أبي عوانة ( ٢٤ ) صحيح

<sup>١٨</sup> - مسند أبي عوانة ( ٢٥ ) صحيح

<sup>١٩</sup> - مسند أبي عوانة ( ٢٦ ) صحيح

<sup>٢٠</sup> - صحيح البخاري - ( ٦٤٤٣ ) أطرافه ( ١٢٣٧ ، ١٤٠٨ ، ٢٣٨٨ ، ٣٢٢٢ ، ٥٨٢٧ ، ٦٢٦٨ ، ٦٤٤٤ ، ٧٤٨٧ ) و صحيح مسلم - ( ٢٣٥٢ )

وَعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، أَنَّ يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ ، أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدِّيلِيَّ حَدَّثَهُ ، أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ تَوْبٌ أَبْيَضُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ثَلَاثًا ، عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَجْرُ إِزَارُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ ، فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ .<sup>٢١</sup>

وَعَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ } فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ، قَالَ : فَكَرَّرْتُهَا عَلَيْهِ فَقُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُكَ يَا عُيَيْمِرُ .<sup>٢٢</sup>

فينبغي علينا الحرص على الطاعة والمبادرة إلى العمل الصالح. والمسابقة إلى الخيرات، ليبقى إيماننا في ازدياد، مع المحافظة دوماً على أصل الإيمان وتحصينه، فإنه رأس المال وعروة النجاة الوثقى.



<sup>٢١</sup> - مسند أبي عوانة ( ٢٨ ) صحيح

<sup>٢٢</sup> - مسند الشاميين للطبراني - ( ٩٧٣ ) صحيح

## الباب الرابع

### نواقض الإيمان القولية والعملية

#### المبحث الأول

##### الكفر

##### أ- معنى الكفر:

الكفر: هو إنكار شيء مما جاء به النبي ﷺ ووصل إلينا بطريق يقيني قاطع. فهو إذن نقيض الإيمان. إذ الإيمان لا يتم إلا بالتصديق بجميع ما جاء به الرسول ﷺ ، لأن جميع أركانه مع فروعها وحدة متماسكة تماسكاً تاماً ، حتى إن الإخلال بجزء من أجزائها يفقدها كيانها، فلا بدّ من الإيمان بها كلها والاعتقاد بكل جزء من أجزائها، فمن أحلّ بواحد من أجزاء هذه الوحدة الاعتقادية فقد نزلَ عن أدنى مراتب الإيمان، ومن نزل عن أدنى مراتب الإيمان فقد كفر. فمن أنكر شيئاً مما يجب الإيمان به يسمى كافراً. مثال ذلك:

- من اعتقد ألوهية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، أو اعتقد ألوهية غيره من البشر، أو اعتقد بأن الله ثالث ثلاثة فهو كافر، وهذا الاعتقاد باطل قال الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٢-٧٣].

- ومن اعتقد بعدم فرضية الصلوات الخمس في الإسلام فقد كفر.

- ومن اعتقد إباحت الزنا أو إباحت الخمر أو ما شابه ذلك فقد كفر.

##### ب- أنواع الكفر:

١- **كفر الشك:** وهو الذي يشك في ما جاء به رسول الله ﷺ فلا يجزم بصدقه، ولا يجزم بكذبه، قال الله تعالى: {وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم: ٩].

٢- **كفر الإعراض:** وهو الإعراض عمّا جاء به رسول الله ﷺ فلا يصدقه ولا يكذبه ولكنه يعرض عنه، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢].

وقال تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } (٥٧) سورة الكهف

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »  
صحيح مسلم. ٢٣

٣- **كفر الجحود:** وهو أن يجحد جملة بما أنزله الله تعالى أو يجحد شيئاً مما هو معلوم بالضرورة من الإسلام، قال الله تعالى: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }<sup>٢٤</sup> فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [النمل: ١٤].

وقال تعالى: { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُنَا الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام: ٣٣].

وقال تعالى : { ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }  
(٢٨) سورة فصلت

٤- **كفر التكذيب:** وهو اعتقاد كذب الرسول ﷺ في أي شيء مما جاء به، قال الله تعالى: { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ<sup>٢٥</sup> وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } [فاطر: ٢٥-٢٦].

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٣٩) سورة البقرة

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (١٠) سورة المائدة

٥- **كفر إباء واستكبار:** وهو مثل كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، وهذا مثل حال من يعلم أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله سواه، والذي فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، ثم يتركه إباءً واستكباراً ويتخذ له ديناً أو مذهباً من صنع البشر، قال الله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٣٤].

<sup>٢٣</sup> - صحيح مسلم - (٤٠٣)

<sup>٢٤</sup> - ترفعاً واستكباراً عن الإيمان بها.

<sup>٢٥</sup> - الكتب المكتوبة.

وقال تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (١٧٣) سورة النساء

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ ، فَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ ، وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَسِعَةَ رَحْمَتِهِ . وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَامْتَنَعُوا عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، فَهُوَ تَعَالَى يُجَازِي الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ بِالْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ عَلَى إِسَاءَتِهِ بِالْعَدْلِ . وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ وَلِيًّا يَلِي أُمُورَهُمْ وَيُدَبِّرُهَا ، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ .<sup>٢٦</sup> وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } (٤٠) سورة الأعراف

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تَكْبَرًا وَطُغْيَانًا ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَ اللَّهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءُواهُمْ بِهِ ، فَهَؤُلَاءِ لَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَأَرْوَاهِمَ ، وَلَا يَرْفَعُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ عَمَلٌ وَلَا دُعَاءٌ ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَدْخُلَ الْحَبْلُ الْغَلِيظُ ( الْجَمَلُ ) فِي فَتْحَةِ الْإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ ( سَمِّ الْخِيَاطِ ) . فَكَمَا أَنَّ الْحَبْلَ الْغَلِيظَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمُرَّ فِي فَتْحَةِ الْإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ ، كَذَلِكَ لَا يَدْخُلُ الْكُفَّارُ الْجَنَّةَ . وَهَذَا جَزَاءُ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ لِلْمُجْرِمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ ، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .<sup>٢٧</sup>

وقال تعالى : { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَرَبْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ } (٢١) سورة إبراهيم

وقال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٣٣) سورة سبأ

وقال تعالى : { بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (٥٩) سورة الزمر

### ج- حكم الكفر:

إِنَّ حُكْمَ الْكَافِرِينَ هُوَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: ٣٩] .

<sup>٢٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٦٦٦ )

<sup>٢٧</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٩٩٥ )

أَمَّا الَّذِينَ سَيَكْفُرُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكِتَابِ ، وَبِمَنْ بَعَثَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ فَهَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحُولُونَ عَنْهَا أَبَدًا<sup>٢٨</sup> .

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (١٠) سورة المائدة  
وقال تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (١٩) سورة الحديد .  
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَقْرَأُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ ، وَآمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ ، فَهَؤُلَاءِ عِنْدَ اللَّهِ فِي مَنْزِلَةِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ أَلْفُوا الصَّدَقَ حَتَّى صَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَسَجِيَّةً ، وَالَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِهِ ، لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَهُمْ نُورٌ عَظِيمٌ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِيَسِيرُوا عَلَى هُدَاهُ ، وَهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي مَرَاتِبِهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ ، وَحُجَّجَهُ الدَّلَالَةَ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَصَدَّقَ رُسُلَهُ ، فَهَؤُلَاءِ يَكُونُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ<sup>٢٩</sup> .

=====

<sup>٢٨</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٦ )

<sup>٢٩</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٩٧٢ )

## المبحث الثاني

### الشرك

أ- أنواع الشرك:

أولاً : شرك من يؤمن بالله ولكنه يجعل له شريكاً في الملك والتصرف في المخلوقات: خلقاً وحياة ورزقاً وموتاً وضرراً ونفعاً.

وهذا الشرك كشرك النصارى والمجوس إذ يعتقد النصارى أن الله ثالث ثلاثة - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - ويعتقد المجوس أنه ثاني اثنين تعالى الله عما يقولون.

قال الله تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢].

وقال تعالى : {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} (٢٦) سورة الكهف

ثانياً: شرك من يصف نفسه أو غيره من البشر بصفات الكمال الخاصة بالله عز وجل:

وهي الصفات التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى كقول فرعون: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤].

ثالثاً: شرك من يعبد غير الله بأي لون من ألوان العبادة:

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: ٣٦].

فالعبادة تكون خالصة لله سبحانه، ومن أشرك في العبادة شيئاً: كعبادة الشمس أو القمر أو النجوم أو الوثن أو الصنم أو الطبيعة أو الملائكة أو الأنبياء أو الرسل أو الصالحين، واعتقد أنهم ينفعون أو يضررون من دون الله ، فحكمه حكم الكافرين المشركين، قال تعالى: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} [الزمر: ٦٤].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} \* بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف

ب- حكم من أشرك بالله عز وجل:

إن الله لا يغفر إشراك من أشرك به بخلاف من عصى الله من المؤمنين.

قال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ جَاءَ اللَّهُ مُشْرِكًا بِعِبَادَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ ، لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ارْتَكَبَ ذَنْبًا عَظِيمًا ، لَا يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الْغُفْرَانَ وَالشِّرْكَ ضَرْبَانِ :

- شِرْكٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ - وَهُوَ الشُّعُورُ بِسُلْطَةِ وَرَاءَ الْأَسْبَابِ وَالسُّنَنِ الْكَوْنِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ .
- شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ - وَهُوَ الْأَخْذُ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ عَنْ بَعْضِ الْبَشَرِ دُونَ الْوَحْيِ .<sup>٣٠</sup>

وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١١٦].

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ سِوَاهُ ، أَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يَغْفِرُهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا فَقَدْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الْحَقِّ ، وَضَلَّ عَنِ الْمُهْدَى ، وَابْتَعَدَ عَنِ الصَّوَابِ ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ ، وَخَسِرَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .<sup>٣١</sup>

إِنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ أَحَدًا فِي أُلُوهِيَّتِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَلَنْ يَجِدَ الظَّالِمُونَ نَصِيرًا لَهُمْ وَلَا مُعِينًا ، وَلَا مُنْقِذًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

قال الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة : ٧٢]

=====

<sup>٣٠</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٤١ )

<sup>٣١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٦٠٩ )

## المبحث الثالث

### الردة

#### أ- المرتد:

مَنْ ترك دين الإسلام وهو عاقل بالغ، مختارٌ غير مكرهٍ إلى دين آخر، كالنصرانية أو اليهودية أو غير ذلك من الأديان الباطلة، أو إلى عقيدة باطلة ومذهب فاسد كالشيوعية، أو إلى تبني نظرية إلحادية، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة أو الزكاة، أو قال قولاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر، أو حكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده بأن النظام الإسلامي نظام رجعي أو متأخر، أو أن غيره أفضل منه أو مثله، أو هو مخير بين منهج الله ومنهج البشر

#### ب- أنواع الردة:

١- ردة في الاعتقاد.

٢- ردة في الأقوال.

٣- ردة في الأفعال.

#### ١- الردة في الاعتقاد:

اتفق علماء الأمة الإسلامية على:

أنَّ مَنْ أنكر من المسلمين وجود الله، أو أنكر صفات الكمال لله، أو أشرك بالله سبحانه وتعالى فجعل له ولداً أو بناتٍ أو مثيلاً مشابهاً له أو أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، فهو مرتدٌ خارجٌ عن دين الإسلام.

- معنى الأمر المعلوم من الدين بالضرورة<sup>٣٢</sup>:

ما ثبت بنص القرآن الكريم أو بالسنة المتواترة وكان قطعيّ الدلالة، وليس فيه شبهةٌ أو بإجماع جميع الصحابة المتواتر إجماعاً قطعياً قولياً غير سكتي.

أمثلة عن الأمور المعلوم من الدين بالضرورة:

١- الإيمان بوجود الله ووصفه بصفات الكمال وتزيهه عن كل نقصان وأن كل ما سواه فهو مخلوق.

٢- الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام وبمعجزاتهم.

٣- الإيمان برسالة محمد ﷺ بأنها عامّة إلى جميع الخلق، وهي صالحة لكل زمان ومكان، والإيمان بأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، وأن شريعته باقية إلى قيام الساعة وهي كفيلةٌ بإسعاد البشرية.

٤- الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون خلقهم الله تعالى.

<sup>٣٢</sup> - انظر : أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر - (١ / ٢) والخلاصة في العقيدة الإسلامية - (١ / ٦١) والصواعق المحرقة - (١ /

١٤٥) والعقيدة وأثرها في بناء الجيل - (١ / ٨٥) والعلمانية والرد عليها - (١٣ / ٥١) والغلو في التكفير - (١ / ١٢) والولاء والبراء

- (١ / ٥٤) وشروح الطحاوية - (٥ / ٣٨٠) ونواقض الإيمان القولية والعملية - (١ / ٢١٣)

٥- الإيمان بوجود الجن، وأن النبي ﷺ محمداً مرسلٌ إليهم وأن الله خلقهم من مارجٍ من نار، وأنَّ منهم المؤمنين ومنهم الكافرين.

٦- الإيمان بالبعث والحشر والحساب ووزن الأعمال.

٧- الإيمان بالجنة بأنها دار النعيم للمؤمنين خالدين فيها أبداً بأرواحهم وأجسادهم.

٨- الإيمان بالنار بأنها للكافرين خالدين فيها أبداً بأرواحهم وأجسادهم.

٩- الإيمان باللوح المحفوظ والقلم والعرش والكرسي. خلقها الله لحكمة لا لاحتياج إليها.

١٠- الإيمان بشفاعة النبي محمد ﷺ العظمى في فصل القضاء حيث يلجأ إليه الخلق جميعاً في الموقف العظيم.

١١- الإيمان بفرضية الوضوء لمن كان غير متوضئ عند الصلاة والغسل لمن وجب عليه كالجنب، والإيمان بفرضية الصلوات الخمس، وفرضية الجمعة.

١٢- والإيمان بفرضية الزكاة على من ملك حدَّ النصاب، والصوم، والحج على من استطاع إليه سبيلاً.

١٣- الإيمان بفرضية الجهاد في سبيل الله، وأنه لا يسقط أبداً.

١٤- الإيمان بحرمة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين، والسحر، وشهادة الزور، والزنا واللواط، وأكل أموال الربا، وأكل أموال اليتامى، والرشوة، والسرقة، والظلم، والغصب، والغش، والخيانة، وإيذاء الناس بغير حق، والسخرية، والغيبة، والنميمة، والكذب، وقذف المحصنات، والرياء، والعجب، والكبر، والبخل، والحسد.

وغير ذلك من الأمور الواضحة المعلومة من الدين بالضرورة.

## ٢- الردّة في الأقوال:

إذا قال المسلم قولاً مكفراً- باختياره- فقد ارتدَّ وخرج عن الإسلام.

من ردة الأقوال: من جحد قولاً لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة فهو مرتدٌّ. من اعترف اعترافاً قولياً بعقيدة مكفرة بأنها صحيحة.

من سبَّ الله أو القرآن أو الرسل أو الأنبياء أو أحدهم سواء كان مازحاً أو جاداً فهو مرتدٌّ.

قال الله تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} \* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ { [التوبة: ٦٥-٦٦].

من طعن في الدين، فهاجم الإسلام وشرائعه، أودعا إلى مبدأٍ إلحاديٍّ أو كفريٍّ فهو مرتدٌّ.

قال الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} [التوبة: ١٢].

## ٣- الردة في الأفعال:

إذا فعل المسلم فعلاً مكفراً، فقد ارتدَّ وخرج عن الإسلام من ردة الأفعال: مَنْ ألقى المصحف أو جزءً منه في القاذورات أو لَطَّخه بالنجاسات متعمداً فهو مرتد. وَمَنْ سَجَدَ - عامداً - لصنم أو شمس أو قمر أو غير ذلك من الأشياء المخلوقة فهو مرتدُّ. وَمَنْ استهزأ بفعل صريح بدين الله فقد ارتدَّ. وَمَنْ عَلَّقَ الصليبَ على الصدر أو وضع من شارات الكفر الخاصة بهم فقد ارتدَّ. وَمَنْ حاربَ الشريعة الإسلامية واستبدلها بالقوانين الوضعية البشرية تعطيلاً لأحكام الله سبحانه وتعالى فقد ارتدَّ.

قال الله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤]. فكلُّ مَنْ يَرْعُبُ عَنِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ شَرْعٍ، وَيُخْفِيهِ وَيَحْكُمُ بِغَيْرِهِ ( كَحُكْمِ الْيَهُودِ فِي الزَّانِئِينَ الْمُحْصَنِينَ بِالْتَّحْمِيمِ وَالْجُلْدِ، وَكِتْمَانِ الرَّجْمِ، وَقَضَائِهِمْ فِي بَعْضِ قَتْلَاهُمْ بِدِيَّةٍ كَامِلَةٍ، وَفِي بَعْضِهِمْ بِنِصْفِ دِيَّةٍ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَوَّى بَيْنَ الْجَمِيعِ فِي الْحُكْمِ)، فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ سَتَرُوا الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ كَشْفُهُ وَتَبَيَّنُهُ لِلنَّاسِ.<sup>٣٣</sup>

والذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه ويحبدونه ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه فأولئك هم الكافرون.<sup>٣٤</sup>

وقال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (٥٠) سورة المائدة قال ابن كثير: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكَّم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم اليَسَاق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ] فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"<sup>٣٥</sup>

### حكم المرتد:

قال الله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧].

<sup>٣٣</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧١٤)

<sup>٣٤</sup> - التفسير الميسر - (٢ / ٢١٨)

<sup>٣٥</sup> - تفسير ابن كثير - (٣ / ١٣١)

يُهَدِّدُ اللَّهُ مَنْ يَضْعَفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَ هَجَمَاتِهِمْ ، وَمُحَاوَلَاتِهِمْ وَإِغْرَاءَاتِهِمْ فَيَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ كَافِرٌ ، بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْأَبَدِيِّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَبِحُبُوطِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .<sup>٣٦</sup>

#### - حكمه في الدنيا:

لا يرث ولا يورث ولا تؤكل ذبيحته، ولا يُزَوَّج وتقع الفرقة بينه وبين زوجته من غير تنقيصٍ عدد للطلاق، وليس له أن يردّها إلى عصمة الزواج إلا بعد أن يُسَلِّم من جديد بعقدٍ شرعيٍّ، وتحبط أعماله كلّها.

المرتدُّ يجبس ثلاثة أيام ويعرض عليه الإسلام مع معرفة سبب كفره ورفع الشُّبْهِ والشكوكِ من نفسه بالأدلة المقنعة والنقاش العلميّ، فإنْ أصرَّ على كفره ولم يرجع إلى دين الإسلام، يقتل من قبل الحاكم المسلم.<sup>٣٧</sup>

عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَرَّقَ قَوْمًا ، فَبَلَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ » . وَلَقَتَلْتَهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » (أخرجه الجماعة)<sup>٣٨</sup>

#### - حكمه في الآخرة:

حكمه حكم الكافرين يخلد في النار وله عذابٌ أليم.

=====

<sup>٣٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٢٤) والتفسير الميسر - (١ / ٢٣١)

<sup>٣٧</sup> - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٢ / ١٨٠) فما بعد والدرر السننية كاملة - (٤١ / ٣١) والولاء والبراء - (١ / ٢٢٨) والولاء والبراء - (١ / ٢٢٨) ونواقض الإيمان القولية والعملية - (١ / ٧٧) وشروح الطحاوية - (٤ / ٩٦٩) وكتابي ((المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه))

<sup>٣٨</sup> - انظر تخريجه مفصلاً في المسند الجامع - (٩ / ٤٧٨) (٦٥٧٨-٦٥٧٩) وصحيح البخاري - (٣٠١٧)

## المبحث الرابع النفاق

### أ- معنى النفاق:

الْمُنَافِقُ: هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِيمَانَ وَيُخْفِي الْكُفْرَ وَهُوَ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ مِنْ يَقُولُ غَيْرَ مَا يَعْتَقِدُ  
قال الله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ  
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: ١].

إِذَا جَاءَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى مَجْلِسِكَ يَا مُحَمَّدٌ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَقَدْ أَرْسَلَكَ اللَّهُ  
تَعَالَى إِلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُرْآنَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ لِتُبَلِّغَهُمْ مَا  
أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا لَكَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَأَنَّهُمْ لَا  
يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ مَا يَقُولُونَ. ٣٩

### ب- صفات المنافقين:

من صفات المنافقين التي جاءت في القرآن الكريم:

#### ١- الإفساد في الأرض وعدم الإصلاح:

قال الله تعالى في وصف المنافقين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ\*  
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١ - ١٢].

#### ٢- اتهام المؤمنين بالسفَه:

قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ  
السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٣].

#### ٣- خداع الذين آمنوا بإظهار الإيمان إذا قابلوهم، ثم إظهار الكفر مع أوليائهم:

قال الله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ  
مُسْتَهْزِئُونَ\* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٤ - ١٥].

#### ٤- الإعراض عن التحاكم إلى شرع الله وصدُّ الناس عن الحكم بما أنزل الله:

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ  
يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا\* وَإِذَا قِيلَ  
لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} [النساء: ٦٠ -  
٦١].

٣٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٦٧)

ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك المنافقين الذين يدعون الإيمان بما أنزل إليك -وهو القرآن- وبما أنزل إلى الرسل من قبلك، وهم يريدون أن يتحاكموا في فصل الخصومات بينهم إلى غير ما شرع الله من الباطل، وقد أمروا أن يكفروا بالباطل؟ ويريد الشيطان أن يبعدهم عن طريق الحق، بعداً شديداً. وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان الصادق، يقتضي الانقياد لشرع الله، والحكم به في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في زعمه<sup>٤٠</sup>.

#### ٥- اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين:

قال الله تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا \* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].  
عَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ هَذَا الصَّنَفِ الْمُتَرَدِّدِ مِنَ النَّاسِ ، آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَقَدْ بَشَّرَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ .

ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ الْمُعَادِينَ لِلْإِيمَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ ، أَوْلِيَاءَ لَهُمْ يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ . وَيُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَسْلَكَ فِي مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ . وَيَسْأَلُ اللَّهُ مُسْتَنَكِرًا : هَلْ يَتَّبِعِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْعِزَّةَ وَالْعَلْبَةَ وَالْمَنَّةَ عِنْدَ الْكَافِرِينَ؟ ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ إِلَى أَنَّ الْعِزَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا ، ثُمَّ تَكُونُ الْعِزَّةُ لِمَنْ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ . ثُمَّ يَحْتُثُّهُمْ اللَّهُ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى إِعْلَانِ عُبُودِيَّتِهِمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَالِاتِّظَامِ فِي جُمْلَةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ النَّصْرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَهُمُ الْفَوْزُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>٤١</sup>.

#### ٦- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال الله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)} [التوبة: ٦٧].

إِنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ رِجَالًا وَنِسَاءً ، يَتَشَابَهُونَ فِي صِفَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بِفِعْلِ الْمُنْكَرِ ، كَالْكَذِبِ وَالْحِيَانَةِ ، وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ ، وَنَقْضِ الْعَهْدِ . . وَيَنْهَوْنَ عَنِ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ : كَالْجِهَادِ ، وَبَذْلِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَضْتَنُّونَ بِالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . . وَقَدْ نَسُوا أَنْ يَتَّقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَتَرَكُوا مَا نَهَى عَنْهُ ، وَاتَّبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِحَرْمَانِهِمْ مِنْ لُطْفِهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ .

وَالْمُنَافِقُونَ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ فُسُوقًا ، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَنْسِلَاحًا مِنَ الْفَضَائِلِ الْفِطْرِيَّةِ السَّلِيمَةِ

٤٢ .

<sup>٤٠</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٥٣) والتفسير الميسر - (٢ / ٦٠)

<sup>٤١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٣١) والتفسير الميسر - (٢ / ١٣٧)

<sup>٤٢</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٠٣)

## ج- أنواع النفاق:

النفاق نوعان:

- ١- نفاق اعتقادي: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان ويبطن خلاف ذلك.
  - ٢- ونفاق عملي: وهو أن يكون الإنسان مؤمناً ظاهراً وباطناً إلا أنه يخالف في بعض أعماله الظاهرة العمل الصالح كخيانة الأمانة والتحدث بالكذب وخلف الوعد.
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ »<sup>٤٣</sup> .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ ، حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »<sup>٤٤</sup> .

## د- حكم النفاق:

حكمُ النفاق الاعتقادي: هو كحكم الكافرين وهو الخلود في النار.

قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [التوبة: ٦٨].

أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ ، وَوَعَدَهُمْ بِهَا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَسَيَمَكُثُونَ فِيهَا مُخَلَّدِينَ أَبَدًا ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالْعَذَابِ مَا يَكْفِيهِمْ ( حَسْبُهُمْ ) ، وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ دَائِمٌ غَيْرَ عَذَابِ جَهَنَّمَ : كَالسَّمُومِ يُلْقَحُ وَجُوهُهُمْ ، وَالْحَمِيمِ يَصْهَرُ مَا فِي بُطُونِهِمْ<sup>٤٥</sup> .

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} (١٤٥) سورة النساء.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي أَسْفَلِ طَبَقَاتِ ( دَرَكَاتِ ) نَارِ جَهَنَّمَ ، وَلَنْ يَنْصُرَهُمْ أَحَدٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ<sup>٤٦</sup>

<sup>٤٣</sup> - صحيح البخارى - ( ٣٣ )

<sup>٤٤</sup> - صحيح البخارى - ( ٢٤٥٩ ) وصحيح مسلم - ( ٢١٩ )

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِشْكَالٌ ، وَلَكِنْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ . فَالَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَالْأَكْثَرُونَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ : أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ حِصَالُ نِفَاقٍ ، وَصَاحِبُهَا شَبِيهُ بِالْمُنَافِقِ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ ، وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ . فَإِنَّ النِّفَاقَ هُوَ إِظْهَارُ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الْخِصَالِ ، وَيَكُونُ نِفَاقُهُ فِي حَقِّ مَنْ حَدَّثَهُ ، وَوَعَدَهُ ، وَاتَّمَنَّهُ ، وَخَاصَمَهُ ، وَعَاهَدَهُ مِنَ النَّاسِ ، لَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ فِي الْإِسْلَامِ فَيُظْهِرُهُ وَهُوَ يُبْطِنُ الْكُفْرَ . وَلَمْ يُرِدِ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ نِفَاقَ الْكُفَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ . شرح النووي على مسلم - ( ١ / ١٥٠ )

<sup>٤٥</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٣٠٤ )

<sup>٤٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٦٣٨ )

وفيها كشف للمؤمنين عن هول هذا العذاب الذي يلاقيه المنافقون ، وأنهم في الدرك لأسفل من النار ، يتزلون منها للزلزل الدّون ، الذي بعده منزلة ، الأئمة والكافرين!<sup>٤٧</sup> وفي الآية إشارة إلى أن دار العذاب في الآخرة ذات دركات بعضها أسفل من بعض ، كما أن دار النعيم درجات بعضها أعلى من بعض.

وإنما كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار ، لأنهم شرُّ أهلها ، إذ هم جمعوا بين الكفر والنفاق ومخادعة الرسول والمؤمنين وغشهم ، فأرواحهم أسفل الأرواح ، ونفوسهم أحط النفوس ، ومن ثم كانوا أجدر الناس بالدرك الأسفل منها.

أما أكثر الكفار فقد غلب عليهم الجهل بحقيقة التوحيد ، فهم مع إيمانهم بالله يشركون به غيره ، من صنم أو وثن يتخذونه شفيعا عنده ووسيطا بينه وبينه ، وقد قاسوا ذلك على معاملة الملوك المستبدين ، والأمراء الظالمين.<sup>٤٨</sup>

إنه مصير يتفق مع ثقله الأرض التي تلصقهم بالتراب ، فلا ينطلقون ولا يرتفعون. ثقله المطامع والرغائب ، والحرص والحذر ، والضعف والخور! الثقله التي تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين. والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهين : «مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ. لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» ..

فهم كانوا في الحياة الدنيا يزاولون تهمة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير المهين «فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» ..

بلا أعوان هنالك ولا أنصار .. وهم كانوا يوالون الكفار في الدنيا ، فأنى ينصرهم الكفار؟ ثم يفتح لهم - بعد هذا المشهد المفزع - باب النجاة .. باب التوبة لمن أراد النجاة : «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ، وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ، وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ. فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» ..

وفي مواضع أخرى كان يكتفي بأن يقول : «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا» .. فالتوبة والإصلاح يتضمنان الاعتصام بالله ، وإخلاص الدين لله. ولكنه هنا ينص على الاعتصام بالله ، وإخلاص الدين لله. لأنه يواجه نفوسا تذبذبت ، وناققت ، وتولت غير الله. فناسب أن ينص عند ذكر التوبة والإصلاح ، على التجرد لله ، والاعتصام به وحده وإخلاص هذه النفوس من تلك المشاعر المذبذبة ، وتلك الأخلاق المخلخلة .. ليكون في الاعتصام بالله وحده قوة وتماسك ، وفي الإخلاص لله وحده خلوص وتجرد ..

<sup>٤٧</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٣ / ٩٤٤)

<sup>٤٨</sup> - تفسير الشيخ المراغي - موافقا للمطبوع - (٥ / ١٨٩) و التفسير الواضح - موافقا للمطبوع - (١ / ٤٤٦)

بذلك تخف تلك الثقلة التي تهبط بالمنافقين في الحياة الدنيا إلى اللصوق بالأرض ، وتهبط بهم في الحياة الآخرة إلى الدرك الأسفل من النار.

وبذلك يرتفع التائبون منهم إلى مصاف المؤمنين المعتزين بعزة الله وحده. المستعلين بالإيمان. المنطلقين من ثقلة الأرض بقوة الإيمان .. وجزاء المؤمنين - ومن معهم - معروف : «وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا».

وبهذه اللمسات المتنوعة ، يكشف حقيقة المنافقين في المجتمع المسلم ، ويقلل من شأنهم وينبه المؤمنين إلى مزالق النفاق ، ويحذرهم مصيره. ويفتح باب التوبة للمنافقين ليحاول من فيه منهم خير ، أن يخلص نفسه ، وينضم إلى الصف المسلم في صدق وفي حرارة وفي إخلاص ..<sup>٤٩</sup>

**حكم النفاق العملي:** حكمه حكم الفسق وهو معصية يجب الرجوع عنها.

قال بعض العلماء : ولكن من هو المنافق الذي يستحق أشد العقاب ، ويكون في أعماق النيران يوم القيامة؟

نقول في الجواب عن ذلك : إنه المنافق الخالص الذي لم يكن فيه خصلة أو أكثر من خصلة فقط ، ولكن هو الذي كفر بالله وبالرسالة المحمدية ، ولم يكتف بذلك بل أظهر الإسلام ليفسد بين المسلمين ويتعرف أسرارهم.

ذلك أن النفاق درجات هذا أعلاها ، وهو أشد الكفر. ودونه بعد ذلك مراتب تكون بين المسلمين ولا تخرج المسلم عن إسلامه ، وإن كانت تجعل إيمانه ضعيفا. ومن ذلك مملأة الحكام ، والسكوت عن كلمة الحق مع النطق بالباطل ملقا وخداعا.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ فَنَقُولُ لَهُ مَا نَتَكَلَّمُ بِخِلَافِهِ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ . فَقَالَ : " كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا " <sup>٥٠</sup>



<sup>٤٩</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٢ / ٧٨٥ )

<sup>٥٠</sup> - جُزْءُ حَنْبَلِ بْنِ إِسْحَاقَ ( ١ ) صحيح وانظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم-موافق للمطبوع - ( ٣ / ٣٦٠ )

## الباب الخامس

### الإيمان بالغيب

إنَّ الإيمانَ الغيبَ هو الذي يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون، ولذلك يحسن بنا أن نعرف ما هو الغيب، ثم ننطلق من ذلك إلى بيان أركان الإيمان. وفيه مباحث :

#### المبحث الأول

##### مفهوم الغيب في الإسلام

الغيب في الإسلام هو: كل ما غاب عن حسِّ الإنسان سواء بقي سرًّا مكتوما يعجز الإنسان عن إدراكه بحيث لا يعلمه إلا اللطيف الخبير، أو كان مما يعلمه الإنسان بالخبر اليقين عن الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد يعلم الإنسان بعض الغيب بتحليله الفكري أو نحو ذلك من الوسائل. (وذلك في بعض ما يمكن الوصول إليه بالوسائل المساعدة، على توسيع مدى الحواس مثل المناظير وغيرها من الأجهزة، وهذا مما يدخل في الغيب النسبي كما سنرى).<sup>٥١</sup>

#### المطلب الأول

##### أهمية الإيمان بالغيب

إنَّ الإيمانَ بالغيبَ خاصيةٌ من الخصائص المميزة للإنسان عن غيره من الكائنات؛ ذلك لأنَّ الحيوان يشترك مع الإنسان في إدراك المحسوس، أمَّا الغيبُ فإنَّ الإنسان - وحده - المؤهل للإيمان به بخلاف الحيوان. لذا كان الإيمان بالغيب ركيزةً أساسيةً من ركائز الإيمان في الرسالات السماوية كلها. فقد جاءت هذه الرسالاتُ بكثيرٍ من الأمور الغيبية التي لا سبيل للإنسان إلى العلم بها إلا بطريق الوحي الثابت في الكتاب والسنة، كالحديث عن الله تعالى وصفاته وأفعاله وعن السماوات السبع وما فيهن، وعن الملائكة والنبين والجنة والنار والشیاطين والجن وغير ذلك من الحقائق الإيمانية الغيبية، التي لا سبيل لإدراكها والعلم بها إلا بالخبر الصادق عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

وَصَاحِبُ هَذَا الْإِعْتِقَادِ وَقَفَ عَلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ وَقَائِمٌ عَلَى أَوَّلِ النَّهْجِ ، لَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى الْمَسْلَكِ ، وَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ إِلَى الْعَايَةِ ، فَإِنَّ مَنْ يَعْتَقِدُ بَأَنَّ وَرَاءَ الْمَحْسُوسَاتِ مَوْجُودَاتٍ يُصَدَّقُ بِهَا الْعَقْلُ - وَإِنْ كَانَتْ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا الْحِسُّ - إِذَا أَقَمْتَ لَهُ الدَّلِيلَ عَلَى وُجُودِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

<sup>٥١</sup> - انظر تفسير المراغي - موافقا للمطبوع - ( ١ / ٤١ )

الْمُسْتَعْلَى عَنِ الْمَادَّةِ وَلَوْ أَحَقَّقَهَا ، الْمُتَّصِفِ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ ، سَهْلَ عَلَيْهِ التَّصَدِيقُ وَخَفَّ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي جَلِيِّ الْمُقَدَّمَاتِ وَخَفِيفِهَا ، وَإِذَا جَاءَ الرَّسُولُ بِوَصْفِ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَوْ بِذِكْرِ عَالَمٍ مِنَ الْعَوَالِمِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا ، كَعَالَمِ الْمَلَائِكَةِ - مَثَلًا - لَمْ يَشَقَّ عَلَى نَفْسِهِ تَصَدِيقُ مَا جَاءَ بِهِ الْخَبَرُ بَعْدَ ثُبُوتِ النُّبُوَّةِ ، لِهَذَا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الْوَصْفَ فِي مُقَدِّمَةِ أَوْصَافِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي الْقُرْآنِ هُدًى لَهُمْ.<sup>٥٢</sup>

والإيمان بالغيب هو أساس الإيمان كله ؛ لأن أركان الإيمان كلها من الأمور الغيبية ، وقد بين الله عز وجل في كتابه المبين أن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين المتقين فقال عز وجل : { أَلَمْ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) [البقرة : ١ - ٥] }<sup>٥٣</sup>

قال بعض العلماء : وخص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان ، لأن الإيمان بالغيب هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي ، فإذا آمن به المرء تصدَّى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله - تعالى - فسهل عليه إدراك الأدلة ، وأما من يعتقد أنه ليس من وراء عالم الماديات عالم آخر ، فقد راض نفسه على الإعراض عن الدعوة ، كما هو حال الماديين الذين يقولون : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [الجاثية : ٢٤]

والإيمان بالغيب : يستلزم التصديق به على وجه الجزم ، وهو لا يحصل إلا عن دليل . ولا شك أن قيام البراهين على صدق من أخبر بالغيب يجعل المؤمن بهذا الغيب مصدقا عن دليل ، فنحن لا نحتاج في الإيمان بالملائكة والكتب السماوية السابقة ، والرسل الذين أرسلوا من قبل ، والبعث وما فيه من ثواب وعقاب ، لا نحتاج في الإيمان بكل ذلك إلى دليل زائد على الأدلة التي قامت على صدق نبينا محمد ﷺ .

والإيمان بالغيب دليل على اتساع العقول ، وسلامة القلوب ، إذ أن معنى الإيمان بالغيب هو أن عقولهم قد سلّم إدراكها ، وتفشعت عنها غشاواتها ، وامتد نظرها في الكائنات فأدركت أن لها مبدعا حكيما وخالقا قديرا ، جعلها تسير بنظام محكم ، فهذه كواكب تظهر وتغيب ، وسماء مرفوعة بغير عمد ، وأرض راسية لا تميد ولا تضطرب ... صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ لِنَلِكِ الْعُقُولِ بَرَاهِينَ قَاطِعَةٌ عَلَى وَجُودِ خَالِقِ مُدَبِّرٍ ، وَحَكِيمِ قَدِيرٍ ، وَمُبْدِعٍ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ .

<sup>٥٢</sup> - تفسير المنار - ( ١ / ١٠٧ )

<sup>٥٣</sup> - أشرطة الساعة - ( ١ / ١٧ و ٢٣ ) ومجموع فتاوى ابن باز - ( ٢٨ / ١٥٣ )

والإيمان بالغيب الذي أخبر به الصادق المصدوق ﷺ يقوى ويعظم كلما قوى الإيمان في القلوب ، واستولى الصفاء على النفوس ، وقد مدح النبي ﷺ المؤمنين بالغيب في أحاديث متعددة ، فعن ابنِ مُحَرِّيزٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي جُمُعَةَ ، رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ : حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : نَعَمْ ، أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا جَيِّدًا ، تَعْدَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا ، أَسْلَمْنَا مَعَكَ ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني . رواه أحمد<sup>٥٤</sup>

قال ابن كثير : فقد مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم أجرا من هذه الحيشة لا مطلقا<sup>٥٥</sup>  
وعن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فُضِّلَ عَنْ كُتَابِ النَّاسِ ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، فَيَحْفُونَ بِهِمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ، فَيَقُولُ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : يُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ لَكُنَّا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا وَتَحْمِيدًا وَتَمَجِيدًا ، فَيَقُولُ : وَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ حِرْصًا وَأَشَدَّ طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، فَيَقُولُ : وَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا لَكُنَّا مِنْهَا أَشَدَّ فِرَارًا ، وَأَشَدَّ هَرَبًا ، وَأَشَدَّ خَوْفًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ : فَقَالَ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ : إِنَّ فِيهِمْ فَلَانًا لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : فَهُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ<sup>٥٦</sup> أخرجه البخاري

=====

<sup>٥٤</sup> - مسند أحمد - المكثر - (١٧٤٣٩ و ١٧٤٤٠) صحيح

<sup>٥٥</sup> - تفسير ابن كثير - دار طيبة - (١ / ١٦٧) وانظر أضواء البيان للشنقيطي - (٨ / ٣٦١) و التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطباطوي - (١ / ٤٢)

<sup>٥٦</sup> - صحيح البخاري - المكثر - (٦٤٠٨) وصحيح ابن حبان - (٣ / ١٣٩) (٨٥٧)

## المطلب الثاني

### الفارق كبير بين من يؤمن بالغييب وبين من لا يؤمن به

إنَّ الإيمان بالغييب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي ، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود ، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير. كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديته وبصيرته ويتلقى أصداؤه وإيجاءاته في أطوائه وأعماقه ، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود. وأن وراء الكون ظاهره وخافيه ، حقيقة أكبر من الكون ، هي التي صدر عنها ، واستمد من وجودها وجوده ..

حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول.

وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والانشغال بما لم تخلق له ، وما لم توهب القدرة للإحاطة به ، وما لا يجدي شيئاً أن تنفق فيه. إن الطاقة الفكرية التي وهبها الإنسان ، وهبها ليقوم بالخلافة في هذه الأرض ، فهي موكلة بهذه الحياة الواقعة القريبة ، تنظر فيها ، وتعمقها وتتقصاها ، وتعمل وتنتج ، وتنمي هذه الحياة وتجملها ، على أن يكون لها سند من تلك الطاقة الروحية التي تتصل مباشرة بالوجود كله وخالق الوجود ، وعلى أن تدع للمجهول حصته في الغيب الذي لا تحيط به العقول. فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بمحدود هذه الأرض والحياة عليها ، دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة ، وترك حصة للغيب لا ترتادها العقول .. فأما هذه المحاولة فهي محاولة فاشلة أولاً ، ومحاولة عابثة أخيراً. فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال. وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تخلق لمثل هذا المجال .. ومتى سلم العقل البشري بالبدئية العقلية الأولى ، وهي أن المحدود لا يدرك المطلق ، لزمه - احتراماً لمنطقه ذاته - أن يسلم بأن إدراكه للمطلق مستحيل و. ن عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن ، والغييب والشهادة .. وهذا الاحترام لمنطق العقل في هذا الشأن هو الذي يتحلى به المؤمنون ، وهو الصفة الأولى من صفات المتقين.

لقد كان الإيمان بالغييب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة. ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان ، كجماعة الماديين في كل زمان ، يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري .. إلى عالم البهيمة

الذي لا وجود فيه لغير المحسوس! ويسمون هذا «تقدمية» وهو النكسة التي وفى الله المؤمنين إياها ،  
فجعل صفتهم المميّزة ، صفة : «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» والحمد لله على نعمائه ، والنكسة للمنتكسين  
والمرتكسين!<sup>٥٧</sup>

=====

---

<sup>٥٧</sup> - فى ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ١ / ٣٩ ) و ( ٢ / ١١٢٠ )

### المطلب الثالث

#### اليهود أول من كذب بالإيمان بالغيب

لقد جاء عيسى عليه السلام على دين اليهودية، أي طراً على دين اليهودية ونحن نعلم أن دين اليهودية قد تم تحريفه من اليهود تحريفا جعله ينحاز إلى الأمور المادية الصرفة، دون أدنى اعتبار للأمور الروحية والإيمان بالغيب، فهم ماديون، وتتمثل ماديتهم في أنهم قالوا لموسى عليه السلام ما حكاه القرآن الكريم: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } [البقرة: ٥٥].

إنهم لم يلتفتوا إلى أن بعضاً من كمال وجلال الله غيب؛ لأنه لو كان مشهوداً محساً، لحدد - بضم الحاء وكسر الدال - وحيز، وما دام قد حُدد وحيز في تصورهم فذلك يعني أنه سبحانه قد يوجد في مكان ولا يوجد في مكان آخر، والحق سبحانه موزه عن مثل ذلك لأنه موجود في كل الوجود، ولا نراه بالعين، لكن نرى آثار أعماله وجميل صنعه في كل الكون. إذن فكون الله غيباً هو من تمام الجلال والكمال فيه.

لكن اليهود قد صوروا الأشياء كلها على أنها حسية، حتى أمور اقتنيات حياتهم وهي الطعام، لقد أرادها الله لهم غيباً حتى يريهم في التيه، فأرسل عليهم المن والسلوى، كرزق من الغيب الذي يأتي إليهم، لم يستنبطوه. ولم يستوردوه، ولم يعرفوا كنهه، ولم يجتهدوا في استخراجها، إنه رزق من الغيب، ومع ذلك توردوا على هذا الرزق القادم لهم من الغيب وقالوا كما أخبر الله عنهم: { لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [البقرة: ٦١] ٥٨

=====

٥٨ - تفسير الشعراوي - ( ٤٥٠ / )

## المبحث الثاني

### أقسام الغيب

#### المطلب الأول

#### الغيب المطلق

هو الذي ليس للإنسان سبيل إلى العلم به عبر وسائل إدراكه أو حواسه ،وهو نوعان:

النوع الأول: ما أعلم الله تعالى الناس به أو ببعضه عن طريق الوحي إلى الرسل ،الذين يبلغونه إلى الناس ،ومن أمثلة ذلك الشياطين والجن ،وما جاء من أخبارهم ،نحو قوله تعالى : { قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) [الجن/١-٣] }.

النوع الثاني: ما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه ، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وذلك هو المقصود بقوله تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } (٥٩) سورة الأنعام ،ومن أمثلته العلم بوقت قيام الساعة ، والموت من حيث زمانه ومكانه وسببه ، وبعض ما سمي الله تعالى به نفسه . قال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (٣٤) سورة لقمان ، وعن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، ابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أُمْتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَ قَلْبِي ، وَتُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا ، قَالَ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا . ( أخرجه أحمد )<sup>٥٩</sup>

=====

<sup>٥٩</sup> - مسند أحمد - المكتز - (٣٧٨٤) والمجالسة وجواهر العلم - (٥ / ١٧) (١٨٠٣) والصحيحة برقم (١٩٩) صحيح

## المطلب الثاني الغيبُ المقيّدُ النسبيُّ

هو ما كان غائبا عن البعض ، مثلَ الحوادثِ التاريخية. فإنها غيبٌ بالنسبة لمن لم يعلمها ، لذلك قال الله تعالى للنبي ﷺ بعد أن ذكر قصة آل عمران : { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } (٤٤) سورة آل عمران. أي هي مما غاب أمره عن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — ولم يكن عنده من أخبارها شيئا .. فهي غيب بالنسبة الرسول ، وإن كان عند أهل الكتاب شىء منها! وقوله تعالى : « وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ » تأكيد لما بين الرسول ، وبين هذه الأحداث من بعد ، ومن غياب أمرها عنه ، لأنه — أولا — لم يكن من أهل الكتاب ، ولا من القارئین الدارسين لما في أيدي أهل الكتاب من علم ، ولأنه — ثانيا — لم يكن معاصرا لهذه الأحداث ، ومشاهدا لها .. ومن جهة أخرى ، فإن من هذه الأنباء ما لم يكن عند أهل الكتاب — وخاصة معاصري النبوة — شىء منها ، مثل ما أخبر به القرآن من اختصاص المختصمين في كفالة مريم ، وأيّهم أحق بها ، ثم التجاؤهم في هذا الخلاف إلى أن يقرعوا عليها ، وذلك بإلقاء أقلامهم في الماء ، فأيهم ثبت قلمه كفلهما ، وقد أصابت القرعة زكريا ، فكفلها زكريا ، كما أخبر القرآن الكريم بهذا .. فهذا كله لم يكن عند أهل الكتاب المعاصرين للنبي ﷺ شىء منه ، ولم يكن فيما بين أيديهم من كتب الله حديث عنه .

وفي هذه الأخبار التي يتلقاها محمد ﷺ من السماء ، على غير سابق علم بها ، وفي مجيئها على تمامها وصحتها ، غير محرفة ، ولا مبتورة ، كما هو الحال فيما بقي بين أيدي أهل الكتاب منها — في هذه الأخبار دلالة قاطعة على أن ما يتلقاه محمد ﷺ من أخبار ، هو من مصدر عال ، لا يرجع فيه إلى بشر ، ولا يستند فيه إلى علم بشر ، وإلا كان لزاما عليه ألا يخرج عن محتوى ما يرد إليه من علم العالمين!<sup>٦٠</sup>

إن القرآن هو وحي منزل من عند الله، يُعرّف المؤمنين النور إلى الهداية وتكاليف الحق، ويهدي من اختار الهدى، وإنك يا محمد لتدعو بهذا القرآن إلى صراط مستقيم. إن كل { مَا كُنْتَ } في القرآن الكريم هي دليل على أن ما أخبرك به جبريل رسولا من عند الله إليك، وحاملا للوحي من الله هو الحق؛ فتعلمه أنت يا محمد بطريقة خاصة وعلى نهج مخصوص، رغم أنك لم تقرأ كتاباً ولم تجلس إلى

<sup>٦٠</sup> - التفسير القرآني للقرآن ، ج ٢ ، ص : ٤٤٧ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم-موافق للمطبوع - ( ٢ / ١٠٥ )

معلم. وما تخبرهم به من آيات هي موافقة لما معهم، وكان من الواجب أن يقولوا إن الذي علمك هذا هو الله سبحانه وتعالى، وكان يجب أن يقرؤا ويشهدوا بأنك من المرسلين.<sup>٦١</sup>

=====

---

<sup>٦١</sup> - تفسير الشعراوي - ( ٢٥٤ / )

## المطلب الثالث

### الغيبُ المقيّدُ غيرُ النسبيِّ

هو كلُّ ما غاب عن الحسِّ بسببِ بعد الزمان ( المستقبل )، أو المكان، أو غير ذلك ،حتى ينكشف ذلك الحجابُ الزمانيُّ أو المكانيُّ ، كما في قوله تعالى : { فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } ( ١٤ ) سورة سبأ . وذلك في موت سيدنا سليمان عليه السلام.<sup>٦٢</sup>

ومن الأمثلة على الأمور الغيبية :

١. الروحُ : قال الله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } ( ٨٥ ) سورة الإسراء.

{ الروحُ } لها إطلاقاتٌ متعدّدة، منها: الروح التي تمدُّ الجسم بالحياة إن اتصلت به، كما في قوله تعالى: { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } [الحجر: ٢٩]

فإذا ما فارقت هذه الروح الجسد فقد فارق الحياة، وتحوّل إلى جثة هامدة، وفيها يقول تعالى: { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ } [الواقعة: ٨٣]

وقد تأتي الروح لتدل على أمين الوحي جبريل عليه السلام، كما في قوله تعالى: { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } [الشعراء: ١٩٣]

وقد تُطلق الروح على الوحي ذاته، كما في قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا } [الشورى: ٥٢]

وتأتي بمعنى التشييت والقوة، كما في قوله تعالى: { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } [المجادلة: ٢٢]

---

<sup>٦٢</sup> - تكشف هذه الآية عن حقيقة الجن ، وتصحح تلك الصّور المشوهة التي وقعت في أوهام الناس لهم ، بنسبة الخوارق إليهم ، وأنهم يقدرون على كل شيء قدرة مطلقة ، وأنهم يعلمون الغيب ، ولهذا يلجأ كثير من الناس إلى محاولة الاتصال بالجن ، كما يفعل العرافون والسحرة وغيرهم ، ففي قوله تعالى : « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ » — إشارة إلى أن سليمان حين حان أجله ، وقضى الله عليه الموت ، أي أوجب عليه الموت حين جاء وقته وكان سليمان حين مات ، قائما بين الجنّ وهم بين يديه يعملون له — لم يعلموا بموته ، وظلوا يعملون فيما أمرهم به ..

ولم يدلّهم على أنه قد مات إلا دابة الأرض التي كانت تأكل منسأته، أي عصاه التي كان يتكىء عليها .. فلما عشت دابة الأرض بالعصا ، زابت موضعها وسقطت على الأرض. وخرّذ سليمان على الأرض كذلك .. وهنا علم الجنُّ أن سليمان قد مات .. فأحلوا مكافهم ، ومضوا إلى حيث يشاءون!!

ولو كانوا يعلمون الغيب لعلموا أن سليمان قد مات ، ولو كان بعيدا عنهم ، فكيف وهو تحت سمعهم وبصرهم؟ " التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص : ٧٩٣

وَأُطْلِقَتْ الروح على عيسى ابن مريم — عليه السلام — في قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ } [النساء: ١٧١]  
إذن: لهذه الكلمة إطلاقات متعددة، فما العلاقة بينها؟

قالوا: الروح التي بها حركة الحياة إذا وُجِدَتْ في الإنسان تعطي مادية الحياة، ومادية الحياة شيء، وقيم الحياة شيء آخر، فإذا ما جاءك شيء يعدل لك قيم الحياة فهل تُسميه روحاً؟ لا، بل هو روح الروح؛ لأن الروح الأولى قصارها الدنيا، لكن روح المنهج النازل من السماء فخالدة في الآخرة، فأيهما حياته أطول؟

لذلك فالحق سبحانه يُنبئنا: إياك أن تظن أن الحياة هي حياتك أنت وكونك تُحسُّ وتتحرك وتعيش طالما فيك روح، لا بل هناك روح أخرى أعظم في دار أخرى أبقي وأدوم: { وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت: ٦٤]

لأن الروح التي تعيش بها في الدنيا عُرْضة لأن تُؤْخَذَ منك، وتُسَلَبَ في أي مرحلة من مراحل حياتك منذ وجودك جنيناً في بطن أمك، إلى أن تصبح شيخاً طاعناً في السن.. أما روح الآخرة، وهي روح القيم وروح المنهج، فهي الروح الأقوى والأبقى؛ لأنها لا يعتربها الموت.

إذن: سُمِّي القرآن، وسُمِّي الملك النازل به روحاً؛ لأنه سيعطي حياة أطول هي حياة القيم في الآخرة.

وهنا يقول تعالى: { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .. } [الإسراء: ٨٥] أي: أن هذا من خصوصياته هو سبحانه، وطالما هي من خصوصياته هو سبحانه، فلن يطلع أحداً على سرّها. وهل هي جوهر يدخل الجسم فيحيا ويسلب منه فيموت، أم هي مراد (بكن) من الخالق سبحانه، فإن قال لها كُنْ تحيا، وإن قال ميتٌ تموت؟

إن علم الإنسان سيظل قاصراً عن إدراك هذه الحقيقة، وسيظل بينهما مسافات طويلة؛ لذلك قال تعالى بعدها: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٨٥]

وهل عرف العقل البشري كل شيء حتى يبحث في أسرار الروح؟!

والحق سبحانه وتعالى حينما يعطينا فكرة عن الأشياء لا يعطينا بحقائق ذاتها وتكوينها؛ لأن أذهاننا قد لا تتسع لفهمها، وإنما يعطينا بالفائدة منها. فحين حدثنا عن الأهلّة قال: { قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .. } [البقرة: ١٨٩]

وهذه هي الفائدة التي تعود علينا والتي تهمنا من الأهلّة، أما حركتها ومنازلها والمراحل التي تمر بها الأهلّة فأمور لا يضر الجهل بها؛ ذلك لأن الاستفادة بالشيء ليست فرعاً لفهم حقيقته..

والحق سبحانه وتعالى ينبهنا إلى هذه المسألة في قوله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.. } [الإسراء: ٣٦] لأن الخالق سبحانه يريد للإنسان أن يُوفّر طاقاته الفكرية ليستخدمها فيما يُجدي، وألّا يُتعب نفسه ويُجهدها في علم لا ينفع، وجهل لا يضر. فعلى المسلم بدل أن يشغل تفكيره في مثل مسألة الروح هذه، أن ينشغل بعمل ذي فائدة له ولجتمعه. وأي فائدة تعود عليك إن توصلت إلى سير من أسرار الروح؟ وأي ضرر سيقع عليك إذا لم تعرف عنها شيئاً؟

إذن: مناط الأشياء أن تفهم لماذا وجدت لك، وما فائدتها التي تعود عليك. والحق سبحانه حينما قال: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٨٥] كان يخاطب بها المعاصرين لرسول الله ﷺ منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام، وما زال يخاطبنا ويخاطب من بعدنا، وإلى أن تقوم الساعة بهذه الآية مع ما توصلت إليه البشرية من علم وكأنه سبحانه يقول: يا ابن آدم، الزم غرزك، فإن وقفت على سير فقد غابت عنك أسرار.<sup>٦٣</sup>

" وليس في هذا حجر على العقل البشري أن يعمل . ولكن فيه توجيهها لهذا العقل أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه . فلا جدوى من الخبط في التيه ، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه لأنه لا يملك وسائل إدراكه . والروح غيب من غيب الله لا يدركه سواه ، وسر من أسرار القدسية أودعه هذا المخلوق البشري وبعض الخلائق التي لا نعلم حقيقتها . وعلم الإنسان محدود بالقياس إلى علم الله المطلق ، وأسرار هذا الوجود أوسع من أن يحيط بها العقل البشري المحدود . والإنسان لا يدبر هذا الكون فطاقاته ليست شاملة ، إنما وهب منها بقدر محيطه وبقدر حاجته ليقوم بالخلافة في الأرض ، ويحقق فيها ما شاء الله أن يحققه ، في حدود علمه القليل .

ولقد أبدع الإنسان في هذه الأرض ما أبدع ؛ ولكنه وقف حسيروا أمام ذلك السر اللطيف - الروح - لا يدري ما هو ، ولا كيف جاء ، ولا كيف يذهب ، ولا أين كان ولا أين يكون ، إلا ما يخبر به العليم الخبير في التنزيل .<sup>٦٤</sup>

٢. علامات الساعة الصغرى التي أخبر عنها النبي ﷺ في حديث جبريل فعن أبي هريرة قال قال كان النبي ﷺ - بارزاً يوماً للناس ، فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبعثه ورسله ، وتؤمن بالبعث » . قال ما الإسلام قال « الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » . قال ما الإحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال متى الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من

<sup>٦٣</sup> - تفسير الشعراوي - ( ٢٠٩٨ / ) والتحرير والتنوير - ( ١٥٥ / ١٤ )

<sup>٦٤</sup> - في ظلال القرآن - ( ٣٠٨ / ١ )

السَّائِلِ ، وَسَأْخِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبَنِيَانِ ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ » . ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تُمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (٣٤) سورة لقمان ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ « رُدُّوهُ » . فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا . فَقَالَ « هَذَا جَبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ » . ( أخرجه البخاري ومسلم ) ٦٥ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » . ( أخرجه ابن ماجه ) ٦٦ .  
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضُ » . ( أخرجه البخاري ) ٦٧ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتُ فَاقْتُلْهُ » . ( أخرجه البخاري ومسلم ) ٦٨ .  
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِتْنَانِ ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونٌ كَذَابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ » . ( أخرجه البخاري ) ٦٩ .

٦٥ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٥٠ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ١٠٢ )

٦٦ - برقم ( ٤١٧٢ ) وهو صحيح

٦٧ - برقم ( ١٠٣٦ و ٨٥ و ١٤١٢ و ٣٦٠٨ و ٣٦٠٩ و ٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ و ٦٠٣٧ و ٦٥٠٦ و ٦٩٣٥ و ٧٠٦١ و ٧١١٥ و ٧١٢١ )

٦٨ - البخاري برقم ( ٢٩٢٥ ) ومسلم برقم ( ٧٥٢٢ )

٦٩ - برقم ( ٣٦٠٩ و ٨٥ و ١٠٣٦ و ١٤١٢ و ٣٦٠٨ و ٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ و ٦٠٣٧ و ٦٥٠٦ و ٦٩٣٥ و ٧٠٦١ و ٧١١٥ و ٧١٢١ )

وفي فتح الباري لابن حجر برقم ( ٣٦٠٩ ) : قَوْلُهُ ( فِتْنَانِ ) بِكَسْرِ الْفَاءِ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثَنِيَّةٌ فِتْنَةٌ أَيْ جَمَاعَةٌ ، وَوَصَفَهُمَا فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى تَجَوَّرَ أَيْ بِالْكَثَرَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهِمَا مَنْ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ لَمَّا تَحَارَبَا بِصِفَيْنَ ، وَقَوْلُهُ ( دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ ) أَيْ دِينَهُمَا وَاحِدٌ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَانَ يَسْمَى بِالْإِسْلَامِ ، أَوِ الْمُرَادُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَانَ يَدْعِي أَنَّهُ الْمُحَقِّقُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ إِذْ ذَلِكَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بَايَعُوهُ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَتِهِ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، ثُمَّ خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَمَعَهُمَا عَائِشَةُ إِلَى الْعِرَاقِ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَلَبِ قَتْلِ عُثْمَانَ لِأَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ انْضَمُّوا إِلَى عَسْكَرِ عَلِيٍّ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ فَرَأَسَلُوهُ فِي ذَلِكَ فَأَبَى أَنْ يَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِمْ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ دَعْوَى مَنْ وَلِيَ الدِّمَ وَتُبُوتِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ بَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ مَا سَيَأْتِي بَسْطُهُ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَرَحَلَ عَلِيٌّ بِالْعَسْكَرِ طَالِبًا الشَّامَ ، دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ ، مُجِيبًا لَهُمْ عَنْ شُكُّهُمْ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ بِمَا تَقَدَّمَ ، فَرَحَلَ مُعَاوِيَةُ بِأَهْلِ الشَّامِ فَالْتَقَوْا بِصِفَيْنَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ ، وَآلُ الْأَمْرِ بِمُعَاوِيَةَ وَمَنْ مَعَهُ عِنْدَ ظُهُورِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ إِلَى طَلَبِ التَّحْكِيمِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ الْحُرُورِيَّةُ فَقَتَلَتْهُمْ

وبعضها قد وقع فعلاً ، وبعضها لم يقع بعد .

٣. علامات الساعة الكبرى ، وهي عشرة كما روي عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال « ما تذاكرون » . قالوا نذكر الساعة . قال « إنها لن تقوم حتى ترونها قبلها عشر آيات » . فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف أحسف بالمشرق وحسف بالمغرب وحسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم . ( أخرجه مسلم )<sup>٧٠</sup> وعن هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال « لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » . ( أخرجه البخاري )<sup>٧١</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجُلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يلسط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » . ( أخرجه البخاري )<sup>٧٢</sup>



بالنهر وان مات بعد ذلك ، وخرج ابنه الحسن بن علي بعده بالعساكر ليقال أهل الشام وخرج إليه معاوية فوقع بينهم الصلح كما أخبر به ﷺ في حديث أبي بكره الآتي في الفتن " إن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين " وسيأتي بسط جميع ذلك هناك إن شاء الله تعالى . قوله : ( حتى يبعث بضم أوله أي يخرج ، وأيس المراد بالبعث معنى الإرسال المقارن للثبوت ، بل هو كقوله تعالى ( إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ) . وقوله : ( دجالون كذابون ) الدجل التغطية والتمويه ، ويطلق على الكذب أيضاً ، فعلى هذا " كذابون " تأكيد . وقوله ( قريباً من ثلاثين ) كذا وقع بالنصب وهو على الحال من التكرار الموصوفه ، ووقع في رواية أحمد " قريب " بالرفع على الصفة ، وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة العزم بالعدد المذكور بلفظ " إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً رجلاً كلهم يزعم أنه نبي " وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير تسمية بعض الكذابين المذكورين بلفظ " لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسلمة والعنسي والمختار " . قلت : وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ فخرج مسلمة باليمامة ، والأسود العنسي باليمن ، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه ، وسجاح التميمية في بني تميم ، وفيها يقول شبيب بن ربعي وكان مؤدبها : أضحت نبينا أننى لطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكراً وقيل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ وقيل مسلمة في خلافة أبي بكر ، وثاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر ، ونقل أن سجاح أيضاً ثابت ، وأخبار هؤلاء مشهورة عند البخاريين .

٧٠ - برقم ( ٧٤٦٧ )

٧١ - برقم ( ٢٢٢٢ ) و ٢٤٧٦ و ٣٤٤٨ و ٣٤٤٩ ) المقسط : العادل

٧٢ - برقم ( ٤٦٣٥ و ٨٥ و ١٠٣٦ و ١٤١٢ و ٣٦٠٨ و ٣٦٠٩ و ٤٦٣٦ و ٦٠٣٧ و ٦٥٠٦ و ٦٩٣٥ و ٧٠٦١ و ٧١١٥ و ٧١٢١ ) ومسلم برقم ( ٤١٣ )

## الباب السادس

### أركان الإيمان

هذه الأركان هي الركائز الأساسية التي يقوم عليه البناء الإيماني، وكلها تتعلق بأمور يعتقدونها المؤمن اعتقاداً جازماً بناء على ما ورد من خبر صادق بخصوصها. كما أن هذه الأركان متفق عليها بين جميع الرسالات المنزلة من عند الله تعالى، حيث دعا كل رسول قومه للإيمان بما كما قال الله تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } (١٣) سورة الشورى، ولا يصح إيمان المسلم إلا باعتقاده الجازم بجميع هذه الأركان اعتقاداً صحيحاً بعيداً عن الشك.

وهذه الأركان هي: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، وهي جميعها متعلقة بالغيب، حيث إن اعتقادها مبني على ما بلغنا من نصوص الوحي بخصوصها.

قال تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (١٧٧) سورة البقرة

وقال تعالى: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (٢٨٥) سورة البقرة

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١٣٦)

سورة النساء

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: " الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْمِيزَانِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ". قَالَ - يَعْنِي السَّائِلُ - : إِذَا فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُؤْمِنٌ ؟ قَالَ: " نَعَمْ ". قَالَ: صَدَقْتَ " ٧٣

=====

## الركن الأول

### الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله أساس الدين ، وأول واجب على الإنسان ، وعليه يقوم الإيمان ببقية أركان الإيمان ؛ إذ لا يصح إيمان أحد بشيء من أركان الإيمان وشعبه وسننه إلا بعد إيمانه بالحق تبارك وتعالى . فالإيمان بالله تعالى هو أساس جميع أعمال الإيمان ؛ لذا يذكر الإيمان بالله تعالى متقدماً على بقية الأركان حين يذكر معها<sup>٧٤</sup> .

ومعناه : أن يعتقد المرء اعتقاداً جازماً بقلبه بأن الله تعالى موجودٌ وجوداً حقيقياً بذاته، وأنه هو الذي خلق الكون بما فيه بلا شريك، وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الكمال كلها، ومترٌ عن صفات النقص والعيوب، وأنه لا شبيه ولا مثيل له من خلقه قال تعالى : { فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (١١) سورة الشورى ، وأنه وحده المستحق للعبادة بكل أنواعها دون أن يشرك معه في ذلك أحدٌ غيره ، قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } (٥) سورة البينة

### المبحث الأول

#### الإيمان بوجوده وجوداً ذاتياً حقيقياً

ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى : الإيمان بوجوده وجوداً ذاتياً حقيقياً، وقد دلت الأدلة الأدلة الفطرية والكونية والشرعية والعقلية على ذلك وفيه مطالب عدة :

### المطلب الأول

#### التدين فطرة

مفهوم الدين في الاصطلاح الإسلامي : الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ، من خلال النصوص التي تحدد صفات تلك الذات، وتبين القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها، والشواهد على ذلك كثيرة منها :

\*الشواهد العقلية :

<sup>٧٤</sup> - علم الإيمان - ( ١ / ٦ )

١- إن فطرة التدين أصيلة في الإنسان، وهذا أمر لا يقبل المراءى بناءً على الشواهد التاريخية والواقعية. ومع أن علماء المقارنة بين الأديان -على اختلاف مللهم- متفقون على تأصل العقيدة الدينية في طبائع بني الإنسان. إلا أنهم لم يتفقوا على أصل الباعث لهذه العقيدة.

ولكن بالمناقشة الموضوعية نستطيع أن نقرر ما يلي:-

أ- اتجه الكثير من الباحثين في هذا الموضوع إلى القول بأن الأسطورة هي الباعث الأساسي على نزعة الإنسان إلى التدين، وهذه النظرة تجعل نزعة التدين نزعة طارئة تتكون في النفس البشرية بتأثير خارجي نتيجة سماع ثم تصديق مجموعة من الأساطير المتوارثة عبر الأجيال. ومن الواضح أن هذا الرأي لا يفسر النزعة الفطرية المتأصلة في النفس البشرية عند مختلف الشعوب والثقافات في جميع مراحل التاريخ البشري، وهو ما اتفق عليه مؤرخو الديانات والحضارات البشرية، كما أنه لا يعطي تفسيراً مقنعاً لذلك الأثر العجيب المتجدد الذي أحدثه الدين ولا يزال في تاريخ وواقع الأمم والشعوب.

ب- تفسير بعض الباحثين للسلوك التعبدى في المجتمعات الوثنية على أنه نابع من الشعور بالرهبة تجاه الكائنات شديدة الضخامة والتي تبدو شديدة القوة والإهارة كالجبال والنجوم مثلاً، وبالتالي تخيل نوع من الحياة تتمتع به هذه الكائنات كمقدمة للتوجه لها بالدعاء أو المخاطبة بصورة من الصور التي تتطور إلى عبادة تخترع لها الطقوس وتقدم فيها القرابين.

ويناقش هذا الرأي كما يلي :

أ- هذا الرأي يقر ضمناً بوجود نزعة إلى البحث عن معبود، وبشعور الإنسان بوجوب عظمة هذا المعبود.

ب- إن تعدد الكائنات المعبودة في المجتمعات الوثنية وعدم الاقتصار على عبادة كائن واحد كالجبل مثلاً أو أحد النجوم أو الأصنام يدل على أن الإنسان في حقيقة الأمر يبحث عن قوة عليا مسيطرة ويتخيل وجودها في مجموع المعبودات التي يتخذها وهذا يدل على شعوره المتأصل بالحاجة إلى قوة خارجية يمكن اللجوء إليها عندما لا تفلح القوى المادية التي يحسها حوله في إجابة طلبه وتحقيق غايته.

٢- إن ظاهرة التدين -المتثلة في البحث عن قوة عليا- تعم البشر جميعهم، ولا يستغنون عنها بغريزة من الغرائز الأخرى كحب البقاء، أو حب النوع، أو حب المعرفة، أو حب الوطن أو غير ذلك من الغرائز.

كما أنه ظهر في العالم عباقرة دينيون لا يهدؤون بما يجيش في نفوسهم من قوة الشعور بالجهول وكان يمكن أن يوصف هؤلاء العباقرة بالجنون إذا لم يكن هذا الجهول يستحق الاهتمام من كل إنسان، ولكن الواقع غير ذلك فهو أحق من جميع الموجودات بالاهتمام.

وقد أصبح للحاسة الدينية أهمية كبيرة في حياة البشر العلمية أيضاً، حيث جعلت عالم الخفاء (الغيب) مما يمكن أن يؤمن به الإنسان في حياته العملية بدلاً مما كان عليه بحسبانه عالماً للأوهام والخيالات.

فكان ذلك فتحاً علمياً إذ لم ينحصر أثره في عالم التدئين والاعتقاد لأنه وسَّع آفاق الوجود وفتح البصيرة للبحث في عالم غير عالم المحسوسات. ولو ظلَّ الإنسان ينكرُ كلَّ شيء لا يحسُّه لما خسر بذلك الديانات وحدها؛ بل لخسرَ معها العلومَ والمعارفَ والقيمَ الخلقيةَ والأدبيةَ

٣- إنَّ الدِّينَ لم يكن لازماً من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحةٌ وطنيةٌ أو حاجةٌ حيائيةٌ حيويةٌ، لأنَّ الدِّينَ قد وُجد قبل وجود الأوطان ، ولأنَّ الحاجةَ الحيويةَ تتحقق أغراضها في كل زمنٍ، وتتوافر أسبابها في كل حالةٍ، ولا يزال الإنسانُ بعد تحقق هذه الأغراض في حاجةٍ إلى الدِّين. لكنَّ الدِّينَ كان لازماً؛ لأنه يقرر مكانَ الإنسان الفرد في الكونِ أو في الحياة، ويبيِّن للإنسان العلاقاتَ بين الكائنات جميعاً، ويبيِّن مصدر الحياة، ولأنَّ الإنسانَ لا يقنعُ بالحياة المحدودة، فهو يسعى إلى حياةٍ الخلود، ويريدُ نفسه أن تتصلَّ بالكونِ كُلِّه في أوسع مداه.

٤- وإذا اتفقنا على أنَّ طبيعة الإنسان تشتملُ على رغبة ملحةٍ في البقاء وعلى فضولٍ جارفٍ للإطلاع على المجهول خارجَ حدود المحسوسات ، فإنَّ نزعةَ التدئين والشعورَ بوجود قوةٍ عليا مسيطرةٍ تصبحُ من الصفات اللازمة للنفس السوية غير المتناقضة ، لأنَّ وجود هذه القوة العالمة المطلقة التي تديرُ شؤون الكون هو وحده القادرُ على إعطاء معنى متناسقٍ لهذه المشاعر البشرية الجارفة التي لا يمكن تجاهلها. ويعد التيقن من وجود هذه القوة يكون التصرفُ الطبيعيُّ هو السعيُّ إلى وجود نوع من الاتصال بينها وبين الإنسان، وهو ما يتمُّ في الواقع عن طريقِ الرسل الكرام الذين يبعثهم الله سبحانه وتعالى إلى البشر ليعلموهم ما يجبُ عليهم تجاه الخالق القوي الجبار .

٥- إنَّ تفسيراتِ الباحثين في الديانات الذين يتجاهلون ما تقرُّه الكتبُ السماويةُ لزرعة التدئين ونشأة الدِّين يكتنفها جميعاً كثيرٌ من الغموض والتناقضات ، إذ تقومُ جميعها على التخمين والحدس. فالذي لم يختلفوا فيه مطلقاً هو أصالة هذه الزرعة في الإنسان ، ولهذا فإن النهج الموضوعيَّ يستلزم الرجوعَ إلى المصادر الأخرى غير البشرية للوقوف على المعلومات الصحيحة عن حقيقة الزرعة. وهذا ما فسره الإسلام وجلاه بصورة واضحة لا لبس فيها ، إذ يقرر أنَّ الإنسان مفلطحٌ على التدئين ، قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة الروم .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال النبي ﷺ - « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبْوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ مَجْسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ »<sup>٧٥</sup> .

<sup>٧٥</sup> - صحيح البخارى - ( ١٣٨٥ ) أطرافه ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ٤٧٧٥ ، ٦٥٩٩ وصحيح مسلم - ( ٦٩٢٦ )

وهذه الفطرة هي الميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني آدم وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} (١٧٢) سورة الأعراف

فالإسلام ينظر إلى هذا الأمر نظرة واضحة بسيطة مفادها أن نزعة التدين هي نزعة فطرية أصلية وضعها خالق الإنسان "جلّ وعلا" في النفس البشرية السوية ليجعلها تتوق دائماً إلى البحث عن المعبود القوي العزيز المتفرد في عظمته، ولتكون النفس مهياة لتلقي أوامر خالقها التي تأتيناها عن طريق رسوله وكتبه فتستشعر ما فيها من الحق وتحسّ تجاهه بألفة ومودة كما تشعر بالشك والاضطراب تجاه ما يناقضه ويضاده.<sup>٧٦</sup>

#### \*-شواهد من الطبيعة :

١- إن من طبيعة الإنسان أنه عندما يقع في مأزق - ولا يجد في القوى المادية معيناً ومنقذاً له - فإنه يلجأ إلى الله تعالى متضرعاً إليه بالدعاء حتى ينقذه مما هو فيه. قال تعالى: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } {٦٧} الإسراء

فليس لمعبوداتكم التي تعبدونها سبيل إليكم وأنتم في هذا الكرب ..إنهم قابعون هناك حيث تركتموهم في معابدكم ، أحجاراً جاثمة ، أو جثثاً هامدة .. ولكن سرعان ما تنسون أيها الناس فضل الله عليكم ، ورحمته بكم : « فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ » عنه ، وأعطيتم وجوهكم لآلهتكم ..وهذا فوق أنه سفه وضلال ، هو كفران وجحود.<sup>٧٧</sup>

٢-إن النفوس مجبولة على حب من يحسن إليها، لذلك تعظمه وتتقرب إليه ، وهذه الفطرة ثابتة حتى في الحيوان. أما ترى أن الكلب يكون وفيّاً لصاحبه ،حتى إنه يدافع عنه بنفسه ويموت دونه!

<sup>٧٦</sup> - انظر <http://www.islamtoday.net/toislam/art-١٠٣-٢.htm>

<sup>٧٧</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - ( ٨ / ٥٢٢ ) والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لطباطوي - ( ٨ / ٣٩٤ )

إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة. إنهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر. فكيف يأمنون؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان ، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله؟

أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء والطين والأحجار ، فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلا يحميهم ويدفع عنهم؟

أم كيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة ، تقصف الصواري وتحطم السفين ، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم ، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم؟

ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا. ثم يأمنوا أخذه وكيده. وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسون بعد النجاة. كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله! - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - ( ٤ / ٢٢٤٠ )

لذلك فإنَّ الإنسان مفطورٌ على معرفة ربه الذي خلقه، وعلى عبادته لذا قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا  
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {٦} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {٧} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ  
{٨} [سورة الانفطار] .

### \*-دليل الفطرة

إن فطرة الإنسان تشهد بوجود الله تعالى - مهما حاول الإنسان إخفاءها - فكم من إنسان ينكر وجود  
الله تعالى، فإذا ضاقتْ به السبلُ المادية في الأزمات لم يجدْ إلا أن يتوجهَ بقلبه إلى السماء، وربما يرفع  
يديه في خضوع وتذللٍ لعله يجد من القوة العليا مخرجاً مما هو فيه من ضيق. ألم تجرب ذلك بنفسك ؟  
ربما حدث لك شيء منه فنسيت بعد زوال الكربة. ولكن لاشك أنك لازلت تذكر حكاية من هذا  
النوع حدثت لغيرك. قال تعالى : {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ  
بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ  
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (٢٢) سورة يونس ، وقال تعالى : {فَإِذَا  
رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } (٦٥) سورة العنكبوت  
، وقال تعالى : { أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
حَاجِزًا أَثَلَّةَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمْ مَنْ يُحْيِي الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ  
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَثَلَّةَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ  
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَثَلَّةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) [النمل/٦١-٦٣] }

=====

## المطلب الثاني نظرة الإسلام للفطرة

أولاً : إن الله تعالى خلق الإنسان وجعله مفطوراً على معرفة ربه وعبادته ، وقد ثبت ذلك في نصوص كثيرة ؛ منها :

١- قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ { ١٧٢ } أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ { ١٧٣ } سورة الأعراف .

٢- وقال الله تعالى: { فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { ٣٠ } سورة الروم .

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ يَمَجَّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَيْمَةِ تُنْتَجِ الْبَيْمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ » . ( أخرجه البخاري ومسلم )<sup>٧٨</sup> .

ثانياً: إن هذه الفطرة توصل الإنسان إلى المعرفة الإجمالية بخالقه، وتشعره بصلته به وأنه إلهه وخالقه، لذا: فإنه لا بدَّ لهذه الفطرة من تزكية وتنمية وذلك لا يكون إلا بوحى من الله تعالى بواسطة رسله. قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) [الشمس/٧-١٠] } .

ثالثاً: إن لهذه الفطرة في الإنسان - حتى تقوم بدورها الطبيعي - ركنان :

١- **القلب السليم** : وهو القلب المؤمن الذي لم يتأثر بالشياطين من الجن والإنس ، بل ظلَّ على فطرته وسلامته التي ينتج عنها الاعتقاد الصحيح . وكلما كان التأثر والانحراف أقل في هذا القلب كلما ازداد قبوله للحق وتعلقه به. قال تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ { (٣٧) سورة ق

٢- **العقل الصحيح** : وهو العقل النقي الصافي غير المنساق لمؤثرات الهوى والشهوة ، المهيب لاحترام الحقائق وقبول الحق ، الرافض للوهم والخرافة. قال تعالى : { أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ { ١٩ } الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقِضُونَ الْمِيثَاقَ { ٢٠ } وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ { ٢١ } وَالَّذِينَ صَبَرُوا

<sup>٧٨</sup> - صحيح البخارى برقم ( ١٣٨٥ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ٤٧٧٥ و ٦٥٩٩ ) ومسلم برقم (٦٩٢٦)

اِتِّغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ {٢٢} سورة الرعد<sup>٧٩</sup>

رابعاً : إن الإنسان بطبعه قد فطر على أمور وغرائز تعدُّ من دعائم حياته المادية والمعنوية مثل حب الحياة وحب المال والولد وحب الملذات، وحب النساء وحب الاختلاط ببني جنسه، وغير ذلك. غير أن الإسلام وضع ضوابط لهذه الغرائز حيث لا يتجاوز المرء مداه فينغمس فيها.

ففي شهوة الأكل والشرب جعل ضابطاً عاماً هو عدم الإسراف. قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {٣١} الأعراف: ٣١ ] ولقضاء شهوة الجنس والعاطفة شرع الزواج: قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {٢١} [الروم ] ولشهوة التملك جعل الله السبيل لذلك التعامل المشروع: قال تعالى : { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٢٧٥} [البقرة ] .

خامساً: إن الله تعالى أنزل شريعته وجعلها مناسبة للفطرة السليمة، ولم يرد فيها شيء يصادم الفطرة البشرية

=====

<sup>٧٩</sup> - انظر كتابي صفات العميان في القرآن الكريم - مكتبة صيد الفوائد

### المطلب الثالث

#### منهج المعرفة في أمور الاعتقاد (مصادر التلقي )

قدمنا فيما مضى أن مجالات المعرفة بالنسبة للإنسان تتمثل في عالم الشهادة - العلم المادي - وعالم الغيب أو ما وراء الطبيعة .

وقد سبق أن معرفة الإنسان تكون بالحواس والأجهزة المخترعة عن طريق العقل الذي يقوم بتحليل المعارف التي يتلقاها للوصول إلى العلم .

أما ما يتعلق بما وراء المادة فإنه ليس مما يقع في حدود الحواس، فمن المنطقي ألا تكون تلك الحواس قادرة على إدراك ما يقع في ذلك المجال ، كما أن العقل - وهو يتمتع بقدرات محدودة - مقيد بعاملَي الزمان والمكان لا يستطيع أن يحيط علماً بما هو خارج عن حدوده، فضلاً عن أن يحيط بما لا حدَّ له . غير أن ذلك لا يعنى إلغاء دور العقل في معرفة عالم الغيب، فالمعرفة الإجمالية من أعظم واجبات العقل، حيث يستدلُّ بالشهادة على علم الغيب ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ { ١٦٤ } [سورة البقرة] .

أمَّا أن يخوضَ العقلُ فيما ليس من مجاله ، فهذا مما لا يستقيمُ مع المنهج المعرفي الصحيح ، حيث إن العلمَ بالشيء فرغٌ من تصوُّره ، وما لا يستطيع العقل تصوُّره لا يسعه إدراكه بمجردة ، لذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ { ٣٦ } [الإسراء] ، أي لا تتبع ما ليس لك به علم يثبت عندك بالرؤية البصرية ، أو بالروايات السمعية أو البراهين القطعية، فإن الله يسألك عن ما أعطاك من آيات هذا العلم الثلاث.

وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل ، يشملُ المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً ، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله ، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة! فالتثبتُ من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ، ومنهج الإسلام الدقيق. ومتى استقام القلبُ والعقلُ على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة. ولم يبق مجالٌ للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجالٌ للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم.

والأمانة العلمية التي يشيّدُ بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلنُ القرآن تبعثها الكبرى ، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده ، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد ..

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانةٌ يسأل عنها صاحبها ، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعا. أمانةٌ يرتعشُ الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة ، وكلما روى الإنسان رواية ، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة.<sup>٨٠</sup>

وقال تعالى : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } { ١١٠ } [ طه ] ، وقال تعالى : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } [البقرة: ٢٥٥] ، وقد نفى الإحاطة بالعلم هنا عن البشر لأنه ليس في مقدورهم بلوغ ذلك ، فهو ليس واقعا في مجال معرفتهم المتعلقة بالأمور المادية كما قال تعالى : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } { ٧ } [الروم] .

والفرق ظاهر بين علم الخالق وعلم المخلوق، إذ لو تساوى علمُ المخلوق بعلم الخالق لتساوى الخالق والمخلوق، وهذا لا يعقل، بل الفارق بين العلمين كالفرق بين الذاتين ، فإذا كان الأمر متعلقا بعالم الغيب والاعتقاد فيه - وقد قررنا أن مسألة الإيمان بالخالق الواحد وعبادته أمر فطريٌّ - فإذا لا بدَّ من تحديد السبل إلى معرفة الأمور الغيبية التي لا تدركها حواسنا ولا تحيط بها عقولنا من أمور الاعتقاد بالدين .

=====

---

<sup>٨٠</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٤ / ٢٢٢٧ ) والتفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - ( ٨ / ٤٨٧ )

## المطلب الرابع

### مصادر التلقي

المصدر الأول : الخبر الصادق من الله تعالى أو من رسوله ﷺ :

يكون الله تعالى مصدراً مباشراً للمعرفة البشرية في أمور الاعتقاد وغيرها بثلاثة طرق، كما في قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ } {٥١} الشورى ، فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاث مراتب للإخبار لا تكون إلا للأنبياء ، وهذه المراتب هي:

١- تكليم الله تعالى عبده يقظة بلا واسطة ، كما كلم موسى عليه السلام { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } {١٦٤} [النساء] .

٢- مرتبة الوحي المختص بالأنبياء كما قال تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا } {١٦٣} [النساء] .

٣- إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري ، فيوحي إليه عن الله تعالى ما أمره أن يوصله إليه قال تعالى : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } {١٩٣} { عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } {١٩٤} سورة الشعراء وقال تعالى عما يخبر به الرسول : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) [النجم/٣، ٤] }

فكل ما أخبر به الرسول ﷺ حق وصدق ، فعن عبد الله بن عمرو . قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ ، أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَنَهَنْتِي فُرَيْشٌ . وَقَالُوا : أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ ؟ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ ، يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا ، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ . فَقَالَ : اكْتُبْ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ . (أخرجه أبو داود)<sup>٨١</sup> .

المصدر الثاني : الفطرة التي جعلها الله تعالى غريزة في الناس :

وقد سبق أن بيان الفطرة لمسائل الاعتقاد إجمالي يهيئ المرء لقبول ما يأتيه من الله تعالى من تفصيل .

المصدر الثالث : العقل :

<sup>٨١</sup> - برقم (٣٦٤٨) والمسند الجامع - (١١ / ٤٣١) (٨٦٦٩) وهو صحيح

وهو أيضا يوصلُ الإنسان إلى معرفة إجمالية في بعض المسائل ، مثل وجود الخالق تعالى، وأنه ليس كمثلته شيء . أما تفاصيل ذلك وما حجبَ عن الإنسان من علم الغيب وغير ذلك فلا بدَّ فيه مع العقل من نور الوحي الذي يرشد العقلَ ويدلُّه عليه .

=====

## المطلب الخامس

### الشواهد العقلية

١- إن الأمور المتعلقة بما وراء المادة (الغيبات) ليس مما يقع في حدود الحواس ، فمن المنطق ألا تكون تلك الحواس قادرة على إدراك ما يقع في ذلك المجال ، كما أن العقل - وهو يتمتع بقدرات محدودة ، ويتقيد بعاملي الزمان والمكان - لا يستطيع أن يحيط علماً بما هو خارج عن حدوده ، فضلاً عن أن يحيط بعلم ما لا حد له .

٢- إن صانع الآلة هو أدرى الناس بها ؛ فالله تعالى هو خالق الكون وما فيه ، وهو خالق الإنسان ؛ ولذلك فإنه تعالى أعلم بخلقه وما يصلحهم ، قال تعالى : { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (١٤) سورة الملك .

فإن علم الله سبحانه وتعالى بما نسر وما نجهر به من قول — أمر لا يصح أن ينكره أو يشك فيه عاقل .. فنحن صنعة الله .. من التراب ، إلى النطفة ، إلى العلقة ، إلى المضغة ، إلى أن نصبح بشرا سويا .. وإذا كان ذلك شأن الله فينا — أفيخفى على الله بعد ذلك شيء من ظاهرها ، أو باطنها ؟ أفيخفى على الصانع شيء من أسرار ما صنع ؟ أفيخفى على صانع آلة من الآلات البخارية ، أو الكهربائية ، أى جزء من أجزائها .. دق ، أو عظم ؟ ألا يعلم السر في كل حركة من حركاتها ، أو سكون من سكونها ؟ ألا يعلم لم تتحرك ، ولم تسكن ؟ .. فإذا كان ذلك كذلك فيما يخلق المخلوقون ، فكيف لا يكون هذا الرب العالمين ، وخالق المخلوقين ؟ ..

فلاستفهام في قوله تعالى : « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ » استفهام تقريرى .. وقوله تعالى : « وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » صفتان من صفات الله تعالى « تكشفان عن سعة علمه ، ونفوذ هذا العلم إلى أعماق أعماق الوجود .. فهو علم « اللطيف » الذي لا يحجب عنه شيء « الخبير » الذي لا تخفى عليه حقيقة أي شيء ..<sup>٨٢</sup>

كما أنه أعلم بنفسه وما غيبه عن خلقه . وبناء على ذلك فإن أصدق خبر فيما يخص ذلك إنما يكون من الله تعالى كما قال تعالى عن عبادة الأصنام : { إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ } (١٤) سورة فاطر وقوله تعالى : « وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ » إشارة إلى أن ما تحدث به الآية من تلك الحقائق ، هو الحق المطلق الذي لا شك فيه ، لأنه من عند الله ، العليم الخبير .. وهذا ما يقضي بالتصديق بهذه الأخبار ،

<sup>٨٢</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٥ / ١٥٩)

والعمل بها ، وأخذ العبرة منها ، لأنها ممن يعلم الغيب في السموات والأرض ، وكلّ علم يخالف هذا العلم ، باطل ، وضلال..<sup>٨٣</sup>

=====

---

<sup>٨٣</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - ( ١١ / ٨٦٥ )

## المطلب السادس

### شواهد من الطبيعة

إن من المشاهد أن الإنسان عندما يحتاج إلى معرفة أمر من الأمور فإنه يتجه بسؤاله إلى الجهة أو الشخص الذي يظن أن عنده علم بذلك . فالمرضى يسأل الطبيب حتى يصف له دواء مرضه . وكذلك الطفل يظن أن أباه هو أعرف الناس، لذا يتوجه إليه بكل سؤال يخطر بباله . فإذا كان كذلك فإن من الطبيعي أن يكون مصدرُ التلقي في الأمور المتعلقة بالعقائد والغيبات هو الخبر الصادق من الله تعالى ورسوله ﷺ.

إنَّ هناك كثيراً من الأمور الغائبة عن علم الإنسان مع اتصاله بها، كالروح وكثير من الظواهر الطبيعية التي يعجز الإنسان عن تفسيرها ، فمن الأولى أن يعجز عن تفسير الغيبات، أو إدراكها . قال تعالى : { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) } [النمل : ٦٠ - ٦٦]

والقرآن يرد المكابرين الجاحدين إلى هذه الحقيقة الكامنة في فطرتهم ، ويسوقها لهم في مجال الحقائق الكونية التي ساقها من قبل. حقائق خلق السماوات والأرض ، وإنزال الماء من السماء ، وإنبات الحدائق البهيجة ، وجعل الأرض قرارا ، والجبال رواسي ، وإجراء الأنهار ، والحاجزين البحرين. فالتجاء المضطر إلى الله ، واستجابة الله له دون سواه حقيقة كهذه الحقائق. هذه في الآفاق وتلك في الأنفس سواء بسواء.

وبعضي في لمس مشاعرهم بما هو واقع في حياتهم : «وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» .. فمن يجعل الناس خلفاء الأرض؟ أليس هو الله الذي استخلف جنسهم في الأرض أولا. ثم جعلهم قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، يخلف بعضهم بعضا في مملكة الأرض التي جعلهم فيها خلفاء؟

أليس هو الله الذي فطرهم وفق النواميس التي تسمح بوجودهم في هذه الأرض ، وزودهم بالطاقات والاستعدادات التي تقدرهم على الخلافة فيها ، وتعدهم لهذه المهمة الضخمة الكبرى. النواميس التي

تجعل الأرض لهم قرارا والتي تنظم الكون كله متناسقا بعضه مع بعض بحيث تنهيها للأرض تلك الموافقات والظروف المساعدة للحياة. ولو اختل شرط واحد من الشروط الكثيرة المتوافرة في تصميم هذا الوجود وتنسيقه لأصبح وجود الحياة على هذه الأرض مستحيلا .

وأخيرا أليس هو الله الذي قدر الموت والحياة ، واستخلف جيلا بعد جيل ولو عاش الأولون لضاقت الأرض بهم وبالأخرين ولأبطأ سير الحياة والحضارة والتفكير ، لأن تجدد الأجيال هو الذي يسمح بتجدد الأفكار والتجارب والمحاولات ، وتجدد أنماط الحياة ، بغير تصادم بين القدامى والمحدثين إلا في عالم الفكر والشعور.

فأما لو كان القدامى أحياء لتضخم التصادم والاعتراض! ولتعطل موكب الحياة المندفع إلى الأمام! إنها كلها حقائق في الأنفس كتلك الحقائق في الآفاق. فمن الذي حقق وجودها وأنشأها؟ من؟  
«أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ؟» ..إنهم لينسون ويغفلون. هذه الحقائق كامنة في أعماق النفوس ، مشهودة في واقع الحياة :«قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»! ولو تذكر الإنسان وتدبر مثل هذه الحقائق لبقى موصولا بالله صلة الفطرة الأولى. ولما غفل عن ربه ، ولا أشرك به أحدا.

ومن هذا التلازم بين الإقرار بمبدىء الحياة والإقرار بمعبيدها يسألهم ذلك السؤال : «أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟» .. «أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ؟» ..

والرزق من السماء والأرض متصل بالبدء والإعادة سواء. ورزق العباد من الأرض يتمثل في صور شتى أظهرها النبات والحيوان ، والماء والهواء ، للطعام والشراب والاستنشاق ومنها كنوز الأرض من معادن وفلزات وكنوز البحر من طعام وزينة. ومنها القوى العجيبة من مغناطيسية وكهرباء ، وقوى أخرى لا يعلمها بعد إلا الله ويكشف عن شيء منها لعباده آنا بعد آنا.

وأما رزقهم من السماء فلهم منه في الحياة الدنيا : الضوء والحرارة والمطر وسائر ما ييسره الله لهم من القوى والطاقات. ولهم منه في الآخرة عطاء الله الذي يقسمه لهم - وهو من السماء بمعدلها المعنوي ، الذي يتردد كثيرا في القرآن والسنة وهو معنى الارتفاع والاستعلاء.

وقد ذكر رزقهم من السماء والأرض بعد ذكر البدء والإعادة ، لأن رزق السماء والأرض له علاقة بالبدء والإعادة. فعلاقة رزق الأرض بالبدء معروفة فهو الذي يعيش عليه العباد. وعلاقته بالإعادة أن الناس يجزون في الآخرة على عملهم وتصرفهم في هذا الرزق الذي أعطوه في الدنيا .. وعلاقة رزق السماء بالبدء واضحة.

فهو في الدنيا للحياة ، وهو في الآخرة للجزاء .. وهكذا تبدو دقة التناسق في السياق القرآني العجيب. والبدء والإعادة حقيقة. والرزق من السماء والأرض حقيقة. ولكنهم يغفلون عن هذه الحقائق ، فيردهم القرآن إليها في تحد وإفحام :«أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ؟» .. «قُلْ : هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ..

وإنهم ليعجزون عن البرهان ، كما يعجز عنه من يحاوله حتى الآن. وهذه طريقة القرآن في الجدل عن العقيدة. يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس فيجعل الكون كله إطارا للمنطق الذي يأخذ به القلوب ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتحكم منطقها الواضح الواصل البسيط ويستجيش به المشاعر والوجدانات. بما هو مركز في الحقائق التي تغشيها الغفلة والنسيان ، ويحجبها الجحود والكفران .. ويصل بهذا المنطق إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم الكون وأغوار النفس والتي لا تقبل المراء الذي يقود إليه المنطق الذهني البارد ، الذي انتقلت عدواه إلينا من المنطق الإغريقي ، وفشا فيما يسمى علم التوحيد ، أو علم الكلام! وبعد هذه الجولة في الآفاق وفي أنفسهم لإثبات الوحدة ونفي الشرك. يأخذ معهم في جولة أخرى عن الغيب المستور الذي لا يعلمه إلا الخالق الواحد المدبر ، وعن الآخرة وهي غيب من غيب الله ، يشهد المنطق والبداية والفطرة بضرورته ويعجز الإدراك والعلم البشري عن تحديد مواعده : «قُلْ : لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ؟ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ. إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ! قُلْ : سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ. وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. وَيَقُولُونَ : مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ قُلْ : عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ. وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

والإيمان بالبعث والحشر ، وبالحساب والجزاء ، عنصر أصيل في العقيدة ، لا يستقيم منهجها في الحياة إلا به. فلا بد من عالم مرتقب ، يكمل فيه الجزاء ، ويتناسق فيه العمل والأجر ، ويتعلق به القلب ، وتحسب حسابه النفس ، وقيم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك.

ولقد وقفت البشرية في أجيالها المختلفة ورسالاتها المتوالية موقفا عجيبا من قضية البعث والدار الآخرة ، على بساطتها وضرورتها. فكان أعجب ما تدهش له أن ينبئها رسول أن هناك بعثا بعد الموت وحياة بعد الدثور.

ولم تكن معجزة بدء الحياة الواقعة التي لا تنكر تلهم البشرية أن الحياة الأخرى أهون وأيسر. ومن ثم كانت تعرض عن نذير الآخرة ، وتستمرئ الجحود والمعصية ، وتستطرد في الكفر والتكذيب.

والآخرة غيب. ولا يعلم الغيب إلا الله. وهم كانوا يطلبون تحديد موعدها أو يكذبوا بالنذر ، ويحسبونها أساطير ، سبق تكرارها ولم تحقق أبدا! فهنا يقرر أن الغيب من أمر الله ، وأن علمهم عن الآخرة منته محدود : «قُلْ : لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» ..

ولقد وقف الإنسان منذ بدء الخليقة أمام ستر الغيب المحجوب ، لا ينفذ إليه علمه ، ولا يعرف مما وراء  
الستر المسدل ، إلا بقدر ما يكشف له منه علام الغيوب. وكان الخير في هذا الذي أراده الله ، فلو  
علم الله أن في كشف هذا الستر المسبل خيرا لكشفه للإنسان المتطلع الشديد التطلع إلى ما وراءه!  
لقد منح الله هذا الإنسان من المواهب والاستعدادات والقوى والطاقات ما يحقق به الخلافة في الأرض  
، وما ينهض به بهذا التكليف الضخم .. ولا زيادة .. وانكشاف ستر الغيب له ليس مما يعينه في هذه  
المهمة. بل إن انطباق أهدايه دونه لما يثير تطلعه إلى المعرفة ، فينقب ويبحث. وفي الطريق يخرج المخبوء  
في باطن الأرض ، وجوف البحر ، وأقطار الفضاء ويهتدي إلى نواميس الكون والقوى الكامنة فيه ،  
والأسرار المودعة في كيانه لخير البشر ، ويحلل في مادة الأرض ويركب ، ويعدل في تكوينها وأشكالها  
، ويتدع في أنماط الحياة ونماذجها ..<sup>٨٤</sup>

=====

---

<sup>٨٤</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٥ / ٢٦٥٨ )

## المطلب السابع

### العلاقة بين الدين والعلم

تتمثل مجالات المعرفة في عالمي الغيب والشهادة، أو العالم المادي المحسوس وعالم ما وراء المادة . والإنسان في معرفته يعتمد على ما يتوفر لديه من الأدوات والوسائل المستخدمة للوصول إلى المعرفة ، والمتمثلة في الحوادث والأجهزة التي توسع من مدارك الحواس ، ومن المعلوم ضرورة أن الحواس تتمتع بقدرات محدودة ، وقد عمل الإنسان على زيادة تلك القدرات بالأجهزة العلمية التي أعانت على توسيع مجال إدراك حواسه ، إلا أنه مع ذلك يظل مقيدا في معرفته بقدرات تلك الأجهزة ، وهي أيضا محدودة القدرات بالضرورة .. وبناءا على هذا فإن المعرفة الإنسانية - عن طريق الحواس والأجهزة - تظل محدودة في عالم الشهادة ، وهي مع ذلك لم تبلغ من العلم إلا قليلا ، إذ أن المجال الذي تعيش فيه ، والمجال الذي استطاع الإنسان أن يكتشفه من مجرتنا الشمسية لا يمثل سوى قطرة من بحر لحي .

فمعرفة الإنسان التي يحصل عليها في عالم المادة تتوقف على منهجيته المعرفية عن طريق الحواس ، وهو محكوم بالزمان والمكان في الإطار الممكن .

أما عالم الغيب فتتوقف معرفة الإنسان فيه على الخبر الصادق الذي يبلغه عن مصدر يتمتع بالعلم المطلق، الذي يتجاوز محدودية الحواس وحاجزي الزمان والمكان ، وهذا المصدر هو الله سبحانه وتعالى فإذا ثبت للإنسان صحة الخبر من حيث نسبته إلى مصدره ، وهو الله تعالى ، أو رسوله المبلغ عنه ، فإن ذلك الخبر يقتضي صدق المخبر به .

وعلم الإنسان - في علم المادة - عبارة عن اكتشاف سُنن الله تعالى في خلقه ، وعلى هذا فإنه يستحيل أن تتناقض الحقيقة العلمية اليقينية مع الحقيقة الدينية اليقينية ، لأن كليهما من الله تعالى ، فهذه آياته في الآفاق وتلك آياته في الترتيل ، وقد قال الله تعالى : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } { ٥٣ } [ فصلت ] ، وقال تعالى : { وَيرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } { ٦ } [ سبأ ] .

إنه وعد الله لعباده - بني الإنسان - أن يطلعهم على شيء من خفايا هذا الكون ، ومن خفايا أنفسهم على السواء. وعدهم أن يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق. هذا الدين. وهذا الكتاب. وهذا المنهج. وهذا القول الذي يقوله لهم. ومن أصدق من الله حديثا؟

ولقد صدقهم الله وعده فكشف لهم عن آياته في الآفاق في خلال القرون الأربعة عشر التي تلت هذا الوعد وكشف لهم عن آياته في أنفسهم. وما يزال يكشف لهم في كل يوم عن جديد.

وينظر الإنسان فيرى البشر قد كشفوا كثيرا جدا منذ ذلك الحين. فقد تفتحت لهم الآفاق. وتفتحت لهم مغاليق النفوس بالقدر الذي شاءه الله.

لقد عرفوا أشياء كثيرة. لو أدركوا كيف عرفوها وشكروا لكان لهم فيها خير كثير. عرفوا منذ ذلك الحين أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون .. إن هي إلا ذرة صغيرة تابعة للشمس.

وعرفوا أن الشمس كرة صغيرة منها في الكون مئات الملايين. وعرفوا طبيعة أرضهم وطبيعة شمسهم - وربما طبيعة كونهم ، إن صح ما عرفوه! وعرفوا الكثير عن مادة هذا الكون الذي يعيشون فيه. إن صح أن هناك مادة. عرفوا أن أساس بناء هذا الكون هو الذرة. وعرفوا أن الذرة تتحول إلى إشعاع. وعرفوا إذن أن الكون كله من إشعاع .. في صور شتى : هي التي تجعل منه هذه الأشكال والأحجام! وعرفوا الكثير عن كوكبهم الأرضي الصغير. عرفوا أنه كرة أو كالكرة. وعرفوا أنه يدور حول نفسه وحول الشمس. وعرفوا قاراته ومحيطاته وأهماره. وكشفوا عن شيء من باطنه. وعرفوا الكثير من المخبوء في جوف هذا الكوكب من الأقوات. والمنثور في جوه من هذه الأقوات أيضا! وعرفوا وحدة النواميس التي تربط كوكبهم بالكون الكبير ، وتصرف هذا الكون الكبير. ومنهم من اهتدى فارتقى من معرفة النواميس إلى معرفة خالق النواميس. ومنهم من انحرف فوقف عن ظاهر العلم لا يتعداه. ولكن البشرية بعد الضلال والشروء من جراء العلم ، قد أخذت عن طريق العلم تثوب ، وتعرف أنه الحق عن هذا الطريق.

ولم تكن فتوح العلم والمعرفة في أغوار النفس بأقل منها في جسم الكون. فقد عرفوا عن الجسم البشري وتركيبه وخصائصه وأسراره الشيء الكثير. عرفوا عن تكوينه وتركيبه ووظائفه وأمراضه ، وغذائه وتمثيله ، وعرفوا عن أسرار عمله وحركته ، ما يكشف عن خوارق لا يصنعها إلا الله. وعرفوا عن النفس البشرية شيئا .. إنه لا يبلغ ما عرفوه عن الجسم. لأن العناية كانت متجهة بشدة إلى مادة هذا الإنسان وآلية جسمه أكثر مما كانت متجهة إلى عقله وروحه. ولكن أشياء قد عرفت تشير إلى فتوح ستجيء .. وما يزال الإنسان في الطريق!<sup>٨٥</sup>

=====

<sup>٨٥</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٣١٣٠) وانظر التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (١٣ / ١٢)

## المطلب الثامن

### الخلاصة

إن الأدلة العقلية تثبت بيقين بأن الله تعالى موجود وجودا حقيقيا، وأنه تعالى الذي خلق هذا الكون بكل ما فيه، وأن القول بخلاف ذلك لا يتفق مع العقل ولا مع الفطرة السليمة، قال تعالى : {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (١٠٢) سورة الأنعام ، وقال تعالى : {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (١٦) سورة الرعد ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (٣) سورة فاطر

إذ كيف لا يعطون ولاعهم لله ، ولا يخلصون له عبادتهم ، وهو خالق السموات والأرض ، على حين يجعلون ولاعهم وعبادتهم لتلك المخلوقات التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، والتي هي خلق من خلق الله ، تدين له بالولاء ، كما دان له كل مخلوق ؟ إنهم يسوون في هذا بين المتناقضات، ويقولون إن الأعمى والبصير سواء ، وإن الظلمات والنور متعادلان ، وإن الباطل والحق متشابهان .. وإن المخلوق والخالق سيان!

وهذا منطق أحمق سفيه ، لا يقبله إلا من عميت بصيرته ، وختم الله على قلبه وسمعته ، وجعل على بصره غشاوة! ..<sup>٨٦</sup>

=====

<sup>٨٦</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٧ / ٩١)

## المبحث الثاني

### منهج القرآن في تقرير وجود الله تعالى

لم تنصرف نصوص القرآن الكريم إلى إثبات وجود الله تعالى وتقرير وجوده كقصدٍ أساسي، وإنما جاءت لتقرير ألوهية الله تعالى، وأنه لا إله غيره- وإن كانت تأتي بذلك ضمناً أو صراحة في أحيان قليلة- ذلك أن البشر كما ذكرنا مقرين بوجود الله تعالى ، إلا قليلاً ممن شذ جحوداً ومكابرة. ولذلك حكى الله تعالى عن الرسل عليهم السلام قولهم لأقوامهم : {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمِ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثَبُوا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} (١٠) سورة إبراهيم ، ولقد كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، قال تعالى : {وَلَكِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٦١) سورة العنكبوت ، وقال تعالى : {وَلَكِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (٢٥) سورة لقمان . وقد اشتمل القرآن الكريم على أساليب متعددة في قضية الوجود والألوهية، وأهم تلك الأساليب ما يلي:

### المطلب الأول

#### القرآن يتوجه بالخطاب إلى المشاعر

إن القرآن الكريم يخاطب في الإنسان قلبه ووجدانه حتى يثير تلك الفطرة الكامنة فيه، وحتى لا يكون خطابه جافاً مجرداً متجهاً للعقل المجرد. وقد أشار الله تعالى إلى هذه الميزة بقوله : {لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (٢١) سورة الحشر ، ولما كان القرآن يحمل بين طياته وألفاظه قوة التأثير الذاتي، أمر الله تعالى بإجارة المشركين. قال تعالى : {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} (٦) سورة التوبة ، وبسبب هذه القوة الذاتية كان مشركوا العرب يوصي بعضهم بعضاً بعدم سماع القرآن حتى لا يتأثروا به {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تُغْلِبُونَ} (٢٦) سورة فصلت ، ولتحريك المشاعر وانفعالها سلك القرآن مسالك شتى منها:

#### ١- توجيه المشاعر إلى التأمل في الكون والحياة:

ذلك أن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق، وأن هذا الكون الفسيح القائم على الدقة والانتظام لا يمكن أن يوجد إلا بقدره فائقة وعلم تام. والإنسان المتبدل لا تلفت نظره السماء الكائنة فوقه، ولا

الأرض الساكنة تحته، لذا يخاطب القرآن المشاعر ويوجهها إلى هذه الآيات كما في قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) [آل عمران/١٩٠-١٩٢] }

## ٢- التذكير بالنعم وأن الله هو رازق الإنسان :

فالإنسان مقررٌ بأنه لم يخلق من هذه النعم شيئاً، مع أنه أكبر المستفيدين منها، بل جعلت لأجله. غير أن الإنسان بحكم الألف والاعتیاد تبلد حسه، فينسى الله الخالق. لذلك يذكره الله تعالى بهذه النعم التي لا تحصى، ومن أعظمها الماء والهواء. قال تعالى: {وَأَنَّا كُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (٣٤) سورة إبراهيم .

## ٣- تذكير الإنسان بخلقه وأصله:

إن الإنسان هو أكرم خلق الله تعالى لما ميزه به من عقل و إدراك، وهذا الإنسان قد أوجده الله تعالى بعد أن لم يكن شيئاً قال تعالى: { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) [الإنسان/١-٣] } ، هذا الإنسان بعد أن خلقه الله تعالى أحسَّ بأنه قد استغنى عن خالقه، فطغى وألهمته شواغله وأهواؤه عن ربه كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) [الإنفطار/٦-٨] } ، وقال تعالى: { كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَى (٦) أُنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) [العلق/٦-٨] } ، لذلك نجد أن الله تعالى يخاطب الإنسان داعياً إياه لينظر في نفسه، والحكم والآيات الكامنة فيه كما في قوله تعالى: { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) [الذاريات/٢٠-٢٢] } ، وقوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) [المؤمنون/١٢-١٧] } ، وقد جاء العلم الحديث ببيان وصدق ذلك كله.

## ٤- التذكير بالموت والحياة:

يوجه الله تعالى خطابه إلى البشر مذكراً إياهم بأنه هو الذي خلقهم وبثَّ فيهم الروح. ذلك السرُّ المعجز في بقائهم، وأنهم لا يملكون شيئاً من ذلك. كما يذكرهم بالموت وأنه لا مفر لأحد منه. وفي هذا إثارة للمشاعر حتى تتساءل: من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا أتيت ؟ وأين سأمضي ؟ وما مصيري ؟ هذه الأسئلة الكبرى التي يبحث لها كل إنسان عن جواب، قد أجاب عليها القرآن بقوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) [المُلْك/١-٣] ، ويقولُه تعالى : { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) [الواقعة/٨٣-٨٧] } .

=====

## المطلب الثاني

### مخاطبة العقل

إن منهج الخطاب القرآني للبشرية ليس قائماً على إثارة المشاعر ومخاطبة الوجدان فحسب، بل إنه مع ذلك يتوجه بالخطاب إلى العقل، فيحثه على التدبر والتأمل، ويشير فيه التساؤلات التي ترشد وجهته، ومن تلك التساؤلات: هل يمكن أن يوجد هذا الكون الهائل بلا خالق؟ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) [الطور/٣٥-٣٨]

=====

### المبحث الثالث منهج القرآن في أدلته العقلية

تهدف الأدلة التي يأتي بها القرآن إلى تقرير وجود الله تعالى وتفردّه بالخلق والملك والتدبير. وهو في ذلك يأتي بالبراهين البديهية السهلة التي يدركها العقل بدون خوض في الجدال العقيم الجاف. وعلة ذلك: حتى تكون هذه الأدلة متاحة لجميع العقول بكل مستوياتها كما في قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (٣٥) سورة الطور ، وقوله تعالى : {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (١٧) سورة النحل ، وقوله تعالى : {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك ، وقوله تعالى : { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) } [مريم : ٦٦ ، ٦٧] .

وقوله تعالى : « أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ».. هو ردّ على هذا الإنسان الذي يمثل الإنسانية الضالة المنكرة للبعث ، التي يقال على لسانها هذا القول : « إِذَا مَا مِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ؟ » أفلا يذكر هذا الإنسان كيف كان خلقه ؟ ثم ألا يذكر أين كان هو قبل أن يولد ؟ لقد كان عدما ، لا وجود له ، ثم صار هذا الكائن الذي يقف من ربه موقف المحادّ المحارب ؟ ثم لينظر هذا الإنسان : أخلق مخلوق من عدم .. أهون ، أم خلق مخلوق من بقايا مخلوق ؟ لينظر في هذه القضية على مستواه البشريّ ، وسيرى أن إيجاد شيء من عدم مستحيل استحالة مطلقة ، أما إيجاد شيء من حطام شيء ، فهو واقع في حدود الإمكان ، المتاح للإنسان !!.. فإذا كان ذلك كذلك في حدود الإنسان ، المخلوق ، الضعيف .. أفيعجز الله القادر القوىّ ، الذي خلق الإنسان من عدم — أن يعيد هذا الإنسان مرة أخرى ، بعد أن يرجعه إلى العدم ، أو ما يشبه العدم ؟ ..<sup>٨٧</sup>

=====

<sup>٨٧</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - ( ٨ / ٧٥٣ )

## المبحث الرابع أنواع التوحيد

لقد عني القرآن الكريم منذ ابتداء نزوله بمكة بتصحيح الأفهام، وتعريف الناس بالله رب العالمين حتى يعرفوه معرفة صحيحة، ومن ثم يتم البناء الإيماني لهم على أساس سليم. لذا كانت جلُّ السور المكية تركز تركيزاً تاماً على مسائل الاعتقاد توضيحاً صحيحاً، وتدعوا الناس إلى الإيمان بالله تعالى انطلاقاً من ذلك.

وللتوحيد أنواع ذكرها القرآن الكريم ، وتعرض لها العلماء سلفاً وخلفاً .

### المطلب الأول

#### الإيمان بربوبيته تعالى

وذلك بالإيمان بأنه الخالق المالك المدبر للكون وما فيه، وحده لا شريك له ولا معاون له في ذلك ، قال تعالى : {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (٣) سورة يونس ، وقال تعالى : {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} (٣١) سورة يونس ، كما أنه تعالى وحده صاحب الأمر والنهي في التشريع كله، فلا مشرع سواه، قال تعالى : {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} (١٣) سورة الشورى ، وكذلك يجب الإيمان بكل ما تستلزم الربوبية من صفات الكمال قال تعالى : { وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } {٧٠} القصص

=====

## المطلب الثاني

### الإيمان بألوهيته تعالى

إن مما يتطلبه الإيمان بالله تعالى: الإيمان بأنه الإله الحق الذي يستحق العبادة، وألا يتخذ غيره إلها بأي وجه من وجوه الألوهية المقتضية للعبادة. فكما أنه لا ربَّ سواه فكذلك فإنه لا معبود بحق سواه ، كما قال تعالى : {وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (١٦٣) سورة البقرة.

هذا وقد بين الله تعالى قضية الإيمان به تعالى في سورة قصيرة من سور القرآن يحفظها كل مسلم حتى يتقرر لديه مقتضى الإيمان بالله وحده ألا وهي سورة الإخلاص : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} سورة الإخلاص

تفرّد بصفات الجلال والكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، أو وصفه بها نبيه ﷺ في سنته، فلا نصِفُ أحداً من خلقه بشيء من صفاته ، ولا نُلحِدُ في أسماء ربنا وصفاته. قال تعالى : {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٨٠) سورة الأعراف .

بل نؤمن بما وصف سبحانه به نفسه، وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل ، قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٢٧) سورة الروم .

=====

### المطلب الثالث

#### الإيمان بحاكميته تعالى

فالحاكمة مصدرٌ صناعي يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر القياسي (الحكم)، ومعنى توحيد الحاكمية: أي إفراد الله سبحانه بالحكم والتشريع ، وأنه سبحانه هو الحكم والمشرع ، وأنه لا يشرك في حكمه أحداً.

ولا شك أن الحاكمية بهذا المفهوم من أصول الدين ومقتضيات "لا إله إلا الله" ومن توحيد الألوهية الذي نزلت به الكتب، وأرسلت لأجله الرسل، وهي قضية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. قال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان عند قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (١٠) سورة الشورى<sup>٨٨</sup>:

" ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة، فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} (٢٦) سورة الكهف ، وفي قراءة ابن عامر من السبعة ( ولا تشرك في حكمه أحداً ) ، وقال في الإشراك به في عبادته {.. وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف ، فالأمران سواء .. وبذلك تعلم أن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله، أو خير منه كفر بواح لا نزاع فيه، وقد دلّ القرآن في آيات كثيرة على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفرٌ به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: {.. إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} (٥٧) سورة الأنعام ، وقوله تعالى: {..وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (٤٤) سورة المائدة ، وقوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٨) سورة القصص ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً كقوله تعالى: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (١٠٠) سورة النحل ، وقوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (١٢١) سورة الأنعام ، وقوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (٦٠) سورة يس ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . انتهى .

<sup>٨٨</sup> - أضواء البيان - (ج ٧ / ص ١٥٠) فما بعد

فمن حكم بغير ما أنزل الله فهو كافرٌ ظالمٌ فاسقٌ، كما حكم الله بذلك. فإن كان معتقداً صواباً ما حكم به أو جوازاً فقد كفرَ كفرًا مخرجاً من الملة، وإن حكم بغير حكم الله لشهوة أو هوىً فكافرٌ كفرًا أصغرَ، وهو معصيةٌ وإثمٌ كبيرٌ. وأما التشريع الوضعيُّ وسنُّ القوانين وإخضاعُ الناس لذلك فهذا كفرٌ مخرجٌ من الملة، وإن قال صاحبه: إنَّ شرعَ الله أعدلُ وأحسنُ، لأنه مضاهٍ بذلك شرعَ الله تعالى ناعياً على بني إسرائيل: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٣١) سورة التوبة.

وعن عدي بن حاتم رضى الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ - وفي عنقي صليبٌ من ذهبٍ قالَ فسمعتُه يقولُ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) قالَ قلتُ يا رسولَ اللهِ إنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ. قالَ: «أَجَلٌ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَبَلَكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ» (أخرجه البيهقي في السنن الكبرى) <sup>٨٩</sup>.

وعن أبي البختري قال: سئل حذيفة رضى الله عنه عن هذه الآية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) أكانوا يصلُّونَ لَهُمْ قالَ لَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ فَيُحَرِّمُونَهُ فَصَارُوا بِذَلِكَ أَرْبَابًا (السنن الكبرى للبيهقي) <sup>٩٠</sup>.

فلا بد أن تكون شريعة الله هي التي تحكم الأرض، وإليها رجوع الناس في شؤونهم وأحوالهم وتقاضيتهم إنه يرد كل اختلاف يقع بين الناس إلى الله: «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُهُ إِلَى اللَّهِ» .. والله أنزل حكمه القاطع في هذا القرآن وقال قوله الفصل في أمر الدنيا والآخرة وأقام للناس المنهج الذي اختاره لهم في حياتهم الفردية والجماعية، وفي نظام حياتهم ومعاشهم وحكمهم وسياساتهم، وأخلاقهم وسلوكهم. وبيّن لهم هذا كله بيانا شافيا. وجعل هذا القرآن دستورا شاملا لحياة البشر، أوسع من دساتير الحكم وأشمّل. فإذا اختلفوا في أمر أو اتجاء فحكم الله فيه حاضر في هذا الوحي الذي أوحاه إلى رسوله ﷺ - لتقوم الحياة على أساسه. <sup>٩١</sup>

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من العبودية للعباد - ومن العبودية لهواه أيضا وهي من العبودية للعباد - وذلك بإعلان ألوهية الله وحده - سبحانه - وربوبيته للعالمين .. إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور .. أو بتعبير آخر مرادف:

<sup>٨٩</sup> - السنن الكبرى للبيهقي (ج ١٠ / ص ١١٦) برقم (٢٠٨٤٧) وهو صحيح لغيره

<sup>٩٠</sup> - (ج ١٠ / ص ١١٦) برقم (٢٠٨٤٨) وفيه انقطاع ولكنه صحيح لغيره

<sup>٩١</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٣١٤٥)

الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور .. ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر ، ومصدر السلطات فيه هم البشر ، هو تأليه للبشر ، يجعل بعضهم لبعض أربابا من دون الله .. إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله وطرده المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مقام العبيد .. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض ..

أو بالتعبير القرآني الكريم : «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» .. «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ .. ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ..» .. «قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا : اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» .. ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم - هم رجال الدين كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ، كما كان الحال في ما يعرف باسم «التيوقراطية» أو الحكم الإلهي المقدس!!! - ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة.

وقيام مملكة الله في الأرض ، وإزالة مملكة البشر. وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبه من العباد ورده إلى الله وحده. وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية .. كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان.

لأن المتسلطين على رقاب العباد ، المغتصبين لسلطان الله في الأرض ، لا يسلمون في سلطاتهم بمجرد التبليغ والبيان. وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض! وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال!<sup>٩٢</sup> وقال تعالى : {..إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٤٠) سورة يوسف

إن الحكم لا يكون إلا لله. فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته. إذ الحاكمية من خصائص الألوهية.

من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته سواء ادعى هذا الحق فرد ، أو طبقة ، أو حزب. أو هيئة ، أو أمة ، أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية. ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاهها فقد كفر بالله كفرًا بواحًا ، يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة ، حتى يحكم هذا النص وحده! وادعاء هذا الحق لا يكون بصورة واحدة هي التي تخرج المدعي من

<sup>٩٢</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٣ / ١٤٣٣)

دائرة الدين القيم ، وتجعله منازعا لله في أولى خصائص ألوهيته - سبحانه - فليس من الضروري أن يقول : ما علمت لكم من إله غيري أو يقول :

أنا ربكم الأعلى ، كما قالها فرعون جهرة. ولكنه يدعي هذا الحق وينازع الله فيه. بمجرد أن ينحي شريعة الله عن الحاكمية ويستمد القوانين من مصدر آخر. وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحاكمية ، أي التي تكون هي مصدر السلطات ، جهة أخرى غير الله سبحانه .. ولو كان هو مجموع الأمة أو مجموع البشرية.

والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم فتعطيها شرعية مزاوله الحكم بشريعة الله ولكنها ليست هي مصدر الحاكمية التي تعطي القانون شرعيته. إنما مصدر الحاكمية هو الله. وكثيرون حتى من الباحثين المسلمين يخلطون بين مزاوله السلطة وبين مصدر السلطة. فالتناس بجمليتهم لا يملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله وحده.

والناس إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه ، أما ما لم يشرعه الله فلا سلطان له ولا شرعية ، وما أنزل الله به من سلطان ..

ويوسف - عليه السلام - يعلل القول بأن الحكم لله وحده. فيقول : «أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ». إن الطاغوت لا يقوم في الأرض إلا مدعيا أخص خصائص الألوهية ، وهو الربوبية. أي حق تعبيد الناس لأمره وشرعه ، ودينونتهم لفكره وقانونه. وهو إذ يزاول هذا في عالم الواقع يدعيه - ولو لم يقله بلسانه - فالعمل دليل أقوى من القول.

وإن الطاغوت لا يقوم إلا في غيبة الدين القيم والعقيدة الخالصة عن قلوب الناس. فما يمكن أن يقوم وقد استقر في اعتقاد الناس فعلا أن الحكم لله وحده ، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده ، والخضوع للحكم عبادة. بل هي أصلا مدلول العبادة.

ولا نفهم هذا التعليل كما كان يفهمه الرجل العربي إلا حين ندرك معنى «العبادة» التي يخص بها الله وحده ..

إن منازعة الله الحكم تخرج المنازع من دين الله - حكما معلوما من الدين بالضرورة - لأنها تخرجه من عبادة الله وحده .. وهذا هو الشرك الذي يخرج أصحابه من دين الله قطعا. وكذلك الذين يقرون المنازع على ادعائه ، ويدينون له بالطاعة وقلوبهم غير منكرة لاغتصابه سلطان الله وخصائصه .. فكلهم سواء في ميزان الله.<sup>٩٣</sup>

وقال تعالى : { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (٥٠) سورة المائدة

<sup>٩٣</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ١٩٩٠)

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه - هي حكم البشر للبشر ، لأنها هي عبودية البشر للبشر ، والخروج من عبودية الله ، ورفض ألوهية الله ، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله ..

إن الجاهلية - في ضوء هذا النص - ليست فترة من الزمان ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس ، ويوجد اليوم ، ويوجد غدا ، فيأخذ صفة الجاهلية ، المقابلة للإسلام ، والمناقضة للإسلام.

والناس - في أي زمان وفي أي مكان - إما أنهم يحكمون بشريعة الله - دون فتنة عن بعض منها - ويقبلونها ويسلمون بها تسليما ، فهم إذن في دين الله. وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر - في أي صورة من الصور - ويقبلونها فهم إذن في جاهلية وهم في دين من يحكمون بشريعته ، وليسوا بحال في دين الله.

والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية ، ويعيش في الجاهلية.

وهذا مفرق الطريق ، يقف الله الناس عليه. وهم بعد ذلك بالخيار! ثم يسألهم سؤال استنكار لا بتغائهم حكم الجاهلية وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله. «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُّونَ؟» ..

إن هذه القضية يجب أن تكون واضحة وحاسمة في ضمير المسلم وألا يتردد في تطبيقها على واقع الناس في زمانه والتسليم بمقتضى هذه الحقيقة ونتيجة هذا التطبيق على الأعداء والأصدقاء!

وما لم يحسم ضمير المسلم في هذه القضية ، فلن يستقيم له ميزان ولن يتضح له منهج ، ولن يفرق في ضميره بين الحق والباطل ولن يخطو خطوة واحدة في الطريق الصحيح .. وإذا جاز أن تبقى هذه القضية غامضة أو مائعة في نفوس الجماهير من الناس فما يجوز أن تبقى غامضة ولا مائعة في نفوس من يريدون أن يكونوا «المسلمين» وأن يحققوا لأنفسهم هذا الوصف العظيم ..<sup>٩٤</sup>

=====

<sup>٩٤</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ٩٠٤)

## المطلب الرابع توحيد الأسماء والصفات

### ١. ذات الله تعالى:

إن لله تعالى في العقيدة الإسلامية ذاتاً متميزة مستقلة، لها وجود حقيقي لا خيالي، إلا إنها ذات لا تشبه ذوات المخلوقين لا من حيث الوجود ولا من حيث الصفات. فوجود الله تعالى وجود كامل لم يسبق بعدم ولا يدركه فناء ولا عدم، فهو الأول وليس قبله شيء، كما أنه الآخر وليس بعده شيء، قال تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣) سورة الحديد ، وكان من دعائه ﷺ «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» (أخرجه مسلم) ٩٥.

ولما كانت هذه الذات بالحال التي ذكرنا، فإن العقل البشري يستحيل عليه إدراك كنه هذه الذات، لأنه لا يتصور إلا الأشياء التي تدركها حواسه المحددة. فذات الله تعالى جلت عن أن تدركها البصائر النافذة فضلاً عن الأبصار، وعظمت عن أن تتوهمها الظنون أو تتصورها الأفكار، قال تعالى : {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٠٣) سورة الأنعام .

### ٢. صفات الله تعالى وأسمائه:

لما كانت ذات الله تعالى مما تعجز الإفهام عن إدراكها، وتحار العقول في بلوغ فهمها لمخالفتها لسائر المخلوقات، كان السبيل إلى التعريف بها هو التعريف بصفاته تعالى. وقد سلك القرآن الكريم ذلك المنهج، وكذلك الرسول ﷺ . فقد اتخذ القرآن الكريم في التعريف بالله تعالى منهج الاستدلال بالشاهد الموجود على الغائب. فجعل آياته الكونية الدالة على عظمته وجلاله وفائق قدرته وسلطانه منطلقاً لبيان صفاته وأسمائه المتضمنة لكماله وجلاله. فالناظر في صنعة يستدل بها على كثير من صفات صانعها. لذا نجد أن القرآن كثيراً ما يضرب الأمثال للناس، مع أنه جعل قاعدة عامة لذلك تفيد نفى المماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق كما في قوله تعالى : {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٦٠) سورة النحل ، وقوله : {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١١) سورة الشورى ، فكل ذات من الذوات لابد لها من صفات تتصف بها. وإذا كان الإنسان

٩٥ - برقم (٧٠٦٤)

يتصف بصفات هي في حقه صفات كمال كالعلم والسمع والبصر والعدل والإرادة والحكمة وكل صفات الكمال، فالله تعالى أولى بذلك وأعلى، مع العلم بالفارق التام بين صفات الخالق وصفات المخلوق. ومن أسماء الله تعالى وصفاته التي وردت بها النصوص قوله تعالى: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر/٢٢-٢٤] }

### ٣- فوائد التعريف بالصفات:

- ١- تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق كما قال الله تعالى: {...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١١) سورة الشورى، وقوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (٤) سورة الإخلاص
- ٢- تعريف الخلق برهم وإلههم حتى يعبدوه حق عبادته بناء على معرفتهم به، لأن كمال العبادة يكون بكمال المعرفة كما قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (١٩) سورة محمد
- ٣- قطع الطمع عن إدراك كيفية تلك الصفات، كما قال الله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (١١٠) سورة طه

=====

## المطلب الخامس

### الأسس التي يقوم عليها توحيد الذات والصفات

يعدُّ مبحث توحيد الذات والصفات أدق مباحث العقيدة الإسلامية، وذلك لأنه المحك الذي انزلت فيه كثير من الفرق، وضلَّت في مسالكه العديدُ من الفلسفات والأفكار. لذا عُنيت العقيدة الإسلامية بوضع الأسس السليمة للخروج بمعتقد صحيح صريح في هذا الباب يأمن فيه السالكُ الانزلاق والضلال. وتمثل هذه الأسس فيما يلي:

#### الأساس الأول

أنه لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ

وكذا في باب الأسماء لا يسمَّى الله سبحانه وتعالى إلا بما جاء به الشرع. ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا كانت الذات الإلهية لا تدركها العقول والأبصار. فإن الواجب أن لا توصف تلك الذات إلا بما تصف به نفسها أو بما يصفها به من وكل إليه شيء من ذلك، وهم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. قال الله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (٣٦) سورة الإسراء ، وقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٨٠) سورة الأعراف ، وقال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١١) سورة الشورى ، وقوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (٦٥) سورة مريم .

#### الأساس الثاني

تثريه الله تعالى عن أن يشبه شيئا من خلقه في ذاته أو صفاته أو أفعاله

فقد تقرر لدينا أن ذات الله تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين. لذا كان اللازم ألا تشبه صفاته صفات المخلوقين، لأن الكلام في الصفات يبنى على الكلام في الذات. ويدل على ذلك قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (٦٥) [مريم/٦٥]

#### الأساس الثالث

أنه لا سبيل لإدراك الكيفيات والهيئات فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله

وهذا الأساس يقوم أيضا على اختلافه سبحانه وتعالى عن المخلوقات. فالإنسان محدود القدرات في إدراكه للأمور الغائبة عنه، وحتى قدرته التي يحاول بها الخروج عن حدود الواقع، وهي قوة التخيل، فإنه لا يتجاوز بها المدركات المادية المتصورة لديه مهما حاول تشكيل صورها وتوسيع مداها. أما حينما يحاول الخروج عن ذلك فإن عقله يقع في التناقض أو عدم القدرة على تصور ذلك.

=====

## المطلب السادس

### أفعال الله تعالى

أفعال الله تعالى تقوم على كمال القدرة وتمام العلم المحيط بكل شيء، فالله تعالى لما كان متفردا في ذاته وصفاته، استلزم ذلك أن يكون متفردا في أفعاله، فلا يشبهه أحد من خلقه في فعل من أفعاله. لذا نجد أن الله تعالى كثيرا ما تحدّى البشر بأن يأتوا بشيء من أفعاله، فقد تحدّاهم بأن يخلقوا ذبابة، أو يتزلوا ولو أقصر سورة من القرآن، ولكن هيهات أن يقدر على شيء من ذلك أحد في اللاحق وقد عجز عنه السابقون. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (٧٣) سورة الحج ، وقال تعالى : {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٢٣) سورة البقرة

وقال تعالى : {قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَهِ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (٧١) سورة الأنعام

قل يا محمد وأعلن أن هدى الله هو الهدى وأنا - من ثم - أمرنا أن نسلم لرب العالمين. فهو وحده الذي يستسلم له العالمون. فالعوالم كلها مستسلمة له ، فماذا الذي يجعل الإنسان وحده - من بين العالمين - يشذ عن الاستسلام لهذه الربوبية الشاملة التي تستسلم لها العوالم في السماوات والأرضين؟ إن ذكر الربوبية للعالمين هنا له موضعه .. إنه يقرر الحقيقة التي لا مناص من الاعتراف بها وهي استسلام الوجود كله ، وما فيه من عوالم مشهودة ومغيبة ، للنواميس التي وضعها الله لها وهي لا تملك الخروج عليها ، والإنسان - من ناحية تركيبه العضوي - يستسلم كذلك لهذه النواميس كرها ، ولا يملك الخروج عليها ..

فلا يبقى إلا أن يستسلم في الجانب الذي ترك له الخيار فيه لبيتلى فيه ، وهو جانب الاختيار .. اختيار الهدى أو الضلال .. ولو استسلم فيه استسلام كيانه العضوي ، لاستقام أمره ، وتناسق تكوينه وسلوكه ، وجسمه وروحه ، ودينه وآخرته .. »

وفي إعلان الرسول ﷺ - والمسلمين معه ، أنهم أمروا بالاستسلام فاستسلموا ، إجماع مؤثر لمن يفتح الله قلبه للتلقي والاستجابة على مدى الزمان.<sup>٩٦</sup>

<sup>٩٦</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ١١٣٣)

ومن ثم فلا يجوز الاعتراض على أي حكم من أحكام الله تعالى ، لأنه مالك الملك ، والعبد لا يعترض على سيده .

قال تعالى : { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (٢٣) سورة الأنبياء

أي أن هذا الذي يكون من حياة وموت ، وبعث ، هو من تدبير الله ، ومن تصريفه في ملكه ، لا يسأل عما يفعل .. فمن أسلم نفسه لله ، فقد فاز ونجا ، ومن أبى أن يسلم نفسه لله ، فقد خاب وخسر .. وذلك يوم تنكشف له الحقيقة ، ويجد اليوم الذي كان يكذب به ، والنار التي توعد الله بها المكذبين ..<sup>٩٧</sup>

وقال تعالى : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٢٦) سورة آل عمران

" إنما الحقيقة الناشئة من حقيقة الألوهية الواحدة .. إله واحد فهو المالك الواحد .. هو «مال الملك» بلا شريك .. ثم هو من جانبه يملك من يشاء ما يشاء من ملكه. يملكه إياه تملك العارية يستردها صاحبها ممن يشاء عند ما يشاء. فليس لأحد ملكية أصيلة يتصرف فيها على هواه. إنما هي ملكية معارة له خاضعة لشروط المملك الأصلي وتعليماته فإذا تصرف المستعير فيها تصرفا مخالفا لشروط المالك وقع هذا التصرف باطلا. وتحتّم على المؤمنين رده في الدنيا. أما في الآخرة فهو محاسب على باطله ومخالفته لشروط المملك صاحب المملك الأصل ..

وكذلك هو يعز من يشاء ويذل من يشاء بلا معقب على حكمه ، وبلا مجير عليه ، وبلا راد لقضائه ، فهو صاحب الأمر كله بما أنه - سبحانه - هو الله .. وما يجوز أن يتولى هذا الاختصاص أحد من دون الله.

وفي قوامة الله هذه الخير كل الخير .. فهو يتولاها سبحانه بالقسط والعدل. يؤتي الملك من يشاء ويتزع الملك ممن يشاء بالقسط والعدل. ويعز من يشاء ويذل من يشاء بالقسط والعدل. فهو الخير الحقيقي في جميع الحالات وهي المشيئة المطلقة والقدرة المطلقة على تحقيق هذا الخير في كل حال : «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» .. «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ..

وهذه القوامة على شؤون البشر ، وهذا التدبير لأمرهم بالخير ، ليس إلا طرفا من القوامة الكبرى على شؤون الكون والحياة على الإطلاق<sup>٩٨</sup>

=====

<sup>٩٧</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (١٣ / ٢٥١)

<sup>٩٨</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٣٨٤)

## المبحث الخامس

### أسباب التركيز على عقيدة التوحيد

تعتبر عقيدة التوحيد هي الأساس الفاصل بين الإيمان والشرك أو الكفر. ولما كان البناء الإسلامي كله يقوم عليها، فقد عني القرآن الكريم والرسول ﷺ بتأسيس ذلك وتوضيحه غاية التوضيح. كانت المجتمعات البشرية قد اعترى تصورها لله الخالق انحراف كبير سببه التحريف الذي حدث للديانات السابقة مما فتح الباب أمام الانحرافات والتخيلات الفاسدة في العقيدة الإلهية، فأصبح الناس بين طرفي نقيض:

الطرف الأول: قوم غلوا بعقولهم فجعلوا إلههم صورة خيالية تجريدية لا محل لها من الواقع. فكان الإله عندهم صورة ذهنية مجردة.

الطرف الثاني: قوم فرطوا في إلههم فشبهوه بالمخلوق، ووصفوه بصفات المخلوق من حيث التعدد واتخاذ الولد والتجسيد، وكونه يعتريه ما يعتري البشر من الآفات والنقائص، وأنه يمكن أن يخفى عليه شيء من الخلق.

### المطلب الأول

#### توحيدة تعالى في ربه بيته خلقا وملكاً وتدبيراً

بين القرآن الكريم بأن الله تعالى هو وحده الخالق لهذا الكون بكل ما فيه بلا شريك ولا معين له في ذلك. فالله تعالى أوجده من العدم، ووضع له النواميس التي يسير عليها، وخلق فيه المخلوقات المختلفة التي تعيش فيه. ولأنه تعالى المتفرد بخلقه، فهو كذلك المتفرد بملكه لكل ما في الكون، وليس لسواه ملك على أي شيء أصالة، كما أنه تعالى هو المتصرف المدبر للكون. وقد جعل الله تعالى آياته في الكون وانتظام أمره ونفاذ قدرته أدلة على وجوده وتفرد عظم سلطانه وقدرته، ذلك أن البشر جميعاً -إلا من شذ منهم- يقرون بأن الله تعالى هو الخالق لهذا الكون المالك له والمدبر لأمره، قال تعالى: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٨٧) سورة الزخرف ، والإيمان بالربوبية يزيد النفس خشوعاً ورهبة، لأن الإنسان ضعيف بطبعه وخلقه، فإذا ظهرت قوة خارقة وقف أمامها مبهوراً كما قال الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٧) سورة الزمر .

=====

## المطلب الثاني

إفراد الله تعالى بالعبادة حتى لا يتخذ إله غيره بأي وجه من الوجوه المقتضية للعبادة

وهذه قضية جوهرية من قضايا التوحيد، بل هي الركن الأساسي الذي تقتضيه عقيدة التوحيد الإسلامية المتقررة في كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله ) أي لا معبود بحق إلا الله. فهذه هي الكلمة الفاصلة بين عقيدة التوحيد في الإسلام وغيرها من العقائد الأخرى. فلما كان الله تعالى متفردا في ذاته وصفاته وأفعاله - وكانت النفوس مفطورة على اتخاذ إله تعبد وتعظمه - كان الله تعالى هو المعبود بحق، والمستحق الوحيد لهذه العبادة مهما تعددت الآلهة المتخذة.

بل إن المتقرر حتى لدى كثير من المشركين المتخذين لأكثر من إله أنهم يعتقدون بأن هناك إله واحدا يسيطر على جميع الآلهة الأخرى، وأنه هو عظيمها وإمامها، وأن ما دونه وسيلة إليه. ومن النصوص في ذلك قوله تعالى : وقال تعالى : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (٢٥) سورة لقمان

وقال تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (٥) سورة الفاتحة

وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة. فلا عبادة إلا لله ، ولا استعانة إلا بالله.

وهنا كذلك مفرق طريق .. مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد!

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام. والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يعبد ، والله وحده هو الذي يستعان ، فقد تخلص الضمير البشري من استدلال النظم والأوضاع والأشخاص ، كما تخلص من استدلال الأساطير والأوهام والخرافات ..

وهنا يعرض موقف المسلم من القوى الإنسانية ، ومن القوى الطبيعية .. فأما القوى الإنسانية - بالقياس إلى المسلم - فهي نوعان : قوة مهتدية ، تؤمن بالله ، وتتبع منهج الله ..

وهذه يجب أن يؤازرها ، ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح .. وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه. وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها.

ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أو عاتية. فهي بضالها عن مصدرها الأول - قوة الله - تفقد قوتها الحقيقية. تفقد الغذاء الدائم الذي يحفظ لها طاقتها. وذلك كما ينفصل جرم ضخم من نجم ملتهب ، فما يلبث أن ينطفئ ويبرد ويفقد ناره ونوره ، مهما كانت كتلته من

الضخامة. على حين تبقى لأية ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها : «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» ..

غلبتها باتصالها بمصدر القوة الأول ، وباستمدادها من النبع الواحد للقوة وللغزة جميعا .  
وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصدقة ، لا موقف التخوف والعداء .  
ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشئته . محكومتان بإرادة الله ومشئته ، متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه .

إن عقيدة المسلم توحى إليه أن الله ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقا مساعدا متعاوناً وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها . ويتعرف إليها ، ويتعاون وإياها ، ويتجه معها إلى الله ربه وربها .

وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحيانا ، فإنما تؤذيه لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها ، ولم يهتد إلى الناموس الذي يسيرها .

ولقد درج الغربيون - ورثة الجاهلية الرومانية - على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم : «قهر الطبيعة» .. ولهذا التعبير دلالة الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله ، وبروح الكون المستجيب لله .

فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمن الرحيم ، الموصول الروح بروح هذا الوجود المسيحة لله رب العالمين .. فيؤمن بأن هنالك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة . إنه يعتقد أن الله هو مبدع هذه القوى جميعا . خلقها كلها وفق ناموس واحد ، لتتعاون على بلوغ الأهداف المقدرة لها بحسب هذا الناموس . وأنه سخرها للإنسان ابتداء ويسر له كشف أسرارها ومعرفة قوانينها . وأن على الإنسان أن يشكر الله كلما هيا له أن يظفر بمعونة من إحداها . فالله هو الذي يسخرها له ، وليس هو الذي يقهرها : «سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» ..

وإذن فإن الأوهام لن تملأ حسه تجاه قوى الطبيعة ولن تقوم بينه وبينها المخاوف .. إنه يؤمن بالله وحده ، ويعبد الله وحده ، ويستعين بالله وحده . وهذه القوى من خلق ربه . وهو يتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها ، فتبذل له معونتها ، وتكشف له أسرارها . فيعيش معها في كون مأنوس صديق ودود .. وما أروع قول الرسول ﷺ - وهو ينظر إلى جبل أحد : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ »<sup>٩٩</sup> .. ففي هذه الكلمات كل ما يحمله قلب المسلم الأول محمد ﷺ - من ود وألفة وتجاوب ، بينه وبين الطبيعة في أضخم وأحسن مجاليها.<sup>١٠٠</sup>

<sup>٩٩</sup> - أخرجه الجماعة انظر المسند الجامع - ( ٢ / ٧٧٢ ) ( ١٢٩١ )

<sup>١٠٠</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - ( ١ / ٢٥ )

{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} (٣) سورة الزمر

والخطاب لرسول الله - ﷺ - الذي أنزل إليه الكتاب بالحق. وهو منهجه الذي يدعو إليه الناس كافة .. عبادة الله وحده ، وإخلاص الدين له ، وقيام الحياة كلها على أساس هذا التوحيد.

وتوحيد الله وإخلاص الدين له ، ليس كلمة تقال باللسان إنما هو منهاج حياة كامل. يبدأ من تصور واعتقاد في الضمير وينتهي إلى نظام يشمل حياة الفرد والجماعة.

والقلب الذي يوحد الله ، يدين الله وحده ، ولا يحني هامته لأحد سواه ، ولا يطلب شيئاً من غيره ولا يعتمد على أحد من خلقه. فالله وحده هو القوي عنده ، وهو القاهر فوق عباده. والعباد كلهم ضعاف مهازيل ، لا يملكون له نفعا ولا ضرا فلا حاجة به إلى أن يحني هامته لواحد منهم. وهم مثله لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا. والله وحده هو المانع المانع ، فلا حاجة به إلى أن يتوجه لأحد غيره وهو الغني والخلق كلهم فقراء.

والقلب الذي يوحد الله ، يؤمن بوحدة الناموس الإلهي الذي يصرف الوجود كله ويؤمن إذن بأن النظام الذي اختاره الله للبشر هو طرف من ذلك الناموس الواحد ، لا تصلح حياة البشر ولا تستقيم مع الكون الذي يعيشون فيه إلا باتباعه. ومن ثم لا يختار غير ما اختاره الله من النظم ، ولا يتبع إلا شريعة الله المتسقة مع نظام الوجود كله ونظام الحياة.

والقلب الذي يوحد الله يدرك القرابة بينه وبين كل ما أبدعت يد الله في هذا الكون من أشياء وأحياء ويحيا في كون صديق يعاطفه ويتجاوب معه ويحس يد الله في كل ما حوله ، فيعيش في أنس بالله وبدائعه التي تلمسها يداه وتقع عليها عيناه. ويشعر كذلك بالتحرج من إيذاء أحد ، أو إتلاف شيء أو التصرف في أحد أو في شيء إلا بما أمره الله. خالق كل شيء ، ومحيي كل حي. ربه ورب كل شيء وكل حي ..

وكذلك تبدو آثار التوحيد في التصورات والمشاعر ، كما تبدو في السلوك والتصرفات. وترسم للحياة كلها منهاجا كاملا واضحا متميزا. ولا يعود التوحيد كلمة تقال باللسان. ومن ثم تلك العناية بتقرير عقيدة التوحيد وتوضيحها وتكرار الحديث عنها في الكتاب الذي أنزله الله : وهو حديث يحتاج إلى تدبره كل أحد ، في كل عصر ، وفي كل بيئة. فالتوحيد بمعناه ذلك معنى ضخم شامل يحتاج إلى فهم وإدراك.

«أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» .. يعلنها هكذا ملوية عالية في ذلك التعبير المجلجل. بأداة الافتتاح «ألا» وفي أسلوب القصر «لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ». فيؤكد معناها بالبناء اللفظي للعبارة .. فهي القاعدة التي تقوم

عليها الحياة كلها. بل التي يقوم عليها الوجود كله. ومن ثم ينبغي أن ترسخ وتتضح وتعلن في هذا الأسلوب الجازم الحاسم : «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» ..<sup>١٠١</sup>

=====

---

<sup>١٠١</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٣٠٣٦)

## الأسس التي يقوم عليها توحيد الذات والصفات

يعد مبحث توحيد الذات والصفات أدق مباحث العقيدة الإسلامية، وذلك لأنه المحك الذي انزلت فيه كثير من الفرق، وضلّت في مسالكه العديد من الفلسفات والأفكار. لذا عنيت العقيدة الإسلامية بوضع الأسس السليمة للخروج بمعتقد صحيح صريح في هذا الباب يأمن فيه السالك الأنزلاق والضلال. وتمثل هذه الأسس فيما يلي:

**الأساس الأول:** أنه لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ :

وكذا في باب الأسماء لا يسمّى الله سبحانه وتعالى إلا بما جاء به الشرع. ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا كانت الذات الإلهية لا تدركها العقول والأبصار. فإن الواجب أن لا توصف تلك الذات إلا بما تصف به نفسها أو بما يصفها به من وكل إليه شيء من ذلك، وهم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. قال الله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (٣٦) سورة الإسراء ، وقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٨٠) سورة الأعراف ، وقال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١١) سورة الشورى ، وقوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (٦٥) سورة مريم .

**الأساس الثاني:** تنزيه الله تعالى عن أن يشبه شيئا من خلقه أو أن يشبهه أحد من خلقه في ذاته وأوصافه أو أفعاله:

فقد تقرر لدينا أن ذات الله تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين. لذا كان اللازم ألا تشبه صفاته صفات المخلوقين، لأن الكلام في الصفات يبنى على الكلام في الذات. ويدل على ذلك قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (٦٥) [مريم/٦٥]

**الأساس الثالث :** أنه لا سبيل لإدراك الكيفيات والهيئات فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله:

وهذا الأساس يقوم أيضا على اختلافه سبحانه وتعالى عن المخلوقات. فالإنسان محدود القدرات في إدراكه للأمور الغائبة عنه، وحتى قدرته التي يحاول بها الخروج عن حدود الواقع، وهي قوة التخيل، فإنه لا يتجاوز بها المدركات المادية المتصورة لديه مهما حاول تشكيل صورها وتوسيع مداها. أما حينما يحاول الخروج عن ذلك فان عقله يقع في التناقض أو عدم القدرة على تصور ذلك.



## المبحث السادس ثمراتُ الإيمان بالله تعالى

١ - استشعارُ الإنسان عظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله وكماله، مما يدفع الإنسان إلى الخوف واللجوء إليه والتقرب إليه حبا وتعظيما ومهابة وإجلالا ، وكل ذلك يؤثر في حياة المؤمن تأثيرا كبيرا يدفعه إلى السلوك القويم رجاء ثواب الله تعالى وخوف عقابه ، كما أنه يملأ قلبه حبا للخير فيسعى إلى دعوة غيره بالتي هي أحسن حتى يشترك معه في تحصيل هذا الخير ، لذا قال الله تعالى في وصف الرسول ﷺ : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (١٢٨) { سورة التوبة

٢ . استعلاء نفس المؤمن وتحرره من العبودية لغير الله تعالى، فلا يخاف إلا إياه، ولا يطمع إلا في رضا، وهذا ما يربي فيه الخصال الحميدة من العزة والكرامة والصدق والشجاعة والسخاء ، لأنه صار عبدا لله حقا يستمد عزه من عزته كما قال تعالى : { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (٨) سورة المنافقون ، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٨١) سورة الأنعام {

٣ . إضفاء الحياة معنى أكبر وأبعد من المعاني القاصرة المتصفة بالذاتية والأنانية ، حيث إن المؤمن يعتقد جازما بأن هذه الدنيا مزرعةٌ للآخرة، وأن له بكل ما يبذل في هذه الدنيا حسنةً ، قال تعالى : { وَأَنَّ لِّئِنسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) [النجم/٣٩-٤٣] {

٤ . تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، وبيان أنه المتفرد بصفات الكمال والجلال، فلا يتطرق إلى قلب المؤمن شيءٌ من أوهام تشبيه أحد من الخلق بالله عز وجل، أو وصف ذلك المخلوق بصفات الكمال الواجبة لله تعالى

٥ - يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ، واجتناب نهيه ، وإذا قام العبد بذلك نال بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (٥٤) سورة المائدة

٦ - إن الإيمان بالله ينشئ في النفس الأنفة والعزة ؛ لأنه يعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون ، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو ، وهذا العلم يغنيه عن غير الله ، ويتزع من قلبه خوف سواه ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف سواه . قال تعالى : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَتْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذِكُّمُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) [آل عمران/١٧٣-١٧٥] {

٧ - إِنَّ الْإِيْمَانَ بِاللَّهِ يَنْشِئُ فِي نَفْسِهِ التَّوَاضُعَ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ، فَلَا يَغْرِهُ الشَّيْطَانُ ، وَلَا يَبْطِرُ وَلَا يَتَكَبَّرُ ، وَلَا يَزْهَوُ بِقُوَّتِهِ وَمَالِهِ . قَالَ تَعَالَى : { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ } (٥٣) سورة النحل .

٨ - إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْفَلَاحِ وَالنَّجَاةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ ، قَالَ تَعَالَى : { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ } (٣٧) سورة سبأ ، فِي حِينٍ يَعْتَقِدُ غَيْرُهُ اعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةً كَاعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِصَلْبِ ابْنِهِ تَكْفِيرًا عَنْ خَطَايَا الْبَشَرِ ، أَوْ يُؤْمِنُ بِأَلْهَةٍ وَيَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَحْقُقُ لَهُ مَا يَرِيدُ ، وَهِيَ فِي حَقِيقَتِهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، أَوْ يَكُونُ مُلْحِدًا فَلَا يُؤْمِنُ بِوُجُودِ خَالِقٍ . . . وَكُلُّ هَذِهِ أُمَامِي ، حَتَّى إِذَا وَرَدُوا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَانُوا الْحَقَائِقَ أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالَ تَعَالَى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَنَسْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) سورة الأنعام . {

٩ - إِنَّ الْإِيْمَانَ بِاللَّهِ يَرْبِي فِي الْإِنْسَانِ قُوَّةَ عَظِيمَةٍ مِنَ الْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوَكُّلِ ، حِينَمَا يَضْطَلِعُ بِعَمَالِي الْأُمُورِ فِي الدُّنْيَا ابْتِغَاءَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَيَكُونُ عَلَى يَقِينٍ تَامٍ أَنَّهُ مُتَوَكِّلٌ عَلَى مَلِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ يُؤَيِّدُهُ وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَيَكُونُ رَاسِخًا رَسُوخَ الْجِبَالِ فِي صَبْرِهِ وَثَبَاتِهِ وَتَوَكُّلِهِ .

١٠ - الْأَمْنُ التَّامُّ وَالْإِهْتِدَاءُ التَّامُّ: فَبِحَسَبِ الْإِيْمَانِ يَحْصُلُ الْأَمْنُ وَالْإِهْتِدَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْبَرَزَخِ وَالْآخِرَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } (٨٢) سورة الأنعام .

١١ - الْأَسْتِخْلَافُ فِي الْأَرْضِ وَالتَّمْكِينُ وَالْعِزَّةُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٥٥) سورة النور .

١٢ - دُخُولُ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ: قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } (١٢) سورة محمد

١٣- الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب-إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله-عز وجل- قال تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٩٧) سورة النحل .

١٤- حلول الخيرات ونزول البركات: قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٩٦) سورة الأعراف .

١٥- الهداية لكل خير: قال تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (١١) سورة التباين . وقال: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (٩) سورة يونس . وقال تعالى : { وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ } (٢٤) سورة الحج .

١٦- السلامة من الخسارة: قال تعالى : [وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ] (العصر: ١-٣).

١٧- الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله: قال عز وجل { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ } (٣٨) سورة الحج .

١٨- تكفير السيئات: قال تعالى : [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ] (محمد: ٢).

١٩- الرفعة والعلو: قال تعالى : { ...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (١١) سورة المجادلة .

٢٠- إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان الحقيقي . فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي ، قَالَ : أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ " (أخرجه الحاكم في المستدرک) <sup>١٠٢</sup>

٢١- قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، { .. وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } (٣) سورة الطلاق ، وقال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) [الأنفال/٢-٥] }

<sup>١٠٢</sup> برقم (٧٨٤٤) وهو حسن

٢٢- الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله. قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٣) سورة الأحزاب

٢٣- حسنُ الخلق: فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انخرق أثر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعده عن الإيمان. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٩٠) سورة النحل

٢٤- الإعانة على تحمل المشاق: فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق، والقيام بالطاعات، وترك الفواحش والمنكرات.

٢٥- الذكرُ الحسن: فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.

٢٦- عزة النفس: فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذكلاً للمخلوقين.

٢٧- إن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

٢٨- ولاية الله لعبده المؤمن ..

قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥٧) سورة البقرة  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبِبُوهُ. فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ». (أخرجه البخاري) ١٠٣ .

٢٩- استغفارُ الملائكة لهم، يقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) [غافر/٧-٩] }

٣٠- السعادة التي يجدها المسلم في لذة العبادة، وهي الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين يقول الله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٩٧) سورة النحل. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » . (أخرجه الشيخان) ١٠٤ .

وقال العلامة ابن القيم رحمه في مدارج السالكين ١٠٥: "فإنه لا نعيم له ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره والفرح والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائه، فهذه جنته العاجلة، كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة، فله جنتان لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولى وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وقال بعض العارفين: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إهم لفي عيش طيب، وقال بعض المحبين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيّب ما فيها، قالوا: وما أطيّب ما فيها؟ قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه أو نحو هذا من الكلام، وكل من له قلب حي يشهد هذا ويعرفه ذوقاً.."

٣١- من سلطان الشيطان . ذلك أن الشيطان يوسوس لكل أحد ويدله إلى ما يهلكه، وقد جعل الله لعباده المؤمنين حصوناً يمتنعون فيها من وسوسته، يقول الله تعالى: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } سورة النحل (٩٨ - ١٠٠)

٣٢- يمد الإنسان بقدره كبيرة على تحمل المصائب. قال تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } (١٤٦) سورة آل عمران .

وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » . (رواه مسلم) ١٠٦ .



١٠٤ - صحيح البخارى برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٦٩٨١)

١٠٥ - مدارج السالكين - (ج ٣ / ص ٧)

١٠٦ - برقم (٧٦٩٢)

**الركنُ الثاني**  
**الإيمانُ بالملائكة**  
**المبحث الأول**  
**ما يتعلق بالإيمان بهم**  
**المطلب الأول**  
**تمهيد**

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان ولا يصح الإيمان إلا به ويتضمن الإيمان بوجودهم ، وما لهم من الصفات الخلقية والخلقية التي يتناسب مع مكانتهم ووظائفهم، وأنهم في عبادة دائبة لربهم ، ولهم مقامات مختلفة ، وهم درجات عند ربهم ، ولكلٍّ منهم مقامٌ معلوم ، ويقومون بتدبير أمر الخلائق بأمر ربهم ، ومنهم حملة الوحي الإلهي إلى الرسل من البشر عليهم السلام ، ولهم صلوات حميمة مع عباد الله المؤمنين ، كما يسلبهم الله على الكافرين ليتزل بهم ما شاء من عقوبات ، وهم جند الله في أحداث الساعة ، ومنهم حزنة الجنة والنار .

=====

## المطلب الثاني ما الملائكة ؟

الملائكة : عباد مكرمون ، خلقهم الله من نور ، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »<sup>١٠٧</sup> ..

وهم في تسبيح دائمٍ ويدبرون شئون الكون بأمرٍ رهم وهم لا يفرطون .

قال تعالى: { فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ\* } (٣٨) سورة فصلت، وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (٦) سورة التحريم.

=====

---

<sup>١٠٧</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٧٦٨٧ ) - المارج : لخب النار المختلط بسواها

### المطلب الثالث حكم الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة واجب ، وهو ركن من أركان الإيمان. قال تعالى: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة: ٢٨٥].

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : " قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " قَالَ: صَدَقْتَ. " ١٠٨

وإنكار وجودهم كفر. قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١٣٦) سورة النساء.

وفيه مباحث عديدة



## المبحث الثاني صفات الملائكة

إن العلم بالملائكة من الأمور الغيبية التي لا يصل إليها العقل المجرد ، وإنما السبيل لمعرفةهم هو الخبر الصادق عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ .

وقد جاءت الأخبار التي تفيد بوجود الملائكة وتذكر صفاتهم الخلقية والخلقية :

### المطلب الأول صفاتهم الخلقية

#### (١) أولو أجنحة :

ذكر القرآن الكريم أن للملائكة أجنحة. قال تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١) سورة فاطر .

ومن زاد الله في عدد أجنحته جبريل عليه السلام ، فعن الشَّيْبَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ زُرَّارًا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ( فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) [النجم : ٩ - ١١] ) قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةِ جَنَاحٍ .<sup>١٠٩</sup>

#### (٢) قدرتهم على التمثل بالبشر :

وهب الله سبحانه وتعالى ملائكته القدرة على التمثل بصور البشر. فقال عن جبريل عليه السلام في قصة مريم العذراء { فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } (١٧) سورة مريم ، وقال في قصة ضيف إبراهيم من الملائكة عليهم السلام الذين جاءوه على صورة بشر { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ } (٢٤) سورة الذاريات. وكان جبريل عليه السلام يتمثل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه. وعن أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِي ، قَالَ : أُنْبِئْتُ ؛ أَنَّ جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ، ثُمَّ قَامَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَأُمِّ سَلَمَةَ : مَنْ هَذَا ، أَوْ كَمَا قَالَ ؟ قَالَ : قَالَتْ : هَذَا دِحْيَةُ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : إِيْمُ اللَّهُ ، مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ ، أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ : مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ..<sup>١١٠</sup>

<sup>١٠٩</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٨٥٧ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٤٥٠ )

<sup>١١٠</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٦٣٤ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٤٦٩ )

وَعَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً بَنُ مَسْعُودٍ ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةً.(رواه مسلم )<sup>١١١</sup> - يعني أنه يشبهه حين يتمثل في صورته الآدمية .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تِلِدَ الْأُمَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »<sup>١١٢</sup> .

### ٣) لا يبالغهم سأم ولا عجز ولا فتور في عبادتهم :

إن الملائكة كثيرو الطاعة والعبادة لله تعالى: حمدا وتسبيحا وتزيها وطاعة لأوامره دون كليل أو ملل، قال الله تعالى : وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) [الأنبياء/١٩-٢٠]

والملائكة ، الذين هم عند الله بهذا المكان الرفيع ، لم تخرج بهم منزلتهم هذه عن أن يكونوا عبادا من عباد الله يدينون له بالولاء ويتقربون إليه بالعبادة : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ».. إنهم في عبادة دائمة متطلعة ، وذكر لله لا يفترون عنه!

والسؤال هنا ، هو : إذا كان الملائكة على هذا الصفاء النوراني الذي خلقوا منه ، وعلى تلك العبادة الدائبة والطاعة الدائمة ، فلم هذا الخوف ؟ ولم تلك الخشية ؟ كما يقول سبحانه : « وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيفَتِهِ » (١٣ : الرعد) والجواب على هذا ، هو أن الملائكة لقرهم من الله

<sup>١١١</sup> - المسند الجامع - (٤ / ٦٩٩) (٢٩٣٠) وصحيح مسلم- المكثر - (٤٤١) -الضرب : الخفيف اللحم المشوق المستدق

<sup>١١٢</sup> - صحيح مسلم- المكثر - (١٠٢)

الأنف : المستأنف الذي لم يسبق به قدر -يتقفر : يطلب ويتبع ويجمع

سبحانه وتعالى ، ولكمال معرفتهم بماله سبحانه وتعالى من جلال وكمال — هم أكثر عباد الله ولاء لله ، وانقيادا له ، وفناء فيه .. فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، ومن كان إلى الله أقرب كان لجلاله وسلطانه أرهب.!

يقول الله سبحانه وتعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ».. فالعلماء بالله ، العارفون به ، هم أكثر الناس خشية له ، وولاء لذاته .. والملائكة يعلمون أكثر مما يعلم العالمون من جلال الله وسلطانه ، وعظمته ..<sup>١١٣</sup>

وقال الله تعالى: { فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (٣٨) سورة فصلت.

أي إن استكبر هؤلاء المشركون عن عبادة الله ، وأبوا أن يعطوا ولاءهم خالصا مطلقا له ، فالله سبحانه وتعالى في غنى عنهم ، وإن استكبارهم هذا سيوقعهم تحت غضب الله ، الذي لا يرجون له وقارا ، ولا يخشون له بأسا .. وهذا ضلال مبين منهم ، باستخفافهم بقدرته الله وبأس الله .. فالملائكة الذين هم أقرب خلق الله إليه سبحانه — وهم الملائكة المقربون — لم يكن لهم من هذا القرب ما يخليهم من خوف الله وخشيته لحظة واحدة ، بل لقد كان خوفهم من الله وخشيته لله على قدر قربهم منه .. فكلما ازدادوا قربا من الله ازدادوا خوفا وخشية ، لأنهم يرون من جلال الله ، ويشهدون من عظمته وقدرته مالا يشهده غيرهم .. وإنه على قدر المعرفة والشهود ، تكون الخشية ويكون الولاء ، ولهذا فهم يسبحون الليل والنهار ، في صورة متصلة دائمة ، « لا يسأمون » من هذا التسبيح ، ولا يملّون ، بل يزدادون مع دوام التسبيح نشاطا وقوة ، لما يجدون من لذة ورضا بهذا الذكر المتصل الذي لا ينقطع به أنسهم وحبورهم في مناجاة ربهم ..<sup>١١٤</sup>

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ : " تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ " قَالُوا : مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ ، قَالَ : " إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطُ السَّمَاءِ ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَنِيطَ ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرِ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ " رواه الطبراني.<sup>١١٥</sup>

٤) قدر اقم العظيمة :

<sup>١١٣</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٩ / ٨٥٨)

<sup>١١٤</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٢ / ١٣٢٣)

<sup>١١٥</sup> - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٣٣١) (٣٠٥١) والصحيحة (٨٥٢) وصحيح الجامع (٩٥) صحيح لغیره

-الأطيط : أصوات الإبل والمراد وجود أصوات شديدة دلالة على كثرة الملائكة وازدحامها- أط : صوت والمراد كثرت الملائكة فيها حتى أحدثت صوتا وضجة

لقد خلق الله الملائكة بقدرات عظيمة تتناسب مع ما كلفهم به من أعمال، مثل : تدبير أمر الخلائق ، وحراسة السماء ، وإهلاك الظالمين ، ونفخ الأرواح وقبضها ، ونفخ الصور ، والقيام بأعمال خزانة الجنة والنار كما سيأتي تفصيله .

#### ٥) تأذيتهم مما يتأذى منه بنو آدم :

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ - وَقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » رواه مسلم.<sup>١١٦</sup>

#### ٦) لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون :

قدم النبي إبراهيم عليه السلام لضيفه من الملائكة عجلًا حينذا فلم يأكلوا منه ، قال تعالى : { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) } [الذاريات : ٢٤ - ٢٨]

قوله تعالى : « فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ » .. راغ لأهله : أي مال إلى أهله ، وانسرب إليهم في خفة من غير أن يكشف ضيفه بما يريد من إكرامهم وإعداد الطعام لهم .. فذلك من شأنه أن يخرج الضيف ، ويحمله على أن يطلب إلى مضيفه ألا يفعل ..

قوله تعالى : « فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ » ؟ — هنا إيجاز حذف دلّ عليه المقام .. أي فقرّبه إليهم ، فلم يمدّوا أيديهم إليه ، ولم يقبلوا على الأكل منه ، كما هو شأن الضيف حين يقدم إليه .. الطعام فلما رأى ذلك منهم نكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، وقال : « أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ » ..

قوله تعالى : « فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ » .. وهنا كلام محذوف أيضا .. « قال ألا تأكلون » .. فلم يأكلوا ، ولم يستجيبوا لهذه الدعوة المحددة إليهم « فأوجس منهم خيفة » أي فازداد إحساسه بالخوف منهم ، وقوى عنده الشعور الذي وقع في نفسه من أول دخولهم عليه ، ولقائهم له ..

« قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم » — أي أنهم حين رأوا ما انطبع على وجه إبراهيم من أمارات التوجس والخوف ، سكنوا من روعه ، وقالوا له : لا تخف ، ثم ألقوا إليه بهذه البشرى المسعدة ، وهي أن يولد له الولد الذي كان ينتظره منذ شبابه الأول ، وها هو ذا وقد بلغ من الكبر عتياً ، وأخلى يديه من هذا الأمل الذي كان يراوده ، وخاصة أن امرأته كانت عقيماً ، ثم اجتمع مع هذا العقم تجاوزها العمر الذي تلد فيه النساء — ها هو ذا يتلقى هذه البشرى المسعدة. والغلام الذي بشر به هو إسحق ،

<sup>١١٦</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (١٢٨٢)

من زوجه سارة .. « والعليم » ، مبالغة من العلم ، والعلم كان صفة بارزة من صفات إسحق ، كما كان الحلم الصفة البارزة في إسماعيل ، كما يقول سبحانه : « فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلَامٍ حَلِيمٍ » ( ١٠١ ) : الصافات).<sup>١١٧</sup>

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون وشربون ، قال عليه السلام في الروث والعظم : "إنه زاد إخوانكم من الجن" وأيضاً فإنهم يتوالدون قال تعالى : {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي} (الكهف : ٥٠)..<sup>١١٨</sup>

#### (٧) - نفي الأنوثة عنهم :

أنكر القرآن الكريم أشد الإنكار على المشركين الذين وصفوا الملائكة بالأنوثة فقال تعالى : {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (١٩) سورة الزخرف .

وقال في الوجيز : " لا يوصفون بالذكورة والأنوثة ، ولا يتناكحون ، ولا يتناسلون . والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، وإنما طعامهم التسبيح والتهليل ولا يملون ، ولا يفترون ، ولا يتعبون ، ويتصفون بالحسن ، والجمال ، والحياء ، والنظام . "<sup>١١٩</sup>

#### (٨) - قابليتهم للفناء والموت :

يجوز في حق الملائكة الفرع والفناء والموت لقوله تعالى : {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٨) سورة القصص .  
ولقوله تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (٦٨) سورة الزمر .  
والملائكة ممن تشملهم الآية لأنهم من ساكني السماء ، قال تعالى : {وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم .

#### (٩) - كثرة عددهم :

قال تعالى في سياق الحديث عن الملائكة : {.. وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} (٣١) سورة المدثر،

<sup>١١٧</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٣ / ٥١٦)

<sup>١١٨</sup> - الحبايك في أخبار الملائك - (١ / ٨٨) وتفسير الفخر الرازي — موافق للمطبوع - (١ / ٥٢)

<sup>١١٩</sup> - الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة - (١ / ٥٤)

إنها كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ومرضى القلوب عند سماع الأخبار عن عالم الغيب وأمور الآخرة من نحو: ما هذا به أبو جهل في أمر خزنة جهنم يشمل ذلك وغيره، فلذلك كان لهذه الجملة حكم التذليل.

والجنود: جمع جند وهو اسم لجماعة الجيش واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابقتها الجنود في تنفيذ المراد.

وإضافة رب إلى ضمير النبي ﷺ إضافة تشريف، وتعريض بأن من شأن تلك الجنود أن بعضها يكون به نصر النبي ﷺ. ونفي العلم هنا نفي للعلم التفصيلي بأعدادها وصفاتها وخصائصها بقرينة المقام، فإن العلم بعدد خزنة جهنم قد حصل للناس بإعلام من الله لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك.<sup>١٢٠</sup>

وقوله تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» هو ردّ على المستهزئين الساخرين، الذي اتخذوا من عدد التسعة عشر مادة للاستهزاء والسخرية، حتى لقد بلغ بهم القول بأن الله لا يملك من الجند إلا هؤلاء التسعة عشر، ولو كان يملك أكثر منهم لجعلهم عشرين لا تسعة عشر.. وكذبوا وضلوا، فإن جنود الله لا حصر لها، ولا يعلم عددها إلا هو سبحانه وتعالى.<sup>١٢١</sup>

، وقد ورد في حديث الإسراء أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>١٢٢</sup>

وعن أبي ذرٍّ قال قال رسول الله ﷺ - «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»<sup>١٢٣</sup>.

#### ١٠ - مخلوقون من نور:

فعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ - «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». (أخرجه مسلم)<sup>١٢٤</sup>.

<sup>١٢٠</sup> - التحرير والتنوير - (٢٩ / ٢٩٦)

<sup>١٢١</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (١٥ / ١٢٩٩)

<sup>١٢٢</sup> - شعب الإيمان - (٥ / ٤٥٥) (٣٧٠٥) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٢٠٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٢٩) مطولا

<sup>١٢٣</sup> - سنن الترمذى - المكثر - (٢٤٨٢) صحيح لغيره

أطت: الأظيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات: جمع صعد وهى الطرقات -تعضد: تقطع

<sup>١٢٤</sup> - برقم (٧٦٨٧) - المارج: لهب النار المختلط بسواها

لكنه لم يبين لنا النور الذي خلَقوا منه ، لذا فإننا لا نستطيع الخوض في ذلك وإنما الواجب الاعتقاد بصحته وصدقه والتوقف عنده.

أما متى خلَقوا فليس هذا أيضا مما ذكر ، بل الذي جاءت به النصوص أن خلَقهم كان قبل خلق آدم عليه السلام لأنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم عند خلقه ، قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة ، وقال أيضا : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) } سورة الحجر

#### (١١) - عِظْمُ خَلْقِهِم :

لقد ذكر الله تعالى بعض صفات الملائكة في القرآن العظيم ، ومن ذلك عِظْمُ خَلْقِهِم فقد قال تعالى عن ملائكة النار : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (٦) سورة التحريم ، وقال تعالى عن جبريل عليه السلام : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) [الحاقة/ ٤٠ ، ٤١] ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِّنْ مَّلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ » . (أخرجه أبو داود) ١٢٥ .

فهذه النصوص وغيرها تبين عظمة الملائكة ، فالواجب علينا الإيمان بكل ما جاء في ذلك ، مع أننا لا نستطيع تصور كيفياتهم ، إذ كيف نتصور مخلوقات ذات أجنحة مثني وثلاث ورباع والجنح الواحد يسد الأفق ، وجبريل عليه السلام له ستمائة جناح كما ورد بذلك الحديث . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاقُوتِ وَالْدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ . (أخرجه أحمد) ١٢٦

=====

١٢٥ - برقم (٤٧٢٩) وهو صحيح

١٢٦ - برقم (٣٨٢١) وهو صحيح

## المطلب الثاني صفاتهم الخلقية

### ١- أدبهم مع خالقهم سبحانه وتعالى :

فلا يقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه أو يأمرهم به. قال سبحانه وتعالى: { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) } [الأنبياء: ٢٧].

### ٢- لا يستنكفون عن عبادة ربهم ولا يستكبرون :

قال تعالى: { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) } [النساء: ١٧٢]

### ٣-٤- الكرم والبر :

قال تعالى: { فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) } [عبس: ١٣ - ١٦]

وهذه الصحف الإلهية (الصحف المكرمة) معظمة موقرة، عالية القدر، مطهرة من النقائص ولا تشوبها الضلالات. وتنزل هذه الصحف على الأنبياء الكرام بواسطة سفرة كرام بررة هم الملائكة المطهرون، ليقوم الأنبياء بإبلاغها إلى الناس. والملائكة السفرة هم كرام على الله، وأبرار وأطهار لا يقارفون ذنباً، ولا يجترحون إثماً، ويفعلون ما يؤمرون.<sup>١٢٧</sup>

قال بن كثير: "أي: خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد."<sup>١٢٨</sup>

وقال الشوكاني: "قال الحسن: كرام عن المعاصي وقيل يتكلمون أن لا يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجه أو قضى حاجته، وقيل يؤثرون منافع الناس على منافعهم، وقيل يتكلمون على المؤمنين بالاستغفار لهم. والبررة جمع بار.. أي أتقياء مطيعون لربهم صادقون في إيمانهم."<sup>١٢٩</sup>

### ٥- الحياء :

عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت كان رسول الله - ﷺ - مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله - ﷺ -

<sup>١٢٧</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦٤٩)

<sup>١٢٨</sup> - تفسير ابن كثير - (٨ / ٣٢١)

<sup>١٢٩</sup> - فتح القدير - (٧ / ٤٢٠) والتفسير المنير - موافقاً للمطبوع - (٣٠ / ٦٦)

وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّى ثِيَابَكَ فَقَالَ « أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ».<sup>١٣٠</sup>

## ٦- التعفف عن أماكن المعصية :

نهى الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - عن اقتناء الكلاب في البيوت كما حرم اقتناء التماثيل التي تعبد أو تعظم صيانة للتوحيد وتجنباً للتشبه بالوثنيين ، والملائكة تنزه من دخول هذه الأماكن التي تقع فيها هذه المعاصي فلا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة.

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ تَمَائِيلٌ »<sup>١٣١</sup> .  
وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ »<sup>١٣٢</sup> .

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَمَائِيلٌ ».

قَالَ فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا يُخْبِرُنِي أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَمَائِيلٌ ». فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ذَكَرَ ذَلِكَ فَقَالَتْ لَا وَلَكِنْ سَأَحَدُنْكُمْ مَا رَأَيْتُهُ فَعَلَّ رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِي غَزَاتِهِ فَأَخَذَتْ نَمَطًا فَسَرَّتْهُ عَلَى الْبَابِ فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفَتْ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ فَجَذَبَتْهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ وَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ ». قَالَتْ فَقَطَعْنَا مِنْهُ وَسَادَتَيْنِ وَحَشَوْنَهُمَا لِيَفَا فَلَمْ يَعِْبْ ذَلِكَ عَلَيَّ.<sup>١٣٣</sup>

ولا يقربون السكران ، والمضْمَحُ بِالزَّعْفَرَانِ ، والجنب وحيفة الكافر : فعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرُبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ : السَّكْرَانُ ، وَالْمُتَضَمِّحُ بِالزَّعْفَرَانِ ، وَالْحَائِضُ ، أَوْ الْجَنْبُ.<sup>١٣٤</sup>

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرُبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ حِيْفَةُ الْكَافِرِ وَالْمُتَضَمِّحُ بِالْخُلُقِ وَالْجَنْبُ إِلَّا أَنْ يَتَوَضَّأَ »<sup>١٣٥</sup> .

<sup>١٣٠</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٦٣٦٢ ) - تمتش : تغير من الجلسة

<sup>١٣١</sup> - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٢٢٥ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٥٦٣٦ )

<sup>١٣٢</sup> - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٣٢٢ )

<sup>١٣٣</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٥٦٤١ و ٥٦٤٢ ) - النمط : نوع من البسط رقيق كالقטיפه

<sup>١٣٤</sup> - الصحيحة ( ١٨٠٤ ) وصحيح الجامع ( ٣٠٦٠ ) وكشف الأستار - ( ٣ / ٣٥٤ ) ( ٢٩٢٩ ) صحيح لغيره

<sup>١٣٥</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤١٨٢ ) حسن

## ٧-عبادة الملائكة لربهم :

الملائكة في عبادة دائمة وطاعة مطلقة ، وهم معصومون من ارتكاب المعصية متعبدون بالطاعة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ ، وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى ، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لِتُنْقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، الَّتِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الْكُفَرَةِ ، وَالْحِجَارَةُ ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، أَشِدَّاءُ عَلَيْهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرِ بِهِ ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .<sup>١٣٦</sup>

فهم من ذلك الخلق المغيب الذي لا يعلم طبيعته وقوته إلا الله وقد قال لنا عنهم : إنهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» فقرر أنهم يطيعون ما يأمرهم به الله ، وأن بهم القدرة على فعل ما يأمرهم. فهم إذن مزودون بالقوة التي يقدرون بها على كل ما يكلفهم الله إياه. فإذا كان قد كلفهم القيام على سقر ، فهم مزودون من قبله سبحانه بالقوة المطلوبة لهذه المهمة ، كما يعلمها الله ، فلا مجال لقهرهم أو مغالبتهم من هؤلاء البشر المضعوفين!<sup>١٣٧</sup>

ومن عبادتهم أنهم يشهدون لله بالألوهية والوحدانية : قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) سورة آل عمران. شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أرادته، الحكيم في أقواله وأفعاله.<sup>١٣٨</sup>

ومن عبادتهم أنهم لا يفترون عن تسبيحهم لله وتقديسهم له سبحانه. قال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} (١٩) {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} (٢٠) [الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] {

وَاللَّهُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَلَقًا وَمُلَكًا وَتَدْبِيرًا وَتَصَرُّفًا ، وَإِحْيَاءً وَحِسَابًا . . . دُونَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ سُلْطَانٍ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ ، الَّذِينَ شَرُفَتْ مَنَزِلَتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَا يَسْتَعْظِمُونَ عِبَادَتَهُ ، وَلَا يَكِلُّونَ عَنْهَا ، وَلَا يَتَعَبُونَ ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ .<sup>١٣٩</sup>

<sup>١٣٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١٣)

<sup>١٣٧</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٧٥٨)

<sup>١٣٨</sup> - التفسير الميسر - (١ / ٣١٧)

وقد حكى الله عنهم أنهم قالوا له سبحانه : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة.

ومن عبادهم أنهم يقومون للصلاة بين يدي ربه صفوفاً مستقيمة. قال تعالى حاكياً قولهم وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) [الصفات : ١٦٤ - ١٦٦].

وَإِنَّ لِكُلِّ مِنَّا مَرْبَّةً لَا يَتَجَاوَزُهَا فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، خُضُوعاً لِعَظَمَتِهِ ، وَخُشُوعاً لِهَيْبَتِهِ . وَإِنَّا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي آدَاءِ الطَّاعَاتِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَاتِ ، لِكُلِّ مِنَّا مَنَزِلَةٌ لَا يَتَعَدَّاهَا ، وَمَرْبَّةٌ لَا يَتَخَطَّاهَا .

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ ». وَذَكَرَ خَصْلَةٌ أُخْرَى . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٠) .

وَإِنَّا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي الصَّلَاةِ فَنُسَبِّحُ الرَّبَّ ، وَنُحَمِّدُهُ ، وَنُزَيِّدُهُ عَنِ التَّقَائِصِ ، فَنَحْنُ عَبِيدُ لَهُ ، فَقَرَأَ إِلَيْهِ ، خَاضِعُونَ لِأَمْرِهِ . ١٤١

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ « مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأَانَا حَلَقًا فَقَالَ « مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ « يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ » ١٤٢ .

ومن عبادهم عمرافهم للبيت المعمور بالصلاة قال عليه الصلاة والسلام وهو يحكي رحلة الإسراء والمعراج : (رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلَّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ) ١٤٣

ومن عبادهم السجود لله رب العالمين : عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكَ

١٣٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٤٥٢)

١٤٠ - صحيح مسلم- المكثر - (١١٩٣)

١٤١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٨٣١)

١٤٢ - صحيح مسلم- المكثر - (٩٩٦)

الحلق : جمع حلقة - الشمس : جمع شمس وهي الثَّوَر التي لا تستقر ولا تسكن لشغبها وشدتها - العزيز : جمع عزة وهي الحلقة المجتمعة من الناس

١٤٣ - صحيح البخاري- المكثر - (٣٢٠٧)

وَاضِعُ جَبْهَتُهُ سَاجِدًا لِلَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحتُمْ قَلِيلًا وَلَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى  
الْفُرْشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ « ١٤٤ .

وهم في خشية دائمة لربهم وإشفاق منه سبحانه. قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا  
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} (٢٨) سورة الأنبياء.  
وينفذون كل ما يأمرهم به الله قال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا  
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة  
التحریم .

=====

---

١٤٤ - سنن الترمذی - المکتز - ( ٢٤٨٢ ) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات : جمع صعد وهي الطرقات -تعضد : تقطع

### المطلب الثالث

#### مقامات الملائكة

إن للملائكة منزلة رفيعة عند الله ، ولهم مع ذلك مقامات متعددة ومنازل متفاوتة. قال تعالى: { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ } [الصفات: ١٦٤] .

قالت الملائكة: وما منا أحدٌ إلا له مقام في السماء معلوم، وإنا لنحن الواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته، وإنا لنحن المترهون الله عن كل ما لا يليق به.<sup>١٤٥</sup>

وفي الحديث عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ « مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ »<sup>١٤٦</sup>.

وأشهر الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام

#### ١- مقام جبريل عليه السلام :

اصطفى الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فجعله أميناً على وحيه وسفيراً إلى أنبيائه ورسله ووصفه بصفات لم يصف بها غيره من الملائكة .

\* **فسماه روح القدس.** قال تعالى: { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل: ١٠٢] .

\* **كما شرفه فخصه بالذكر** وقدمه في الترتيب على سائر الملائكة في القرآن الكريم فقال تعالى: { إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } [التحریم: ٤] .

\* **ومدحه بست صفات** في معرض تبليغه للقرآن الكريم - قال تعالى : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ (٢١) } [التكوير: ١٩-٢١] .

بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ قَالَ إِنَّ مَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ لَيْسَ بِكِبْهَانَةٍ ، وَلَا افْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ نَزَلَ عَلَيْهِ وَحْيًا مِنْ رَبِّهِ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَوَصَفَ تَعَالَى جِبْرِيلَ بِأَنَّهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، أَيَّ عَزِيزٍ عَلَى رَبِّهِ .

ثُمَّ يَتَابِعُ تَعَالَى وَصَفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ : إِنَّهُ ذُو قُوَّةٍ فِي الْحِفْظِ وَالْبُعْدِ عَنِ النَّسْيَانِ وَالْخَطَايَا وَهُوَ ذُو جَاهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ صَاحِبِ الْعَرْشِ أَيُّ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ . تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ

<sup>١٤٥</sup> - التفسير الميسر - ( ٨ / ١٥٤ )

<sup>١٤٦</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٩٩٢ )

وَيَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى إِبْلَاحِ وَحْيِ رَبِّهِ وَرِسَالَاتِهِ ، وَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْخِيَانَةِ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ رَبُّهُ ، وَمِنَ الزَّلَلِ وَالْخَطَا .<sup>١٤٧</sup>

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } يعني: أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل، عليه الصلاة والسلام. قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مهران، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم.

{ ذِي قُوَّةٍ } كقوله { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ [فَاسْتَوَى] (٥) } [النجم: ٥، ٦]، أي: شديد الخلق، شديد البطش والفعل، { عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } أي: له مكانة عند الله عز وجل ومترلة رفيعة.

{ مُطَاعٌ ثُمَّ } أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملاء الأعلى. قال قتادة: { مُطَاعٌ ثُمَّ } أي: في السموات، يعني: ليس هو من أفناد الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، مُعْتَنَى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله: { أَمِينٌ } صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدا ﷺ بقوله: { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ }<sup>١٤٨</sup>

## ٢- ميكائيل - عليه السلام

قرن النبي ﷺ ميكائيل مع جبرائيل وإسرافيل في دعائه عند استفتاحه لصلاة الليل قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »<sup>١٤٩</sup>.

وقد ناصب اليهود العداء لجبريل عليه السلام وادعوا موالاته ميكائيل معللين عداوتهم لجبريل بأنه إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، { قَالَ مَا } أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ إِلَى أَخَوَاتِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « خَبَّرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلُ » . قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَتَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ . وَأَمَّا الشَّيْبَةُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا

<sup>١٤٧</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٦٩٦ )

<sup>١٤٨</sup> - تفسير ابن كثير - ( ٨ / ٣٣٨ )

<sup>١٤٩</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ١٨٤٧ )

عَشِيَ الْمَرْأَةُ فَسَبَقَهَا مَآؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ ، وَإِذَا سَبَقَ مَآؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا . قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهْتُونِي عِنْدَكَ ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَيْ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ » . قَالُوا أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمْنَا وَأَخْبَرْنَا وَابْنُ أَخْبَرْنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ » . قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا . وَوَقَعُوا فِيهِ ١٥٠ .

فإذا كان جبريل عليه السلام وكُل بالوحي الذي تحيا به الأرواح ، فإن ميكائيل موكل بالقطر والنبات الذي تحيا به الأبدان ، وبعملهما تتكامل المنة الربانية والعظمة الإلهية على خلقه أجمعين" ١٥١ .

### ٣- إسرائيل عليه السلام :

وقد ذكره النبي ﷺ في دعائه كما تقدم وقرنه بجبريل وميكائيل عليهم السلام ، وقد اشتهر أنه هو الذين ينفخ في الصور ، قال الحافظ ابن حجر :- اشتهر أن صاحب الصور إسرائيل عليه السلام ونقل فيه الحلبي الإجماع ١٥٢ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ اتَّقَمَ الْقُرْنُ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ » . فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُمْ « قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » ١٥٣ .

### ٤- حملة العرش :

عرش الله مخلوق عظيم يليق بعظمة الله سبحانه ، قال تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } (التوبة: ١٢٩) .

وقد وكل الله بهذا العرش العظيم ملائكة يسبحون بحمد ربهم . قال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (٧) سورة غافر .

وبين القرآن عدد حملة العرش يوم القيامة فقال سبحانه { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة .

١٥٠ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٣٢٩ )

١٥١ - علم الإيمان - ( ١ / ١٤٢ ) ولمزيد من الفائدة انظر إغاثة اللهفان لابن القيم : ١٢٧/٢ - ١٢٨ .

١٥٢ - فتح الباري لابن حجر - ( ١١ / ٣٦٨ )

١٥٣ - سنن الترمذى - المكثر - ( ٢٦١٨ ) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَيَبِّنُ الرَّسُولَ ﷺ - عِظَمَ خَلْقِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ. فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةٍ عَامٍ »<sup>١٥٤</sup>.

#### ٥- المقربون :

لله ملائكة مقربون يشيعون أرواح المؤمنين من كل سماء إلى السماء السابعة كما جاء في حديث البراء بن عازب المشهور: "... فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وَجِدَتْ فَتَعْرُجُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَلَا يَأْتُونَ عَلَى جُنْدٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ ؟ فَيَقَالُ : فُلَانٌ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى بَابِ سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ وَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوها حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ { وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ } فَيَكْتُبُ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ"<sup>١٥٥</sup>.

=====

<sup>١٥٤</sup> - سنن أبي داود - المكثر - (٤٧٢٩) صحيح

<sup>١٥٥</sup> - مسند الطيالسي - (٢ / ١١٤) (٧٨٩) صحيح

## المبحث الثالث أعمال الملائكة

يأمر الله سبحانه وتعالى ملائكته بتدبير شئون الكون وفق أمره. قال تعالى: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} (٥) سورة النازعات، وحدد لكل منهم ما يقوم به فلا يسبقونه بالقول ولا يفرطون فيما أمرهم به، قال تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) { [الأنبياء: ٢٦-٢٧] ، ويوضح هذا أيضا ما رواه البخاري عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِجِبْرِيلَ « أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا » قَالَ فَتَزَلْتُ {وَمَا تَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم. ١٥٦.

ومن تلك الأعمال التي يقوم بها الملائكة ما يأتي :

### ١- إعمار السموات بالعبادة :

خلق الله السماوات السبع وجعل الملائكة الكرام يعمرونها بالتسبيح والتمجيد والعبادة الدائمة والطاعة المطلقة. جاء في حديث الإسراء :- " ..فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ .." ١٥٧

وعن أبي ذرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَخْطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ. وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ ». وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ. ١٥٨

### ٢- تدبير أمر الخلائق :

قال تعالى : { وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) } [النازعات : ١ - ٥]

وقوله : غَرْقًا اسم مصدر من أغرق ، وأصله إغراقا. والإغراق في الشيء ، المبالغة فيه والوصول به إلى نهايته ، يقال : أغرق فلان هذا الأمر ، إذا أوغل فيه ، ومنه قوله : نزع فلان في القوس فأغرق ، أى : بلغ غاية المد حتى انتهى إلى النصل.

١٥٦ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٢١٨ )

١٥٧ - أخرجه البخارى - المكثر - ( ٣٢٠٧ ) ومسلم وغيرهما مطولاً المسند الجامع - ( ١٥ / ٥٧ ) ( ١١٣٢١ )

١٥٨ - سنن ابن ماجه - المكثر - ( ٤٣٣٠ ) صحيح لغيره

أطت : الأُطِيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات : جمع صعد وهى الطرقات -تعضد : تقطع

وهو منصوب على المصدرية ، لالتقائه مع اللفظ الذي قبله في المعنى ، وكذلك الشأن بالنسبة للألفاظ التي بعده ، وهي : « نشطا » و « سبحا » و « سبقا ».

والمعنى : وحق الملائكة الذين يتزعون أرواح الكافرين من أجسادهم ، نزعا شديدا ، يبلغ الغاية في القسوة والغلظة.

ويشير إلى هذا المعنى قوله - تعالى - في آيات متعددة ، منها قوله - سبحانه - : وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ، الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.

وقوله : وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا : المقصود به طائفة أخرى من الملائكة. والناشطات من النشط ، وهو السرعة في العمل ، والخفة في أخذ الشيء ، ومنه الأنشطة ، للعقدة التي يسهل حلها ، ويقال : نشطت الدلو من البئر - من باب ضرب - إذا نزعته بسرعة وخفة.

أى : وحق الملائكة الذين ينشطون ويسرعون إسراعا شديدا لقبض أرواح المؤمنين بخفة وسهولة ويقولون لهم - على سبيل البشارة والتكريم - : يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً.

وقوله - سبحانه - : وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا قسم ثالث بطائفة ثالثة من طوائف الملائكة ، التي تسبح في هذا الكون ، أى : تنطلق بسرعة لتنفيذ أمر الله - تعالى - ، ولتسبيحه ، وتحميده ، وتكبيره ، وتقديسه.

أى : وحق الملائكة الذين يسرعون التنقل في هذا الكون إسراعا شديدا ، لتنفيذ ما كلفهم - سبحانه - به ، ولتسبيحه وتزيهه عن كل نقص ...

وقوله - تعالى - : فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا المقصود به طائفة رابعة من الملائكة ، تسبق غيرها في تنفيذ أمر الله - تعالى - ، إذ السبق معناه : أن يتجاوز السائر من يسير معه ، ويسبقه إلى المكان المقصود الوصول إليه ، كما قال - تعالى - في صفات المتقين : أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ.

وقوله : فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا المقصود به طائفة خامسة من الملائكة ، من وظائفهم تدبير شأن الخلائق ، وتنظيم أحوالهم بالطريقة التي يأمرهم - سبحانه - بها ، فنسبة التدبير إليهم ، إنما هي على سبيل المجاز ، لأن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقضاء الله وتقديره وتديره.

والمراد بالأمر : الشأن والغرض المهم ، وتنوينه للتعظيم ، ونصبه على المفعولية للفظ المدبرات. أى : وحق الملائكة الذين يرتبون شئون الخلائق ، وينظمون أمورهم بالطريقة التي يكلفهم - سبحانه - بها. ١٥٩

١٥٩ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - موافق للمطبوع - (١٥ / ٢٦٣) و تفسير الكشاف ج ٤ ص ٦٩٣ و تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٣٧٢ و تفسير ابن كثير - (١٨ / ٢٩٠)

وقال تعالى : { تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) } [القدر: ٤].  
فهذه الآية واضحة النص والدلالة على أن الملائكة وجبريل عليهم السلام يتزلون بالأوامر من الله سبحانه وتعالى في ليلة القدر من كل عام في العشر الأواخر من رمضان .

### ٣- حراسة السماء :

جعل الله سبحانه وتعالى ملائكة موكلة بحفظ السماء وحراستها من الشياطين. قال تعالى: { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلِئتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) } [الجن: ٨].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : "أي حفظة يعني الملائكة " .<sup>١٦٠</sup>  
يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، حَفِظَ اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنَ الْجِنِّ إِذْ مُلِئتِ السَّمَاءُ حَرَسًا شَدِيدًا ، وَحَفِظَتْ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهَا ، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ مَقَاعِدِهَا لِئَلَّا يَسْتَرْفُوا سَمْعَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا : لَقَدْ طَلَبْنَا خَبَرَ السَّمَاءِ ( لَمَسْنَا السَّمَاءَ ) كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا بِذَلِكَ فَوَجدْنَاهَا قَدْ مُلِئتَ حَرَسًا شَدِيدًا ، وَشُهَبًا تَحْرُسُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَتَمْنَعُنَا مِنْ اسْتِزَاقِ السَّمْعِ .<sup>١٦١</sup>

### ٤- حماية الرسل والوحي :

أحاط الله رسله بملائكة يحفظونهم حتى يبلغوا رسالة ربهم. قال تعالى: { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) } [الجن: ٢٦-٢٨]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : { .. فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) } [الجن: ٢٧] " أَيُّ يَخْصُهُ بِمَزِيدٍ مُعَقَّبَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَيُسَانِدُونَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ " .<sup>١٦٢</sup>

وعن ابن عباس ، قوله : إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا قَالَ : هِيَ مُعَقَّبَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ " .<sup>١٦٣</sup>

### ٥- سوق السحب وإنزال المطر :

إن ما نشاهده من سير السحب وتنقلها من مكان إلى آخر قد يظن بعض الناس أن هذا من تلقاء نفسها ، أو أن الطبيعة العمياء هي التي تصرفها وتوجهها ، ولكن الأمر غير ذلك ، فإن هذا الأمر

<sup>١٦٠</sup> - تفسير القرطبي - موافق للمطبوع - ( ١٩ / ١١ )

<sup>١٦١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٣٣٣ )

<sup>١٦٢</sup> - تفسير ابن كثير - ( ١٨ / ٣٠ )

<sup>١٦٣</sup> - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ( ٣٢٥٩١ ) و تفسير ابن كثير - ( ٨ / ٢٤٧ ) وفيه ضعف

المشاهد والمنضبط بالسنن الربانية تسيره الملائكة بأمر خالقها سبحانه. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ نَسْأَلُكَ ، عَنْ أَشْيَاءَ إِنِ اجْتَبَيْنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ ، وَصَدَّقْنَاكَ وَأَمَّنَّا بِكَ . قَالَ : فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ، قَالُوا : اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : " تَنَامُ عَيْنَاهُ ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ " ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤْتِ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذَكِّرُ ؟ قَالَ : " يَلْتَقِي الْمَاءَانِ ، فَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آتَتْ ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ " قَالُوا : صَدَقْتَ ، قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : " مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ " قَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ ؟ قَالَ : " زَجْرَةُ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ " ، قَالُوا : صَدَقْتَ . قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؟ قَالَ : " كَانَ يَسْكُنُ الْبَدْوَ ، فَاشْتَكَى فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَنَاهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا " ، قَالُوا : صَدَقْتَ ، قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا مِنَ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَأْتِيهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالرَّسَالَةِ ، وَالْوَحْيِ ، فَمَنْ صَاحِبُكَ ؟ فَإِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ قَالَ : " جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " قَالُوا : ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، ذَلِكَ عَدُوُّنَا ، لَوْ قُلْتَ : مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ تَابَعْنَاكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } (٩٧) سورة البقرة ١٦٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ ، فَتَتَبَعَ الْمَاءَ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : فُلَانٌ - لِلَّاسِمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، لِاسْمِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا ، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلَاثًا ، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ " ١٦٥

#### غيث الاستقاء :

ويظهر عمل الملائكة الموكلة بالقطر جلياً في سوق السحاب وإنزال المطر في الأماكن التي لجأ أهلها إلى الله طالبين السقيا بصلاة الاستسقاء ، مما يدل على أن هذا السحاب يساق والمطر ينزل إلى المكان المطلوب بفعل الملائكة كما جاء في الحديث السابق (اسق حديقة فلان) .

١٦٤ - الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١٢٢٦١) و سنن الترمذى - المكثر - (٣٤٠٦) صحيح

١٦٥ - صحيح مسلم - المكثر - (٧٦٦٤) - الحرة : أرض بها حجارة سوداء كثيرة - المسحاة : أداة القشر والجرف المصنوعة من الحديد - الشرجة : مسيل الماء

وقد ورد ذكره في حديث آخر فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال سألت عائشة أم المؤمنين بأى شئ كان نبي الله - ﷺ - يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » (أخرجه مسلم) ١٦٦ .

ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة .

## ٦- الموكل بالجمال :

وكل الله سبحانه وتعالى بالجمال الرواسي ملكاً ، هو ملك الجبال كما جاء في الحديث عن عروة ؛ أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته ، أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فأنطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد اطلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً . ١٦٧ .

## ٧- حراسة مكة والمدينة من الدجال :

جعل الله سبحانه وتعالى ملائكة تحرس مكة والمدينة من دخول الدجال إليهما ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال « ليس من بلد إلا سيطوه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين ، يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج الله كل كافر ومنافق » ١٦٨ .

النقب في اللغة : هو الخرق في الجلد أو الجدار أو نحوهما والأنقاب جمع نقب . وعندما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لم يكن في مكة والمدينة نقب واحد ، أما اليوم فمكة محاطة بالأنقاب التي أصبحت مداخل رئيسة إلى مكة ، وللمدينة بعض الأنقاب .

١٦٦ - صحيح مسلم برقم (١٨٤٧)

١٦٧ - صحيح البخاري- المكثر - (٣٢٣١) وصحيح مسلم- المكثر - (٤٧٥٤)

-الاستيفاقه : استيفاع من أفاق إذا رجع إلى ما كان قد شغل عنه وعاد إلى نفسه - الأخشبان : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، سُميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما -الصلب : ظهر الرجل وهو مصدر المني

١٦٨ - صحيح البخاري- المكثر - (١٨٨١) وصحيح مسلم- المكثر - (٧٥٧٧)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ليس من بلدٍ إلَّا سيَّطُوهُ الدَّجَالُ إلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ " ١٦٩

وقال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: ليس من بلدٍ إلَّا سيَّطُوهُ الدَّجَالُ إلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، ليس نَقَبٌ من أنقابها إلَّا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، فينزل السَّحَابُ ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومُنافق.

وعن أنس ، عن النبي ﷺ ، قال : الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ ، فيجد الملائكة يحرسونها ، فلا يدخلها الدَّجَالُ وَلَا الطَّاعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وعن أبي بكره ، أن النبي ﷺ ، قال : لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ. " ١٧٠

#### ٨- الموكَّل بالرحم وتصوير الأجنة :

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، فيقول : أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ ، أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ ، أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا ، قَالَ : قَالَ الْمَلَكُ : أَيُّ رَبِّ ، ذَكَرٌ ، أَوْ أُنْثَى ؟ شَقِيٌّ ، أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟ فيكتب كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. " ١٧١

كما حددت الأحاديث الأخرى اليوم الذي يقوم فيه الملك بالتصوير ، وخلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظم والجنس (ذكر أم أنثى) ، ونفخ الروح فيه لينتقل من الحياة النباتية إلى الحياة الآدمية. ففي الحديث عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره. فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - - يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير عمل فقال له الرجل أتعجب من ذلك فأتى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم. قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله. فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يرققه. فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص ». ١٧٢

١٦٩ - أخبار مكة للفاكهي - ( ٢ / ٢٦٣ ) ( ١٤٨٣ ) صحيح

١٧٠ - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢١٤ ) ( ٦٨٠٣ - ٦٨٠٥ ) وجلها في الصحيحين

١٧١ - المسند الجامع - ( ٣ / ٤٥ ) ( ١٥٩٥ ) وصحيح البخاري - المكثر - ( ٣١٨ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٩٠٠ )

١٧٢ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٨٩٦ )

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ نِتْنَانٍ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا ، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجَلَدَهَا وَلَحَمَهَا وَعَظْمَهَا ، وَقَالَ : يَا رَبِّ ، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : رِزْقُهُ ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، وَالصَّحِيفَةُ فِي يَدِهِ ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يُنْقِصُ " .<sup>١٧٣</sup>

.وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يرى الناس في زماننا هذا مراحل تطور الجنين ومشاهدة أحواله في رحم أمه بواسطة الأجهزة المصنوعة لذلك ، مما جعل هذا الحديث الشريف آية شاهدة على معجزة النبي ﷺ .

#### ٩- الموكلون بحفظ الإنسان :

وكَّلَ الله سبحانه وتعالى ببني آدم حفظة من ملائكته الأبرار ، يحيطونه بالحفظ والرعاية فينجو من وقوع الشر والآفات ، ولولا ذلك لما استطاع الإنسان العيش في أرض فيها الكثير من المخاطر ، والمخلوقات الشريرة والوحوش المفترسة ، والزواحف السامة ، والحشرات الضارة ، والكائنات الدقيقة الفتاكة والأشعة الضارة، وغيرها من أسباب المخاطر المهلكة. قال تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } (٦١) سورة الأنعام

وإرسال الحفظة عليهم مراقبتهم لهم وإحصاء أعمالهم وكتابتها وحفظها في الصحف التي تنشر يوم الحساب ، وهي المرادة بقوله تعالى « وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ » .

وهؤلاء الحفظة الملائكة الذين قال الله تعالى فيهم « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ » ونحن نؤمن بهذه الكتابة ولا نعرف صفتها ولا نتحكم فيها بآرائنا.<sup>١٧٤</sup>

فهو صاحب السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره. هم ضعاف في قبضة هذا السلطان لا قوة لهم ولا ناصر. هم عباد. والقهر فوقهم. وهم خاضعون له مقهورون ..

وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة .. وهذه هي الحقيقة التي ينطق بها واقع الناس - مهما ترك لهم من الحرية ليتصرفوا ، ومن العلم ليعرفوا ، ومن القدرة ليقوموا بالخلافة - إن كل نفس من أنفاسهم بقدر وكل حركة في كيانهم خاضعة لسلطان الله بما أودعه في كيانهم من ناموس لا يملكون أن يخالفوه. وإن كان هذا الناموس يجري في كل مرة بقدر خاص حتى في النفس والحركة!

« وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً » .. لا يذكر النص هنا ما نوعهم .. وفي مواضع أخرى أنهم ملائكة يحصون على كل إنسان كل ما يصدر عنه .. أما هنا فالمقصود الظاهر هو إلقاء ظل الرقابة المباشرة على كل

<sup>١٧٣</sup> - المعجم الكبير للطبراني - ( ٣ / ٢٩٤ ) ( ٢٩٧٢ ) صحيح

<sup>١٧٤</sup> - تفسير الشيخ المراغي - موافقا للمطبوع - ( ٧ / ١٤٧ )

نفس. ظل الشعور بأن النفس غير منفردة لحظة واحدة ، وغير متروكة لذاها لحظة واحدة. فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركة وكل نامة ويحفظ ما يصدر عنها لا يند عنه شيء .. وهذا التصور كفيلا بأن ينتفض له الكيان البشري وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة ..<sup>١٧٥</sup>

وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١) سورة الرعد قال ابن كثير: "أَيُّ لِّلْعَبْدِ مَلَائِكَةٍ يَّتَعَاقِبُونَ عَلَيْهِ حَرَسَ اللَّيْلِ وَحَرَسَ النَّهَارِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةُ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فَائْتَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ وَصَاحِبُ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ وَاحِدٌ مِنْ وَرَائِهِ وَآخَرُ مِنْ قُدَّامِهِ فَهُوَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَمْلَاكَ النَّهَارِ وَأَرْبَعَةِ آخَرِينَ اللَّيْلِ بَدَلًا حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « الْمَلَائِكَةُ يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ ، يَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » .<sup>١٧٦</sup>

وعن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال « يَا أَكْثَرُكُمْ وَالتَّعَرَّى فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ » .<sup>١٧٧</sup>

عن ابن عباس ، قوله : " يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَقُولُ : بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَالْمُعَقَّبَاتُ : هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ "

وعن سعيد بن جبيرة : يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَالَ : " الْمَلَائِكَةُ : الْحَفَظَةُ ، وَحِفْظُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " وعن مجاهد ، في قوله : لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَالَ : " الْحَفَظَةُ هُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ "

وعن مجاهد ، في قوله : لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ قَالَ : " مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " ذَكَرُ مَنْ قَالَ : تَحْفَظُهُ الْحَرَسُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وعن مجاهد ، أنه قال : " مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ مُّوَكَّلٌ يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقْظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ ، فَمَا مِنْهُمْ شَيْءٌ يَأْتِيهِ يُرِيدُهُ إِلَّا قَالَ : وَرَاءَكَ ، إِلَّا شَيْئًا يَأْذَنُ اللَّهُ فَيُصِيبُهُ " \*

<sup>١٧٥</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٢ / ١١٢٢ )

<sup>١٧٦</sup> - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - ( ١ / ٤٦٤ ) ( ٢٢٧١ ) وصحيح البخاري - المكثر - ( ٥٥٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ١٤٦٤ )

<sup>١٧٧</sup> - سنن الترمذي - المكثر - ( ٣٠٣٠ ) حسن لغيره

وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، قَالَ : " لَوْ تَجَلَّى لِابْنِ آدَمَ كُلُّ سَهْلٍ وَحَزَنٍ ، لَرَأَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ شَيْطَانٍ ، لَوْ أَنَّ اللَّهَ وَكَلَّ بِكُمْ مَلَائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعِمِكُمْ ، وَمَشْرَبِكُمْ ، وَعَوْرَاتِكُمْ ، إِذَنْ لَتُخْطِفْتُمْ "

وَعَنْ أَبِي مِجَلَزٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَ : احْتَرِسْ ، فَإِنَّ نَاسًا مِنْ مُرَادٍ يُرِيدُونَ قَتْلَكَ فَقَالَ : " إِنْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مَلَائِكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ يُقَدَّرْ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ "

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : " مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَذُودُ عَنْهُ حَتَّى يُسَلِّمَهُ لِلَّذِي قُدِّرَ لَهُ " . وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : يَحْفَظُونَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ <sup>١٧٨</sup>

وقال المراغي : " (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أي للإنسان ملائكة يتعاقبون عليه : حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من المضار ويراقبون أحواله ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ أعماله من خير أو شر ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من ورائه وآخر من قدامه ، فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا ، حافظان وكتابان كما

جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْمَعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَأْتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ . <sup>١٧٩</sup>

وإذا علم الإنسان أن هناك ملائكة تحصى عليه أعماله كان حذرا من وقوعه في المعاصي خيفة أن يطلع عليه الكرام الكاتبون ويزجره الحياء عن الإقدام على فعل الموبقات كما يحذر من الوقوع فيها إذا حضر من يستحي منه من البشر ، وهو أيضا إذا علم أن كل عمل له في كتاب مدّخر يكون ذلك رادعا له داعيا إلى تركه .

وليس أمر الحفظة بالبعيد عن العقل بعد أن أثبتته الدين وبعد أن كشف العلم أن كثيرا من الأعمال العامة يمكن إحصاؤها بآلات دقيقة لا تدع منها شيئا إلا تحصيه ، فقد أصبحت المياه والكهرباء في المدن تعدّ بالآلات (العدادات) فالمياه التي يشربونها ، والكهرباء التي يضيئون بها منازلهم تحصى وتعدّ كما يعدّ الدرهم والدينار ، وكذلك هناك آلات تحصى المسافات التي تقطعها السيارات في سيرها ،

<sup>١٧٨</sup> -جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ( ١٨٤٧١-١٨٤٨٨ )

<sup>١٧٩</sup> - صحيح البخاري- المكثر - ( ٥٥٥ ) و صحيح مسلم- المكثر - ( ١٤٦٤ ) وصحيح ابن حبان - ( ٢٩ / ٥ ) ( ١٧٣٧ )  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ إِذَا تَنَزَّلُوا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَحِينَئِذٍ تَصْعَدُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ ، ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ تَنَزَّلُ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ .

وأخرى تخصى تيارات الأنهار ومساقط المياه إلى غير ذلك من دقيق الآلات التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة من الأعمال إلا تكتبها وتحصوها.

وكلما تقدمت العلوم وكشفت ما كان غائبا عنا كان في ذلك تصديق أيما تصديق لنظريات الدين ، ووسيلة حافزة إلى الاعتراف بما جاء فيه مما يخفى على بعض الماديين الذين لا يقرّون إلا بما يرونه رأى العين ، ولا يذعنون إلا بما يقع تحت حسهم ، وبهذا يصدق قول القائل (الدين والعقل في الإسلام صنوان لا يفترقان ، وصديقان لا يختلفان).

(يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي هم يحفظونه بأمر الله وإذنه وجميل رعايته وكلاءته ، فكما جعل سبحانه للمحسوسات أسبابا محسوسة ربط بها مسبباتها بحسب ما اقتضته حكمته ، فجعل الجفن سببا لحفظ العين مما يدخل فيها ، فيؤذيها ، كذلك جعل لغير المحسوسات أسبابا ، فجعل الملائكة أسبابا للحفظ ، وأفعاله تعالى لا تخلو من الحكم والمصالح.

وكذلك جعل لحفظ أعمالنا كراما كاتبين وإن كنا لا ندري ما قلمهم وما مدادهم ؟ وكيف كتابتهم ؟ وأين محلهم ؟ وما حكمة ذلك ؟ مع أن علمه تعالى بأعمال الإنسان كاف في الثواب والعقاب عليها ، وقد يكون من حكمة ذلك أنه إذا علم الإنسان أن أعماله محفوظة لدى الحفظة الكرام كان أجدر بالإذعان لما يلقاه من ثواب وعقاب يوم العرض والحساب.<sup>١٨٠</sup>

## ١٠ - كتابة الأعمال :

وكّل الله بكل إنسان ملكين حاضرين عن يمينه وشماله ملازمين له ، لا يفارقانه لحظة من الزمان ، يحصيان عليه كل أقواله وأفعاله ، بل ويعلمان همّه بالحسنة والسيئة ، وقد بين القرآن ذلك فقال تعالى : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (١٨) سورة ق

وهو بيان شارح لوظيفة الجنديين القاعدين عن يمين الإنسان وعن شماله .. فهما واقفان للإنسان بالمرصاد .. ما يلفظ من قول إلا كان على هذا القول « رقيب » أي مراقب ، يسمع ما يقال ، ويسجله ، وهو « عتيد » أي حاضر دائما لا يغيب أبدا .. وليس رقيب وعتيد ، اسمين للملكين القائمين على الإنسان ، الموكلان به ، وإنما ذلك وصف لكل منهما ، فكل منهما رقيب يقظ ، حاضر أبدا ..<sup>١٨١</sup>

وعَنْ كِنَانَةَ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَبْدِ كَمْ مَعَهُ مِنْ مَلَكٍ ؟ قَالَ : " مَلَكٌ عَلَى يَمِينِكَ عَلَى حَسَنَاتِكَ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الَّذِي عَلَى الشَّمَالِ ، فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشَّمَالِ لِلَّذِي عَلَى

<sup>١٨٠</sup> - تفسير الشيخ المراغي - موافقا للمطبوع - (١٣ / ٧٦) وانظر التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٧ / ٨٠)

<sup>١٨١</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (١٣ / ٤٧٩)

الْيَمِينِ : أَكْتُبُ ؟ قَالَ : لَا لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ ، فَإِذَا قَالَ ثَلَاثًا ، قَالَ : نَعَمْ ، اكْتُبْ ، أَرَاخَنَا اللَّهُ مِنْهُ ، فَبَيَّسَ الْقَرَيْنَ ، مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلَّهِ ، وَأَقَلَّ اسْتِحْيَاءَهُ مِنَّا يَقُولُ اللَّهُ : مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَمَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ ، يَقُولُ اللَّهُ : لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمَلَكَ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ ، فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ ، وَإِذَا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ قَصَمَكَ ، وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَمَلَكَ قَائِمٌ عَلَى فِكَ لَا يَدْعُ الْحَيَّةَ تَدْخُلُ فِي فِكَ ، وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ فَهَؤُلَاءِ عَشْرَةُ أَمْلَاحٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ ، يَنْزِلُونَ مَلَائِكَةً اللَّيْلِ عَلَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ ، لِأَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ سِوَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ ، فَهَؤُلَاءِ عَشْرُونَ مَلَكًا عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ ، وَإِبْلِيسُ بِالنَّهَارِ وَوَلَدُهُ بِاللَّيْلِ<sup>١٨٢</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّاىَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ ».<sup>١٨٣</sup>

وقال تعالى: { كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) } [الانفطار : ٩ - ١٢]

والحافظون ، هم الملائكة الموكلون بالناس ، وتسجيل ما يعملون من خير أو شر .. وهم الكرام عند الله ، المكرمون بفضله وإحسانه ، الكاتبون لما يعمل الناس ..<sup>١٨٤</sup>

أى : وإن عليكم ملائكة من صفاتهم أنهم يحفظون أعمالكم ، ويسجلونها عليكم ، وأنهم لهم عند الله - تعالى - الكرامة والمثلة الحسنة ، وأنهم يكتبون أعمالكم كلها ، وأنهم يعلمون أفعالكم التي تفعلونها سواء أكانت قليلة أم كثيرة ، صغيرة أم كبيرة.

فالمقصود بهذه الآيات الكريمة : بيان أن البعث حق ، وأن الحساب حق ، وأن الجزاء حق ، وأن أعمال الإنسان مسجلة عليه تسجيلًا تامًا ، بواسطة ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أما كيفية هذه الكتابة من الملائكة لأعمال الإنسان ، وعلى أى شيء تكون هذه الكتابة ، ومتى تكون هذه الكتابة ... فمن الأمور التي يجب الإيمان بها كما وردت ، مع تفويض كنهها وكيفيةها ودقتها إلى الله - تعالى - لأنه لم يرد حديث صحيح عن المعصوم ﷺ يعتمد عليه في بيان ذلك.<sup>١٨٥</sup>

<sup>١٨٢</sup> - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ( ١٨٤٥٢ ) فيه انقطاع

<sup>١٨٣</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٢٨٦ )

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شَيْطَانَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَسْلَمَ حَتَّى لَمْ يَأْمُرْهُ إِلَّا بِخَيْرٍ ، لَا أَنَّهُ كَانَ يَسْلَمُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا. صحيح ابن حبان - ( ١٤ / ٣٢٧ )

<sup>١٨٤</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - ( ١٥ / ١٤٨٣ )

<sup>١٨٥</sup> - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - موافق للمطبوع - ( ١٥ / ٣١٣ ) و في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - ( ٦ / ٣٨٥١ )

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا سَيِّئَةً وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَاتَّكَبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا عَشْرًا »<sup>١٨٦</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، قَالَ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلَهَا ، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ سَيِّئَةً ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا ، فَاَمْحُوهَا عَنْهُ ، وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلَهَا ، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ.

وَعَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا مِثْلَهَا ، فَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي ، فَاتَّكَبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً ، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا لَهُ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْمَلَهَا ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلَهَا ، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، كُتِبَتْهَا وَاحِدَةً<sup>١٨٧</sup>.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " صَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِينٌ عَلَى صَاحِبِ الشَّامِ ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَأَرَادَ صَاحِبُ الشَّامِ أَنْ يَكْتُبَهَا قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ ، فَيَمْسِكُ سِتَّ سَاعَاتٍ أَوْ سَبْعَ سَاعَاتٍ ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً " <sup>١٨٨</sup>

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنْ صَاحِبَ الشَّامِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ " وَفِي رِوَايَةٍ.. سَبْعَ سَاعَاتٍ - عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ الْمُسِيءِ ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْهَا أَلْقَاهَا عَنْهُ ، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً " <sup>١٨٩</sup>

<sup>١٨٦</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٣٤٩ )

<sup>١٨٧</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٠٥ / ٢ ) ( ٣٨١-٣٨٣ ) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا : إِذَا هَمَّ عَبْدِي أَرَادَ بِهِ إِذَا عَزَمَ ، فَسَمِيَ الْعَزَمَ هَمًّا ، لِأَنَّ الْعَزَمَ نَهَايَةُ الْهَمِّ ، وَالْعَرَبُ فِي لُغَتِهَا تُطْلِقُ اسْمَ الْبَدَاءَةِ عَلَى النَّهَائِيَةِ ، وَاسْمَ النَّهَائِيَةِ عَلَى الْبَدَاءَةِ ، لِأَنَّ الْهَمَّ لَا يُكْتَبُ عَلَى الْمَرْءِ ، لِأَنَّهُ خَاطِرٌ لَا حُكْمَ لَهُ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَكْتُبُ لِمَنْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ ، وَإِنْ لَمْ يَعْزَمْ عَلَيْهِ وَلَا عَمِلَهُ لِفَضْلِ الْإِسْلَامِ ، فَتَوْفِيقُ اللَّهِ الْعَبْدَ لِلْإِسْلَامِ فَضْلٌ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَتْهُ مَا هَمَّ بِهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَمَّا يَعْمَلَهَا فَضْلٌ ، وَكَتَبَتْهُ مَا هَمَّ بِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَلَمَّا يَعْمَلَهَا لَوْ كَتَبَهَا ، لَكَانَ عَذْلًا ، وَفَضْلُهُ قَدْ سَبَقَ عَذْلُهُ ، كَمَا أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبُهُ ، فَمِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَى صَبِيَّانِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ سَيِّئَةٍ قَبْلَ الْبُلُوغِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ مَا يَعْمَلُونَهُ مِنْ حَسَنَةٍ ، كَذَلِكَ هَذَا وَلَا فَرْقَ.

<sup>١٨٨</sup> - شعب الإيمان - ( ٢٧١ / ٩ ) ( ٦٦٤٨-٦٦٤٩ ) حسن

<sup>١٨٩</sup> - شعب الإيمان - ( ٦٦٥٠ ) حسن

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَفِظَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَيَجِدُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ وَفِي آخِرِهَا خَيْرًا " إِلَّا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفِي الصَّحِيفَةِ " وَفِي رِوَايَةِ الدَّهَّانِ " مَا حَفِظَا فَيَرَى اللَّهُ فِي أَوَّلِ صَحِيفَتِهِمَا خَيْرًا وَآخِرَهَا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَشْهَدُكُمْ مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ مَا بَيْنَ طَرَفِي الصَّحِيفَةِ " ١٩٠

#### ١١ - مصاحبة الإنسان :

وَكُلَّ اللَّهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَيُرْغِبُهُ فِيهِ، وَقَرِينَا مِنَ الْجِنِّ يَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَيُحِثُّهُ عَلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » ١٩١ .

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علاقة الملك بالإنسان وكذلك علاقة الشيطان به فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِإِبْنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فإِعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فإِعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (٢٦٨) سورة البقرة » ١٩٢ .

#### ١٢ - توفي أرواح بني آدم :

وَكُلَّ اللَّهُ مُلْكًا هُوَ مُلْكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ عِنْدَ نَهَايَةِ أَجَالِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } (١١) سورة السجدة.

توفية الشيء : استيفاءه وأخذه كاملاً وافياً ، وعبر عن الموت بالتوفى ، لأنه لا يكون الموت حتى يستوفى الحى ما قدر الله له من حياة ، دون زيادة أو نقصان.

— وفي قوله تعالى : « قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ » — إشارة إلى أن الموت الذي يحل بهم ، ليس أمراً يقع من تلقاء نفسه ، اعتباطاً ، كما يظنون وكما يقول شاعرهم :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءُ مِنْ تَصَبُّبِ تَمَتِّهِ وَمِنْ تَخْطِئَةِ يَعْمَرٍ فِيهِمْ وَكُلًّا ، فَإِنَّ الْمَوْتَ بِيَدِ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ ، الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا مَحْدُودًا ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .. ثم إن الموت يقوم به رسول من رسل الله ، مهمته هى قبض الأرواح من الأجساد ، بعد أن تستوفى أجلها .. وإذا كان ذلك كذلك ، فإن الذي إليه الموت ، له أيضا الحياة قبل الموت ، وبعد الموت ..

١٩٠ - شعب الإيمان - ( ٩ / ٢٧٤ ) ( ٦٦٥٢ ) ضعيف

١٩١ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٢٨٦ )

١٩٢ - سنن الترمذى - المكثر - ( ٣٢٥٦ ) حسن وصح وقفه لكن مثله لا يقال بالرأى فله حكم الرأى - اللمة : التزول والقرب

فمن أعطى الحياة ، ثم سلبها ، لا يعجز أن يعطى ما سلب! « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ، وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢٨ : البقرة).<sup>١٩٣</sup>

وأُسند - سبحانه - هنا التوفي إلى ملك الموت ، لأنه هو المأمور بقبض الأرواح. وأسنده إلى الملائكة في قوله - تعالى - فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ لَأُفْتِنَهُمْ أَعْوَانَ مَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِينَ كَلَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ. وأسنده - سبحانه - إلى ذاته في قوله : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَائِنًا مَا كَانَ ، لا يكون إلا بقضائه وقدره.<sup>١٩٤</sup>

وقد جعل الله له أعواناً يساعدونه في ذلك. قال تعالى: {وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} (٦١) سورة الأنعام. أى : حتى إذا احتضر أحدكم وحن أجله قبضت روحه ملائكتنا الموكلون بذلك حالة كونهم لا يتوانون ولا يتأخرون في أداء مهمتهم.

قال الألوسي : وحتى في قوله : حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها ، كأنه قيل : ويرسل عليكم حفظة يحفظون ما يحفظون منكم مدة حياتكم ، حتى إذا انتهت مدة أحدكم وجاءت أسباب الموت ومباده توفته رسلنا الآخرون المفوض إليهم ذلك ، وانتهى هناك حفظ الحفظة. والمراد بالرسل - على ما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس - أعوان ملك الموت .

وقال الجمل : فإن قلت : إن هناك آية تقول : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَثَانِيَةً تَقُولُ : قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ والتي معنا تقول تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا فكيف الجمع بين هذه الآيات؟ فالجواب على ذلك أن المتوفى في الحقيقة هو الله ، فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه ، وملك الموت أعوان من الملائكة فيأمرهم بترع روح ذلك العبد من جسده ، فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه ، وقيل المراد من قوله تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ملك الموت وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيماً له.<sup>١٩٥</sup>

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّا عَلَى رُؤُسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عَوْذٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: "اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ

<sup>١٩٣</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (١١ / ٦١٣)

<sup>١٩٤</sup> - التفسير الوسيط للقرآن الكريم- موافق للمطبوع - (١١ / ١٤٨) وانظر تفسير الشيخ المراغي - موافقا للمطبوع - (٢١ /

(١٠٨)

<sup>١٩٥</sup> - التفسير الوسيط للقرآن الكريم- موافق للمطبوع - (٥ / ٩٣) والكشاف ج ٢ ص ٣٣ و تفسير الألوسي ج ٧ ص ٧٦ وحاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٤٠.

الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، وَكَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ حُنُوطٌ مِنْ حُنُوطِ الْجَنَّةِ، وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحُنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ رِيحٍ مِسْكٍ، وَجَدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَعَادَ رُوحُهُ فِي حَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِبَّيْهَا، وَيُفَسِّحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يُشْرِكُ فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ وَأَمَّا الْعَبْدُ الْكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ وَمَعَهُمُ الْمُسُوحُ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَها النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ . قَالَ: " فَتَفَرِّقُ فِي حَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، وَمَعَهَا الْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ " . قَالَ: " وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَتْنٌ مِنْ حَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } [الأعراف: ٤٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّا مِنْهَا خَلَقْنَاهُمْ، وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى " . قَالَ: " فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ } [الحج: ٣١] الْآيَةَ، ثُمَّ تُعَادَ رُوحُهُ فِي حَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ

أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ". قَالَ: "وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ". قَالَ: "فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِي بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ" قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٩٦

### تبشير المسلمين :

وإذا حان أجل المسلم وكان من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، أنزل الله إليه ملائكة تبشره بالجنة وتطمئنه من هول ما هو صائر إليه . قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) } [فصلت : ٣٠ - ٣٣]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، وَبَتُّوا عَلَى الْإِيمَانِ ( اسْتَقَامُوا ) تَتَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْبُشْرَى الَّتِي يُرِيدُونَهَا ، وَبِأَنَّهُمْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَزَوْجٍ وَوَلَدٍ ، وَيَبْشِرُونَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ .

وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَهُمْ يَبْشِرُونَهُمْ : نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا نُسَدِّدُ خُطَاكُمْ ، وَنُلْهِمُكُمْ الْحَقَّ ، وَنُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ ، نُوْمِنُكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَعِنْدَ التَّفْخَةِ فِي الصُّورِ ، وَيَوْمَ الْبَعْثِ وَالتَّشْوِيرِ ، وَنُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ ، وَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمَلذَّاتِ وَالنَّعِيمِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَتَمَنَّوْنَ وَتَطْلُبُونَ .

وَالَّذِي أَنْزَلَ كُمْ دَارَ الْكَرَامَةِ هَذِهِ هُوَ اللَّهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . ١٩٧

وقال الخطيب : " فالذين قالوا ربنا الله ، وحده ، لا شريك له ، ولا نعبد إلها غيره ، ولا نتخذ معه شركاء ، ثم إنهم مع إيمانهم هذا ، قد عملوا بمقتضى هذا الإيمان فاستقاموا على ما يدعو إليه الإيمان بالله ، من امتثال ما يأمر به ، واجتناب ما ينهى عنه — هؤلاء المؤمنون تنزل عليهم الملائكة بالرحمات والبركات من ربهم ، فيلقونهم عند كل مطلع من مطالع القيامة ، وعند كل شدة من شدائدھا ، بما يملأ قلوبهم أمانا وسكينة ورضا ، قائلين لهم : أَلَّا تَخَافُوا مِمَّا أَنْتُمْ مُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ ، وَلَا

١٩٦ - شعب الإيمان - ( ١ / ٦١٠ ) ( ٣٩٠ ) صحيح مشهور

١٩٧ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤١٢٧ )

تخزنوا على فائت فاتكم في الدنيا ، فقد أخذتم خير ما فيها ، وهو الإيمان بالله ، والعمل وإنه لكى يأنس المؤمنون بالملائكة الذين يلقونهم لأول مرة ، يكشف لهم الملائكة عن تلك العلاقة التي كانت بينهم في الدنيا ، إذ كان الملائكة — من غير أن يشعر المؤمنون — أولياء لهم ، تجمع بينهم جامعة الولاء لله ، والطاعة له .. فهم والملائكة كانوا إخوانا في الله ، ومن هنا كانوا يستغفرون للمؤمنين ، كما يقول الله سبحانه : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ » (٧ : غافر).

ثم إن الملائكة كانوا في الدنيا جندا من جنود الله ، يقاتلون في سبيل الله مع المقاتلين في سبيله من المؤمنين ، كما يقول سبحانه : « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » (١٢ : الأنفال) .. قوله تعالى : « وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ». الضمير في « فيها » للجنة التي جاء ذكرها في قوله تعالى : « وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » .. أي أبشروا بهذه الجنة التي لكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، أي ما تتمنون ، مما يطوف بخيالكم ، ويقع في عالم الأمان ، فكل ما تتمنونه تجدونه حاضرا بين أيديكم .. وإنه ليس أهنا للإنسان ، ولا أسعد لقلبه ، من أن يجد كل ما يتمناه حاضرا بين يديه ، فتلك هي السعادة المطلقة ، الخالية من كل شائبة من شوائب الحرمان ، الكلى أو الجزئي ..

قوله تعالى : « نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » أي منزلا من غفور رحيم ، قد أعده الله لكم وقد غفر لكم ذنوبكم ، وأنزلكم منزل رحمة .. ومن نزل هذا المنزل فهو في ضيافة رب كريم ، ينال من فضل الله ما يشاء .. ١٩٨

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المار آنفاً تفصيل لذلك ..

### تعذيب الكافرين :

قال تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } (٩٣) سورة الأنعام

١٩٨ - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٢ / ١٣١٣) والتفسير الوسيط للقرآن الكريم - موافق للمطبوع - (١٢ / ٣٥٠)

وفي ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٣١٢١)

وفي هذا العرض يبدو المصير الذي يصير إليه كل ظالم ، حين تنتهى أيامه القصيرة في هذه الدنيا ، بجلوها ومرها ، وبلهوها وعبثها ، وإذ هو على مشارف الحياة الآخرة ، وملائكة الرحمن يمدّون أيديهم لانتزاع ثوب الحياة الذي يلبسه هذا الجسد ، الذي كان يمشى في الأرض مختالا فخورا ، يحسب أن ماله أخلده .. وما هى إلا لحظات ، يعالج فيها سكرات الموت ، حتى يكون جثة هامدة ، كأنه لقى ملقى على الطريق ، بل إنه يصبح سوأة يجب أن تحتفى وتتوارى عن الأنظار ، وتغيّب في باطن الأرض .. وليس هذا فحسب ، بل إن ذلك هو بدء لمرحلة جديدة ، لحياة أخرى غير الحياة التي كان فيها .. إنه سيبعث من جديد ، ويلبس ثوب الحياة مرة أخرى ، ولكن لا يكون مطلق السراح ، يلهو ويبعث ، بل ليلقى به في جهنم ، وليكون وقودا لجحيمها المتسعر! وفي قوله تعالى : « أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ » إشارة إلى هذا الأمر الملزم ، الذي يحمله الملائكة ، لقبض أرواح الظالمين ، وأن الملائكة ، وهم الموكلون بقبض هذه الأرواح ، يحملون هؤلاء الظالمين حملا على انتزاعها بأنفسهم ، وإعطائها لهم بأيديهم ، وفي هذا تنكيل بهم ، وإذلال وقهر لهم ، بأن يحملوا حملا على انتزاع حياتهم بأيديهم .. هكذا « أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ » .. وهل يعطى الإنسان نفسه بيده ؟

إنه لأهون عليه كثيرا أن ينتزعها أحد منه قهرا وقسرا ، من أن يكون هو الذي يقدم بيديه أعزّ شيء يملكه ، بل كل شيء يملكه ..<sup>١٩٩</sup>

وقال تعالى : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (٥٠) سورة الأنفال

فيه إشارة إلى ما حلّ بالمشرّكين الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس ، من بلاء ونكال في يوم بدر الذي خرجوا له ، وهم على تلك الحال التي كانت تستولى عليهم من الزهو والخيلاء .. فهاهم أولاء يتلقون الصفعات على وجوههم ، والضربات على أدبارهم ، كما يفعل بعبيدهم وإمائهم !  
فأين العزة والمنعة ؟ وأين السطوة والجاه ؟ لقد تعرّوا من هذا كلّ ، ولبسوا ثوب الخزي والمهانة ، ونزلوا إلى أسوأ مما كان عليه الأرقاء .. من عبيد وإماء!

وإذا كانت تلك الأيدي التي تناولتهم بالصفع على وجوههم ، وتلك الأرجل التي أخذتهم بالركل على أدبارهم ، أيديا خفيفة لا ترى ، لأنها يد القوى السماوية التي سلطها الله عليهم يومئذ — فإن هناك أيديا شوّهت هذه الوجوه بضربات السيوف ، وركلت هذه الأدبار بأزجة الرماح ، وهي أيدي رآها الناس رأي العين ، وشهدوا آثارها وأفعالها في هؤلاء السادة المتكبرين .. إنها أيدي أولئك المسلمين الذين استرهبهم المشركون بزهوهم وخیلائهم ، وغمزهم المنافقون والذين في قلوبهم مرض بقوارص الكلم ، وسيء القول.<sup>٢٠٠</sup>

<sup>١٩٩</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٤١)

<sup>٢٠٠</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٦٣٥)

وفي حديث البراء أيضاً تفصيل لذلك .

#### ١٣- سؤال الموتى في قبورهم :

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « الْعَبْدُ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَنَّهُ مَلَكَانٌ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيَقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ . فَيَقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ . ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » ٢٠١ .

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } (٢٧) سورة إبراهيم ٢٠٢ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوْ الْإِنْسَانُ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ : النَّكِيرُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ إِنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ ، فَيَقَالُ لَهُ : نَمَّ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعُرْسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ . وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : لَا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا ، فَكُنْتُ أَقُولُهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : التَّيْمِي عَلَيْهِ ، فَتَلْتَمِسُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ ، فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. ٢٠٣

#### ١٤- إبلاغ كلام الله تعالى وحكمه إلى عباده المرسلين :

قال الله تعالى مخبراً عن القرآن : وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) [الشعراء/١٩٢-١٩٦] وإن هذا القرآن الذي ذُكِرَتْ فِيهِ هذه القصص الصادقة، لَمَثَلٌ مِنَ خَالِقِ الْخَلْقِ، وَمَالِكِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ، فَتَلَاهَا عَلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حَتَّى وَعَيْتَهُ بِقَلْبِكَ حِفْظًا وَفَهْمًا؛ لِتَكُونَ مِنَ رُسُلِ

٢٠١ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٣٨)

٢٠٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٦٩٩)

٢٠٣ - صحيح ابن حبان - (٣٨٦ / ٧) (٣١١٧) صحيح

الله الذين يخوفون قومهم عقاب الله، فتندر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم.<sup>٢٠٤</sup>

وقال تعالى : { رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } (١٥) سورة غافر

إن الله هو العليُّ الأعلى الذي ارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وهو صاحب العرش العظيم، ومن رحمته بعباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوف الرسل عباد الله، وتندرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون.<sup>٢٠٥</sup>

وقد ثبت بالسنة أن هذه وظيفة جبريل عليه السلام.

## ١٥- حمل العرش :

فقد نصَّ القرآن الكريم على أن عرش الرحمن تحمله الملائكة قال الله تعالى : { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة .

وَتَقُومُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى جَوَانِبِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ فَوْقَ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ثَمَانِيَةٌ<sup>٢٠٦</sup>

وقال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (٧) سورة غافر .

إنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنْزِلُونَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُصِيبِينَ الَّذِينَ تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ فَعَلٍ خَيْرٍ ، وَتَرَكَ الْمُنْكَرَ ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنَّبَ ( يَقي ) هَؤُلَاءِ النَّاسِ الْمُنِيبِينَ عَذَابَ النَّارِ .<sup>٢٠٧</sup>

## ١٦- رعاية الجنة وأهلها، والقيام على النار ومن فيها :

وقد أطلق القرآن الكريم على القائمين بهذه الوظائف اسم الخزنة قال تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } (٧١)

<sup>٢٠٤</sup> - التفسير الميسر - ( ٦ / ٤٤٣ ) وانظر أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٠٠٦ )

<sup>٢٠٥</sup> - التفسير الميسر - ( ٨ / ٣٠٨ )

<sup>٢٠٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٢١٨ )

<sup>٢٠٧</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٠١٩ )

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) { [الزمر/٧١-٧٣] ، وقال تعالى : { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد/٢٣، ٢٤] }

وقال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر/٤٩ - ٥٠] . }

وخص أصحاب النار باسم الزبانية. قال تعالى : { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) [العلق/١٧-١٩] }

ورؤساء خزنة جهنم تسعة عشر ، قال تعالى : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) [المائدة/٢٧-٣٢] . }

وزعيمهم مالك قال تعالى : { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ : (الزحرف : ٧٧) }

وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار، فعَنْ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَ الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ ، وَأَنَا جِبْرِيلُ ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ » (أخرجه البخاري) <sup>٢٠٨</sup> .

## ١٧- حضور مجالس الذكر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضْلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لَا أَى

رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونََنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لَا. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا - قَالَ - فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» (أخرجه مسلم) <sup>٢٠٩</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يُلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ . قَالَ فَيُحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ . قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ . قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا . قَالَ فَيَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ . قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا . قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً . قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ فَيَقُولُونَ مِنَ النَّارِ . قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا . قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً . قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» (أخرجه البخاري) <sup>٢١٠</sup>

وَعَنْ الْأَعْرَابِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (أخرجه الترمذي) <sup>٢١١</sup>

#### ١٨- وضع أجنتها لطالب العلم والاستغفار له :

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ - ﷺ - لِحَدِيثٍ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَّاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ

<sup>٢٠٩</sup> - برقم (٧٠١٥) - الفضل : ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم

<sup>٢١٠</sup> - برقم (٦٤٠٨) .

<sup>٢١١</sup> - برقم (٣٧٠٥) وهو صحيح

لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرِثَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ» (أخرجه أبو داود) ٢١٢.

#### ١٩ - ومنهم الموكل بالصُّور :

وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم . وهو أحد حملة العرش . والصُّور : قرن عظيم ينفخ فيه . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ مَا الصُّورُ قَالَ « قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » . (أخرجه الترمذي) ٢١٣

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْعَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يُنْفَخَ فَيَنْفَخُ » . قَالَ الْمُسْلِمُونَ فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا » (أخرجه الترمذي) ٢١٤ .

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات : نفخة الفرع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث . قال تعالى : { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } (النمل : ٨٧) . وهذه هي نفخة الفرع وقد دل على النفختين الآخرين قوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (الزمر : ٦٨) .

#### ٢٠ - ومنهم زوار البيت المعمور :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْجِمَارِ وَدُونَ الْبُعْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ... وفيه ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .. » (أخرجه مسلم) ٢١٥

وعند البخاري عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « وفيه .... فَاتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ . فَاتَيْنَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَبِيِّ ، فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلَّى فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ، » ٢١٦

٢١٢ - سنن أبي داود برقم ( ٣٦٤٣ ) وهو صحيح

٢١٣ - برقم ( ٢٦١٧ ) وهو صحيح

٢١٤ - سنن الترمذي برقم ( ٣٥٥١ ) وهو صحيح لغيره

٢١٥ - برقم ( ٤٢٩ )

٢١٦ - برقم ( ٣٢٠٧ )

## ٢١- تبليغ الرسول ﷺ السلام من أمته :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » (أخرجه النسائي) <sup>٢١٧</sup> .

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم .

=====

---

<sup>٢١٧</sup> - برقم (١٢٩٠) وهو صحيح

## المبحث الرابع الملائكة والأنبياء عليهم السلام

### ١ - الملائكة وآدم عليه السلام :

ذكر القرآن الكريم المحاورة التي جرت في الملاء الأعلى بين الله وملائكته حول استخلاف آدم في الأرض. قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) } [البقرة : ٣٠ - ٣٣].

وَأذْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ قَوْمًا يَخْلَفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ ، أُمْكُنْ لَهُمْ فِيهَا ، وَأَجْعَلُهُمْ أَصْحَابَ سُلْطَانٍ عَلَيْهَا ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مُسْتَعْلِمِينَ مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْ خَلْقِ هَذَا الْخَلْفِ الَّذِي سَيُوجَدُ مِنْهُ مَنْ يُفْسِدُ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ . فَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَصُودُ مِنْ خَلْقِهِمْ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَتَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ، وَنُصَلِّيُ لَكَ ( نُقَدِّسُ لَكَ ) ، وَلَا يَصْدُرُ مِنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْفَسَادِ . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ مُبَرِّراتِ خَلْقِهِمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ ، فَأَجْعَلُ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالْخَاشِعِينَ .

وَالْكَافِرُونَ الْفَاسِقُونَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِإِثَارَةِ الْفِتَنِ وَالْقَلَاقِلِ وَشَنِّ الْحُرُوبِ ، وَتَخْرِيبِ الْعُمْرَانِ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ تَوَادٍّ وَتَرَاحُمٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ يُحْرَمُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . وَيَصِيرُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا : الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ . . . وَذَوَاتِهَا وَخَصَائِصِهَا وَأَفْعَالِهَا . . . ثُمَّ عَرَضَ هَذِهِ الْمُسَمَّياتِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَعْتَقِدُونَ مِنْ أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ؟

قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : تَزَرَّهَ اسْمُكَ يَا رَبُّ ( سُبْحَانَكَ ) إِنَّا لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَا نَعْرِفُهَا ، وَأَنْتَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ ، وَفِي تَعْلِيمِكَ مَا تَشَاءُ ، وَمَنْعِكَ مَا تَشَاءُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ : أَخْبِرْهُمْ يَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَأَخْبَرَهُمْ . وَلَمَّا ظَهَرَ فَضْلُ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فِي سَرْدِهِ مَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ الظَّاهِرَ وَالْخَفِيِّ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ ( أَيِ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَظْهَرُوهُ بِالْسِّنَنِ مِنْ قَوْلِهِمْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ) ، كَمَا أَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَهُ ( مَنْ نَحْوِ قَوْلِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ

اللَّهُ لَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا ، فَتَحْنُ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ هَذَا الْمَخْلُوقِ ( ، كَمَا أَعْلَمُ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفْسُ إِبْلِيسَ مِنْ حَسَدٍ وَمُخَالَفَةٍ لِأَمْرِ اللَّهِ .<sup>٢١٨</sup>

ومضت مشيئة الله وقدرته فخلق آدم من صلصال من حمإ مسنون ، وأمر ملائكته أن يسجدوا له بعد أن سواه بشراً ونفخ فيه الروح. قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)} [الحجر: ٢٨-٣١] .

وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي سَآخِلِقُ بَشَرًا ( هُوَ آدَمُ ) مِنْ طِينٍ يَابِسٍ يُصَلِّصِلُ إِذَا نُفِرَ بِالْيَدِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ ، طِينًا رَطْبًا ( حَمًا ) مُتَغَيَّرًا ، مُسَوَّدَ اللَّوْنِ ( مَسْنُونٍ ) . وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، سَجُودَ تَعْظِيمٍ لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ ، حِينَمَا يُسَوِّيهِ وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ .

فَاسْتَجَابَ الْمَلَائِكَةُ جَمِيعًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ ، فَسَجَدُوا لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَلَمْ يَشُدَّ عَنِ السُّجُودِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِبْلِيسُ ، فَقَدْ رَفَضَ السُّجُودَ حَسَدًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا .

فَسَأَلَهُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا : مَا لِي ، يَا إِبْلِيسُ ، لَا أَرَاكَ مَعَ السَّاجِدِينَ الْمُتَمَثِّلِينَ لِأَمْرِي؟ فَقَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ الْكَرِيمِ : إِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلْسُّجُودِ لِمَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ مُتَغَيَّرِ اللَّوْنِ مُسَوَّدِهِ .

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَهُوَ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ( أَوْ مَرْجُومٌ بِالشُّهْبِ - رَجِيمٌ ) .<sup>٢١٩</sup>

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ أَذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَيْكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ ، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ ، فَإِنَّهَا تَحْيِيَّتُكَ وَتَحْيِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ . فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . فَرَادَوْهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَ حَتَّى الْآنَ » .<sup>٢٢٠</sup>

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : هَذَا الْخَبَرُ تَعَلَّقَ بِهِ مَنْ لَمْ يُحْكَمْ صِنَاعَةُ الْعِلْمِ وَأَخَذَ يُشْنَعُ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَنْتَحِلُونَ السُّنَنَ ، وَيَذُبُّونَ عَنْهَا ، وَيَقْمَعُونَ مَنْ خَالَفَهَا بِأَنْ قَالَ : لَيْسَتْ تَخْلُو هَذِهِ الْهَاءُ مِنْ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى آدَمَ ، فَإِنْ تُسِبَتْ إِلَى اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا ، إِذْ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، وَإِنْ

<sup>٢١٨</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٧ )

<sup>٢١٩</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٨٣١ )

<sup>٢٢٠</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٦٢٢٧ )

نُسِبَتْ إِلَى آدَمَ نَعْرَى الْخَبَرِ عَنِ الْفَائِدَةِ ، لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خُلِقَ عَلَى صُورَتِهِ لَا عَلَى صُورَةِ غَيْرِهِ .

وَلَوْ تَمَلَّقَ قَائِلُ هَذَا إِلَى بَارِيهِ فِي الْخَلْقَةِ ، وَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ لِلطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فِي لُزُومِ سُنَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ لَكَانَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْقَدَحِ فِي مُنْتَحَلِي السُّنَنِ بِمَا يَجْهَلُ مَعْنَاهُ ، وَلَيْسَ جَهْلُ الْإِنْسَانِ بِالشَّيْءِ دَالًّا عَلَى نَفْيِ الْحَقِّ عَنْهُ لِجَهْلِهِ بِهِ .

وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ أَخْبَارَ الْمُصْطَفَى ﷺ إِذَا صَحَّتْ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ لَا تَتَضَادُّ ، وَلَا تَتَهَاتَرُ ، وَلَا تَنْسَخُ الْقُرْآنَ بَلْ لِكُلِّ خَبَرٍ مَعْنَى مَعْلُومٌ يُعْلَمُ ، وَفَصْلٌ صَحِيحٌ يُعْقَلُ ، يَعْقِلُهُ الْعَالِمُونَ .

فَمَعْنَى الْخَبَرِ عِنْدَنَا بِقَوْلِهِ ﷺ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ : إِبَانَةُ فَضْلِ آدَمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى آدَمَ ، وَالْفَائِدَةُ مِنْ رُجُوعِ الْهَاءِ إِلَى آدَمَ دُونَ إِضَافَتِهَا إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا - جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُشَبَّهَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ - أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ سَبَبَ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ الْمُتَحَرِّكُ النَّامِي بِذَاتِهِ اجْتِمَاعَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، ثُمَّ زَوَالَ الْمَاءِ عَنْ قَرَارِ الذَّكَرِ إِلَى رَجَمِ الْأُنْثَى ، ثُمَّ تَغْيِيرُ ذَلِكَ إِلَى الْعَلَقَةِ بَعْدَ مُدَّةٍ ، ثُمَّ إِلَى الْمُضْغَةِ ، ثُمَّ إِلَى الصُّورَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْوَقْتِ الْمَمْدُودِ فِيهِ ، ثُمَّ الْخُرُوجُ مِنْ قَرَارِهِ ، ثُمَّ الرِّضَاعُ ، ثُمَّ الْفِطَامُ ، ثُمَّ الْمَرَاتِبِ الْأُخْرَى عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا إِلَى حُلُولِ الْمَنِيَّةِ بِهِ . هَذَا وَصَفُ الْمُتَحَرِّكِ النَّامِي بِذَاتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلَقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ تَقْدِيمُهُ اجْتِمَاعَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، أَوْ زَوَالَ الْمَاءِ ، أَوْ قَرَارُهُ ، أَوْ تَغْيِيرُ الْمَاءِ عِلْقَةً أَوْ مُضْغَةً ، أَوْ تَجْسِيمُهُ بَعْدَهُ ، فَأَبَانَ اللَّهُ بِهِذَا فَضْلَهُ عَلَى سَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ خَلْقِهِ ، بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نُطْفَةً فَعَلْقَةً ، وَلَا عِلْقَةً فَمُضْغَةً ، وَلَا مُضْغَةً فَرَضِيْعًا ، وَلَا رَضِيْعًا فَفِطِيمًا ، وَلَا فِطِيمًا فَشَبَابًا كَمَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَةُ غَيْرِهِ ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ حَشَوِيَّةٌ يَرَوُونَ مَا لَا يَعْقِلُونَ وَيَحْتَجُّونَ بِمَا لَا يَدْرُونَ. ٢٢١

وعندما انقضى أجل آدم عليه السلام تولت الملائكة غسله ودفنه عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ ، قال : لَمَّا تُوفِّيَ آدَمُ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَاءِ وَثَرًا وَأَلْحَدُوا لَهُ ، وَقَالُوا : هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ فِي وَلَدِهِ ٢٢٢

## ٢ - الملائكة تبشر إبراهيم وإسحاق عليهما السلام :

جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه وعليهما السلام تحمل له البشري بالولد بعد بلوغه الكبر وبلوغ زوجته سن اليأس . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) ﴾

٢٢١ - صحيح ابن حبان - ( ١٤ / ٣٣ )

٢٢٢ - المستدرک للحاکم ( ٤٠٠٤ ) وصحيح الجامع ( ٥٢٠٧ ) صحيح

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) [هود : ٦٩ - ٧٣].

ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوب بعده، فقالوا: سلاماً، قال رداً على تحيتهم: سلام، فذهب سريعاً وجاءهم بعجل سمين مشويٍّ ليأكلوا منه.

فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضرها، قالت الملائكة - لما رأت ما بإبراهيم من الخوف -: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم

وامرأة إبراهيم - سارة - كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجباً مما سمعت، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد من زوجها إبراهيم ولداً يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق متعجبة: يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟ إن إنجاب الولد من مثلي ومثل زوجي مع كبر السن لشيء عجيب.

قالت الرسل لها: أتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال، ذو مَجْدٍ وعظمة فيها.<sup>٢٢٣</sup>

قال الشوكاني رحمه الله :- وكان مرورهم عليه لتبشيره بهذه البشارة المذكورة فظنهم أضيافاً وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل - وقيل كانوا تسعة وقيل أحد عشر.<sup>٢٢٤</sup>

### ٣- الملائكة وإسماعيل عليهما السلام :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعْفَى أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ ، وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ ، وَ وَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ . قَالَتْ إِذَا لَا يُضِيعُنَا . ثُمَّ رَجَعَتْ ، فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بَوَجهِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ دَعَا بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ ( رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ) حَتَّى بَلَغَ ( يَشْكُرُونَ ) . وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي

<sup>٢٢٣</sup> - التفسير الميسر - ( ٤ / ٤٩ )

<sup>٢٢٤</sup> - فتح القدير - ( ٣ / ٤٦٣ )

السَّقَاءَ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ - فَاِنْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتْ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَهَبَّتْ مِنْ ، الصِّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا ، ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ ، حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي ، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « فَذَلِكَ سَعَى النَّاسِ بَيْنَهُمَا » . - فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا ، فَقَالَتْ صَهْ . تُرِيدُ نَفْسَهَا ، ثُمَّ تَسَمِعَتْ ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتُ ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ . فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ ، عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ، وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَانِهَا ، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا » . - قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ لَا تَخَافُوا الصَّيْعَةَ ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ ، يَبْنِي هَذَا الْعَلَامُ ، وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ . وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّايَةِ ، تَأْتِيهِ السُّيُوفُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ ، حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ - أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ - مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقٍ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا . فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ ، لَعَهْدُنَا بِهِذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّتَيْنِ ، فَإِذَا هُمُ بِالْمَاءِ ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ ، فَأَقْبَلُوا ، قَالَ وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ فَقَالَتْ نَعَمْ ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ . قَالُوا نَعَمْ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ » فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهِمَا أَهْلُ أَيْيَاتٍ مِنْهُمْ ، وَشَبَّ الْعَلَامُ ، وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ ، بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرَكْتُهُ ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا . ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ . فَشَكَتْ إِلَيْهِ . قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأْنِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ يُعَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ . فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ ، كَانَهُ أَنْسَ شَيْئًا ، فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا ، فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، وَسَأَلْنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ . قَالَ فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ غَيْرَ عَتَبَةَ بَابِكَ . قَالَ ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ الْحَقِّي بِأَهْلِكَ . فَطَلَّقَهَا ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ . فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا . قَالَ كَيْفَ أَتَيْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ ، وَهَيْئَتِهِمْ . فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ . وَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ . فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ اللَّحْمُ . قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ الْمَاءُ . فَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حُبٌّ ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ . قَالَ فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بَعِيرٍ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ . قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ، وَأَنْتَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ . قَالَ فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ . قَالَ ذَلِكَ أَبِي ، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ . ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ ، فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ . قَالَ فَاصْنَعِ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ . قَالَ وَتُعِينَنِي قَالَ وَأُعِينُكَ . قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا . وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا . قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهِذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي ، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ ، وَهُمَا يَقُولَانِ ( رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) . قَالَ فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَهُمَا يَقُولَانِ ( رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) . ٢٢٥

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا ، وَأَقْبَلَ جُرْهُمُ فَقَالُوا أَتَأْذِنِينَ أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ قَالَتْ نَعَمْ وَلَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ . قَالُوا نَعَمْ » . ٢٢٦

#### ٤ - الملائكة ولوط عليه السلام

أَرْسَلَ اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ إِلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِخْبَارِهِ بِهَلَاكِ قَوْمِهِ الْمَكْذِبِينَ وَالْمُصْرِينَ عَلَى ارْتِكَابِ أَفْضَحِ الْفَوَاحِشِ ، وَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمَةِ لِلنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ . قَالَ تَعَالَى : { وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) } [هود : ٧٧ - ٨١]

ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم واغتم لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه، وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

٢٢٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٣٦٤) أطرافه ٢٣٦٨ ، ٣٣٦٢ ، ٣٣٦٣ ، ٣٣٦٥ تحفة ٥٤٣٩ ، ٥٦٠٠ - ٤/١٧٥ -

يتلوى :

٢٢٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٣٦٨)

وجاء قومٌ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تزوّجنهن فهنّ أطهر لكم مما تريدون، وسماهن بناته؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فاحشوا الله واحذروا عقابه، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبين ذلك؟

قال قوم لوط له: لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

قال لهم حين أبوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصاراً معي، أو أركن إلى عشيرة تمنعني منكم، لحلّْتُ بينكم وبين ما تريدون.

قالت الملائكة: يا لوط إنّنا رسل ربك أرسلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه، لكنّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.<sup>٢٢٧</sup>

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطاً، ساءه مجيئهم = وهو "فعل" من "السوء" = (وضاق بهم)، مجيئهم (ذرّعا)، يقول: وضاق نفسه غما بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعاً، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: (هذا يوم عصيب).<sup>٢٢٨</sup>

وقال الخطيب:

"« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ». سَيِّئًا بِهِمْ: أي ساءه وآلمه نزولهم عنده، واحتمأؤهم به. وضاق بهم ذرعاً: أي أحسّ العجز عن حمايتهم، لأنه يتصدّى وحده لقومه جميعاً.. وأصل الذرع من الذراع التي يعملها الإنسان في تناول الأشياء.. ثم استعملت استعمالاً مجازياً في الدلالة على قدرة الإنسان أو عجزه، حسب طول ذراعه أو قصرها. والإحساس بالمسئولية الملقاة على لوط لحماية ضيوفه، هو الذي آلمه وأوجعه، وضيق مسالك النجاة بهم في وجهه، فقال: « هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ » أي يوم قاس، شديد الوقوع على النفس، لما سيطلع عليه فيه من أحداث مزلزلة، توقعه في هذا المأزق، وفتحت بينه وبين قومه مجالا فسيحا للصراع بين جبهتين غير متكافئتين!

<sup>٢٢٧</sup> - التفسير الميسر - (٤ / ٥٧)

<sup>٢٢٨</sup> - تفسير الطبري - (١٥ / ٤٠٧)

« وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي .. أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ». ولقد وقع ما توقعه لوط .. وها هي ذى العاصفة تدور حول بيته ، وتحطم الأبواب .. فيقتحم القوم عليه الدار ، وقد جاءوا سراعا من كل جهة ، يتسابقون لإدراك هذا الصيد ، قبل أن يفلت من أيديهم! « وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ » أي يسرعون إليه في خفة وطيش. وانظر كيف تبلغ السفاهة بالقوم .. إنهم ليأتون الفاحشة في غير مبالاة ، ولا ستر من حياء! يأتونها جهرة وفي صورة جماعية ، دون أن يجد أحدهم حرجا أو استحياء! وهذا غاية التدلّي والإسفاف في عالم الإنسان ، إلى درجة لا يتزل إليها كثير من عالم الحيوان .. حيث تأبى على بعض الحيوان طبيعته أن يتصل بأنثاه على مرأى من بنى جنسه! بله اتصاله بذكر!

الأمر الذي لم تعرفه الكائنات الحيّة ، إلا في هذا الصنف الرذل الخسيس من الناس! — وفي قوله تعالى : « وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ » عرض لسيرة هؤلاء القوم ، وفضح لمخازيهم ، وأن هذا الذي جاءوا إليه ليس ابن يومه ، وإنما هو داء تعاطاه القوم من قبل ، فكان طبيعة غلبت عليهم ، حتى لقد صار عادة مألوفة عندهم ، وأمر مستقرا فيهم ، ليس فيه ما يثير أي إحساس عندهم بالخزي أو الاستحياء .. وقد عبّر القرآن عن هذا المنكر الذي يتعاطونه بالوصف المناسب له ، دون أن يذكر اسمه ، تقرّزا له ، وصيانة للأفواه أن تتلفظ به ، وللأسماع أن يقع عليها .. ومن جهة أخرى ، فقد جاء القرآن بوصفه جمعا .. هكذا : « السيئات » للدلالة على أنه منكر غليظ مرّ ، وأنه ليس سيئة ، بل هو سيئات ، وليس منكرا ، بل هو منكرات! — وفي قوله تعالى : « يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ » دعوة لهم إلى أن يكون أربهم وشهوتهم للنساء .. لا للرجال ، فذلك هو الوضع الطبيعي للحياة الإنسانية .. فهو — عليه السلام — يدعوهم إلى التزوج ببناته ، وإلى التعفف بالزواج بالمرأة والاتصال بها ، حتى يعفوا عن ارتكاب هذا المنكر ، والاتصال بالرجال .. وفي هذا يقول الله تعالى على لسان لوط لهم : « إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ » (٢٨ — ٢٩ العنكبوت).

ويقول سبحانه في موضع آخر على لسان لوط أيضا : « أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ » (١٦٥ — ١٦٦ الشعراء).

قوله تعالى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ » .. والسؤال هنا : هل كان القوم مؤمنين بالله حتى يذكرهم لوط باسمه تعالى ، ويدعوهم إلى تقواه ؟

والجواب : أنهم لو كانوا مؤمنين بالله ، لما استعلن فيهم هذا المنكر على تلك الصورة التي سجّلها القرآن عليهم .. فإن الإيمان بالله يردّ الإنسان عن كثير من المنكر ، ويقيم بين الناس وازعا يزعمهم من أن يخرجوا هذا الخروج السافر عن إنسانيتهم ، وأن يتدلّوا هذا التدلّي المسفّ إلى مادون الحيوان.

فذكر الله هنا ، إنما هو تخويف لهم ، وتهديد بقوة الله ، إن لم يتقوه ، ويستقيموا على طريق المؤمنين .. وفي هذا تجاهل لإنكارهم الله والإيمان به ، إذ لا معتبر لهذا الإنكار في وجه الدلائل القائمة بين أيديهم على وجود الله ، وكمال قدرته.

« قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ». لقد أنكر القوم على « لوط » ما دعاهم إليه من التزوج بالنساء ، ومنهن بناته اللائي عرضهنّ عليهم ، وذلك ليكون اتصافهم بالنساء صارفا لهم عن إتيانهم هذا المنكر مع الرجال ! وقد جاء إنكارهم هذا في صورة فريدة من الدناءة والخسّة والتجرّد من الحياء ..

« لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ » أي إنك لم تعرض علينا أمرا جديدا لتصرفنا عما نطلب .. فأنت تعلم مالنا في بناتك من حق ، وأنا نملك التزوج بهنّ من غير اعتراض .. فالتزوج بالنساء أمر متفق عليه بيننا وبينك ، كما هو متفق عليه بين الناس جميعا .. ولكن ماذا عندك لنا في هذا الذي نطلبه من الضيوف ؟ « وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ » ! فهل في بناتك أو بنات غيرك ما يحقق لنا هذا الذي نريده ؟

ولا يجد لوط لهذه السفاهة جوابا ، ولا يرى لهذا السوء الذي يراد بضيوفه مردّا .. « قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » !!

وماذا يفعل لوط أمام هؤلاء القوم ، الذين ركبوا رءوسهم ، فانقلبت في أعينهم أوضاع الأشياء ، وتغيرت معالمها ؟ إنه لو كانت بين يديه قوة لأخذ على أيديهم بها ، ولعاملهم معاملة الكلاب المسعورة .. ولكن أتى له القوة ، وهو وحده ، والقوم جميعا حرب عليه .. حتى امرأته !! كما أنه ليس هناك من يستعين به على هؤلاء القوم ، ويطلب غيائه واللياذ به ، حتى يضمن الحماية لضيفه النازلين في حماه ؟

وهنا تجيء نجدة السماء ، وتفتح للوط أبواب حصن حصين يأوى إليه ، على حين تنزل على القوم صواعق الهلاك ، فتأني عليهم في لحظة خاطفة !

ومن عجب أن تطلع على « لوط » هذه القوى الرهيبة من موطن الضعف الذي كان يريد الدفاع عنه ، والحماية له .. الضيف الذين ظن أنهم وقعوا لقمة سائغة لأيدى هؤلاء القوم الآثمين ، هم مطلع هذه النجدة !

« قَالُوا يَا لُوطُ .. إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ .. لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ .. فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ .. وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ .. إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ .. إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ .. أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ». لقد كشف الرسل عن أنفسهم للوط ، فعرف ، من هم ؟ وما الأمر الذي جاءوا له ؟ إنهم رسل الله ، وقد جاءوا إليه بالمهلكات لقومه ، وليخرجوه من بين هؤلاء القوم ، حتى لا يقع عليه مكروه من البلاء الذي سيحلّ بهم.

« إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ » وإذ كنّا كذلك ، فإنهم « لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ » ولن يستطيعوا أن يخلصوا إلينا ، وينتزعونا من يدك ..

« فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ».. سرى ، وأسرى ، أي سار ليلا .. والقطع من الليل ، هى البقية منه ، قبيل دخول النهار .

والأمر الذي توجه به الملائكة إلى لوط ، هو أن يخرج بأهله فى بقية من الليل ، أي قبل أن يطلع الصباح ، وألا يلتفت هو ومن معه إلى الوراء ، حيث القرية التي خلفوها وراء ظهورهم .. وفى النهى عن الالتفات إلى تلك القرية ومن فيها ، إشارة إلى أنها دار إثم ، ومباءة فسق ، ينبغى أن يقطع المؤمن كل مشاعره نحوها ، فلا يتبعها بصره ، ولا يلقى عليها نظرة وداع .. وهكذا ينبغى أن يكون شأن المؤمن مع كل منكر .. أن يعتزله ، ويعتزل مواطنه ، والمتعاملين به .. فلا يحوم حوله ، ولا يمرّ بداره ، ولا يتصل بأهله .. فإن المنكر مرض خبيث ، يعلق داؤه بكل من يدنو منه .. أو يتنفس فى الجو الذي تفوح عفونته فيه! .. ولهذا فقد أمر النبي ﷺ المسلمين حين مرّوا بديار ثمود ، وهم فى طريقهم إلى تبوك — أمرهم أن يجذّوا فى السير ، وألا يلتفتوا إلى هذه المواطن ، وأن يغلقوا حواسهم عنها ، حتى لا يدخل عليهم شئ منها .. شأنهم فى هذا شأن من يمرّ بجثث متعفنة ، تهب منها ريح خبيثة ، فيسدّ أنفه ، وينطلق مسرعا حتى يبرحها .. وفى هذا درس عمليّ للتشجيع على المنكر وأهله .

وفى قوله تعالى : « إِلَّا أَمْرَاتُكَ » إشارة إلى أن امرأة لوط لا تملك من أمرها ألا تلتفت ، بل هى مقهورة على الالتفات ، والخروج عن هذا النهى ، وذلك لما أراد الله لها من هلاك .. « إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ».. لأنها كانت مع القوم بمشاعرها وعواطفها ، ولهذا التفتت إليهم ، وخالفت أمر الله . بألا يلتفت أحد ممن خرج مع لوط من أهله .. ولم تفرّ منهم كما يفرّ المرء من بلاء طلع عليه ، أو مكروه أحاط به ، فكان أن أخذها الله بما أخذ به هؤلاء القوم الآثمين .. إنها منهم ، وحقّ عليها ما حقّ عليهم : « إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ».

« إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ .. أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ».. وفى هذا تطمين للوط ، وأن ما بينه وبين القوم سينتهى مع مطلع هذا الصباح من ليلته تلك .. ثم هو من جهة أخرى حثّ للوط على أن يبادر الصباح قبل أن يطلع عليه ، وأن يخرج من القرية ومعه بقية من الليل ، حتى يتعد عن القرية قبل أن يقع هذا الانفجار المهول ، مع أول خيوط من ضوء الصباح .. « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟ » فهذا استفهام تقريرى ، بمعنى ألا ترى أن الصباح قريب .. فهيا أسرع ، وخذ أهبتك للخروج من هذه القرية ، قبل أن يدركك الصباح ، وتقع الواقعة! ٢٢٩

وجاء العذاب كما قال تعالى : { فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) [الحجر : ٦١ - ٧٧] }

قوله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ » أي في هذه المخلفات آية لمن كان مستعدا للإيمان ، حين تلوح له دلائل الحق ، وتبدو له شواهد ..

ومن إعجاز القرآن هنا ما نجده في اختلاف النظم بين فاصلتي الآيتين في قوله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » وفي قوله سبحانه : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ » .

. ومن أسرار هذا الاختلاف :

أولا : أن المتوسمين — وهم كما قلنا — أصحاب البصر الحديد والبصيرة النافذة — تتكشف لهم من ظواهر الأشياء أمور لا تتكشف لغيرهم من سائر الناس ..

فهم يرون آيات ، على حين يرى غيرهم آية .. « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » وذلك فيما تحدث به أخبار القوم الظالمين ..

وثانيا : أن المؤمنين ، أو من في كيانهم استعداد للإيمان — هؤلاء ، لا يحتاجون إلى كثير من الأدلة والبراهين ، حتى يذعنوا للحق ، ويهتدوا إلى الإيمان ، وإنما تكفيهم الإشارة الدالة ، أو اللمحة البارقة ، حتى يكونوا على طريق الإيمان .. « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ » .. وذلك فيما تحدث به مخلفات هؤلاء القوم الهالكين.

وثالثا : أن الإيمان أمره هيّن ، ومراده قريب .. وأن القاصد إليه ، الباحث عنه ، لا يحتاج إلى معاناة نظر ، أو كدّ ذهن ، وكل ما يحتاج إليه في تلك الحال ، هو أن يخلى نفسه من التشبث ، والعناد ، والمكابرة ، وأن يلقي وجه الإيمان بقلب سليم ، ورأى مستقيم .. عندئذ يرى أن الإيمان أقرب شيء إليه ، وآلف حقيقة عنده .. إذ كان جاريا مع الفطرة الإنسانية ، متجاوبا مع أشواقها وتطلعاتها.

هذا ، وقد جاء النظم القرآني لقصة لوط هنا ، مخالفا لما جاء عليه في مواضع أخرى .. ذلك أن الملائكة هنا أخبروه بملاك القوم ، وبما ينبغي أن يفعله هو وأهله حتى لا يترل بهم ما يترل بأهل القرية من دمار وهلاك — أخبروه بهذا قبل أن يعلم أهل القرية بهم ، وقبل أن يجيئوا إلى لوط يريدون الفاحشة في هؤلاء الضيوف .. هكذا تحدث الآيات هنا

وفي مواضع أخرى جاء النظم القرآني على غير هذا ، كما يقول الله تعالى في سورة « هود » مثلاً :  
« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ  
إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي  
ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ  
أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ بِهِمُكَ  
بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ  
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » (الآيات : ٧٧ — ٨١ : هود) وترتيب الأحداث هنا غير ترتيبها في النظم السابق ..

كما ترى .. فما جواب هذا ؟

والجواب — والله أعلم — هو أن الملائكة في هذه الآيات — قد ألقوا بالبشرى إلى لوط ، حين التقوا  
به ، ورأوا ما دخل عليه منهم من خوف وفرع ، فقالوا له : « لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ  
وَأَهْلُكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ » . ثم جاءه قومه بعد ذلك ، وكان ما كان منهم معه ومع  
الملائكة .. فكان من لوط كرب وضيق مما حلّ بالملائكة ، وتشبث قومه بهم ، ومحاولة الاعتداء عليهم  
، فكان حديث الملائكة له بقولهم : « إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ » توكيدا لما حدثوه به من قبل ، وأنهم إذا كانوا  
على تلك الصفة فلن ينالهم أحد بمكره .. ثم كان من تمام ذلك أن أعادوا تذكيره بما حدثوه به من  
قبل ، وهو أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلى هؤلاء القوم الذين خلفوهم  
وراءهم ليلاقوا مصيرهم.<sup>٢٣٠</sup>

إننا نعلم علم اليقين أن الظواهر الكونية كلها تجري وفق ناموس الله الذي أودعه هذا الكون. ولكن  
كل ظاهرة وكل حدث في هذا الكون لا يقع بأية حتمية إنما يقع وفق قدر خاص به. بلا تعارض بين  
ثبات الناموس وجريان المشيئة بقدر خاص لكل حدث .. كذلك نحن نعلم علم اليقين أن الله سبحانه  
يجري في حالات معينة أقدارا معينة بأحداث معينة لوجهة معينة. وليس من الضروري أن يكون ذلك  
الذي دمر قرى لوط زلزال أو بركان عادي فقد يريد الله أن يتزل بهم ما يشاء ، وقتما يشاء ، فيكون  
ما يشاء ، وفق ما يشاء .. وهذا هو المنهج الإيماني في تفسير معجزات الرسل أجمعين ..

وقرى لوط تقع في طريق مطروق بين الحجاز والشام يمر عليها الناس. وفيها عظام لمن يتفرس ويتأمل  
، ويجد العبرة في مصارع الغابرين. وإن كانت الآيات لا تنفع إلا القلوب المؤمنة المفتحة المستعدة  
للتلقي والتدبر واليقين : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
لِّلْمُؤْمِنِينَ» .. وهكذا صدق النذير ، وكان نزول الملائكة إيذانا بعذاب الله الذي لا يرد ولا يعجل ولا  
يحيد.<sup>٢٣١</sup>

<sup>٢٣٠</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - ( ٧ / ٢٥٤ )

<sup>٢٣١</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٤ / ٢١٥٠ )

وقد ثبت علمياً أن الرجم يصحب بصوت مدو وأن أشد ما يكون وقع الرجم على الأرض حال الشروق لتعامد الأحجار على سطح الأرض حال الشروق، ثم عُرفت أرض سدوم ورفعت إلى السماء وجعل عاليها سافلها ؛ ومثل هذا يُحدث هبوطاً في سطح الأرض جعل هذه المنطقة أخفض منطقة على الأرض. وأصبح مكانها بحيرة لا حياة فيها هي البحر الميت<sup>٢٣٢</sup>.

#### ٥- حمل الملائكة للتأبوت في عهد نبي من أنبياء بني إسرائيل :

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْبَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) [البقرة : ٢٤٦-٢٤٨]

قال المُفسِّرون إنَّ بني إسرائيل كانوا في زمن موسى على طريق مُستقيم ، وَلَبِثُوا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ . ثُمَّ تَضَعُضَعُ أَمْرُهُمْ ، وَعَبَدَ بَعْضُهُمُ الْاَوْثَانَ ، وَضَاعَ الْمُلْكُ مِنْهُمْ . وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ بِالْقَهْرِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا ، وَأَمَرَهُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَتَوْحِيدِهِ . فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ أَعْدَاءَهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : لَعَلَّكُمْ إِنْ أَقَامَ اللَّهُ لَكُمْ مَلِكًا أَلَّا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَلَّا تُؤْفُوا بِمَا التَّزَمْتُمْ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ مَعَهُ . فَقَالُوا : كَيْفَ لَا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ ضَاعَتْ بِلَادُنَا ، وَسُبَيْتَ ذُرَارِينَا؟ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ لَمْ يُؤْفُوا بِمَا وَعَدُوا ، وَنَكَلُوا عَنِ الْجِهَادِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ النَّاكِلِينَ عَنِ الْجِهَادِ دِفَاعًا عَنْ دِينِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمَّتِهِمْ .

كَانَ مُلْكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سَبْطِ يَهُوذَا وَلَمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ إِنَّ الْمَلِكَ سَيَكُونُ طَالُوتَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ يَهُوذَا ، احْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَهُوَ لَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ تَحْمِيلَ نَفَقَاتِ الْمَلِكِ؟ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِ ، وَزَادَهُ عِلْمًا وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ ، وَجَعَلَهُ أَصْبَرَ مِنْكُمْ عَلَى الْحُرُوبِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، وَهُوَ وَاسِعُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمُلْكَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ .

<sup>٢٣٢</sup> - البحر الميت يختلف عن سائر البحار فلا يشترك معها في مستوى السطح فهو أخفض منطقة في الأرض، ولا حياة فيه .

كَانَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةُ وَتَأْبُوتُ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْذُ مَطْلَعِ تَارِيخِهِمْ ، وَكَانَ يَرِثُهُ خَلْفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ ، وَكَانُوا يَتَّبِعُونَ بِهِ فِي حُرُوبِهِمْ . وَلَمَّا ضَلُّوا وَبَغَوْا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ ( وَهُمْ الْعَمَالِيقُ الْفِلَسْطِينِيُّونَ ) ، وَقَدْ حَارَبُوا الْيَهُودَ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ ، فَأَخَذُوا التَّابُوتَ وَنَكَّلُوا بِهِمْ تَنْكِيلًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ عِلَامَةَ رِضَا اللَّهِ عَلَى مُلْكٍ طَالُوتَ هُوَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكُمُ التَّابُوتَ فَيُورِثَكُمُ رُؤْدَهُ عَلَيْكُمْ السَّكِينَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ . وَفِي التَّابُوتِ التَّوْرَةُ وَبَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ مُوسَى وَهَارُونُ وَمِنْهَا بَقَايَا الْأَلْوَاحِ . فَجَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيِ طَالُوتَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ . وَفِي ذَلِكَ آيَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ ، وَعَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ وَجُوبِ إِطَاعَةِ طَالُوتَ ، هَذَا إِنْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ٢٣٣

#### ٦- بشارة الملائكة لزكريا عليه السلام :

قال تعالى عن النبي زكريا عليه السلام : { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) } [آل عمران : ٣٧-٤١]

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا نَذِيرَةً مُحَرَّرَةً لِلْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ بَيْتِهِ ، وَأَحْسَنَ نَشَأَتَهَا وَنَبَاتَهَا ، وَقَرَنَهَا بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ ، تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ الْعِلْمَ وَالْخَيْرَ وَالدِّينَ .

وَجَعَلَ زَكَرِيَّا كَافِلًا لَهَا ، إِثْمَامًا لِسَعَادَتِهَا ، لِتَقْتَسِبَ مِنْهُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ . وَكُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا مَكَانَ مُصَلَّاها ( الْمِحْرَابَ ) وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، فَكَانَ زَكَرِيَّا يَسْأَلُهَا مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الرِّزْقُ يَا مَرْيَمُ؟ فَتَرُدُّ عَلَيْهِ قَائِلَةً إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَرْزُقُ النَّاسَ جَمِيعًا بِتَسْخِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ رِزْقًا كَثِيرًا بِلَا حُدُودٍ؟

فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا مِنْ كَرَامَاتِ مَرْيَمَ ، وَكَانَ قَدْ اشْتَغَلَ رَأْسُهُ شَيْبًا ، وَأَصْبَحَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السِّنِّ ، طَمِعَ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ مِثْلُهَا هَبَّةً وَفَضْلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ عَاقِرًا ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَنَادَاهُ نِدَاءً خَفِيًّا ، وَقَالَ : يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، إِنَّكَ تَسْمَعُ دُعَاءَ الصَّالِحِينَ ، وَأَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَى الْجَابَةِ .

فَخَاطَبَتْهُ الْمَلَائِكَةُ حِطَابًا سَمِعَهُ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِحْرَابِهِ ، وَمَحَلُّ خَلْقِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ يُوَلِّدُ لَكَ اسْمُهُ يَحْيَى ، يَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُصَدِّقُ بَعِيسَى الَّذِي خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ، إِذْ قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ ، وَيَكُونُ حَلِيمًا وَسَيِّدًا يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الشَّرَفِ وَالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ ، وَيَكُونُ حَصُورًا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنْ اتِّبَاعِ شَهَوَاتِهَا ، وَيَكُونُ مَعْصُومًا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَسَيَكُونُ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ حِينَمَا يَبْلُغُ سِنَ النَّبُوَّةِ .

فَلَمَّا تَحَقَّقَ زَكَرِيَّا مِنَ الْبَشَارَةِ ، أَخَذَ يَتَعَجَّبُ مِنْ وَلَادَةِ وَلَدٍ لَهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ، فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ، وَقَدْ كَبِرْتُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ لَا تَلِدُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَائِلًا : إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُرِيدُ ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَلَا يَتَعَاطَمُهُ أَمْرٌ ، وَلَا يَحُولُ دُونُ نَفَازِ مَشِئَتِهِ حَائِلٌ .

قَالَ زَكَرِيَّا : رَبِّ اجْعَلْ لِي عَلَامَةً ( آيَةٌ ) أَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى وُجُودِ الْوَلَدِ مِنِّي . قَالَ : الْعَلَامَةُ عَلَى ذَلِكَ هِيَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ التُّطُقَ مَعَ اسْتِوَاءِ صِحَّتِكَ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَهُ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَسْبِيحِهِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ حِينَمَا تَعْرِضُ لَهُ هَذِهِ الْحَالَةُ<sup>٢٣٤</sup> .

#### ٧- الملائكة وعيسى بن مريم عليه السلام :

ذكر الحق تبارك وتعالى أن الملائكة بشرت أم عيسى به فقال تعالى: { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) } قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥٠) } [آل عمران : ٤٥ - ٥٠]

وما كنت - يا نبي الله - هناك حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: "كن"، فيكون، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله يوم القيامة.

ويكلم الناس في المهد بعد ولادته، وكذلك يكلمهم في حال كهولته بما أوحاه الله إليه. وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد، وهو معدود من أهل الصلاح والفضل في قوله وعمله.

<sup>٢٣٤</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٣١)

قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: أئنّى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بغي؟ قال لها الملك: هذا الذي يحدث لك ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجد ما يشاء من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: "كن" فيكون.

ويعلمه الكتابة، والسداد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، ويقول لهم: إني قد جئكم بعلامة من ربكم تدلّ على أي مرسل من الله، وهي أي أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيرا حقيقيا بإذن الله، وأشفى من وُلد أعمى، ومن به برص، وأحيي من كان ميتا بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتذخرون في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلا على أي نبي الله ورسوله، إن كنتم مصدّقين حجج الله وآياته، مقرّين بتوحيده.<sup>٢٣٥</sup>

وقد ثبت عن ابنِ المُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ »<sup>٢٣٦</sup> .

وَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ « مَا شَأْنُكُمْ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ. فَقَالَ « غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِيهِ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمُرُّوْا حَاجِيهِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابُّ قَطَطٍ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَابْتُتُوا ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ « أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمَ كَسَنَةٍ وَيَوْمَ كَشْهَرٍ وَيَوْمَ كَحْمَعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتُكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ « لَا اقْدُرُوا لَهُ قُدْرَهُ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ « كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَعُهُ ضُرُوعًا وَأَمَدُهُ خَوَاصِرٌ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيَصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرَبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكَ. فَتَنْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةِ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ

<sup>٢٣٥</sup> -- = التفسير الميسر - (١ / ٣٤٤)

<sup>٢٣٦</sup> - صحيح البخارى - المكثر - (٢٢٢٢) - المقسط : العادل

مَرِيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاصْبَعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيُطْلَبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بَدْرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةٌ مَاءً. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٌ وَلَا وَبَرٌ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبَتِي ثَمَرَتَكَ وَرُدِّي بَرَكَتَكَ.

فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْعَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».<sup>٢٣٧</sup>

## ٨- الملائكة والنبي محمد ﷺ

### أ- قيمة النبي ﷺ لاستقبال الوحي :

لقد أوكل الله سبحانه وتعالى بعبده ونبيه محمد ﷺ ملائكته الكرام وعلى رأسهم جبريل عليه السلام ليحيطوه بالرعاية والعناية والحفظ والتأييد منذ صغره وحتى مفارقتة للدنيا وإليك بيان ذلك .

<sup>٢٣٧</sup> - صحيح مسلم- المكثر - (٧٥٦٠)

البخت : واحدتها البختية وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين = الحذب : الغليظ من الأرض في ارتفاع = حرز : ضم = خلة : طريق = الذرى : جمع الذروة وهي أعلى الشئ والمراد السنام = الرسل : اللين = يرغب : يدعو = الزلفة : المكان يجفر ليحبس فيه ماء السماء وقيل المرأة = الزهم : الريح المنتنة = الزهمة : الريح المنتنة = السارحة : الماشية = العاسيب : جمع يعسوب وهو ذكر النحل = عاث : أفسد = الفتام : الجماعة الكثيرة = الفخذ : حى الرجل إذا كان من أقرب عشيرته = الفرسى : جمع الفريس وهم القتلى = القحف : القشر = القطط : شديد جعودة شعر الرأس = يكن : يستر = اللقحة : الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة = الممحل : المحذب المقحط = المدر : القرى والأمصار واحدتها مدرة = ينسلون : يخرجون مسرعين = النعف : جمع النعفة وهو دود يوجد في أنوف الإبل والغنم فتموت به في أقرب وقت = يتهارجون : يجامعون النساء بحضرة الناس = المهرودة : الحلة أو الشقة وقيل الثوب المهروود الذى يصبغ بالورس والزعفران = الوبر : البيت المتخذ من صوف الإبل والمراد أهل البادية

فعندما كان غلاماً يلعب مع الصبيان في بادية بني سعد ، كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَتَاهُ جَبْرِيلُ - ﷺ - وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ. ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْعِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظَهْرَهُ - فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَفِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ.<sup>٢٣٨</sup>

ولما أراد الله إكرامه بالإسراء والمعراج أجرت الملائكة له عملية أخرى في قلبه لملئه حكمة وإيماناً كما جاء عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُمَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ"<sup>٢٣٩</sup>

## ب- ولاية جبريل والملائكة للرسول ﷺ :

لقد كان لروح القدس جبريل عليه السلام وإخوانه من الملائكة الكرام عناية خاصة وعلاقة حميمة بالرسول محمد ﷺ. قال تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} (٤) سورة التحريم. وَجَّهَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ خِطَابَهُ الْكَرِيمَ إِلَى زَوْجَتِي النَّبِيِّ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَيْهِ ( وَهُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ ) فَقَالَ لَهُمَا : إِنْ تَتُوبَا مِنْ ذُنُوبِكُمَا ، وَتُقْلِعَا عَنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ ، تَكُنْ قُلُوبُكُمَا قَدْ مَالَتْ إِلَى الْخَيْرِ ، وَتَكُونَا قَدْ أَدَيْتُمَا مَا يَجِبُ عَلَيْكُمَا نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَتُكْرِمَ لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ .<sup>٢٤٠</sup>

## ج- الوحي إليه :

أرسل الله جبريل عليه السلام بالوحي إلى عبده ونبيه محمد ﷺ . قال تعالى : { وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) } [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٦] وَإِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي تَقْدَمُ التَّنْوِيهِ بِهِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ { أَنْزَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ، وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فَخَبَرُهُ صَادِقٌ ، وَحُكْمُهُ نَافِذٌ . وَهَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ، وَجَاءَكَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) .

<sup>٢٣٨</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٤٣١ )

المخيط : الإبرة = الظئر : المرضعة غير ولدها ويقع على الرجل والمرأة = العلقة : الدم الغليظ المنعقد = لأمه : ضم بعضه إلى بعض = المنتقع : المتغير اللون

<sup>٢٣٩</sup> - أخبار مكة للفاكهي - ( ٢ / ٢٤ ) ( ١٠٧١ ) و صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٤٩ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٤٣٣ ) مطولا

<sup>٢٤٠</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥١١١ )

وهذا القرآن أنزله عليك يا مُحَمَّدُ ، وتلاه عليك الروح الأمين حتى وعيته بقلبك لتُنذِرَ به قومك .  
وقد أنزل الله تعالى هذا القرآن عليك بلسانٍ عربيٍّ فصيحٍ واضحٍ ليكونَ بيناً واضحاً في دلالته ، قاطعاً  
للْعُدْرِ .

وقد وردَ ذكرُ هذا القرآنِ والتَّنوُّيه به في كُتُبِ الأولين الماثورة عن أنبيائهم الذين بشرُوا به في سالفِ  
الأيام ، كما أخذَ اللهُ الميثاقَ عليهم بأن يؤمنُوا به .<sup>٢٤١</sup>

عن عائشة ، قالت : أولُ ما بُدئَ برَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ يَرَاهَا فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا  
يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبَّبَ لَهُ الْخَلَاءُ ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ  
التَّعَبُ الدَّلِيَالِي ذَوَاتِ الْعِدَّةِ وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِكِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ ، فَتَزَوَّدُهُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجَّاهُ الْحَقُّ  
وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، قَالَ  
: فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ لِي : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي  
فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي  
فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } [العلق : ]  
حَتَّى بَلَغَ { مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق : ] ، قَالَ : فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ :  
زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ . ثُمَّ قَالَ : يَا خَدِيجَةُ مَا لِي ؟ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ :  
قَدْ حَشَيْتُهُ عَلَيَّ ، فَقَالَتْ : كَلَّا أَبْشِرْ ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ  
الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى  
أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ، وَكَانَ أَخَا أَبِيهَا ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ  
الْعَرَبِيَّ ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ  
خَدِيجَةُ : أَيُّ عَمٍّ ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ وَرَقَةُ : ابْنُ أَخِي ، مَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ  
مَا رَأَى ، فَقَالَ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ فِيهَا جَدْعًا ، أَكُونُ حَيًّا  
حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَمُخْرِجِي هُم ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ قَطُّ بِمَا  
جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي وَأُودِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا . ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ .  
وَفَتَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا بَلَعْنَا<sup>٢٤٢</sup> حُرْنَا غَدًا مِنْهُ مِرَارًا لِكَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ  
شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ كَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهَا تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ  
، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأْشُهُ ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ ، فَيَرْجِعُ ، فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدًا  
لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ الْجَبَلِ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ .<sup>٢٤٣</sup>

<sup>٢٤١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٠٠٦ )

<sup>٢٤٢</sup> - قلت : هذا من بلاغات الزهري ولا يصح يعني موضوع الهم بالتردي من الجبل

<sup>٢٤٣</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣ ) وصحيح ابن حبان - ( ١ / ٢١٦ ) ( ٣٣ )

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُعبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَذَرُّوْنِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتَبَاكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) [المدثر : ١ - ٥] - قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ - وَهِيَ الْأَوْتَانُ » ٢٤٤ .

#### \* كيفية إتيان الملك بالوحي للنبي ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَصلةِ الْجَرَسِ - وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ - فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبَى مَا يَقُولُ » . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا ٢٤٥ .

#### د- تعليمه :

لَقَدْ كَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ زِيَادَةٍ وَبَيَانٍ وَإِبْطَاحٍ لِأُمُورِ الدِّينِ وَمِنْ ذَلِكَ إِمَامَتُهُ لَهُ فِي الصَّلَاةِ . فِي السَّنَنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَمْنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ قَدَرُ الشَّرَاكِ وَصَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ وَصَلَّى بِي - يَعْنِي الْمَغْرِبَ - حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ وَصَلَّى بِي الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّقَقُ وَصَلَّى بِي الْفَجْرَ حِينَ حَرَّمَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عَلَى الصَّائِمِ فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ صَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ وَصَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلِيهِ وَصَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ وَصَلَّى بِي الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ وَصَلَّى بِي الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ وَالْوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ » ٢٤٦ .

#### هـ- مدارسته القرآن الكريم :

المؤزر : القوى = جذعا : شابا فتيا = يتحنث : يتعبد = الروع : الفزع = زمل : لف وغطى = زمل : لف وغطى = المعدوم : الشيء المعدوم الذي لا يجدونه أو الفقير الذي صار كالمعدوم = فتر : انقطع = تقرى : تكرم الضيف وتقوم بحق ضيفاته = تكسب : تعطى المال للفقير = الكل : أصله النقل ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال = الناموس : الوحي

٢٤٤ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٩٢٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٤٢٥ )

جنث : فزعت = دثرون : غطون بما أستدفى به = الفترة : الانقطاع

٢٤٥ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٢ ) - الصلصلة : صوت الجرس = يتفصد : يسيل = يفصم : يقلع عنى

٢٤٦ - سنن أبي داود - المكثر - ( ٣٩٣ ) وسنن الترمذى - المكثر - ( ١٤٩ ) صحيح

أسفرت : أضاءت = الشراك : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها

كان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى عليه وسلم القرآن الكريم في رمضان، فعن ابن عباس قال كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله - ﷺ - أجود بالخير من الرياح المرسله<sup>٢٤٧</sup> .

#### و- الملائكة تحمي رسول الله ﷺ :

يختص الله تعالى الرسل بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونهم ليتمكنوا من أداء رسالاته سبحانه ، وهذا عام في جميع الرسل. كما قال تعالى : {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) } [الجن : ٢٦ - ٢٨]

والله تعالى هو الذي يعلم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه ، ولا يطلع على غيبه أحدًا من خلقه .  
إلا من ارتضى الله تعالى أن يطلع من الرسل ، على ما شاء من الغيب ، فإنه يطلع . والله يجعل من بين يدي رسله ، ومن خلفهم ، حفظة من الملائكة الأبرار يحفظونهم من وساوس الشياطين ، حتى يبلغوا ما أوحى الله به إليهم ، كما تحفظهم الملائكة من أذى شياطين الإنس حتى لا يؤذوهم ، ولا يضرهم .

والله تعالى يحفظ رسله ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظوا ما ينزل عليهم من الوحي ليعلم إن كانوا قد بلغوا هذه الرسالات ؛ وهو تعالى قد أحاط علماً بما عند الراصد من الملائكة ، وأحصى ما كان وما سيكون فرداً فرداً ، فهو عالم بجميع الأشياء ، لا يشاركه في علمه أحد من خلقه لا الملائكة ولا غيرهم .<sup>٢٤٨</sup>

ومن حماية الله لرسوله بالملائكة ما روي عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قال فبيل نعم. فقال واللات والعزى لئن رأيته بفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب - قال - فأتى رسول الله - ﷺ - وهو يصلي زعم ليظاً على رقبته - قال - فما فجنهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده - قال - فبيل له ما لك فقال إن بيني وبينه لخندق من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله - ﷺ - « لو دنا مني لأحتطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال فأنزله الله عز وجل لا ندرى في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه (كلاً إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرايت إن كذب وتولى) - يعني أبا جهل - (ألم يعلم بأن الله يرى كلاً لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلاً لا تطعه)<sup>٢٤٩</sup>

<sup>٢٤٧</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦ )

<sup>٢٤٨</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٣٥١ )

<sup>٢٤٩</sup> - صحيح مسلم ( ٧٢٤٣ )

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، فَبِالَّذِي يُحْلِفُ بِهِ لَنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي لِبَطْأً عَلَى رَقَبَتِهِ . قَالَ : فَمَا فَجَّاهُمْ إِلَّا أَنَّهُ يَتَّقِي بِيَدِهِ ، وَيَنْكُصُ عَلَى عَقَبِيهِ ، فَأَتَوْهُ ، فَقَالُوا : مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : إِنَّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَهَوَلاً وَأَجْنَحَةً . قَالَ أَبُو الْمُعْتَمِرِ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ حَلَّ وَعَلَاً : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى } [العلق] إِلَى آخِرِهِ { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ } [العلق] ، قَالَ قَوْمُهُ : { سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ } [العلق] قَالَ الْمَلَانِكَةُ : { لَا تُطِيعُهُ } [العلق] ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ مِنَ السُّجُودِ فِي آخِرِ السُّورَةِ ، قَالَ : فَبَلَّغْنِي عَنِ الْمُعْتَمِرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَانِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا. ٢٥٠

وهذا جبريل وميكائيل يقاتلان عنه يوم أحد. فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيضٌ ، كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ ٢٥١ .

وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ . يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. ٢٥٢

#### ز- الملائكة تكشف السحر عن النبي ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ ، أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطْبُوبٌ . قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ . قَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ ، وَجُفٍّ طَلَعَ نَخْلَةً ذَكَرَ . قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بَثْرِ ذُرْوَانَ » . فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُفَاعَةُ الْحِنَاءِ ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَسْتَخْرِجُهُ قَالَ « قَدْ عَافَانِي اللَّهُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَوَّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا » . فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ .. ٢٥٣

---

وَلِهَذَا الْحَدِيثِ أُمْتِلَةُ كَثِيرَةٌ فِي عِصْمَتِهِ ﷺ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ ، مِمَّنْ أَرَادَ بِهِ ضَرَرًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } وَهَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ " شرح النووي على مسلم - ( ١٧٥ / ٩ )

٢٥٠ - صحيح ابن حبان - ( ١٤ / ٥٣٢ ) ( ٦٥٧١ )

٢٥١ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٤٠٥٤ )

٢٥٢ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦١٤٤ )

٢٥٣ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٥٧٦٣ ) أطرافه ٣١٧٥ ، ٣٢٦٨ ، ٥٧٦٥ ، ٥٧٦٦ ، ٦٠٦٣ ، ٦٣٩١ تحفة ١٦٧٦٥ ،

١٦٨١٢ ، ١٦٩٢٨ ، ١٧٠٢٢ ، ١٧١٣٤ ، ١٧١٤٥ - ١٧٧٧ / ٧ وصحيح مسلم - المكثر - ( ٥٨٣٢ )

الجُب : وعاء طلع النخل = المطبوب : المسحور = المشاطة : ما يسقط من الشعر عند تسريحه = النقاة : الماء الذي توضع فيه الحناء والمراد أنه متغير اللون

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودِيٍّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ ، وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشْعُرْتِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ ، قَدْ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَجَلَسَ الْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي : مَا وَجَعَ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ ، قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ . قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طَلَعَتْ ذَكَرٍ . قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بَيْتِ ذُرْوَانَ . قَالَ : فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ فَكَّانَ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ ، وَلَكَّانَ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلَا أَحْرَفْتَهُ أَوْ أَخْرَجْتَهُ ؟ . قَالَ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ .

وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، سَحَرَهُ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ ، حَتَّى كَانَ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ ، قَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشْعُرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ ، أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : مَا وَجَعَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ الْآخَرُ : مَطْبُوبٌ . فَقَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ . قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طَلَعَ نَخْلَةً ذَكَرٍ . قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بَيْتِ ذُرْوَانَ . قَالَتْ : وَأَتَاهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ ، وَكَأَنَّ رَأْسَ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهَا ؟ قَالَ : قَدْ عَافَانِي اللَّهُ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ شَيْئًا . (أخرجهما ابن حبان) ٢٥٤

### ح- نصر الملائكة له في غزواته

فقد نصره الله بالملائكة في غزوة بدر ، قال تعالى : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) } [الأنفال : ٩ - ١٠] .

حِينَمَا التَقَتِ الْفِئَتَانِ ، الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ ، وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرِي الْعَدَدِ ، فَاسْتَعَاثَ الرَّسُولُ بِرَبِّهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْجِزْنِي وَعِدَّتَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ . وَفِيهَا يُعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لِدُعَائِهِ وَدُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُ سَيَمُدُّهُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَأْتُونَهُمْ مَدَدًا يُرْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، أَيْ يَأْتِي بَعْضُهُمْ إِثْرَ بَعْضٍ .

وَيَذْكُرُ تَعَالَى : أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ إِرْسَالَ الْمَلَائِكَةِ لِإِمْدَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرِ إِلَّا بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ، وَتَطْمِينًا لِّقُلُوبِهِمْ ، بِأَنَّهُمْ سَيَنْتَصِرُونَ ، وَتَثْبِيثًا لِأَقْدَامِهِمْ أُنْتَاءَ الْقِتَالِ ، لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى نَصْرِهِمْ بِدُونِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَانِبُ ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ .<sup>٢٥٥</sup>

وأيده بالملائكة في غزوة الأحزاب كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) } [الأحزاب : ٩].

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ ، وَبِعَدَمِ الْخَوْفِ مِنْ سِوَاهُ ، ذَكَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمٍ ، وَمِنْ تَحْقِيقِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِ ، وَذَلِكَ حِينَمَا جَاءَهُمْ جُنُودُ الْأَحْزَابِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا كَفَّاتٍ قُدُورَهُمْ ، وَافْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ - وَهُمْ جُنُودُهُ ، وَلَمْ يَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ - يُوقِعُونَ الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ وَالْخِذْلَانَ فِي نُفُوسِ الْمُشْرِكِينَ ، فَارْتَحَلُوا فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، وَكَانَ اللَّهُ بَصِيرًا بِأَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَصِدْقِ نِيَّاتِهِمْ ، فَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهُمْ .<sup>٢٥٦</sup>

وأيده كذلك بالملائكة عند ذهابه لغزة بني قريظة ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُفَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .<sup>٢٥٧</sup>

وأيده كذلك بالملائكة في غزوة حنين ، كما قال تعالى في ذكر غزوة حنين : { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٤٠) سورة التوبة

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ ، كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ حِينَ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ حِينَ هَاجَرَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا هَارِبًا بِصُحْبَةِ صَدِيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَجَا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمَا حَتَّى وَقَفُوا بِبَابِ الْغَارِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ جَزَعًا : لَوْ نَظَرْنَا أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لَرَأَيْنَا . فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ : مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ طَمَئِنَّتَهُ وَتَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَأَيَّدَهُ بِالْمَلَائِكَةِ تَحْفَظُهُ وَتَحْمِيهِ ( بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ) ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ السُّفْلَى ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ وَانْتِصَارِهِ ، وَهُوَ مَنِيعُ الْجَانِبِ لَا يُضَامُ ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ .<sup>٢٥٨</sup>

ط- رقية جبريل للرسول ﷺ :

<sup>٢٥٥</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١١٧٠ )

<sup>٢٥٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٤٢٣ )

<sup>٢٥٧</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤١١٨ )

<sup>٢٥٨</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٢٧٦ )

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيتَ فَقَالَ « نَعَمْ ». قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ  
أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ.<sup>٢٥٩</sup>

=====

---

<sup>٢٥٩</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٥٨٢٩)

## المبحث الخامس

### الملائكة والمؤمنون

للملائكة مع المؤمنين صلة حميمة ، يدعون للمؤمنين ويصلون عليهم ويستغفرون لهم ويتولونهم ويشرونهم عند الممات ، وسوف نعرض لطائفة من أعمالهم مع المؤمنين كما جاءت في الكتاب والسنة :

#### ١- الصلاة على المؤمنين

قال تعالى : { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } (٤٣) سورة الأحزاب .

يَحُثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ذِكْرِ رَبِّهِمْ ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ تَعَالَى يَذْكُرُهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنْ عِبَادِهِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ ، وَإِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى ، وَهِدَايَتِهِ ، وَدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلُمَةِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ ، وَهُوَ تَعَالَى رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . أَمَّ رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَبَصَّرَهُمْ بِالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ . وَأَمَّا رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ آمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ يَتْلَقُوهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ ، وَالتَّجَاةِ مِنَ النَّارِ .<sup>٢٦٠</sup>

قال الشوكاني رحمه الله : والصلاة من الله على العباد رحمة لهم ، وبركته عليهم ، ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار.<sup>٢٦١</sup>

ويذكر الله لعباده دعاء الملائكة المفعم بحب الخير للمؤمنين ، قال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) } [غافر : ٧-٩]

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنْزِلُونَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُسِيئِينَ الَّذِينَ تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ فَعَلِ الْخَيْرِ ، وَتَرَكَ الْمُنْكَرِ ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ ( يَقِي ) هَؤُلَاءِ التَّائِبِينَ الْمُتَنَبِّينَ عَذَابَ النَّارِ .

<sup>٢٦٠</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٤٥٧ )

<sup>٢٦١</sup> - فتح القدير - ( ٦ / ٥٤ )

وَتَتَابَعِ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ دُعَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ ، فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ ، وَأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُمُ الْجَنَّاتِ الصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ لِتَقَرَّبَ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ ، فَإِنَّ الْجَمْعَ بِالْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ فِي مَوَاضِعِ الشُّرُورِ يَكُونُ أَكْمَلَ لِلْبَهْجَةِ وَالْأُنْسِ ، فَأَنْتَ يَا رَبَّ الْعَالِبِ الَّذِي لَا يُقَاوَمُ ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَفَعْلِهِ وَتَدْبِيرِهِ .  
وَاصْرِفْ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا افْتَرَفُوهُ مِنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ ( أَوْ اصْرِفْ عَنْهُمْ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ ) ، وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ عَاقِبَةَ مَا ارْتَكَبَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ السَّيِّئَةِ فَإِنَّكَ تَكُونُ قَدْ رَحِمْتَهُ ، وَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ ، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ فَوْزٌ .<sup>٢٦٢</sup>

وبينت السنة أن الملائكة تدعوا الله لمن يقومون بالأعمال الآتية :

#### أ- الذين ينتظرون صلاة الجماعة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ »<sup>٢٦٣</sup> . وهذا نصٌّ يبين معنى الصلاة من الملائكة على المؤمنين .

#### ب- الذين يصلُّون في الصف الأول :

عَنِ الْبَرَاءِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا وَصُدُورَنَا وَيَقُولُ : لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْمُقَدَّمَةِ.<sup>٢٦٤</sup>  
وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُولِ »<sup>٢٦٥</sup> .

#### ج- الذين يصلُّون الصفوف :

عَنْ عَائِشَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصَلُّونَ الصُّفُوفَ.<sup>٢٦٦</sup>

#### د- الذين يتسحرون :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ.<sup>٢٦٧</sup>

#### هـ- الذين يصلُّون على النبي ﷺ :

عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَى إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَى فَلْيَقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ »<sup>٢٦٨</sup> .

<sup>٢٦٢</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٠١٩ )

<sup>٢٦٣</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٤٥ ) أطرافه ١٧٦ ، ٤٧٧ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٩ ، ٢١١٩ ، ٣٢٢٩ ، ٤٧١٧ - تحفة

١٣٨١٦ و صحيح مسلم - المكثر - ( ١٥٤٠ )

<sup>٢٦٤</sup> - صحيح ابن حبان - ( ٥ / ٥٣٤ ) ( ٢١٦١ ) صحيح

<sup>٢٦٥</sup> - مسند أحمد - المكثر - ( ١٩١٢٣ ) صحيح

<sup>٢٦٦</sup> - صحيح ابن حبان - ( ٥ / ٥٣٦ ) ( ٢١٦٣ ) صحيح

<sup>٢٦٧</sup> - صحيح ابن حبان - ( ٨ / ٢٤٥ ) ( ٣٤٦٧ ) صحيح

## و- الذين يعلمون الناس الخير :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَضَّلُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْخُوتَ لَيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ». ٢٦٩

## ز- الذين ينفقون أموالهم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » ٢٧٠ .

## ح- الذين يزورون المرضى :

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًّا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ. ٢٧١

وَعَنْ أَبِي فَاخِتَةَ قَالَ أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي قَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ. فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا فَقَالَ لَا بَلْ عَائِدًا. فَقَالَ عَلِيٌّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدُوَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ » ٢٧٢ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ عَادَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ اسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ اسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لِلْعَائِدِ فَمَا لِلْمَرِيضِ؟ قَالَ: أَضْعَافُ هَذَا. ٢٧٣

وَعَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَلَمَّا ذَهَبَ ذَلِكَ الْيَوْمُ اشْتَكَيْ حُسَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ عَائِدًا، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَيْنَا؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ أَعُودُ حُسَيْنًا لِحَقِّهِ وَمَكَانِهِ، قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَظُنُّ فِي نَفْسِكَ لَيْسَ بِمَانِعِي أَنْ أُحَدِّثَكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ

٢٦٨ - سنن ابن ماجه- المكثر - (٩٦٠) والمسند الجامع - (٢٢ / ٨) (٥٤٩٤) حسن

٢٦٩ - سنن الترمذی- المكثر - (٢٩٠١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَمَّارٍ الْحُسَيْنِ بْنَ حُرَيْثٍ الْخَزَاعِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ يَقُولُ عَالِمٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ.

٢٧٠ - صحيح البخارى- المكثر - (١٤٤٢) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٣٨٣)

٢٧١ - سنن أبي داود - المكثر - (٣١٠٠) صحيح ومثله لا يقال بالرأي

٢٧٢ - سنن الترمذی- المكثر - (٩٨٥) صحيح لغيره - الخريف : البستان

٢٧٣ - المعجم الكبير للطبراني - (٣٩٩ / ٩) (١١٣١٩) صحيح لغيره

اللَّهُ ﷻ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ عَادَ مَرِيضًا فَقَدَ فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ مِنْ عِنْدِهِ وَكَلَّ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى اللَّيْلِ " ٢٧٤

## ٢- محبتهم لصالح المؤمنين :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ . فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ . فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » ٢٧٥ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ - قَالَ - فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ . فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ - قَالَ - فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضِّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » ٢٧٦ .

## ٣- تثبيت المؤمنين عند القتال :

قال تعالى: { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } (١٢) سورة الأنفال  
وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى للمسلمين ليشكروه عليها ، فقد أوحى الله تعالى إلى الملائكة الذين أرسلهم لنصر المسلمين ، بأن يثبتوا المسلمين ويقووا قلوبهم ، فيلهموهم تذكراً وعنده الله لرسوله بالنصر ، وأنه تعالى لا يخلف الميعاد ، وأنه تعالى سيجعل الرعب يستولي على قلوب المشركين فيصيبهم الفرع .

ثم أمر الله الملائكة بأن يضربوا رقاب المشركين ويقطعوها ، وبأن يقطعوا الأيدي ذات البنان التي هي أداة الضرب في الحرب . ٢٧٧

## ٤- تأييدهم ونصرهم للمؤمنين :

امتن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بإرسال جنود من الملائكة للتأييد والنصر للمؤمنين في بدر وأحد وفي أقسى حصار استهدف الوجود الإسلامي كله في المدينة المنورة حيث تحزب الأحزاب وجاءوا بما لا قبل للمسلمين به ، فأرسل الله عليهم الريح والملائكة وكفى الله المؤمنين القتال . قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ

٢٧٤ - شعب الإيمان - ( ١١ / ٤٠٤ ) ( ٨٧٤١ ) صحيح لغيره

٢٧٥ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٢٠٩ )

٢٧٦ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٨٧٣ )

٢٧٧ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١١٧٣ )

تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) { [الأحزاب : ٩ - ١١]

يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب -وهي غزوة الخندق-، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريجًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوق الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

اذكروا إذ جاءوكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب، وإذ شخصت الأبصار من شدة الحيرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

في ذلك الموقف العصيب اختبر إيمان المؤمنين ومُحَصَّ القوم، وعُرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.<sup>٢٧٨</sup>

ومن هذا التأييد ما كان لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهو يردُّ على هجاء المشركين فعن الزُّهريِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ يَسْتَشْهَدُ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَشْدُكَ اللَّهَ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « يَا حَسَّانُ ، أَجِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَعَمْ .<sup>٢٧٩</sup>

وعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشَّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ فَلَحَظَ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَنْشِدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَنْشِدْكَ اللَّهَ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « أَجِبَ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » . قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ .<sup>٢٨٠</sup>

## ٥- التأمين على دعائهم :

عن أبي قِلَابَةَ قَالَ : " أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ يَعُودُهُ فَوَافَقَ دُخُولُهُ عَلَيْهِ خُرُوجَ نَفْسِهِ قَالَ : فَقُلْنَ النَّسَاءُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : " مَهْ ، لَا تَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُ الْمَيِّتَ " أَوْ قَالَ " أَهْلَ الْمَيِّتِ ، فَيُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِمْ فَلَا تَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ " ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهْ ، وَأَضِئْ لَهُ فِيهِ ، وَعَظِّمْ نُورَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ،

<sup>٢٧٨</sup> - التفسير الميسر - ( ٧ / ٣١٩ )

<sup>٢٧٩</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٥٣ )

<sup>٢٨٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٥٣٩ )

وَأَخْلَفُهُ فِي تَرْكِهِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ " ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى شُخُوصِ عَيْنَيْهِ ۲٨١

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ». قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ « قُولِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عَقْبَى حَسَنَةً ». قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا - ﷺ - . ۲٨٢

وقد رغب الإسلام في حسن الصلة بين المسلمين ومن ذلك دعاء بعضهم لبعض بظهر الغيب فهو دعاء مستجاب مؤيد بتأمين الملك عليه ، ففي الحديث عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ صَفْوَانَ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ » ۲٨٣ .

## ٦- فضل التوافق بين تأمين المؤمنين وحمدهم لله وبين تأمين وحمد الملائكة :

جعل الله سبحانه وتعالى بركة في موافقة عمل المؤمن عمل الملائكة تقتضي مغفرة ما تقدم من ذنوب المؤمن ، لذا ينبغي الحرص على طلب ذلك التوافق .

### - ومن ذلك التوافق في التأمين :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « آمِينَ » ۲٨٤ .

### - ومن ذلك التوافق في الحمد :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ . فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ۲٨٥ .

## ٧- تتبعهم حلق الذكر وحقهم أهلها بأجنتهم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ . قَالَ فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى

٢٨١ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ( ٣٤٠٩ ) صحيح لغيره

٢٨٢ - صحيح مسلم- المكثر - ( ٢١٦٨ ) - أعقب : بدل وعوض

٢٨٣ - صحيح مسلم- المكثر - ( ٧١٠٥ )

٢٨٤ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٧٨٠ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٩٤٢ )

٢٨٥ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٧٩٦ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٩٤٠ )

السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ

قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ . قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا . قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ . قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا . قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً . قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ . قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا . قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً . قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدْكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْفَى بِهِمْ حَلِيسُهُمْ» ٢٨٦ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » ٢٨٧ .

#### ٨- تكرمهم لطالب العلم :

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ - ﷺ - لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَّاتِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ » ٢٨٨ .

#### ٩- كتابة المصلين يوم الجمعة الأول فالأول :

٢٨٦ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٤٠٨ )

٢٨٧ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٠٢٨ )

٢٨٨ - سنن أبي داود - المكثر - ( ٣٦٤٣ ) صحيح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ ، وَمِثْلُ الْمُهَجَّرِ كَمِثْلِ الَّذِي يُهْدَى بِدَنَّةٍ ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدَى بِقَرَّةٍ ، ثُمَّ كَبْشًا ، ثُمَّ دَجَاجَةً ، ثُمَّ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأَ صُحُفَهُمْ ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » ٢٨٩ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ ، فَيَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ ، فَمِثْلُ الْمُهَجَّرِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، كَمِثْلِ الَّذِي يُهْدَى بِدَنَّةٍ ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدَى بِقَرَّةٍ ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدَى بِكَبْشًا ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدَى بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدَى بِبَيْضَةٍ ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ وَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، طَوَّأَ صُحُفَهُمْ ، وَجَلَسُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ. ٢٩٠

#### ١٠ - تعاقب الملائكة على المصلين :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الَّذِينَ بَأْتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » ٢٩١ .

#### ١١ - الملائكة تبلغ النبي ﷺ سلام أمته :

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ. ٢٩٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي وَكُلَّ بِهَا مَلَكٌ يُبَلِّغُنِي ، وَكُفِّي بِهَا أَمْرٌ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ، وَكُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا " ٢٩٣

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةٌ إِلَّا وَهِيَ تَبْلُغُهُ يَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ : فُلَانٌ يُصَلِّي عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا صَلَاةٌ " ٢٩٤

#### ١٢ - تبشير المؤمنين وولايتهم لهم :

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) } [فصلت : ٣٠ - ٣٢]

٢٨٩ - صحيح البخارى - المكثر - (٩٢٩) - المهجر : المبادر إلى الجمعة بعد الصبح

٢٩٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٧٢٩) (١٠٥٦٨) ١٠٥٧٥ - صحيح

٢٩١ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٥٥) و صحيح مسلم - المكثر - (١٤٦٤)

٢٩٢ - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٩٤) (٩١٤) صحيح

٢٩٣ - شعب الإيمان - (٣ / ١٤٠) (١٤٨١) صحيح

٢٩٤ - شعب الإيمان - (٣ / ١٤١) (١٤٨٢) صحيح لغيره

إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تتزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تخزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.

وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهي أنفسكم مما تختارونه، وتقرُّ به أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافة وإنعاماً لكم من غفور لذنوبكم، رحيم بكم.<sup>٢٩٥</sup>

قال ابن زيد ومجاهد: تتزل عليهم عند الموت. وقال مقاتل وقتادة: إذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث.

واختار الإمام الشوكاني رحمه الله عدم تخصيص تزل الملائكة على المؤمنين بوقت معين وعدم تقييد نفي الخوف والحزن بحالة مخصوصة<sup>٢٩٦</sup>.

### ١٣- ولايتهم الخاصة للشهداء:

إن للشهيد منزلة رفيعة عند الله لذلك خصَّ بمزيد من ولاية الملائكة له، ويظهر هذا في تظليلهم لعبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنهما، فقد ورد في الصحيح عن مُحَمَّدَ بْنِ الْمُكَدِّرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ جَاءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَقَدْ مَثَلَ بِهِ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَذَهَبَتْ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَهَنَانِي قَوْمِي ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقِيلَ ابْنَةُ عَمْرٍو ، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو . فَقَالَ « لِمَ تَبْكِي أَوْ لَا تَبْكِي ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا »<sup>٢٩٧</sup>.

وقد عنون له البخاري بقوله: (باب ظل الملائكة على الشهيد).<sup>٢٩٨</sup>

ويظهر أيضاً في غسلهم لبعض الشهداء كما جاء في المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس، قال: لَمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ وَهُمَا جُنْبَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُمَا.<sup>٢٩٩</sup>

=====

<sup>٢٩٥</sup> - التفسير الميسر - (٨ / ٤٠٠)

<sup>٢٩٦</sup> - فتح القدير - (٦ / ٣٥٣)

<sup>٢٩٧</sup> - صحيح البخاري- المكثر - (٢٨١٦)

<sup>٢٩٨</sup> - صحيح البخاري- المكثر - (١٠ / ٢٢٥) ٢٠ - باب ظلُّ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الشَّهِيدِ .

<sup>٢٩٩</sup> - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٨٤) (١١٩٢٦) صحيح



## المبحث السادس

### خصوصيات بعض المؤمنين مع الملائكة

#### ١ - الملائكة ومريم عليهم السلام :

لقد أكرم الله مريم بنت عمران بأن أرسل لها الملائكة المقرين وتخاطبها وتبشرها باصطفاء الله لها وتطهيرها وتفضيلها على نساء العالمين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ [آل عمران : ٤٢ - ٤٣].

واذكر -أيها الرسول- حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لطاعته وطهرك من الأخلاق الرذيلة، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين؛ شكرًا لله على ما أولاك من نعمه.<sup>٣٠٠</sup>

كما بشرتها الملائكة بعيسى ابن مريم ليكون وأمه آية للعالمين. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)﴾ [آل عمران : ٤٥].

وَبَشَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِأَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ عَظِيمُ الشَّانِ ، وَيَكُونُ وُجُودُهُ وَخَلْقُهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ، فَيَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وَسَيَكُونُ الْاسْمُ الَّذِي يَعْرِفُهُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ( الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ) ، وَسَيَكُونُ وَجِيهًا وَذَا مَكَانَةٍ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُوحِيهِ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَيَكُونُ وَجِيهًا فِي الْآخِرَةِ بِأَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ شَفِيعًا لِمَنْ يَأْذَنُ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ .<sup>٣٠١</sup>

وفي هذا دليل على أنه ليس كل من جاءه ملك يكون نبيا<sup>٣٠٢</sup>. بل هي صديقة كما قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥) سورة المائدة

<sup>٣٠٠</sup> - التفسير الميسر - ( ١ / ٣٤١ )

<sup>٣٠١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٣٩ )

<sup>٣٠٢</sup> - وكما في قصة الرجل الذي زار أخاه في الله ففي صحيح مسلم- المكثر - ( ٦٧١٤ ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَنْ أَهْلَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَتَى أَحَبُّهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتَهُ فِيهِ .» - المدرجة : الطريق = ترب : تحفظ وتراعى وتربي

المسيح عبد من عباد الله ، أنعم الله عليه بالرسالة ، وقد تقدمته رسل من الله ، وله أسوة بهم . وأمه مؤمنة مصدقة له ( صديقة - وهذا أعلى مقاماتها فدل بذلك على أنها ليست نبيّة ) ، وكان المسيح وأمه يحتاجان إلى الطعام والغذاء ، وما يستتبع الطعام والغذاء ، فهما مخلوقان من البشر ، ولا يمكن أن يكون كل منهما إلهًا خالقًا ، ولا ربًا معبودًا . فانظر يا محمد كيف أوضح لهم الآيات ونظيرها ، ثم انظر ، بعد ذلك التوضيح ، أين يذهبون ، وبأي قول يتمسكون ، وكيف يصرفون عن الحق؟<sup>٣٠٣</sup>

وقد قص الله لنا الحوار الذي دار بينها وبين الملك الذي حمل لها البشري قال تعالى: {وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَوَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥) } [مريم : ١٦ - ٢٥]

واذكر يا محمد في القرآن مريم البتول وخبرها الصحيح الذي يتضمن ولادتها لعيسى ابنها عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل ، ونفى الولد عن الله - سبحانه وتعالى - .

نشأت مريم بنت عمران في بيت كريم ونسب شريف ، ونشأت عفيفة طاهرة فلما شبت وترعرعت تحت عناية الله ورعايته ، وبلغت مبلغ النساء كان منها أن انتبذت أهلها ، وجلست وحدها في خلوة للعبادة أو لقضاء بعض حاجاتها وكان ذلك في مكان جهة الشرق (و من هنا اتخذ المسيحيون قبلتهم ناحية الشرق).

وبينما هي في خلوتها إذ يجبريل روح القدس يتمثل لها بشرا سويا تام الخلقة مستوى الخلق لم ينقص منه شيء في رجولته.

فلما رآته على هذا الوضع قد احترق عليها حجابها. ظنت به سوءا أو أنه يريد بها شرا فقالت له إني أعوذ بالرحمن منك وألتجئ إلى الله أن يقيني شرك ، ما كنت يا هذا رجلا نقيًا.

وهذا دليل على عفافها وورعها حيث تعودت بالله من تلك الصورة الجميلة الفاتنة وكان تمثيله بتلك الصورة ابتلاء من الله لها وسيرا لعفتها. قال جبريل لها : إنما أنا رسول ربك الذي تستعيذين به ، جئت لأهب لك غلاما زكيا طاهرا.

<sup>٣٠٣</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٧٤٥ )

قالت مريم : أن يكون لي غلام ؟ والحال أني لم يمسيني بشر في زواج شرعي ولم أك بغيا من البغايا!!  
وسؤالها هذا لم يكن عن استبعاد لقدرة الله ، ولكن أرادت متعجبة كيف يكون هذا الولد ؟ هل هو  
من قبل زوج تتزوجه في المستقبل أم يخلقه الله ابتداء ؟

قال الملك : الأمر كذلك (و المشار إليه أن يكون لي غلام ؟ ) قال الله : هو على هين وقد خلقتنا  
على هذا الوضع لنجعله آية للناس حيث يستدلون بخلقه على كمال القدرة ، وتمام العظمة لله -  
سبحانه وتعالى - .

وكان رحمة منا للخلق ، وهكذا كل نبي يهدي الناس إلى الخير ، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم ،  
وكان ذلك المذكور أمرا مقضيا ومقدرا من الله.

اطمأنت مريم إلى كلامه فدنا منها ، ونفخ في جيب درعها أي نفخ في فتحة قميصها من أعلى ،  
ووصلت النفخة إلى بطنها ، وتنحت عن أهلها قاصدة مكانا قصيا بعيدا فألجأها المخاض متجهة إلى  
جذع النخلة لتستر به ، وتعتمد عليه عند الولادة قالت :

يا ليتني مت قبل هذا الحادث ، وكنت شيئا منسيا ، تراها تمت الموت خوفا من أن يظن بها السوء في  
دينها ، أو يقع أحد بسببها في البهتان.

فناداها جبريل من تحتها إذا كانت هي على مكان مرتفع وقيل الذي ناداها هو عيسى الوليد ، ناداها  
بالأ تحزني ولا تتألمي.

فهذه آية الله الدالة على أن الأمر خارق للعادة ، وأن لله في خلقه شؤون. فها هو ذا قد جعل لك  
ربك تحتك نhra يفيض بالماء بعد أن كان جافا ، وحركي جذع النخلة اليابسة تتساقط عليك رطبا  
جنيا شهيا ، أليست هذه أمارات الرضا ؟ ودليلا على أن الله معك ولن ينساك يا مريم ، فكل من  
الرطب واشرب من النهر وقرى عينا ، واهدئي بالا ، واطمأني نفسا فالله معك ، وحافظك من الناس  
، فإن رأيت من الناس أحدا فيه أماراة الاعتراض عليك فلا تكلميه ، وقولي : إني نذرت للرحمن صوما  
وسكوتا عن الكلام فلن أكلم اليوم إنسانا بل سألكم الملائكة ، وأناجي ري - سبحانه وتعالى - .<sup>٣٠٤</sup>

وقال تعالى : {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ  
رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا رَبُّهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} (١٢) سورة التحريم.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا آخَرَ لِلَّذِينَ آمَنُوا حَالِ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
فَاصْطَفَاهَا اللَّهُ رَبُّهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَلَكًا كَرِيمًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ تَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا ،  
وَهِيَ فِي خَلْوَتِهَا ، فَاسْتَعَاذَتْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ ، فَبَشَّرَهَا بِأَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا وَلَدٌ يُوَلَّدُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ،  
وَيَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا . وَنَفَخَ فِيهَا الْمَلَكُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَصَدَّقَتْ مَرْيَمَ

<sup>٣٠٤</sup> - التفسير الواضح - موافقا للمطبوع - (٢ / ٤٤٩) والتفسير الوسيط - الزحيلي - (٢ / ١٤٦٩)

بَشْرَائِعِ اللَّهِ ، وَبِكُتْبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ ، وَكَانَتْ فِي عِدَادِ الْقَانِتِينَ الْعَابِدِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى .<sup>٣٠٥</sup>

## ٢- جبريل يحمل البشارة لخديجة رضي الله عنها :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِيَّاهَا . قَالَتْ وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ ، وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ .<sup>٣٠٦</sup>

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يَهْدِي فِي خَلَّتِهَا مِنْهَا .<sup>٣٠٧</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي ، وَبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ .<sup>٣٠٨</sup>

## ٣- الملك يقرئ عائشة السلام ويبشر بها النبي ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ » . فَقَالَتْ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . تَرَى مَا لَا أَرَى . تُرِيدُ النَّبِيَّ - ﷺ - -  
وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ إِنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - يَوْمًا « يَا عَائِشُ ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ » . فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، تَرَى مَا لَا أَرَى . تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - .<sup>٣٠٩</sup>

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقَالَ لِي هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكَ الثُّوبَ ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَقُلْتُ إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ » .<sup>٣١٠</sup>

## ٤- تبشير الملك بسيادة فاطمة على نساء أهل الجنة :

<sup>٣٠٥</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥١١٩ )

<sup>٣٠٦</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٨١٧ )

<sup>٣٠٧</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٠٠٤ ) - القصب : لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف

<sup>٣٠٨</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٨٢٠ ) - القصب : لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف و صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٤٢٦ )

<sup>٣٠٩</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٧٦٨ )

<sup>٣١٠</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٥١٢٥ ) و صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٤٣٦ ) - السرقة : قطعة من الحرير الجيد

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : سَأَلْتَنِي أُمِّي : مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : مُنْذُ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فَנָلْتُ مِنِّي وَسَبَّيْتَنِي ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : دَعِينِي ، فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ لَا أَدْعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلكَ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ انْقَلَبَ فَتَبِعْتُهُ ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : حُذَيْفَةُ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ ، فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَأَمَّا كَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي فَبَيَّلُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ، ثُمَّ تَبِعْتُهُ وَهُوَ يُرِيدُ يَدْخُلُ بَعْضَ حُجْرِهِ ، فَقَامَ وَأَنَا خَلْفُهُ كَأَنَّهُ يُكَلِّمُ أَحَدًا ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : حُذَيْفَةُ ، قَالَ : أَتَدْرِي مَنْ كَانَ مَعِيَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَإِنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ يُبَشِّرُنِي أَنَّ الْحَسَنَ ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَقَالَ حُذَيْفَةُ : فَاسْتَغْفِرْ لِي وَلَأُمِّي ، قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا حُذَيْفَةُ وَلَأَمَّا كَ. ٣١١

#### ٥- جبريل يبشر بسيادة الحسن والحسين على شباب أهل الجنة :

عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَقَالَ : عَرَضَ لِي مَلَكٌ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ ، وَبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ٣١٢

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، قَالَ : " إِنَّ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ زَارَنِي ، فَاسْتَأْذَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَتِي ، فَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " . ٣١٣

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : بَتُّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ عِنْدَهُ شَخْصًا ، فَقَالَ لِي : يَا حُذَيْفَةُ هَلْ رَأَيْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَهْبِطِ إِلَيَّ مُنْذُ بَعُثْتُ ، أَتَانِي اللَّيْلَةَ فَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " . ٣١٤

#### ٦- الملائكة تستمع لقراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه :

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ ،

٣١١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٧١٥) (٢٣٣٢٩) ٢٣٧١٨ و (٢٣٣٣٠) ٢٣٧١٩ - صحيح

٣١٢ - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٤١٣) (٦٩٦٠) صحيح

٣١٣ - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٦٣) (٢٥٣٩) صحيح

٣١٤ - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٦٥) (٢٥٤٣) صحيح

وَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا هُوَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ الْبَارِحَةَ وَالْفَرَسُ مَرْبُوطَةٌ إِذَا جَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَقْرَأُ ابْنَ حُضَيْرٍ " قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ قَرِيبًا فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَذَرِي مَا ذَلِكَ ؟ " قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْنِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحِ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ " ٣١٥

#### ٧- الملائكة تشهد جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه :

أكرم الله سبحانه وتعالى سعد بن معاذ رضي الله عنه بخصال منها أنه شهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةٌ ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ » ٣١٦.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، مَا وَطِئُوا الْأَرْضَ قَبْلَهَا " وَقَالَ حِينَ دُفِنَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَوْ انْفَلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَعْفَةِ الْقَبْرِ لَانْفَلَتَ مِنْهَا سَعْدٌ. ٣١٧.

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ، قَالَ لَأُمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ: انْظُرِي مَا تَقُولِينَ يَا أُمَّ سَعْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " دَعَهَا يَا عُمَرُ، كُلُّ نَائِحَةٍ مُكَذِّبَةٌ إِلَّا أُمَّ سَعْدٍ، مَا قَالَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ تَكْذِبَ " ثُمَّ احْتَمِلَ فَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ لَتَقْطَعُنَا، يَعْثُونَ فِي الشَّرْعَةِ، قَالَ: " خَشِيتُ أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ إِلَى غُسْلِهِ كَمَا سَبَقْتَنَا إِلَى غُسْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَا لَوْنَكَ قَدْ تَغَيَّرَ حِينَ قَعَدْتَ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: " ضُمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةٌ، وَلَوْ أُعْفِيَ مِنْهَا أَحَدٌ، أُعْفِيَ مِنْهَا سَعْدٌ " وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " نَزَلَ الْأَرْضَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لِسُجُودِ سَعْدٍ، مَا نَزَلُوهَا قَطُّ، وَاسْتَبَشَّرَ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ "، قَالَ صَالِحُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ: قَالَ أَبِي: قَالَ رَجُلٌ لِسَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّ الْعَرْشَ تَدْعُوهُ الْعَرَبُ السَّرِيرَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَرِيرَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا بَلَغَ سَرِيرُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنْ يَذْكُرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِخْبَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ دَفْنِهِ سَعْدًا بِأَهْتِزَازِ الْعَرْشِ لَهُ، فَاحْتَمِلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْعَرْشُ هُوَ الْعَرْشُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَاحْتَمِلَ أَنْ يَكُونَ هُوَ خِلَافُهُ فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يَكُونُ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِخْبَارٌ عَنْ سَرِيرِ لَا نَفْسَ لَهُ، وَلَا يَكُونُ مِنْ مِثْلِهِ الْإِهْتِزَازُ الَّذِي ذَكَرَاهُ عَنْهُ ؟ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ السَّرِيرَ إِنْ كَانَ

٣١٥ - شعب الإيمان - ( ٤ / ٢٢١ ) ( ٢٤٢٦ ) وصحيح البخارى - المكثر - ( ٥٠١٨ )

٣١٦ - سنن النسائي - المكثر - ( ٢٠٦٧ ) صحيح

٣١٧ - كشف الأستار - ( ٣ / ٢٥٦ ) ( ٢٦٩٨ ) صحيح

كَمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأُسَيْدٌ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَزَّ وَجَلَّ فَهَمَهُ بَعْدَ أَنْ حُمِلَ عَلَيْهِ سَعْدٌ مَكَانَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَتُهُ مِنْهُ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ، فَاهْتَزَّ لَهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عُمَرَ وَأُسَيْدٌ مِنْ اهْتِزَازِهِ، كَمَا أَلْهَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَشْيَةَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمَنِيرَ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمَنِيرَ، وَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ عَنْهَا، كَانَ مِنْهَا الْحَنِينُ الْمَرْوِيُّ فِي ذَلِكَ كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدَ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَمًا عَظِيمًا مِنْ أَعْلَامِ الثُّبُوتِ، وَفَضْلًا جَلِيلًا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَشَرَفًا كَبِيرًا شَرَّفَهُ بِهِ، وَالْهَمُّ مِنَ الْهَمِّ مِنْ جَلَالَةِ مَوْضِعِهِ مِنْهُ مَا أَلْهَمَهُ إِيَّاهُ مِمَّا ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ٣١٨

#### ٨- تَرَلَّهُمْ عِنْدَمَا يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُ الْقُرْآنَ :

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَرَلُّ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ سُورَةَ الْكَهْفِ وَلَهُ دَابَّةٌ مَرْبُوطَةٌ، فَجَعَلَتْ الدَّابَّةُ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى سَحَابَةٍ قَدْ غَشِيَتْهُ أَوْ ضَبَابَةٍ، فَفَزِعَ، فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا ذَاكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ فَذَكَرَ لَهُ، فَقَالَ: " اقْرَأْ فَلَانُ فَإِنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ عِنْدَ الْقُرْآنِ " ٣١٩

وَعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطْنَيْنِ فَتَعَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: " تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ " ٣٢٠

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، وَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّه رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا هُوَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ الْبَارِحَةَ وَالْفَرَسُ مَرْبُوطَةٌ إِذَا جَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اقْرَأْ ابْنُ حُضَيْرٍ " قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ قَرِيبًا فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَدْرِي مَا ذَلِكَ ؟ " قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْنِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ " ٣٢١

٣١٨ - شرح مشكل الآثار - (١٠ / ٣٧٠) (٤١٧٤) صحيح

٣١٩ - شعب الإيمان - (٤ / ٨٤) (٢٢١٨) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٦١٤)

٣٢٠ - شعب الإيمان - (٤ / ٨٤) (٢٢١٧) وصحيح البخارى - المكثر - (٥٠١١) وصحيح مسلم - المكثر - (١٨٩٢)

وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة . وفيه فضيلة القراءة . وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة . وفيه فضيلة إسماعيل القرآن . شرح النووي على مسلم - (٣ / ١٤٨)

٣٢١ - شعب الإيمان - (٤ / ٢٢١) (٢٤٢٦) صحيح

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: " بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَأَنْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ يُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هِيَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا تُرَى، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَدْرِي مَا ذَاكَ ؟ " قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحَ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ " ٣٢٢

=====

## المبحث السابع

### حقوق الملائكة على المؤمنين

واجبات المؤمن نحو الملائكة :

#### ١ - الإيمان بهم :

يجب على كل مؤمن الإيمان بالملائكة إجمالاً ، وأهم عباد الله المكرمون الذين لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، كما يجب الإيمان بمن ذكر منهم في الكتاب أو السنة المطهرة على وجه التفصيل ، كجبريل ومكائيل وإسرافيل على جميعهم الصلاة والسلام .

#### ٢ - موالاتهم جميعاً :

إن على المؤمن أن يتولّى جميع الملائكة بدون تفريق بين آحادهم فكلهم مكرمون ومن والى بعضهم وعادى بعضهم فقد عادى الله سبحانه . وقد أنكر الله تعالى على اليهود إعلان عدواقتهم لجبريل عندما علموا أنه الذي يتزل بالوحي على محمد - صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال تعالى: { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) } [البقرة : ٩٧ ، ٩٨] . إن من عادى جبريل فإن جبريل هو الروح الأمين الذي أنزل القرآن على قلبك يا محمد ، بأمر الله ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمِنْهَا التَّوْرَةُ ، وَهُوَ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ وَبُشْرَى لِقُلُوبِهِمْ بِالْجَنَّةِ .

أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِأَنَّ مَنْ عَادَى اللَّهَ بِالْكَفْرِ بِهِ وَمُخَالَفَةِ أَوْامِرِهِ ، أَوْ عَادَى أَحَدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، أَوْ أَحَدًا مِنْ رُسُلِهِ أَوْ جِبْرِيلَ أَوْ مِيكَائِيلَ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَدُوًّا لِلَّهِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا ، وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ، وَمَنْ عَادَاهُ اللَّهُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .<sup>٣٢٣</sup>

=====

<sup>٣٢٣</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٠٤ )

## المبحث الثامن آداب المؤمنين مع الملائكة

### ١ - الاستحياء منهم :

ينبغي للمسلم أن يستشعر وجود الملائكة معه فيستحي منهم ويكرمهم ، ومن إكرامهم عدم البصاق على الجهة اليمنى في الصلاة لنهي النبي ﷺ عن ذلك عَنْ هَمَامٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ ، فَيَدْفِنُهَا » ٣٢٤ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ ، لِأَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا ، وَلَكِنْ لِيَبْصُقْ عَنْ شِمَالِهِ ، أَوْ تَحْتَ رِجْلِهِ ، فَيَدْفِنُهَا. ٣٢٥

### ٢ - ترك ما يؤذيهم :

على المسلم أن يجتنب من الطعام ما له رائحة كريهة مثل الثوم والبصل والكراث لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ - وَقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَاثَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » ٣٢٦ .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - نَهَى زَمَنَ حَبِيرَ عَنِ الْبَصَلِ وَالْكَرَاثِ فَأَكْلَهُمَا قَوْمٌ ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « أَلَمْ أَنُحِمْ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الْمُتَنَتِنَيْنِ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَجْهَدْنَا الْجُوعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ أَكْلَهُمَا فَلَا يَحْضُرْ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » ٣٢٧ .

### موقف الملائكة من عصاة بني آدم

٣٢٤ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤١٦ )

٣٢٥ - صحيح ابن حبان - ( ٥ / ٨٣ ) ( ١٧٨٣ ) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ بِأَنَّ عَلَى الْمَأْمُومِ قِرَاءَةَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي صَلَاتِهِ ، إِذِ الْمُصْطَلَفَى ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ ، وَالْمُنَاجَاةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِنُطْقِ الْخَطَّابِ دُونَ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالسُّكُوتِ .

٣٢٦ - صحيح مسلم - المكثر - ( ١٢٨٢ )

٣٢٧ - مسند أحمد - المكثر - ( ١٥٥٤٩ ) صحيح

وفي هذه الأحاديث نهي صريح عن الذهاب إلى المسجد لمن أكل من هذه البقول ولكن لا تدل على تحريم أكلها فهي نافعة جداً والنهي للكراهة لا للتحريم على الراجح ويقاس عليها كل ما فيه رائحة سيئة كاللدخان وغيره

إن الملائكة الذين لا يعصون الله سبحانه وتعالى ينفرون من العصاة نفرة شديدة ويتعدون عنهم بل يلعنونهم بسبب ما يقتربون من المعاصي.<sup>٣٢٨</sup>

#### ١ - لعنهم كاتم العلم الشرعي :

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) [البقرة : ١٥٩ - ١٦٠] .

يُهِدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى بِاللَّعْنَةِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ فِي كُتُبِهِ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ ، وَالْهُدَى النَّافِعِ ، وَيَقْصُدُ بِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ ، الَّذِينَ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِهِمْ ، وَمَا بَشَّرَتْ بِهِ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ قُرْبِ مَبْعَثِ نَبِيِّ عَرَبِيٍّ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ . فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللَّهِ وَأَمْرَهُ عَنِ النَّاسِ لِيُضِلُّوهُمْ ، وَيَصْرِفُوهُمْ عَنِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَلْعَنُهُمْ ، وَتَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ ( اللَّاعِنُونَ ) .

( وَحُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ كَتَمَ عِلْمًا فَرَضَ اللَّهُ بَيَّانَهُ لِلنَّاسِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَئِمَّةُ : إِنَّ الَّذِي يَرَى حُرْمَاتِ اللَّهِ تُنْتَهَكُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ ، وَالَّذِينَ يُدَاسُ جَهَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالضَّلَالُ يَعْشَى الْهُدَى ، ثُمَّ هُوَ لَا يَتَنَصَّرُ لِدِينِ اللَّهِ يَكُونُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ وَعِيدَ اللَّهِ ) .

وَيَسْتَشْنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنَ اللَّعْنَةِ الَّذِينَ تَابُوا وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ ، وَرَجَعُوا عَنْ كَيْفَانِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ وَالرَّسَالَةِ ، وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَتَقَبَّلُ تَوْبَتَهُمْ ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ ، وَيَمْحُو ذُنُوبَهُمْ .<sup>٣٢٩</sup>

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى : ...وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ...؟ يعني تلعنهم الملائكة والمؤمنون<sup>٣٣٠</sup> .

#### ٢ - لعنهم الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ قُتِلَ فِي عِمِّيَا أَوْ رَمِيًا يَكُونُ بَيْنَهُمْ بِحَجَرٍ أَوْ بِسَوْطٍ فَعَقَلَهُ عَقْلٌ خَطِئٌ وَمَنْ قُتِلَ عَمْدًا فَقَوْدُ يَدَيْهِ فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »<sup>٣٣١</sup> .

<sup>٣٢٨</sup> - اختلف العلماء في حكم لعن العاصي المعين على ثلاثة أقوال:- فقيل: لا يجوز بحال ، وقيل : يجوز في حق الكافر دون الفاسق وقيل : يجوز مطلقاً ، قال الحافظ ابن حجر:- والحق أن من منع اللعن أراد به معناه اللغوي ، وهو الإبعاد من الرحمة ، وهذا لا يليق أن يدعى به على مسلم بل يطلب له الهداية والتوبة والرجوع عن المعصية والذي أجاز به معناه العربي وهو مطلق السب ، ولا يخفى أن محله إذا كان بحيث يرتدع العاصي به ويتزجر ، وأما حديث الباب فليس فيه إلا أن الملائكة تفعل ذلك ولا يلزم منه جوازه على الإطلاق انظر فتح الباري ٣٦٩/١ وللاستزادة انظر موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ٣٧/١ .

<sup>٣٢٩</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٦٦ )

<sup>٣٣٠</sup> - تفسير ابن كثير - ( ٢ / ١٥ )

### ٣- لعنهم من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً :

عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ مَا كَتَبْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - إِلَّا الْقُرْآنَ ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا ، فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَّثًا ، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ وَلَا صَرْفٌ ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ . فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنٍ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ » ٣٣٢ .

وَعَنْ ثَوْبَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : مَنْ أَحْدَثَ حَدَّثًا ، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا أَوْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ ، وَلَا عَدْلٌ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَيْفَ أَنْتُمْ فِي قَوْمٍ ، مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ ، وَصَارُوا حُثَالَةً ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، قَالُوا : كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ : اصْبِرُوا ، وَخَالِقُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ ، وَخَالِفُوهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ. ٣٣٣

### ٤- لعنهم من يشير إلى أخيه بمحذرة :

عَنْ ابْنِ سِيرِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَذِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ » ٣٣٤ .

### ٥- لعنهم من سب أصحاب الرسول ﷺ :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. ٣٣٥

### ٦- الملائكة تلعن المرأة الممتعة عن فراش زوجها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ ، فَبَاتَ غَضَبَانِ عَلَيْهَا ، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » ٣٣٦ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً لِفِرَاشِ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ أَوْ تُرَاجِعَ » ٣٣٧ .

٣٣١ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٥٩٣) صحيح لغيره

الرميا : من الرمي وهي مبالغة = العقل : الدية = العميا : الأمر الذي لا يستبين وجهه

٣٣٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٣١٧٩) - أخفر : نقض العهد

٣٣٣ - كشف الأستار - (٤ / ١١٣) (٣٣٢٤) صحيح

٣٣٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٣٢)

٣٣٥ - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٢٨٩) (١٢٥٤١) وصحيح الجامع (٦٢٨٥) صحيح لغيره

٣٣٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٢٣٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٦١٤)

## موقف الملائكة من الكافرين

إن الكفر بالله جريمة كبرى يعادي الملائكة بسببها الكفار بصور متعددة منها :

### (١) لعنهم :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (١٦١) سورة البقرة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ وَرُسُلُهُ ، وَكَتَمُوا الْحَقَّ وَلَمْ يُظْهِرُوهُ وَمَاتُوا وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيُخْلَدُوا فِيهَا أَبَدًا .<sup>٣٣٨</sup>

### (٢) قتالهم للكفار في غزوة بدر :

قال تعالى : { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } (١٢) سورة الأنفال .  
إذ يوحى ربك -أيها النبي- إلى الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة "بدر" أني معكم أعينكم وأنصركم، فقفوا عزائم الذين آمنوا، سألتني في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصغار، فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منهم كل طرف ومفصل.<sup>٣٣٩</sup>

وقد رأى بعض الصحابة رضي الله عنهم آثار عمل الملائكة واشتراكها في القتال فعن ابن عباس قال : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ حَ وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ الْحَنْفِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ - هُوَ سِمَاكُ الْحَنْفِيُّ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ ». فَمَازَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ

<sup>٣٣٧</sup> - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٧ / ٢٩٢) (١٥١٠٦) وصحيح البخارى - المكثر - (٥١٩٤) وصحيح مسلم - المكثر -

(٣٦١١)

<sup>٣٣٨</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٦٨)

<sup>٣٣٩</sup> - التفسير الميسر - (٣ / ١٨٠)

وَصَوَّتَ الْفَارِسُ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْرُومُ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ « صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ. ٣٤٠

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ « هَذَا جَبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ - عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ » ٣٤١ .

### ٣- إنزال العذاب بالكافرين :

يرسل الله سبحانه وتعالى ملائكته بالعذاب لهلاك من أراد الله إهلاكه على أيديهم من الكافرين كقوم لوط عليه السلام .

### ٤- الملائكة والمحتضر من الظالمين والكافرين :

أخبر الله سبحانه وتعالى عن سوء خاتمة وعاقبة الكافرين والظالمين والمتقولين على الله بغير الحق ، وأن الملائكة تقوم بتبكيته وإهانتهم والنيل منهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم عند الاحتضار. قال تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } (٩٣) سورة الأنعام.

وقال تعالى : وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) [الأنفال : ٥٠ ، ٥١] .

وفي حديث البراء رضي الله عنه " ... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : آتَيْتُهَا النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ حَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا

٣٤٠ - صحيح مسلم- المكثر - ( ٤٦٨٧ )

٣٤١ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٩٩٥ )

كِتَابُهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَطَرَحَ رُوحَهُ طَرَحًا . ثُمَّ قَرَأَ : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ، فَكَأَنَّمَا  
 خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } فَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ  
 مَلَكَانِ ، فَيَجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟  
 فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي  
 ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا  
 ، وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَحْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، فَيَبِيعُ الثِّيَابَ ،  
 مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟  
 فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ . . . "

الحديث ٣٤٢

=====

## المبحث التاسع الملائكة والدار الآخرة

### أ- الملائكة وبداية أحداث الساعة :

تنتهي الحياة الدنيا بالنفخة الأولى في الصور حيث يُنفخ فيه بأمر الله أحد الملائكة نفخةً يصعق بها كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله . ثم تبتدئ حياة الدار الآخرة من إعادة أرواح الكائنات إلى أجسادها بالنفخ في الصور مرة أخرى. قال تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (٦٨) سورة الزمر .

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْآيَاتِ وَالزَّلَازِلِ ، وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الصُّورَ ( وَهُوَ قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أُحْدِثَ صَوْتًا ) يُنْفَخُ فِيهِ نَفْخَتَانِ : نَفْخَةٌ يَمُوتُ فِيهَا الْخَلْقُ وَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَيُصْعَقُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْبِئَهُ مِنَ الصَّعِقِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فَيَقُومُ الْخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ يَنْظُرُونَ حَوْلَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا عِظَامًا وَرَفَاتًا .<sup>٣٤٣</sup>

### ب- الملائكة تسوق الناس إلى المحشر :

وبعد قيام الناس وخروجهم من قبورهم يوكل الله بكل إنسان ملكين ، قال تعالى : {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} (٢١) سورة ق. وجاءت كل نفس في ذلك اليوم ربها ومعها سائق يسوقها إليه ، وشاهد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خيرٍ وشرٍ .<sup>٣٤٤</sup>

قال ابن كثير رحمه الله : "أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله وهذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير ... " <sup>٣٤٥</sup> .

### ج- تنزل الملائكة يوم القيامة :

إن من الأحداث الجسام ليوم القيامة زوال السماوات وتشققها ، ونزول الملائكة إلى عرصات<sup>٣٤٦</sup> القيامة قال تعالى : {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا } (٢٥) سورة الفرقان واذكُرْ آيَهَا الرَّسُولُ لِقَوْمِكَ أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، إِذْ تَتَفَتَّتُ الشُّمُوسُ وَالْكَوَاكِبُ ، وَتَنْتَشِرُ فِي حَوِّ السَّمَاءِ كَالْغَمَامِ الْمُتَشَقِّقِ ، وَتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ نُزُولًا مُؤَكَّدًا بِصَحَائِفِ أَعْمَالِ

<sup>٣٤٣</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٠٠٥ )

<sup>٣٤٤</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٥٣٠ )

<sup>٣٤٥</sup> - تفسير ابن كثير - ( ٧ / ٤٠١ )

<sup>٣٤٦</sup> - عرصات : هي ساحات عرض للخلائق يوم القيامة. قال بن الأثير : العرصات جمع عرصه وهي كل موضع واسع لا بناء فيه/ انظر النهاية في غريب الحديث ٢٠٨/٣ دار احياء التراث العربي .

الْعِبَادِ ، لِيُتَقَدَّمَ لَدَى الْعَرْشِ وَالْحِسَابِ ، وَتَكُونَ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ لَدَى الْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ ، وَتُحِيطُ بِالْخَلَائِقِ فِي مَقَامِ الْمَحْشَرِ .<sup>٣٤٧</sup>

وقد أخبر الله عن الملائكة أنها تكون في أطراف السماء عند تشققها قال تعالى : فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) [الحاقة : ١٣ - ١٨].

فإذا نفخ الملك في "القرن" نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكسرتنا، ودُقَّتَا دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام. في ذلك اليوم تعرضون على الله- أيها الناس- للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم.<sup>٣٤٨</sup>

قال ابن كثير رحمه الله : "والمملك على أرجائها" الملك اسم جنس : أي الملائكة على أرجاء السماء ، قال ابن عباس على ما لم منها : أي حافاتها ، وكذا قال سعيد بن جبير والآوزاعي ، وقال الضحاك : أطرافها. وقوله تعالى: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} (١٧) سورة الحاقة. أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش : العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب<sup>٣٤٩</sup>

#### د- مجي الملائكة صفا صفا :

قال تعالى : كُلًّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) [الفجر : ٢١ - ٢٢]

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ ، وَيَقُولُ مُنْكَرًا عَلَى هَؤُلَاءِ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ وَحِرْصُهُمْ عَلَى الدُّنْيَا ، وَكَأَنَّهُمْ يَحْسُبُونَ أَنَّهُ لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ قِيَامَةٌ ، وَلَا حَشَرٌ ، وَلَا حِسَابٌ ، مَعَ أَنَّ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ سَيَأْتِي وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَنْدَلِكُ فِيهِ الْأَرْضُ دَكًّا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَتُسَوَّى جِبَالُهَا بِأَرْضِهَا . وَتَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ عَظَمَةُ السُّطُوَةِ الإِلَهِيَّةِ . وَيَأْتِي اللَّهُ تَعَالَى فِي ظُلُلٍ مِنَ الْعَمَامِ ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى تُحَفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ ، وَيَقْفُونَ صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمُ الرَّحْمَنِ .<sup>٣٥٠</sup>

<sup>٣٤٧</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٦٢)

<sup>٣٤٨</sup> - التفسير الميسر - (١٠ / ٢٤٦)

<sup>٣٤٩</sup> - تفسير ابن كثير - (٨ / ٢١٢)

<sup>٣٥٠</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٨٩١) والتفسير الميسر - (١٠ / ٤٧٣) والتفسير المنير - موافقا للطبوع - (٣٠ /

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً. ٣٥١

#### الملائكة تجي بجهنم :

قال تعالى : { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى } (٢٣) سورة الفجر . وفي ذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْكَشِفُ جَهَنَّمَ لِلنَّازِلِينَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ غَائِبَةً عَنْهُمْ ، وَحِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا كَانَ فَرَطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَعَرَفَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لِهَذِهِ الذِّكْرَى أَنْ تُفِيدَهُ أَوْ تَرْجِعَ عَلَيْهِ بَطَائِلَ ، فَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ . ٣٥٢

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا . ٣٥٣

#### هـ- الملائكة تسوق الكافرين إلى جهنم :

قال تعالى : وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) [الزمر : ٧١ - ٧٢].

وَيُسَاقُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ ( زُمَرًا ) سَوْقًا عَنِيفًا بِزَجَرٍ وَتَهْدِيدٍ ، وَحِينَمَا يَصِلُونَ إِلَيْهَا ، تَفْتَحُ لَهُمْ جَهَنَّمَ أَبْوَابُهَا ، وَيَقُولُ لَهُمْ حُرَّاسُ جَهَنَّمَ ( خَزَنَتُهَا ) : أَلَمْ يَأْتِكُمْ فِي الدُّنْيَا رُسُلٌ مِنْ جَنْسِكُمْ يُحَذِّرُونَكُمْ مِنْ هَوْلِ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَيَجِيبُونَ مُعْتَرِفِينَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْكُفْرِ . . وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ ، وَخَالَفُوهُمْ ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالضَّلَالَةِ ، فَعَدَّلُوا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ فَاسْتَحَقُّوا هَذَا الْمَصِيرَ .

وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ : ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَتَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا ، وَبِئْسَتْ جَهَنَّمَ مَصِيرًا وَمَقِيلًا لِمَنْ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَرَفُضُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ ، فَبِئْسَ الْحَالُ ، وَبِئْسَ الْمَالُ ٣٥٤ .

قال ابن كثير رحمه الله " يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار؟ وإنما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد، كما قال تعالى: { يَوْمٌ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً } [الطور: ١٣]

٣٥١ - تفسير ابن كثير - (٦ / ١٠٥)

٣٥٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٨٩٣)

٣٥٣ - صحيح مسلم- المكثر - (٧٣٤٣)

٣٥٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٠٨)

أي: يدفعون إليها دفعا. هذا وهم عطاش ظماء، كما قال في الآية الأخرى: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُودًا } [مریم: ٨٦، ٨٥]. وهم في تلك الحال صُمُّ وبكم وعمي، منهم من يمشي على وجهه، { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء: ٩٧] .

وقوله: { حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا } أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا، لتعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية -الذين هم غلاظ الأخلاق، شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل-: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، { يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ } أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، { وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار لهم: { بَلَى } أي: قد جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، { وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } أي: ولكن كذبتهم وخالفناهم، لما سبق إلينا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل، كما قال تعالى مخبرا عنهم في الآية الأخرى: { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملک: ٨-١٠]، أي: رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة { فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملک: ١١] أي: بعدا لهم وخسارا .

وقوله هاهنا: { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أي: كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به؛ ولهذا قال جل وعلا { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أي: ما كثرين فيها لا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها، { فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } أي: فبئس المصير وبئس المقيّل لكم، بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس المآل<sup>٣٥٥</sup>

#### خزنة جهنم وصفتهم :

جعل الله لجهنم خزنة من الملائكة على رأسهم مالك خازن النار عليه السلام ويناديه الكفار وهم يعذبون فيقولون كما حكى الله عنهم : وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) [الزخرف : ٧٧ - ٧٨] .

<sup>٣٥٥</sup> - تفسير ابن كثير - (٧ / ١١٨)

وَحِينَمَا يَشْتَدُّ الْعَذَابُ بِالْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَصْجُونَ فِي النَّارِ ، وَيُنَادُونَ : يَا مَالِكُ ( وَهُوَ حَازِنُ النَّارِ ) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ قَائِلًا لَهُمْ : إِنَّهُمْ مَا كَثُورَ فِي النَّارِ أَبَدًا ، وَلَا مَجَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا .

وَيَذْكُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوْ يَذْكُرُهُمْ مَالِكٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ - بِسَبَبِ شِقَائِهِمْ ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ .<sup>٣٥٦</sup>

ويخاطب الكفار كذلك خزنة النار فيقولون كما حكى الله عنهم : وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر : ٤٩ - ٥٠] .

وَلَمَّا يَتَسَّ الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الَّذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ ، وَإِذْخَالِهِمْ فِي النَّارِ ، شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ، اتَّجَهُوا إِلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِذْنِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ .

وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ يُفَرِّغُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ : أَلَمْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُ رَبِّكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَيَقُولُ الْمُسْتَضْعِفُونَ : نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ : إِذَا فَادْعُوا أَنْتُمْ وَحَدِّثْكُمْ . وَلَكِنَّ دُعَاءَ الْكَافِرِينَ لَا يُفِيدُ ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ ، وَيَذْهَبُ سُدىً .<sup>٣٥٧</sup>

وقال تعالى : { عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ } (٣٠) سورة الم نشر

قال الشوكاني : قال المفسرون : يقول : على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، وقيل : تسعة عشر صنفاً من أصناف الملائكة ، وقيل تسعة عشر صفاً من صفوفهم ، وقيل تسعة عشر نقيباً مع كل نقيب جماعة من الملائكة ، والأول أولى.<sup>٣٥٨</sup>

وقد وصفهم الله سبحانه بقوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (٦) سورة التحريم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ ، وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى ، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لِنُقَذِّقَهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، الَّتِي يُكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الْكُفْرَةِ ، وَالْحِجَارَةُ ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا

<sup>٣٥٦</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٢٨١)

<sup>٣٥٧</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٦١)

<sup>٣٥٨</sup> - فتح القدير - (٧ / ٣٥١)

مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، أَشِدَّاءُ عَلَيْهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ ، وَيُيَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ . ٣٥٩

#### الملائكة تسوق المؤمنين إلى الجنة وفدا :

قال تعالى : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} (٨٥) سورة مريم. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْشُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ ، وَصَدَّقُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ ، إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، كَمَا يُكْرَمُ الْوُفُودُ الْقَادِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . ٣٦٠

وقال تعالى : {وَسَيَقَ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٧٣) سورة الزمر .

وَيُوجِّهُ الْمُتَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ إِنْثَرَجَمَاعَاتٍ : الْمُقَرَّبُونَ ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . . فَإِذَا وَصَلُوا الْجَنَّةَ تَفَتْحَ لَهُمْ أَبْوَابُهَا لاسْتِقْبَالِهِمْ ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ حُرَّاسُهَا ( خَزَنَتُهَا ) بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ : طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ ، وَطَابَ سَعْيُكُمْ وَجَزَاؤُكُمْ ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَتَمَكَّنُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا . ٣٦١

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : "أي ساقطهم الملائكة سوق إعزاز وتشريف وتكريم" . ٣٦٢

#### خزنة الجنة :

جعل الله سبحانه وتعالى للجنة خزنة يقومون على تدبير أمرها ، ويفتح له الباب خازنها وأول داخل هو رسول الله ﷺ كما جاء في عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » . ٣٦٣

#### استقبال خزنة الجنة للمؤمنين :

يكرم الله أهل جنة عند دخولهم بأن تتلقاهم خزنة الجنة بالتهنئة والبشرى ، والترحاب .  
قال تعالى : {وَسَيَقَ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٧٣) سورة الزمر .

#### الملائكة يدخلون على أهل الجنة :

ومما يكرم الله به أهل الجنة دخول الملائكة عليهم من كل باب مسلمين ومهنيين لهم على ما نالوه من النعيم المقيم جزاء صبرهم وجهادهم . قال تعالى : أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

٣٥٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١٣)

٣٦٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٣٣٥)

٣٦١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠١٠)

٣٦٢ - فتح القدير - (٦ / ٣٠٧)

٣٦٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٠٧)

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد : ٢٢ - ٢٤] .  
وَتِلْكَ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ دُخُولُ جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَالْإِقَامَةُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا . وَيَجْمَعُ  
اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّائِهِمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَنْبَاءِ الصَّالِحِينَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، لِيَتَقَرَّ بِهِمْ أَغْيُنُهُمْ؛  
وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسَلِّمِينَ مُهَيَّئِينَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، وَبِرِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .  
وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، وَأَمْنٌ دَائِمٌ لَكُمْ ، لَقَدْ صَبَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاحْتَمَلْتُمُ الْمَشَاقَّ  
وَالْآلَامَ ، فَفُزْتُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ ، فَنِعِمَّتْ عَاقِبَتُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .<sup>٣٦٤</sup>

=====

<sup>٣٦٤</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٧٣١ )

## المبحث العاشر ثمرات الإيمان بالملائكة

إِنَّ اللَّهَ -عز وجل- لم يطلع الناس على شيء من غيبه إلا وكان فيه نعمة عظيمة لهم، ومن فضل الله علينا أن عَرَّفَنَا بهذه المخلوقات الكريمة. وجعل الإيمان بها من الإيمان بالغيب الذي يعد أول صفة للمؤمنين. قال تعالى: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) } [البقرة: ١-٣] .

### ومن هذه الثمرات :

- ١- وقوف المؤمن على عظيم قدرة الله تعالى ، وذلك واضح في عظم خلق الملائكة.
- ٢- اطمئنان المؤمن إلى أنه محاطٌ برعاية الله تعالى له، هؤلاء الخلق العظام الذين يراعون شؤونه، ويسبغون كثيرا من شؤون الكون بإذن الله تعالى.
- ٣- حثُّ المؤمن على العمل الصالح وزجره عن السيئات، حيث أن الملائكة يترصدون جميع أعماله ويسجلونها عليه.
- ٤- إغلاقُ باب الخرافة والتخيلات الباطلة والاعتقاد الزائف في الملائكة ، وذلك ببيان الحق في شأنهم ، وتوضيح ما يخص البشر وينفعهم العلم به من أمر الملائكة.
- ٥ - أن تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشرك وأدراجه ، لأنَّ المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله بهذه الأعمال العظيمة تخلَّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهمية تسهم في تسيير أمور الكون .

- ٦ - أن يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعون ولا يضرون ، وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) [الأنبياء/٢٦-٣٠] } فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم ، ولا يتعلق بهم .
- ٧- شكرُ الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده، حيث وكلَّ بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك، مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة .

- ٨- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه، من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم. قال تعالى : {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } (١٢) سورة الأنفال ، وقال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ

أَمَّنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)  
 رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { (٩) سورة  
 غافر ٧-٩

٩- الاستقامة على أمر الله عز وجل: فإن من يستشعر وجود الملائكة معه وعدم مفارقتها له ، ويؤمن  
 برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه، ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه في  
 أمر ولا يعصيه في العلانية أو في السر، فكيف يعصى الله مَنْ علم أن كل شيء محسوب ومكتوب؟  
 ١٠- الطمأنينة: فالمسلم مطمئن إلى حماية الله له، فقد جعل الله عليه حافظاً يحفظه من الجن والشياطين  
 ومن كل شر: { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... } (١١) سورة الرعد .  
 ١١- حبُّ الله عز وجل: فالمسلم عندما يؤمن بالملائكة وأعمالهم ويرى كيف أن الله -عز وجل-  
 وكل ملائكة بالسماء، وملائكة بالأرض، وملائكة بالجبال، وملائكة بالسحاب .. إلخ وكل ذلك من  
 أجل الإنسان وراحته يتوجه إلى الله بالشكر فتزداد محبة الله في قلبه ويعمل على طاعته. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ  
 الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَرْجُ الَّذِينَ بَأْتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي  
 فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » . (أخرجه البخاري) ٣٦٥  
 ١٢- الصبر على طاعة الله: ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الصبر، ومواصلة الجهاد في سبيل الله، وعدم  
 اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فعندما يصبح المؤمن غريباً في وطنه وبين أهله وقومه حينما  
 يدعوهم إلى الله ويجد منهم الصد والاستهزاء يجد المؤمن من ملائكة الله أنيساً ورفيقاً يصحبه ويطمئننه  
 ويشجعه على مواصلة السير في طريق الهدى، لأن جنود الله معه، يعبدون الله كما يعبد المؤمن ربه،  
 ويتجهون إلى خالق السموات والأرض كما يتجه، فيشعر بأنه لا يسير وحده إلى الله دائماً بل يسير مع  
 موكب إيمان مع الملائكة ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السماوات والأرض وباقي مخلوقات الله التي  
 تسبح بحمده.

=====

## المبحث الحادي عشر

### الإيمان بالجن

الجنُّ من مخلوقات الله -عز وجل- والمسلم يؤمن بأن الجنَّ خلقوا من النار، قال تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ} (١٥) سورة الرحمن. وعن عائشةَ قالتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » (أخرجه مسلم) <sup>٣٦٦</sup>.

وقد خلق الله -عز وجل- الجن قبل الإنس، قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) [الحجر/٢٦، ٢٧] والمسلم يؤمن بأن الجنَّ مأمور مثل الإنسان بطاعة الله، وأن يجعلوا حياتهم كلها طبقاً لما أَرَادَهُ اللهُ، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات ، وقال سبحانه مخاطباً الجن والإنس: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ} (١٣٠) سورة الأنعام

والمسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- أرسل نبيه محمداً ( إلى كلٍّ من الإنس والجن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ » (مسلم) <sup>٣٦٧</sup>. وقوله تعالى: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) [الأحقاف/٢٩-٣٢] .

### المطلب الأول

#### طوائف الجن

<sup>٣٦٦</sup> - برقم (٧٦٨٧) المارج : لب النار المختلط بسواها

<sup>٣٦٧</sup> - برقم (١١٩٥)

والمسلم يؤمن بأن الجن طوائف كثيرة مثل الإنس تمامًا، فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، ومنهم الصالحون ومنهم المفسدون، ومنهم الشياطين، ومنهم العفاريت، قال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} (١٤) سورة الجن ، وقال أيضًا: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} (١١) سورة الجن ، وقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (١١٢) سورة الأنعام ،

والجن أنواع مختلفة، لكل نوع ميزات يتميز بها عن غيره، فهناك الجن الطيار والغواص وغير ذلك.

-----

## المطلب الثاني

### قدرات الجن

والمسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- منح الجن قدرات خاصة لم يمنحها للإنس جميعاً، ومن هذه القدرات سرعة التنقل الفائق، والقوة العظيمة التي تدل على عظمة الخالق -سبحانه-، كما جاء في قصة سليمان عليه السلام ، عندما أراد أن يثبت للملكة سبأ عظم ما أعطاه الله -عز وجل- له من نعم عظيمة وآلاء جليلة، قال تعالى: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) [النمل/٣٨-٤٠].

والمسلم يؤمن بأن الجن يستطيعون التحليق في الفضاء الخارجي، وكانوا يستمعون إلى السماء، وينقلون أخبارها إلى الكهنة بعد إضافة كثير من الأكاذيب إليها، فلما بعث الله -عز وجل- النبي ﷺ حُرِسَت السماء بالشهب والملائكة، يقول الله -عز وجل- على لسان أحد الجن: { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) [الجن/٨، ٩]

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ فِتْوَاهِهِ إِلَى الْكُفَّانِ ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » (أخرجه البخاري) <sup>٣٦٨</sup>.

والمسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- قد سخر الجن لسليمان، يغوصون في البحر، ويستخرجون له من خيرات، ويبنون له القصور الشامخات، وقد جعلهم الله -عز وجل- من جنود سليمان عليه السلام،

قال تعالى: { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } (١٧) سورة النمل وقال تعالى: { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ (١٣) [سبأ/١٢، ١٣]

<sup>٣٦٨</sup> - برقم ( ٣٢١٠ و ٣٢٨٨ و ٥٧٦٢ و ٦٢١٣ و ٧٥٦١ ) ومسلم برقم ( ٥٩٥٢ )

وقال تعالى : {وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} (٨٢) سورة الأنبياء والمسلم يؤمن أن للجن قدرة على تغيير أشكالهم، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال وكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ، وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - . قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَى عِيَالٍ ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ . قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ » . قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ » . فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّهُ سَيَعُودُ . فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - . قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَى عِيَالٍ لَا أَعُودُ ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ » . فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ . قَالَ دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا . قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ) حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ . فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ ، يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ « مَا هِيَ » . قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ) وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ . فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » قَالَ لَا . قَالَ « ذَاكَ شَيْطَانٌ » (أخرجه البخاري) ٣٦٩ .

وعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال « إِنَّ عِفْرِيَّتًا مِنَ الْجَنِّ تَفَلَّتْ عَلَى الْبَارِحَةِ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لَيَقْطَعَنَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » . (أخرجه البخاري) ٣٧٠ .

٣٦٩ - برقم (٢٣١١)

٣٧٠ - برقم (٤٦١ و ١٢١٠ و ٣٢٨٤ و ٣٤٢٣ و ٤٨٠٨)

## المطلب الثالث مساكن الجن

المسلم يؤمن بأن للجن مساكن يسكنون فيها، مثل: الأماكن الخربة، والصحارى، والأماكن النجسة، والأماكن المظلمة. فعن صَيْفِيٍّ أَخْبَرَنِي أَبُو السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبَتْ لِأَقْتُلَهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَيَّ بَيْتٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَ كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرسٍ - قَالَ - فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ ». فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةٌ فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرُهُ فَقَالَتْ لَهُ اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي. فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى قَالَ فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا. فَقَالَ « اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ ». ثُمَّ قَالَ « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَأَذْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » (أخرجه مسلم) <sup>٣٧١</sup>.

<sup>٣٧١</sup> - برقم (٥٩٧٦) = العراجين : جمع العرجون وهو العود الأصفر الذى فيه الشماريح إذا بيس واعوج = انتظمتها : طعننها حتى أنفذ الرمح منها

## المطلب الرابع طعام الجن

والمسلم يؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ عن طعام الجن، وهو العظم والروثة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ - إداوة لوضوئه وحاجته، فينمما هو يتبعه بها فقال « من هذا » فقال أنا أبو هريرة . فقال « انعني أحجاراً أستنفض بها ، ولا تأتي بي بعظم ولا بروثة » . فأتته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه ثم انصرفت ، حتى إذا فرغ مشيت ، فقلت ما بال العظم والروثة قال « هما من طعام الجن ، وإنه أتاني وقد جن نصيبين ونعم الجن ، فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً » (أخرجه البخاري) <sup>٣٧٢</sup> . وعن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ - ليلة الجن قال فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ - ليلة الجن قال لا ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ - ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل - قال - فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء - قال - فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال « أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن » . قال فأنطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم » . فقال رسول الله ﷺ - « فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم » (أخرجه مسلم) <sup>٣٧٣</sup> .

ولكي يحترس المسلم من وجود الشيطان معه عند الطعام، فعليه أن يلتزم بأداب الإسلام في تناول الطعام بأن يبدأ باسم الله - تعالى - ، ويأكل بيمينه، ولا يأكل بشماله؛ حتى لا يشاركه الشيطان في أكله، عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ - قال « لا يأكلن أحد منكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها » (أخرجه مسلم) <sup>٣٧٤</sup> .

والمسلم يؤمن بأن مصير الكافرين من الجن هو نفس مصير الكافرين من الإنس، فهم مكلفون بالإيمان بالله وطاعته، وسوف يحاسبون على ما يعملون في الدنيا، قال تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } (سورة الأعراف .

<sup>٣٧٢</sup> - برقم (٣٨٦٠)

<sup>٣٧٣</sup> - برقم (١٠٣٥) = استطير : ذهب به بسرعة كأن الطير حملته = اغتيل : قتل خدعة

<sup>٣٧٤</sup> - برقم (٥٣٨٦)

وقال تعالى : : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (١٣) سورة السجدة

لو شاء الله لجعل لجميع النفوس طريقا واحدا. هو طريق الهدى ، كما وحد طريق المخلوقات التي  
تتهدي بإلهام كامن في فطرتها ، وتسلك طريقة واحدة في حياتها من الحشرات والطيور والدواب أو  
الخلائق التي لا تعرف إلا الطاعات كالملائكة. لكن إرادة الله اقتضت أن يكون لهذا الخلق المسمى  
بالإنسان طبيعة خاصة ، يملك معها الهدى والضلال ويختار الهداية أو يحيد عنها ويؤدي دوره في هذا  
الكون بهذه الطبيعة الخاصة ، التي فطره الله عليها لغرض ولحكمة في تصميم هذا الوجود. ومن ثم  
كتب الله في قدره أن يملأ جهنم من الجنة ومن الناس الذين يختارون الضلالة ، ويسلكون الطريق  
المؤدي إلى جهنم.<sup>٣٧٥</sup>

وقوله تعالى : « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا .. وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . هو ردّ ضمنى على ما طلب المجرمون من أن يعودوا إلى الحياة الدنيا مرة أخرى ..  
والمعنى : أن الهدى بيد الله ، وفي قيد مشيئته .. وأنه سبحانه لو شاء لهدى الناس جميعا ، ولكنه  
سبحانه جعل للجنة أهلها ولها يعملون ، وجعل للنار أهلها ولها يعملون .. وأن مما قضى الله به في  
خلقه أن يملأ النار ويعمرها بمن جعلهم من أهلها ، من الجنة والناس!

وأن هؤلاء المجرمين الذين رأوا مشاهد القيامة ، وعانوا أهوالها ، وتمنوا العودة إلى الدنيا ، ليستقيموا  
على طريق الحق والهدى — هؤلاء المجرمون ، لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، ولركبوا نفس  
الطريق الذي كانوا عليه من قبل ، ولما تواروا على الكفر والضلال ، ولكانوا في أصحاب النار ، وذلك  
لأن قضاء الله فيهم قد سبق ، وأنهم لن يخرجوا عما قضى الله فيهم!<sup>٣٧٦</sup>

-----

<sup>٣٧٥</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٥ / ٢٨١١ )

<sup>٣٧٦</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - ( ١١ / ٦١٦ )

## المطلب الخامس العلاقة بين الجن والإنس

المسلم يؤمن بأن الكافرين من الجن يوسوسون إلى الإنسان، ويزينون له المعاصي، ويشككون المسلم في الله -عز وجل- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، وَلْيَتَنَبَّهْ » (متفق عليه) <sup>٣٧٧</sup>.

والمسلم يؤمن بأن الله - سبحانه - يحفظه من مس الجن وإيذائه، بالتزام الطاعات، قال تعالى : {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...} (١١) سورة الرعد ، أما الذين يتعدون عن طريق الله، فمن السهل على الجن أن يؤذوهم بالصرع والجنون، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ لِي أَخًا وَبِهِ وَجَعٌ. قَالَ « وَمَا وَجَعُهُ ». قَالَ بِهِ لَمَمٌ. قَالَ « فَأَتَيْنِي بِهِ ». فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَوَّذَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ (وَالِهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَةِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَآيَةِ مِنَ الْأَعْرَافِ (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) وَآيَةِ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ (وَالصَّافَّاتِ) وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْتَكِ قَطُّ. (أخرجه أحمد) <sup>٣٧٨</sup>.

ومن ذلك ما روي عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا بِهِ لَمَمٌ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ». قَالَ فَبَرَأَ. قَالَ فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ كَبْشَيْنِ وَشَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « خُذِ الْأَقِطَ وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ وَرُدَّهُمَا عَلَيْهَا

<sup>٣٧٧</sup> - صحيح البخارى برقم(٣٢٧٦) ومسلم برقم(٣٦١ و ٣٦٢)

وفي شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ٢٥٣)

قَالَ الْإِمَامُ الْمَازَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَوَاطِرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَالرَّدَّ لَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ وَلَا نَظَرٍ فِي إِنْطَالِهَا . قَالَ : وَالَّذِي يُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ الْخَوَاطِرَ عَلَى فِسْمَيْنِ : فَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقَرَّةٍ وَلَا اجْتَلِبَتْهَا شُبْهَةٌ طَرَأَتْ فَهِيَ الَّتِي تُدْفَعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ الْحَدِيثُ ، وَعَلَى مِثْلِهَا يَنْطَلِقُ اسْمُ الْوَسْوَسةِ ؛ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَمْرًا طَارِئًا بِغَيْرِ أَصْلٍ دُفِعَ بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي ذَلِيلٍ إِذْ لَا أَصْلَ لَهُ يُنْظَرُ فِيهِ . وَأَمَّا الْخَوَاطِرُ الْمُسْتَقَرَّةُ الَّتِي أَوْجَبَتْهَا الشُّبْهَةُ فَإِنَّهَا لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِالْإِسْتِدْلَالِ وَالتَّنْظُرِ فِي إِنْطَالِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

<sup>٣٧٨</sup> برقم(٢١٧٧٤) وفيه ضعف = اللمم : طرف من الجنون يعترى الإنسان

الْآخَرِ» ( أخرجه أحمد في مسنده )<sup>٣٧٩</sup> . وقال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٧٥) سورة البقرة .

والمسلم يعلم أنه في معركة مستمرة مع الشياطين وأعدائهم من شياطين الإنس والجن، الذين يفسدون في الأرض ولا يطيعون الله -عز وجل- . والمسلم يعرف أعداءه جيّداً، وأول عدو يجب أن يحتسب منه هو الشيطان، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (٦) سورة فاطر ، وقال: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (٦٠) سورة يس .

فالمسلم لا يتبع الشيطان في طريق غوايته، بل يحذر دائماً من وسوسته؛ لأنه سبب الضلال فب كل وقت وفي أي مكان، فهو الذي زين للأمم السابقة طرق الشرك بالله -تعالى-، ودعاهم إلى تكذيب الرسل، وقد أخذ على نفسه العهد أن يضلّ الناس جميعاً إلا المخلصين المؤمنين، فقال: { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) [ص/٨٢، ٨٣] }

وقال -سبحانه- عن إضلال إبليس للأمم السابقة: {وَجَدْتُنَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} (٢٤) سورة النمل ، وقال تعالى : {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} (٣٨) سورة العنكبوت ، والشيطان يلزم الإنسان في كل حركاته وسكناته، فكلما هم بطاعة الله صرفه عنها، وكلما ابتعد عن معصية الله قربه منها، فهو يكره أن يرى الإنسان في طاعة الله -عز وجل-، ويوسوس للإنسان في صلاته ودعائه وقراءة القرآن، بل وفي كل طاعة.

فعلى المسلم أن يتعوذ بالله من الشيطان حينما يشعر بوسوسة منه، قال تعالى: {وَأِمَّا يَرِغْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٢٠٠) سورة الأعراف.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا تُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ ، فَإِذَا ثُوبَ بِهَا أَدْبَرَ فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى ، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ » (أخرجه البخاري)<sup>٣٨٠</sup> .

<sup>٣٧٩</sup> برقم(١٨٠١٤) السلسلة الصحيحة برقم(٤٨٥) و المستدرك للحاكم برقم (٤٢٣٢) وصححه ووافقه الذهبي وهو حسن =

الأقط : اللبن الحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به

<sup>٣٨٠</sup> - برقم(١٢٣١) يخطر : يوسوس

والمسلم يعلم أن الشيطان يحاول أن يوقعه في الشرك بالله، وهى أكبر جريمة يرتكبها الإنسان في حق الله، فإن لم يستطع أن يوقعه في الشرك أوقعه في كبائر الذنوب، والبدع، وإن لم يستطع حاول أن يوقعه في صغائر الذنوب، فهو لا يمل أبداً من إضلال الإنسان، قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٦٨) سورة البقرة. وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) [البقرة/١٦٨، ١٦٩].

والشيطان يسعى بين الناس بالفساد، وتقطيع الأرحام، ونشر الحقد والحسد والضغينة بينهم، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (٩١) سورة المائدة.

والمسلم يعلم أن إبليس يبعث جنوده من الشياطين للفساد في الأرض، ويكون أكثرهم فساداً أقربهم إليه منزلة. عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَيَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئاً قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيَدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ». قَالَ الْأَعْمَشُ أَرَاهُ قَالَ «فَيَلْتَزِمُهُ» (أخرجه مسلم) <sup>٣٨١</sup>. فالشيطان يفرح بخراب البيوت العامرة، وتشريد النفوس الآمنة.

والمسلم يعلم ملازمة الشيطان له وإصراره على غوايته، فعليه أن يذكر الله عند دخوله إلى بيته حتى لا يدخل الشيطان معه، وعند طعامه حتى لا يأكل الشيطان معه، وفي كل أمور حياته ليبعد عنه الشيطان، والمسلم يعلم أنه إن لم يفعل ذلك أكل وشرب ونام معه الشيطان، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ» (أخرجه مسلم) <sup>٣٨٢</sup>.

والمسلم يعلم أن الشيطان عدوٌّ للأنبياء والمرسلين. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (١١٢) سورة الأنعام.

وعن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ - حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا. قَالَتْ فَعَرِزْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ «مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغْرَتْ». فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي

<sup>٣٨١</sup> - برقم (٧٢٨٤)

<sup>٣٨٢</sup> - برقم (٥٣٨١)

عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْمَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ » (أخرجه مسلم) ٣٨٣.

والمسلم يعلم أن السحر حقيقة لا ريب فيها، يقول الله في سحرة فرعون: { قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ } (١١٦) سورة الأعراف ، وقال سبحانه: { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (١٠٢) سورة البقرة.

وقد سحر الرسول ﷺ على يد لبيد بن الأعصم اليهودي، فعن عائشة قالت سحر النبي ﷺ - حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ، ثُمَّ قَالَ « أَشْعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي أَتَانِي رَجُلَانِ ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعَ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ . قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ . قَالَ فِي مَاذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَحِفٍّ طُلْعَةٍ ذَكَرَ . قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بئرِ ذُرْوَانَ » . فخرج إليها النبي ﷺ - ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ « نَخْلُهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » . فَقُلْتُ اسْتَخَرَجْتُهُ فَقَالَ « لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، ثُمَّ دُفِنْتُ الْبُئْرُ » (أخرجه البخاري) ٣٨٤.

فالمسلم يدعو ربه دائماً ويستغفره، ويتعوذ به من شرور الشياطين، قال تعالى: { وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) [المؤمنون/٩٧-٩٩] وهو يعلم أن الله - عز وجل - يحمي عباده المؤمنين من مكائد الشيطان، وأنه قد بشرهم بالحفظ من كيد الشيطان فقال: { إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } (٤٢) سورة الحجر . وقال تعالى : فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) [النحل/٩٨-١٠١].

٣٨٣ - برقم (٧٢٨٨)

٣٨٤ - برقم (٣٢٦٨ و ٣١٧٥ و ٥٧٦٣ و ٥٧٦٥ و ٥٧٦٦ و ٦٠٦٣ و ٦٣٩١)

قلت : وهذا السحر لاينافي عصمة الرسول ﷺ ، فالعصمة هي في تبليغ الوحي الإلهي ، وهي مصونة لم يؤثر عليها السحر بشيء ، بل كان تأثيره في أمور دنيوية جبلية عادية ، وهذا جائزة في حق الرسل ، فهم بشر يعتريهم ما يعتري البشر ، خلا معصية الله تعالى

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حينما يسير في طريق، يلتمس الشيطان طريقاً آخر خوفاً من عمر، لأنه كان عبداً مخلصاً لله ، فعن سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمرُ على رسول الله - ﷺ - وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمرُ ، فَمَنْ يَتَدِرْنَ الْحِجَابَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ أَضْحَكَ اللَّهُ سَيِّئًا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ » . قَالَ عُمَرُ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ . ثُمَّ قَالَ أَيْ عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ ، أَتَهَيَّنَنِي وَلَا تَهَيَّنَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قُلْنَ نَعَمْ ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » (أخرجه الشيخان) ٣٨٥ .

والمسلم يعلم أن الجن لا تقدر على شيء إلا بإرادة الله، كما أنها لا تعلم من غيب الله شيئاً، قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} (٢٧) [الجن/٢٦، ٢٧]، وقال تعالى عن وفاة النبي سليمان عليه السلام: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (١٤) سورة سبأ. فعلى المسلم أن يكون دائم الصلة بالله - عز وجل -، فمن كان في كنف الله - عز وجل - حماه الله من شياطين الإنس والجن فهو نعم المولى ونعم النصير. قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٤٩) سورة الأنفال

والمسلم يعلم أن إبليس تكبر على أمر الله - عز وجل - عندما أمره بالسجود لآدم تكريماً له، وقال: {قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (١٢) سورة الأعراف ، فغضب الله عليه، وأنزله من السماء، وأخرجه من رحمته: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (١٨) سورة الأعراف. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « إِذَا قرأ ابنُ آدمَ السَّجْدَةَ اعتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ » (أخرجه أحمد) ٣٨٦ .

والجن مكلفون بالعبادة والطاعة لله - عز وجل - مثل الإنس ، يدل على ذلك خطاب الله - عز وجل - لهم في القرآن قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات ، وعن جابر رضى الله عنه قال خرج رسول الله - ﷺ - على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال « لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةً فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا

٣٨٥ - البخارى برقم ( ٣٢٩٤ ) ومسلم برقم ( ٦٣٥٥ ) - الفج : الطريق الواسع

٣٨٦ - برقم ( ٩٩٦٤ ) وهو صحيح

أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ (فَبَائِيَ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قَالُوا لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ» (أخرجه الترمذي) <sup>٣٨٧</sup>.

لقد علم إبليس أن الله خلقه، وكلفه وأمره، ولكنه استكبر على أمر الله. والمسلم لا يفعل هذا أبداً، فعن عبد الله قال قال رسول الله - ﷺ - « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ » (أخرجه أبو داود والترمذي) <sup>٣٨٨</sup>.  
والمسلم يجب أن يعلم أن الشيطان سوف يتبرأ من أوليائه يوم القيامة، قال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٢٢) سورة إبراهيم .

والذين ينكرون الجن ليس لهم حجة ولا سند، فإن كانوا لا يؤمنون بالغيب ، فإن هناك أشياء من الغيب لا ندركها، ولكن ندرك تأثيرها، فالكهرباء -مثلاً- لا نراها، ولكن ندرك تأثيرها، وكذلك الجاذبية والروح، فإن كانوا ينكرون هذه الأشياء، فليمسك أحدهم بسلك من الكهرباء، ويزعم أنه غير موجود لأنه لا يراه، هذا إن أرادوا دليلاً عقلياً، فإن أرادوا دليلاً من الشرع، فيكفيهم أن الله -عز وجل- أنزل سورة كاملة، وسماها سورة الجن، وذكرهم في أكثر من موضع في القرآن الكريم.، فهم أشبه الناس بقوله تعالى: { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (١١) كَذَلِكَ نَسُلكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) } [الحجر/١١-١٥]



<sup>٣٨٧</sup> - برقم (٣٦٠٢) و الصحيحة (٢١٥٠) وهو حديث حسن

<sup>٣٨٨</sup> - أبو داود برقم (٤٠٩٣) والترمذي برقم (٢١٢٩) وهو صحيح

## الركن الثالث

### الإيمان بالكتب السماوية

الكتب جمع كتاب . والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا ، ثم سمي به المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كما في قوله تعالى : { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ } (النساء : ١٥٣) يعني صحيفة مكتوباً فيها . المقصود بالكتب :هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمةً للخلق، وهدايةً لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بها يعني الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على رسله إلى أقوامهم ، وأن هذه الكتب قد حوت عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، إضافةً إلى تشريعات خاصة بكل أمة ، إلا أن هذه التشريعات قد نُسخَتْ بعد نزول شريعة محمد ﷺ . قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (٤٨) سورة المائدة

### المبحث الأول

#### حكم الإيمان بالكتب السماوية

الإيمان بكتب الله التي أنزل على رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين ، لا يتحقق الإيمان إلا به . وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء : ١٣٦) . فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه . فأمرهم بالإيمان بالله ورسوله وهو محمد ﷺ والكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن ، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة : كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله .

وقال تعالى : { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (البقرة : ١٧٧) . فأخبر عز وجل أن حقيقة البر : هو الإيمان . بما  
ذكر من أركان الإيمان ، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا . وذكر من أركان الإيمان : "   
الإيمان بالكتاب " قال ابن كثير : هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء . حتى  
ختمت بأشرفها ، وهو القرآن المهيم على ما قبله من الكتب .

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بقوله تعالى : { قُولُوا آمَنَّا  
بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى  
وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (البقرة : ١٣٦) .

فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنزل الله عليهم بواسطة رسوله ﷺ ، وما أنزل على أعيان الرسل  
المذكورين في الآية ، وما أنزل على بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان  
ببعضهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنزل الله عليهم من الكتب ..

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب . وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان ،  
دل على ذلك حديث جبريل ، وسؤاله النبي ﷺ أركان الإيمان ، فذكر النبي ﷺ في إجابته : الإيمان  
بالكتب مع بقية أركان الإيمان . وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادته هنا .

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها ، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنزلها على  
رسله بالحق والهدى والنور والضياء ، وأن من كذب بها أو جحد شيئاً منها فهو كافر بالله خارج من  
الدين .<sup>٣٨٩</sup>

وعلى ضوء ذلك نقول الحقائق التالية :

أولاً : يجب على المؤمن أن يعتقد جازماً بأن الله تعالى قد أوحى بهذه الكتب إلى الرسل المرسلين  
لل بشرية ، والإيمان بها على النحو التالي :

(١) - التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله عز وجل ، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره ، وأن  
الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه . قال تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ  
الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } { مِنْ قَبْلُ هُدًى  
لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ } (آل عمران  
: ٢ - ٤) .

<sup>٣٨٩</sup> - انظر الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - ( ١ / ١٦٠ ) وتفسير ابن كثير ١ / ٢٩٧ .

فأخبر الله عز وجل أنه أنزل هذه الكتب المذكورة وهي : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن من عنده وهذا يدل على أنه هو المتكلم بها وأنها منه بدأت لا من غيره ، ولذا توعد في نهاية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد ..

وقال مخبراً عن التوراة { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } (المائدة : ٤٤) فبين أنه تعالى هو الذي أنزل التوراة وأن ما فيها من الهدى والنور منه سبحانه . وقال تعالى في سياق آخر مبيناً أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إخباره عن اليهود { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ } (البقرة : ٧٥) فكلام الله الذي سمعوه ثم حرفوه هو التوراة . قاله السدّي وابن زيد وجمع من المفسرين .

وقال تعالى في الإنجيل { وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ } (المائدة : ٤٧) أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله .

وقال في القرآن الكريم : { الرِّيبَاتُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } (هود : ١) . وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ { وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } (النمل : ٦) . وقال تعالى : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ } (النحل : ١٠٢) . وقال تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } (التوبة : ٦) . وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنزله على رسوله ﷺ فهو كلام الله على الحقيقة .

(٢) - الإيمان إجمالاً بأن الله تعالى قد أنزل كتباً على رسله غير التي سمّاها في القرآن الكريم.

ثانياً : الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء . قال تعالى : { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ } (آل عمران : ٧٩) . فبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر ، آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة ، أن يأمر الناس أن يتخذوه إلها من دون الله . وذلك أن كتب الله إنما جاءت بإخلاص العبادة لله وحده وقال تعالى مبيناً أن كتبه جاءت بالحق والهدى { نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } { مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ } (آل عمران : ٣ ، ٤) . وقال تعالى : { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } (البقرة : ٢١٣) . وقال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } (المائدة : ٤٤) . وقال تعالى : { وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ } (المائدة : ٤٦) . وقال تعالى : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } (البقرة : ١٨٥) . إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جاءت بالهدى والنور من الله تعالى .

ثالثاً - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً فلا تناقض بينها ولا تعارض - من حيث الأصل - كما قال تعالى في القرآن : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيْهِ { (المائدة : ٤٨) . وقال في الإنجيل : { وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ { (المائدة : ٤٦) .

فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامة كتب الله من كل تناقض أو تعارض ، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعالى في وصف القرآن { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا { (النساء : ٨٢) .

رابعاً- الإيمان بما سَمَّى الله عز وجل من كتبه على وجه الخصوص ، والتصديق بها ، وبإخبار الله ورسوله عنها . وهذه الكتب هي :

أ) التوراة : وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام . قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ { (القصص : ٤٣) .

وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألواح وفي ذلك يقول سبحانه { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ { (الأعراف : ١٤٥) .

والتوراة هي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ { (المائدة : ٤٤) . وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليهود للتوراة وتبديلها على ما سيأتي بسط هذا في المبحث القادم إن شاء الله .

ب) الإنجيل : وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام . قال تعالى : { وَفَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ { (المائدة : ٤٦) .

وقد أنزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقدم في الآية السابقة .

قال بعض العلماء : لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل : { وَلِلْأَحِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ { (آل عمران : ٥٠) .

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشارة بنبينا محمد ﷺ . قال تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ { (الأعراف : ١٥٧) .

ج) الزبور : وهو كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام . قال تعالى : { وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا { (السماء : ١٦٣) . قال قتادة في تفسير الآية : " كنا نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد لله عز وجل ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود "

(د) صحف إبراهيم وموسى : وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله ، الأول في سورة النجم في قول الله تعالى : { أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى } { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } { أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } (النجم : ٣٦-٣٩) . والثاني في سورة الأعلى ، قال تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } { وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } { وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } { إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى } { صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } (الأعلى : ١٤-١٩) . فأخبر الله عز وجل عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله على رسوله إبراهيم وموسى عليهما السلام . والعلم عند الله .

(هـ) القرآن العظيم : وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه ، وهو آخر كتب الله نزولاً وأشرفها وأكملها ، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن . قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } (المائدة : ٤٨) ومهيماً : أي شهيداً على ما قبله من الكتب وحاكماً عليها . وقال تعالى : { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } (الأنعام : ١٩) . وقال عز وجل : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (الفرقان : ١) . وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والتزويل ، والذكر .

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص ، من ذكر أسمائها ، ومن أنزلت فيهم ، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها ، وما قصَّ علينا من أخبار أهلها .

خامساً- تصديق ما صحَّ وصوله من أخبارها ، والإيمان به ، وأنه حقٌّ من عند الله تعالى .

سادساً : الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله ، بالقرآن الكريم ، وأنه لا يسع أحداً من الإنس أو الجن ، لا من أصحاب الكتب السابقة ، ولا من غيرهم ، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره . والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة . قال تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (الفرقان : ١) .

وقال عز وجل : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) } [المائدة : ١٥ ، ١٦] .  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا أَرْسَلْنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَكُنْتُمْ تُخْفُونَهَا ( كَالرَّجْمِ لِلزَّانِي الْمُحْصَنِ ، وَكَصِفَاتِ مُحَمَّدٍ ، وَالْبَشَارَةِ بِهِ الَّتِي حَرَفْتُمُوهَا وَحَمَلْتُمُوهَا عَلَى مَعَانٍ أُخْرَى ، وَمِثْلِ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَخْفَيْتُمُوهَا وَنَسِيتُمُوهَا كَنَسْيَانِ

اليهود ما جاء في التوراة من أخبار الحساب والجزاء في الآخرة ، وقد أظهر الرسول لهم كل ذلك ) ومع هذا فقد كان الرسول الكريم يعفو عن كثير مما كانوا يحفونهُ ، ولا يظهر الكثير مما كانوا يكتُمونه .

ثم يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب : إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ نُورٌ مِنَ اللَّهِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، فالنور هو النبي الذي لولا ما جاء به من الهدى والقرآن ، لما عرفوا الدين الحق ، ولا ما طرأ على التوراة والإنجيل من تبديل وتحريف ، والكتاب هو القرآن .

يَهْدِي اللَّهُ بِالْقُرْآنِ ، مَنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ رِضْوَانِ رَبِّهِ ، إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ وَالسَّلَامَةِ ، وَمَنَاجِجِ الاسْتِقَامَةِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ .<sup>٣٩٠</sup>

وقال تعالى أمراً بنبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) } وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ (٥٠) [المائدة : ٤٨ - ٥٠]

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ ( الْكِتَابَ ) إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ السَّابِقَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ ذِكْرَهُ وَمَدْحَهُ ، وَالْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَكَانَ نُزُولُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ مِمَّا زَادَهَا صِدْقًا عِنْدَ حَامِلِيهَا مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ ، الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَشَرَعُهُ ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ .

وَالْقُرْآنُ جَاءَ أَمِينًا عَلَى الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ، وَشَاهِدًا عَلَيْهَا بِالْحَقِّ وَالصَّحَّةِ بِمَا بَيَّنَّهُ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِهَا ( مُهَيِّمًا عَلَيْهِ ) ، وَمُبَيِّنًا حَالِ مَنْ خُوِطِبُوا بِهَا : مِنْ نِسْيَانِ حَظٍّ عَظِيمٍ مِنْهَا ، وَتَحْرِيفٍ كَثِيرٍ مِمَّا بَقِيَ ، أَوْ تَأْوِيلِهِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ .

وَبِمَا أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ رَقِيًّا وَأَمِينًا وَشَاهِدًا ( مُهَيِّمًا ) عَلَى الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ، الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ، فَاحْكُم يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ - إِذَا تَحَاكَمُوا إِلَيْكَ - بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ ، دُونَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، لِأَنَّ شَرِيعَتَكَ نَاسِخَةٌ لِشَرِيعَتِهِمْ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَرَغَبَاتِهِمْ فِي الْحُكْمِ لَهُمْ بِمَا يَسْهَلُ عَلَيْهِمْ ، وَيَخَفُ احْتِمَالُهُ .

<sup>٣٩٠</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٦٨٥ )

ثُمَّ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ شَرِيعَةً أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ إِقَامَةَ أَحْكَامِهَا ، وَمِنْهَا جِا وَطَرِيقًا فَرَضَ عَلَيْهِمْ سُلُوكَهُ لِتَرْكِيبَةِ نُفُوسِهِمْ ( فَأَصْلُ الدِّينِ وَاحِدٌ ، وَلَكِنَّ الشَّرَائِعَ الْعَمَلِيَّةَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْبَشَرِ ، وَطَبَاعِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ ) .

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ، ذَاتَ شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جِا وَاحِدٍ ، يَسِيرُونَ عَلَيْهِ ، لَفَعَلَ ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ، لِيَخْتَبِرَهُمْ فِيمَا شَرَعَ لَهُمْ ، وَلِيُثَبِّتَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيُعَاقِبَهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِ . وَيَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ عَلَى الْمُبَادَرَةِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ الَّذِي جَعَلَهُ نَاسِخًا مَا قَبْلَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ ، وَيُخَبِّرُهُمْ أَنَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَيَحْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ .

قَالَ بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ : اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ لَعَلَّنَا نَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَتَوْهُ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّا أَحْبَابُ يَهُودٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَتُهُمْ ، وَإِنَّا إِنِ اتَّبَعْنَا يَهُودَ وَلَمْ يَحَالِفُونَا ، وَإِنَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا خُصُومَةٌ ، فَنَخَاصِمُهُمْ إِلَيْكَ فَتَقْضِي لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَتُؤْمِنُ لَكَ وَنُصَدِّقُكَ . فَأَبَى الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ فِيهِمْ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَيَحْذَرُهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ الْيَهُودُ ، وَيَصْرِفُوهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْأَمْرِ بِبَعْضِهِمْ ، فَهُمْ كَذِبَةٌ كَفَرَةٌ . ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ : فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ حُكْمِكَ بَعْدَ تَحَاكُمِهِمْ إِلَيْكَ ، فَأَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عَنْ إِرَادَةِ اللَّهِ ، وَمَشِيتِهِ ، وَحُكْمَتِهِ فِيهِمْ ، أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنِ الْهُدَى لِيُعَذِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، وَإِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، مُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ .

أَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ حُكْمِكَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ؟ فَهَلْ يُرِيدُونَ حُكْمًا كَحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَبْنِي عَلَى التَّحْزِيرِ وَالْهَوَى ، وَتَرْجِيحِ جَانِبِ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ، وَمَنْ أَعْدَلُ مِنْهُ فَصْلًا؟ لِمَنْ عَقَلَ شَرْعَ اللَّهِ وَآمَنَ بِهِ؟<sup>٣٩١</sup>

وَعَنْ حَابِرٍ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ كِتَابًا حَسَنًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، قَالَ : فَعَضِبَ ، وَقَالَ : أُمْتَهُوْكَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْنَاءَ نَقِيَّةٍ ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فِتْكَذَّبُوا بِهِ ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ مُوسَى كَانَ حَيًّا الْيَوْمَ مَا وَسَّعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبَعَنِي.<sup>٣٩٢</sup>

<sup>٣٩١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٧١٨ )

<sup>٣٩٢</sup> - مصنف ابن أبي شيبة - ( ٩ / ٤٧ ) ( ٢٦٩٤٩ ) صحيح لغيره

وَعَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ تَقْرَؤُونَهُ مُحَضًّا لَمْ يَشُبْ. ٣٩٣

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَتُكَذَّبُوا بِحَقٍّ ، أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَيَضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا فِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ. ٣٩٤

وَعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : نَسَخَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابًا مِنَ التَّوْرَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَيْحَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرَى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُكَذَّبُوا بِحَقٍّ أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُوسَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي. رَوَاهُ الْبَزَّازُ. ٣٩٥

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : " لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ، إِمَّا أَنْ تُكَذَّبُوا بِحَقٍّ ، أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ " ٣٩٦

سابعاً- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها ، إلا أنه بالجملة فإن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن الكريم كما قال الله تعالى : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (٤٨) سورة المائدة. وقد أشار الله تعالى لهذه الكيفية بقوله تعالى : {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (١٣٦) سورة البقرة

قولوا -أيها المؤمنون- لهؤلاء اليهود والنصارى: صدقنا بالله الواحد المعبود بحق، وبما أنزل إلينا من القرآن الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وما أنزل من الصحف إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب والأسباط -وهم الأنبياء من ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل

٣٩٣ - مصنف ابن أبي شيبة - (٩ / ٤٨) (٢٦٩٥١) صحيح

٣٩٤ - مصنف ابن أبي شيبة - (٩ / ٤٨) (٢٦٩٥٢) صحيح

٣٩٥ - كشف الأستار - (١ / ٧٨) (١٢٤) حسن

٣٩٦ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢٥٥١٠) وجامع بيان العلم (٩٤٢) حسن

الاثنتي عشرة- وما أُعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أُعطي الأنبياء جميعًا من وحي  
رهم، لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان، ونحن خاضعون لله بالطاعة والعبادة.<sup>٣٩٧</sup>

=====

## المبحث الثاني

### موقفنا من الكتب السماوية السابقة

إن الله تعالى لم يتعهد بحفظ الكتب السابقة من التحريف والتبديل ، بل وكل حفظها إلى مَنْ أنزلت عليهم كما قال الله تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (٤٤) سورة المائدة .

وقال تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقُضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) } [المائدة : ١٢ ، ١٣]

وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعَنُونَ أَلَسْتَنَّهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) } [آل عمران : ٧٧-٧٨]

أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُلِّ نَبِيٍّ يُرْسِلُهُ ، وَأَنْ يُؤَدُّوهُ ، وَأَلَّا يَكْتُمُوا شَيْئًا مِمَّا شَرَعَ اللَّهُ ، وَالزَّمَهُمْ شَرْعُهُمُ بِالصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ بِمَا يَتَعَاهَدُونَ عَلَيْهِنَ وَبِمَا يَتَعَاقدُونَ ، وَبِأَنْ يُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَبِمُحَمَّدٍ ، وَبَعِيرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَقَتَلُوا النَّبِيَّ بَعِيرَ حَقٍّ ، وَكَتَمُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَاتِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ، وَمِنَ التَّبَشِيرِ بِهِمَا ، خَوْفًا عَلَى نُفُوسِهِمْ مِنْ أَنْ يَزُولَ ، وَعَلَى مَوَارِدِهِمْ مِنْ أَنْ تَقِلَّ ، إِذَا بَيَّنَّا لِلنَّاسِ شَرَعَ اللَّهِ ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ خَالَفُوا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَكَانَتْهُمْ اشْتَرَوْا بِهَذَا الْعَهْدِ قَلِيلًا مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، فَهَؤُلَاءِ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا حَظٌّ ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا يَتَلَقَّاهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ غَضَبَانٌ ، وَيَأْمُرُ بِالْقَائِمِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيُنَالُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ .

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ فَرِيقًا مِنَ الْيَهُودِ ( مِثْلَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ وَأَصْرَابِهِمَا ) يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَتَأَوَّلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَهُمْ يَنْسُبُونَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَهَذَا كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . ٣٩٨

لذا فإن هذه الكتب لم تسلم من التحريف والتبديل بنص القرآن الكريم. بل إن الكثير من أهل الأديان أنفسهم مقرؤون بحدوث التحريف كما أقر بذلك كثير من العلماء.

=====

### المبحث الثالث

ما تضمنته الكتب السابقة وموقفنا منه

إنَّ ما تضمنته الكتب السابقة في صورتها الموجودة اليوم على ثلاثة أقسام :

أولاً: ما جاء في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة تصديقاً له بأنه قد جاء في أحد الكتب ، فإننا نؤمنُ به ونعتقدُ صحته ومثال ذلك قوله تعالى عن التوراة : { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٤٥) سورة المائدة

ثانياً: ما جاء في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة تكذيباً له وأنه افتراء على الله تعالى ، فإننا نجزمُ بعدم صحته ، ولا نؤمن به ؛ مثل ادعاء أن عيسى عليه السلام ابن الله تعالى ، قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) } [البقرة/١١٦] . وقال تعالى : { قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) } [يونس/٦٨-٧٠] .

وقال تعالى : { وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) } [الكهف/٤ و٥] . ومثل ما جاء في قوله الله تعالى عن زعم اليهود : { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (٩٣) سورة آل عمران.

ثالثاً : ما لم يأت في القرآن أو السنة الصحيحة تصديقاً له ولا تكذيباً : فإنَّ موقفنا منه التوقفُ، فلا نصدقُ ولا نكذبُ، فعَنِ أَبِي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجَنَازَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « اللَّهُ أَعْلَمُ ». فَقَالَ الْيَهُودِيُّ إِنَّهَا تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ » (أخرجه أبو داود) ٣٩٩ .

=====

## المبحث الرابع

### الإيمان المفصل بالقرآن الكريم

ونؤمن أن خاتمها القرآن العظيم، كلام رب العالمين على الحقيقة، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المرسلين، قال تعالى: { وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) [الشعراء/١٩٢-١٩٥] } .

وهو مهيم على سائر كتب الله ، قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (٤٨) سورة المائدة { .

وهو منزل من الله تعالى ، وليس بمخلوق ، ولا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ومن قال: { إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } (٢٥) سورة المدثر ، فقد كفر وحق عليه العذاب -إن لم يرجع عن ذلك ويتوب- في قوله تعالى: ( سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ) [المدثر: ٢٦] .

ونؤمن بأن الله قد كلم موسى تكليماً، قال تعالى : { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } (١٦٤) سورة النساء.

أما القرآن الكريم فنؤمن بأن الله تعالى قد تكفل بحفظه من كل تحريف وتبديل، قال الله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (٩) سورة الحجر .

وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) } [فصلت/٤١، ٤٢]

وأن الله تعالى علّق النذارة به فقال: { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } (١٩) سورة الأنعام .

وأن الله تعالى جعله المعجزة الخالدة الباقية الدالة على صدق الرسالات السماوية ، وأنه قد تحدى الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله قال تعالى : { قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } { ٨٨ } الإسراء وقال تعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } { ٢٣ } فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } { ٢٤ }

البقرة . فهو حجة الله على خلقه إلى يوم الدين

ونؤمن بأن كتابه هو العروة الوثقى، وحبُّهُ المتين الذي من استمسك به نجي، ومن أعرض عنه وهجره فقد هلك وضل ضلالاً مبيناً. فعن علي رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ». فَقُلْتُ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَابُهُ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجِنَّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ». ( أخرجه الترمذي) ٤٠٠.

إنَّ الكتب التي نزلت قبل القرآن الكريم ضاعت نُسخُها الأصلية، ولم يبقَ في أيدي الناس إلا تراجمها، أمَّا القرآنُ فما يزال محفوظاً بسوره وآياته وكلماته وحروفه كما تلاه جبريل -عليه السلام- على رسول الله ﷺ، والكتبُ السابقة قد اختلطَ فيها كلامُ البشر بكلامِ الله تعالى، فلا يعرفُ أحدٌ فيها كلامَ الله من كلامِ البشر، وأمَّا القرآنُ فهو جميعه كلامُ الله -تعالى-، ولم يختلطَ بحديثِ الرسول ﷺ أو أقوال الصحابة أو غيرهم.

إنَّ تلكَ الكتبَ ليس منها كتابٌ تصحُّ نسبته إلى الرسول الذي أنزل عليه، فالتوراةُ الحالية لم يكتبها موسى، وإنما دُوِّنت بعد موسى -عليه السلام- بقرون عديدة، وكذا الإنجيلُ، أمَّا القرآنُ الكريمُ فهو الكتابُ الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورةٍ قطعيةٍ إلى الرسول ﷺ وإن لم يكتبه، فقد كان يأمر كتَّاب الوحي أن يدونوا كلَّ ما نزل أولاً بأوَّلٍ.

وتعاليمُ القرآنِ هي كلمةُ الله التي يسعد بها البشرُ، فأرادَ الله لها أن تخلدَ على مرِّ الزمن، فصالحها وحفظها من التبديل والتحريف، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) } [فصلت/ ٤١، ٤٢]. وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر .

وننظر نحن اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب - إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة - ونرى أن الأحوال والظروف والملايسات والعوامل التي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصوناً محفوظاً لا تبدل فيه كلمة، ولا تحرف فيه جملة، لولا أن هنالك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من

٤٠٠ - برقم (٣١٥٣) والبخاري برقم (٨٣٦) والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٦٥٨٧) عن معاذ وفيه ضعف

الأحوال والظروف والملايسات والعوامل ، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل ، وتصونه من العبث والتحريف.

لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق ، وكثر فيه النزاع ، وطمت فيه الفتن ، وتماوجت فيه الأحداث. وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند في هذا القرآن وفي حديث رسول الله - ﷺ - ودخل في هذه الفتن وساقها أعداء هذا الدين الأصلاء من اليهود - خاصة - ثم من «القوميين» دعاة «القومية» الذين تسمّوا بالشعوبيين!

ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول الله - ﷺ - ما احتاج إلى جهد عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء عشرات من السنين لتحرير سنة رسول الله - ﷺ - وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين.

كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تقول معاني النصوص القرآنية ، وأن تحاول أن تلوي هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتجاهات ..

ولكنها عجزت جميعا - وفي أشد أوقات الفتن حلوكا واضطرابا - أن تحدث حدثا واحدا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ وبقيت نصوصه كما أنزلها الله حجة باقية على كل محرف وكل مؤول وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ.

ثم جاء على المسلمين زمان - ما نزال نعانيه - ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم ، وعن حماية عقيدتهم ، وعن حماية نظامهم ، وعن حماية أرضهم ، وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم. وحتى عن حماية عقولهم وإدراكهم! وغير عليهم أعداؤهم الغالبون كل معروف عندهم ، وأحلوا مكانه كل منكر فيهم .. كل منكر من العقائد والتصورات ، ومن القيم والموازين ، ومن الأخلاق والعادات. ومن الأنظمة والقوانين .. وزينوا لهم الانحلال والفساد والتوقع والتعري من كل خصائص «الإنسان» وردوهم إلى حياة كحياة الحيوان .. وأحيانا إلى حياة يشمئز منها الحيوان .. ووضعوا لهم ذلك الشر كله تحت عناوات براقية من «التقدم» و«التطور» و«العلمانية» و«العلمية» و«الانطلاق» و«التحرر» و«تخطيم الأغلال» و«الثورية» و«التجديد» ... إلى آخر تلك الشعارات والعناوين .. وأصبح «المسلمون» بالأسماء وحدها مسلمين. ليس لهم من هذا الدين قليل ولا كثير.

وباتوا غثاء كغناء السيل لا يجمع ولا يدفع ، ولا يصلح لشيء إلا أن يكون وقودا للنار .. وهو وقود هزيل! ..

ولكن أعداء هذا الدين - بعد هذا كله - لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها. ولم يكونوا في هذا من الزاهدين. فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ ، وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تنال! ولقد بذل أعداء هذا الدين - وفي مقدمتهم اليهود - رصيدهم من تجارب أربعة آلاف سنة أو تزيد في الكيد لدين الله. وقدروا على أشياء كثيرة .. قدروا على الدس في سنة

رسول الله - ﷺ - وعلى تاريخ الأمة المسلمة. وقدرُوا على تزوير الأحداث ودس الأشخاص في جسم المجتمع المسلم ليؤدوا الأدوار التي يعجزون عن أدائها وهم سافرون. وقدرُوا على تحطيم الدول والمجتمعات والأنظمة والقوانين. وقدرُوا على تقديم عملائهم الخونة في صورة الأبطال الأجداد ليقوموا لهم بأعمال الهدم والتدمير في أجسام المجتمعات الإسلامية على مدار القرون ، وبخاصة في العصر الحديث ..

ولكنهم لم يقدرُوا على شيء واحد - والظروف الظاهرية كلها مهيأة له - .. لم يقدرُوا على إحداث شيء في هذا الكتاب المحفوظ ، الذي لا حماية له من أهله المنتسبين إليه وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع فدل هذا مرة أخرى على ربانية هذا الكتاب ، وشهدت هذه المعجزة الباهرة بأنه حقاً تنزيل من عزيز حكيم.

لقد كان هذا الوعد على عهد رسول الله - ﷺ - مجرد وعد. أما هو اليوم - من وراء كل تلك الأحداث الضخام ومن وراء كل تلك القرون الطوال. فهو المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب ، والتي لا يماري فيها إلا عنيد جهول : «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» .. وصدق الله العظيم ..<sup>٤١</sup>

والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله قائمة على الناس. والقرآن أنزله الله للعالمين جميعاً، وللناس كافة، وليس خاصاً لقوم معينين كما كانت الكتب السابقة، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٢٨) سورة سبأ

والقرآن هو الهدى الموصول إلى كل خير. قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (٢) سورة البقرة . والله - عز وجل - يريد لكلمته أن تنتشر، وتصل إلى العقول والأسماع في كل مكان، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت سهلة الحفظ والفهم، فليس في القرآن ما يصعب على الناس فهمه أو العمل به، قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ} (١٧) سورة القمر .

والقرآن معجزة الرسول ﷺ، فلو اجتمعت الدنيا بأسرها على أن تأتي بمثل ما جاء به في القرآن الكريم لأعجزهم ذلك، فهو {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (٤٢) سورة فصلت.

والقرآن دعوة إلى الفضيلة والنهي عن الرذيلة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (٥٧) سورة يونس].

<sup>٤١</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢١٢٧)

والقرآنُ شفاءٌ للنفوسِ. يطهرُها من أمراضها، فهو شفاءٌ لها من الكفرِ والضلالِ، وشفاءٌ لها من الغلِّ والحقدِ، قال تعالى: {وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (٨٢) سورة الإسراء

وفي القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة ، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان ، فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح ، وطمأنينة وأمان.

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة. فهو يصل القلب بالله ، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة والقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان .. وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب ، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين. وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير. فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي ، ويأخذه بمنهج سليم مضبوط ، يجعل نشاطه منتجا ومأمونا. ويعصمه من الشطط والزلل. وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط فيحفظه سليما معافى ويدخر طاقاته للإنتاج المثمر. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات ، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنيتها. فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

«وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» .. فهم لا ينتفعون بما فيه من شفاء ورحمة. وهم في غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين به ، وهم في عنادهم وكبريائهم يشتمون في الظلم والفساد ، وهم في الدنيا مغلوبون من أهل هذا القرآن ، فهم خاسرون. وفي الآخرة معذبون بكفرهم به ولجاجهم في الطغيان ، فهم خاسرون : «وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» ..<sup>٤٠٢</sup>

=====

<sup>٤٠٢</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٢٤٨) والتفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٨ / ٥٣٦)

## المبحث الخامس

### أعدى أعداء البشرية اليوم

إن الاحتكام إلى منهج الله في كتاب ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار ، إنما هو الإيمان .. أو .. فلا إيمان .. «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» .. «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» ..

والأمر إذن جد .. إنه أمر العقيدة من أساسها .. ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها .. إن هذه البشرية - وهي من صنع الله - لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده - سبحانه - وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق ، وشفاء كل داء : «وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» ..

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» .. ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه ، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه ، ولا تسلك في أمر نفسها ، وفي أمر إنسانيتها ، وفي أمر سعادتها أو شقوقها .. ما تعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة .. وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز. ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه ، فترده إلى المصنع الذي منه خرج ، ولا أن تستفتي المبدع الذي أنشأ هذا الجهاز العجيب ، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف ، الذي لا يعلم مساره ومداخله إلا الذي أبدعه وأنشأه : «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟» ..

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة. البشرية المسكينة الحائرة ، البشرية التي لن تجد الرشد ، ولن تجد الهدى ، ولن تجد الراحة ، ولن تجد السعادة ، إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير ، كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير! ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا في تاريخها ، ونكبة قاصمة في حياتها ، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا في كل ما ألم بها من نكبات ..

لقد كان الإسلام قد تسلم القيادة بعد ما فسدت الأرض ، وأسنت الحياة ، وتعفنت القيادات ، وذاتت البشرية الولايات من القيادات المتعفنة و«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن ، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن ، وبالشرعية المستمدة من هذا التصور .. فكان ذلك مولدا جديدا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته. لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا ، كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور ، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء .. نعم! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال ، والعظمة والارتفاع ، والبساطة واليسر ، والواقعية والإيجابية ،

والتوازن والتناسق ... بحيث لا يخطر للبشرية على بال ، لولا أن الله أرادها لها ، وحققه في حياتها .. في ظلال القرآن ، ومنهج القرآن ، وشريعة القرآن.

ثم وقعت تلك النكبة القاصمة ونحي الإسلام عن القيادة. نحي عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى ، في صورة من صورها الكثيرة. صورة التفكير المادي الذي تتعجب به البشرية اليوم ، كما يتعجب الأطفال بالثوب المبرقش واللعبة الزاهية الألوان!

إن هناك عصابة من المضللين الخادعين أعداء البشرية. يضعون لها المنهج الإلهي في كفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى ثم يقولون لها : اختاري!!!

اختاري إما المنهج الإلهي في الحياة والتخلي عن كل ما أبدعته يد الإنسان في عالم المادة ، وإما الأخذ بثمار المعرفة الإنسانية والتخلي عن منهج الله!!!

وهذا خداع لئيم خبيث. فوضع المسألة ليس هكذا أبدا .. إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني. إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة .. ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. هذا المقام الذي منحه الله له ، وأقדרه عليه ، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع .. على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله ، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام ، والتقيد بشرطه في عقد الخلافة وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله. فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة ، والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى .. فهم سيئو النية ، شريريون ، يطاردون البشرية المتعبة الحائرة كلما تعبت من التيه والخيرة والضلال ، وهمت أن تسمع لصوت الحادي الناصح ، وأن تؤوب من المتاهة المهلكة ، وأن تطمئن إلى كنف الله ...

وهناك آخرون لا ينقصهم حسن النية ولكن ينقصهم الوعي الشامل ، والإدراك العميق هؤلاء يبهرهم ما كشفه الإنسان من القوى والقوانين الطبيعية ، وتروعه انتصارات الإنسان في عالم المادة. فيفصل ذلك البهر وهذه الروعة في شعورهم بين القوى الطبيعية والقيم الإيمانية ، وعملها وأثرها الواقعي في الكون وفي واقع الحياة ويجعلون للقوانين الطبيعية مجالا ، وللقيم الإيمانية مجالا آخر ويحسبون أن القوانين الطبيعية تسير في طريقها غير متأثرة بالقيم الإيمانية ، وتعطي نتائجها سواء آمن الناس أم كفروا. اتبعوا منهج الله أم خالفوا عنه. حكموا بشريعة الله أم بأهواء الناس!

هذا وهم .. إنه فصل بين نوعين من السنن الإلهية هما في حقيقتهما غير منفصلين. فهذه القيم الإيمانية هي بعض سنن الله في الكون كالقوانين الطبيعية سواء بسواء. ونتائجها مرتبطة ومتداخلة ولا مبرر للفصل بينهما في حس المؤمن وفي تصوره .. وهذا هو التصور الصحيح الذي ينشئه القرآن في النفس حين تعيش في ظلال القرآن. ينشئه وهو يتحدث عن أهل الكتب السابقة وانحرافهم عنها وأثر هذا

الانحراف في نهاية المطاف : «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ». وينشئه وهو يتحدث عن وعد نوح لقومه : «فَقُلْتُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً» .. وينشئه وهو يربط بين الواقع النفسي للناس والواقع الخارجي الذي يفعله الله بهم : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» ..

إن الإيمان بالله ، وعبادته على استقامة ، وإقرار شريعته في الأرض ... كلها إنفاذ لسنن الله. وهي سنن ذات فاعلية إيجابية ، نابعة من ذات المنبع الذي تنبثق منه سائر السنن الكونية التي نرى آثارها الواقعية بالحس والاختبار.

ولقد تأخذنا في بعض الأحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الكونية ، حين نرى أن اتباع القوانين الطبيعية يؤدي إلى النجاح مع مخالفة القيم الإيمانية .. هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في أول الطريق ولكنها تظهر حتما في نهايته .. وهذا ما وقع للمجتمع الإسلامي نفسه. لقد بدأ خط صعوده من نقطة التقاء القوانين الطبيعية في حياته مع القيم الإيمانية. وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقهما. وظل يهبط ويهبط كلما انفرجت زاوية الافتراق حتى وصل إلى الحضيض عند ما أهمل السنن الطبيعية والقيم الإيمانية جميعا ..

وفي الطرف الآخر تقف الحضارة المادية اليوم. تقف كالطائر الذي يرف بجناح واحد جبار ، بينما جناحه الآخر مهيبض ، فيرتقي في الإبداع المادي بقدر ما يرتكس في المعنى الإنساني ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية ما يصرخ منه العقلاء هناك .. لولا أنهم لا يهتدون إلى منهج الله ، وهو وحده العلاج والدواء.

إن شريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون. فإنفاذ هذه الشريعة لا بد أن يكون له أثر إيجابي في التنسيق بين سيرة الناس وسيرة الكون .. والشريعة إن هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير. فهي موضوعة لتنفيذ في مجتمع مسلم ، كما أنها موضوعة لتساهم في بناء المجتمع المسلم. وهي متكاملة مع التصور الإسلامي كله للوجود الكبير وللوجود الإنساني ، ومع ما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير ، ونظافة في الشعور ، وضخامة في الالتهامات ، ورفعة في الخلق ، واستقامة في السلوك ... وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية .. فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود.

والإنسان كذلك قوة من قوى الوجود. وعمله وإرادته ، وإيمانه وصلاحه ، وعبادته ونشاطه .... هي كذلك قوى ذات آثار إيجابية في هذا الوجود وهي مرتبطة بسنة الله الشاملة للوجود .. وكلها تعمل متناسقة ، وتعطي ثمارها كاملة حين تتجمع وتناسق بينما تفسد آثارها وتضطرب ، وتفسد الحياة

معها ، وتنتشر الشقوة بين الناس والتعاسة حين تفترق وتتصادم : «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» .. فالارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين ماجريات الأحداث في نطاق السنة الإلهية الشاملة للجميع.

ولا يوحى بتمزيق هذا الارتباط ، ولا يدعو إلى الإخلال بهذا التناسق ، ولا يحول بين الناس وسنة الله الجارية ، إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى وينبغي لها أن تطارده ، وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم ..

إن إقامة دين الله في الأرض معناها الصلاح والكسب والفلاح في حياة المؤمنين في هذه الدنيا وفي الآخرة على السواء. لا افتراق بين دين ودنيا ، ولا افتراق بين دنيا وآخرة. فهو منهج واحد للدنيا وللآخرة للدنيا وللدين .. تحيي هذه القاعدة الإيمانية الكبيرة بمناسبة الحديث عن انحراف أهل الكتاب عن دين الله وأكلهم السحت وتحريفهم الكلم من بعد مواضعه لينالوا عرضا من أعراض هذه الأرض .. واتباع دين الله كان أجدى عليهم في الأرض والسماء ، وفي الدنيا والآخرة لو أنهم اختاروا الطريق : «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ. مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ» ..

إن هاتين الآيتين تقرران أصلا كبيرا من أصول التصور الإسلامي ، ومن ثم فهما تمثلان حقيقة ضخمة في الحياة الإنسانية. ولعل الحاجة إلى جلاء ذلك الأصل ، وإلى بيان هذه الحقيقة لم تكن ماسة كما هي اليوم والعقل البشري ، والموازن البشرية ، والأوضاع البشرية تتأرجح وتضطرب وتتوه بين ضباب التصورات وضلال المناهج ، يازاء هذا الأمر الخطير ..

إن الله - سبحانه - يقول لأهل الكتاب - ويصدق القول وينطبق على كل أهل كتاب - إنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم - وهذا جزاء الآخرة. وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة والإنجيل وما أنزله الله إليهم من التعاليم - كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل - لصلحت حياتهم الدنيا ، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق ، ووفرة النتاج وحسن التوزيع ، وصلاح أمر الحياة .. ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج الله - إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصد غير مسرفة على نفسها «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ».

وهكذا يبدو من خلال الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا ، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده - وإن كان هو المقدم وهو الأودم - ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا ، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة .. وفرة ونماء وحسن توزيع وكفاية

.. يرسمها في صورة حسية تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله : «لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»

وهكذا يتبين أن ليس هنالك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة وطريق آخر مستقل لصلاح الحياة في الدنيا. إنما هو طريق واحد ، تصلح به الدنيا والآخرة ، فإذا تنكب هذا الطريق فسدت الدنيا وخسرت الآخرة .. هذا الطريق الواحد هو الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الإلهي في الحياة الدنيا .. وهذا المنهج ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور قلبي وتقوى فحسب ، ولكنه كذلك - وتبعاً لذلك - منهج حياة إنسانية واقعية ، يقام ، وتقام عليه الحياة .. وإقامته - مع الإيمان والتقوى - هي التي تكفل صلاح الحياة الأرضية ، وفيض الرزق ، ووفرة النتائج ، وحسن التوزيع ، حتى يأكل الناس جميعاً - في ظل هذا المنهج - من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

إن المنهج الإيمانى للحياة لا يجعل الدين بديلاً من الدنيا ولا يجعل سعادة الآخرة بديلاً من سعادة الدنيا ، ولا يجعل طريق الآخرة غير طريق الدنيا .. وهذه هي الحقيقة الغائمة اليوم في أفكار الناس وعقولهم وضمايرهم وأوضاعهم الواقعية.

لقد افترق طريق الدنيا وطريق الآخرة في تفكير الناس وضميرهم وواقعهم. بحيث أصبح الفرد العادي - وكذلك الفكر العام للبشرية الضالة - لا يرى أن هنالك سبيلاً للالتقاء بين الطريقين. ويرى على العكس أنه إما أن يختار طريق الدنيا فيهمل الآخرة من حسابه وإما أن يختار طريق الآخرة فيهمل الدنيا من حسابه ولا سبيل إلى الجمع بينهما في تصور ولا واقع .. لأن واقع الأرض والناس وأوضاعهم في هذه الفترة من الزمان توحى بهذا ..

حقيقة : إن أوضاع الحياة الجاهلية الضالة البعيدة عن الله ، وعن منهجه للحياة ، اليوم تباعد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة ، وتحتّم على الذين يريدون البروز في المجتمع ، والكسب في مضمار المنافع الدنيوية ، أن يتخلوا عن طريق الآخرة وأن يضحوا بالتوجيهات الدينية والمثل الخلقية والتصورات الرفيعة والسلوك النظيف ، الذي يحض عليه الدين. كما تحتّم على الذين يريدون النجاة في الآخرة أن يتجنبوا تيار هذه الحياة وأوضاعها القذرة ، والوسائل التي يصل بها الناس في مثل هذه الأوضاع إلى البروز في المجتمع ، والكسب في مضمار المنافع ، لأنها وسائل لا يمكن أن تكون نظيفة ولا مطابقة للدين والخلق ، ولا مرضية لله سبحانه

ولكن .. تراها ضربة لازب! ترى أنه لا مفر من هذا الحال النعيس؟ ولا سبيل إلى اللقاء بين طريق الدنيا وطريق الآخرة؟

كلا .. إنها ليست ضربة لازب!

فالعداء بين الدنيا والآخرة والافتراق بين طريق الدنيا وطريق الآخرة ، ليس هو الحقيقة النهائية التي لا تقبل التبديل .. بل إنها ليست من طبيعة هذه الحياة أصلاً. إنما هي عارض ناشئ من انحراف طارئ!

إن الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخرة وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا. وأن يكون الإنتاج والنماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة كما أنه هو المؤهل لرخاء هذه الحياة الدنيا وأن يكون الإيمان والتقوى والعمل الصالح هي أسباب عمران هذه الأرض كما أنها هي وسائل الحصول على رضوان الله وثوابه الأخروي ..

هذا هو الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية .. ولكن هذا الأصل لا يتحقق إلا حين تقوم الحياة على منهج الله الذي رضيهِ للناس .. فهذا المنهج هو الذي يجعل العمل عبادة ، وهو الذي يجعل الخلافة في الأرض وفق شريعة الله فريضة. والخلافة عمل وإنتاج ، ووفرة ونماء ، وعدل في التوزيع يفيض به الرزق على الجميع من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، كما يقول الله في كتابه الكريم.

إن التصور الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله ، بإذن الله ، وفق شرط الله ومن ثم يجعل العمل المنتج المثمر ، وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها - بل الخامات والموارد الكونية كذلك - هو الوفاء بوظيفة الخلافة. ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة - وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف - طاعة لله ينال عليها العبد ثواب الآخرة بينما هو بقيامه بهذه الوظيفة على هذا النحو يظفر بخيرات الأرض التي سخرها الله له ويفيض عليه الرزق من فوقه ومن تحت رجليه ، كما يصور التعبير القرآني الجميل! ووفق التصور الإسلامي يعتبر الإنسان الذي لا يفجر ينابيع الأرض ، ولا يستغل طاقات الكون المسخرة له ، عاصيا لله ، ناكلا عن القيام بالوظيفة التي خلقه الله لها ، وهو يقول للملائكة : «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً». وهو يقول كذلك للناس : «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ» ، ومعطلا لرزق الله الموهوب للعباد .. وهكذا يخسر الآخرة لأنه خسر الدنيا! والمنهج الإسلامي - بهذا - يجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق. فلا يفوت على الإنسان دنياه لينال آخرته ، ولا يفوت عليه آخرته لينال دنياه. فهما ليسا نقيضين ولا بديلين في التصور الإسلامي.

هذا بالقياس إلى جنس الإنسان عامة ، وبالقياس إلى الجماعات الإنسانية التي تقوم في الأرض على منهج الله .. فأما بالقياس إلى الأفراد فإن الأمر لا يختلف .. إذ أن طريق الفرد وطريق الجماعة - في المنهج الإسلامي - لا يختلفان ولا يتصادمان ولا يتعارضان .. فالمنهج يحتم على الفرد أن يبذل أقصى طاقته الجسمية والعقلية في العمل والإنتاج وأن يبتغي في العمل والإنتاج وجه الله ، فلا يظلم ولا يغدر ولا يغش ولا يخون ، ولا يأكل من سحت ، ولا يحتجز دون أخيه المحتاج في الجماعة شيئا يملكه - مع الاعتراف الكامل له بملكيته الفردية لثمرة عمله والاعتراف للجماعة بحقوقها في ماله في حدود ما فرض الله وما شرع - والمنهج يسجل للفرد عمله - في هذه الحدود ووفق هذه الاعتبارات - عبادة لله يجزيه عليها بالبركة في الدنيا وبالجنة في الآخرة ..

ويربط المنهج بين الفرد وربّه رباطاً أقوى بالشعائر التعبدية التي يفرضها عليه ليستوثق بهذا الرباط من تجدد صلته بالله في اليوم الواحد خمس مرات بالصلاة ، وفي العام الواحد ثلاثين يوماً بصوم رمضان ، وفي العمر كله بحج بيت الله . وفي كل موسم أو في كل عام بإخراج الزكاة

ومن هنا قيمة هذه الفرائض التعبدية في المنهج الإسلامي . إنها تحديد للعهد مع الله على الارتباط بمنهجه الكلي للحياة . وهي قربى لله يتجدد معها العزم على النهوض بتكاليف هذا المنهج ، الذي ينظم أمر الحياة كلها ، ويتولى شئون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم بين الناس في علاقاتهم وفي خلافاتهم . ويتجدد معها الشعور بعون الله ومدده على حمل التكاليف التي يتطلبها النهوض بهذا المنهج الكلي المتكامل ، والتغلب على شهوات الناس وعنادهم وانحرافهم وأهوائهم حين تقف في الطريق .. وليست هذه الشعائر التعبدية أمورا منفصلة عن شئون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم والقضاء ، والجهاد لإقرار منهج الله في الأرض ، وتقرير سلطانه في حياة الناس .. إنما الإيمان والتقوى والشعائر التعبدية شطر المنهج ، المعين على أداء شطره الآخر .. وهكذا يكون الإيمان والتقوى وإقامة منهج الله في الحياة العملية سبيلا للوفرة والفيض . كما يعد الله الناس في هاتين الآيتين الكريمتين ..

إن التصور الإسلامي ، وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه ، لا يقدم الحياة الآخرة بديلا من الحياة الدنيا - ولا العكس - إنما يقدمهما معا في طريق واحد ، وبجهد واحد . ولكنهما لا يجتمعان كذلك في حياة الإنسان إلا إذا اتبع منهج الله وحده في الحياة - دون أن يدخل عليه تعديلات مأخوذة من أوضاع أخرى لم تنبثق من منهج الله ، أو مأخوذة من تصوراته الذاتية التي لم تضبط بهذا المنهج - ففي هذا المنهج وحده يتم ذلك التناسق الكامل .

والتصور الإسلامي - وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه - لا يقدم الإيمان والعبادة والصالح والتقوى ، بديلا من العمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة المادية .. وليس هو المنهج الذي يعد الناس فردوس الآخرة ويرسم لهم طريقه بينما يدع للناس أن يرسموا لأنفسهم الطريق المؤدي إلى فردوس الدنيا - كما يتصور بعض السطحيين في هذا الزمان! - فالعمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة الدنيا تمثل في التصور الإسلامي - والمنهج الإسلامي - فريضة الخلافة في الأرض . والإيمان والعبادة والصالح والتقوى ، تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع والحوافز لتحقيق المنهج في حياة الناس .. وهذه وتلك معا هي مؤهلات الفردوس الأرضي والفردوس الأخروي معا والطريق هو الطريق ، ولا فصام بين الدين والحياة الواقعية المادية كما هو واقع في الأوضاع الجاهلية القائمة في الأرض كلها اليوم . والتي منها يقوم في أوهام الواهيمين أنه لا مفر من أن يختار الناس الدنيا أو يختاروا الآخرة ، ولا يجمعوا بينهما في تصور أو في واقع .. لأنهما لا يجتمعان !..

إن هذا الفصام النكد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة في حياة الناس ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، وبين العبادة الروحية والإبداع المادي ، وبين النجاح في الحياة الدنيا ، والنجاح في الحياة

الأخرى .. إن هذا الفصام النكد ليس ضريبة مفروضة على البشرية بحكم من أحكام القدر الحتمية! إنما هو ضريبة بائسة فرضتها البشرية على نفسها وهي تشرذ عن منهج الله ، وتتخذ لنفسها مناهج أخرى من عند أنفسها ، معادية لمنهج الله في الأساس والاتجاه ..

وهي ضريبة يؤديها الناس من دمائهم وأعصابهم في الحياة الدنيا ، فوق ما يؤدونه منها في الآخرة وهو أشد وأنكى ..

إنهم يؤدونها قلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبله خاطر ، من جراء خواء قلوبهم من طمأنينة الإيمان وبشاشته وزاده وريه ، إذا هم آثروا اطراح الدين كله ، على زعم أن هذا هو الطريق الوحيد للعمل والإنتاج والعلم والتجربة ، والنجاح الفردي والجماعي في المعترك العالمي! ذلك أنهم في هذه الحالة يصارعون فطرهم ، يصارعون الجوعة الفطرية إلى عقيدة تملأ القلب ، ولا تطيق الفراغ والخواء. وهي جوعة لا تملؤها مذاهب اجتماعية ، أو فلسفية ، أو فنية .. على الإطلاق .. لأنها جوعة الرزعة إلى إله ..

وهم يؤدونها كذلك قلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبله خاطر ، إذا هم حاولوا الاحتفاظ بعقيدة في الله ، وحاولوا معها مزاوله الحياة في هذا المجتمع العالمي الذي يقوم نظامه كله وتقوم أوضاعه وتقوم تصورات ، وتقوم وسائل الكسب فيه ووسائل النجاح على غير منهج الله ، وتتصادم فيه العقيدة الدينية والخلق الديني ، والسلوك الديني ، مع الأوضاع والقوانين والقيم والموازن السائدة في هذا المجتمع المنكود.

وتعاني البشرية كلها ذلك الشقاء ، سواء اتبعت المذاهب المادية الإلحادية ، أو المذاهب المادية التي تحاول استبقاء الدين عقيدة بعيدة عن نظام الحياة العملية .. وتتصور - أو يصور لها أعداء البشرية - أن الدين لله ، وأن الحياة للناس! وأن الدين عقيدة وشعور وعبادة وخلق ، والحياة نظام وقانون وإنتاج وعمل! وتؤدي البشرية هذه الضريبة الفادحة .. ضريبة الشقاء والقلق والحيرة والخواء .. لأنها لا تهتدي إلى منهج الله الذي لا يفصل بين الدنيا والآخرة بل يجمع ولا يقيم التناقض والتعارض بين الرخاء في الدنيا والرخاء في الآخرة ، بل ينسق ..

ولا يجوز أن نخدعنا ظواهر كاذبة ، في فترة موقوتة ، إذ نرى أما لا تؤمن ولا تتقي ، ولا تقيم منهج الله في حياتها ، وهي موفورة الخيرات ، كثيرة الإنتاج عظيمة الرخاء ...

إنه رخاء موقوت ، حتى تفعل السنن الثابتة فعلها الثابت. وحتى تظهر كل آثار الفصام النكد بين الإبداع المادي والمنهج الرباني .. والآن تظهر بعض هذه الآثار في صور شتى :

تظهر في سوء التوزيع في هذه الأمم ، مما يجعل المجتمع حافلا بالشقاء ، وحافلا بالأحقاد ، وحافلا بالمخاوف من الانقلابات المتوقعة نتيجة هذه الأحقاد الكظيمة .. وهو بلاء على رغم الرخاء! ..

وتظهر في الكبت والقمع والخوف في الأمم التي أرادت أن تضمن نوعا من عدالة التوزيع واتخذت طريق التحطيم والقمع والإرهاب ونشر الخوف والدعر ، لإقرار الإجراءات التي تأخذ بها لإعادة

التوزيع .. وهو بلاء لا يأمن الإنسان فيه على نفسه ولا يطمئن ولا يبيت ليلة في سلام! وتظهر في الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي بدوره - إن عاجلا أو آجلا - إلى تدمير الحياة المادية ذاتها. فالعمل والإنتاج والتوزيع ، كلها في حاجة إلى ضمانات الأخلاق. والقانون الأرضي وحده عاجز كل العجز عن تقديم الضمانات لسير العمل كما نرى في كل مكان! وتظهر في القلق العصبي والأمراض المتنوعة التي تحتاج أمم العالم - وبخاصة أشدها رخاء ماديا - مما يهبط بمستوى الذكاء والاحتمال. ويهبط بعد ذلك بمستوى العمل والإنتاج ، وينتهي إلى تدمير الاقتصاد المادي والرخاء!

وهذه الدلائل اليوم واضحة وضوحا كافيا يلفت الأنظار! وتظهر في الخوف الذي تعيش فيه البشرية كلها من الدمار العالمي المتوقع في كل لحظة في هذا العالم المضطرب الذي تحوم حوله نذر الحرب المدمرة .. وهو خوف يضغط على أعصاب الناس من حيث يشعرون أو لا يشعرون فيصيبهم بشتى الأمراض العصبية .. ولم ينتشر الموت بالسكينة وانفجار المخ والانتحار كما انتشر في أمم الرخاء! وتظهر هذه الآثار كلها بصورة متقدمة واضحة في ميل بعض الشعوب إلى الاندثار والدمار - وأظهر الأمثلة الحاضرة تتجلى في الشعب الفرنسي - وليس هذا إلا مثالا للآخرين ، في فعل الافتراق بين النشاط المادي والمنهج الرباني وافتراق الدنيا والآخرة ، وافتراق الدين والحياة أو اتخاذ منهج للآخرة من عند الله ، واتخاذ منهج للدنيا من عند الناس وإيقاع هذا الفصام النكد بين منهج الله وحياة الناس! وقبل أن ننهي هذا التعليق على التقرير القرآني لتلك الحقيقة الكبيرة ، نحب أن نؤكد أهمية التناسق في منهج الله بين الإيمان والتقوى وإقامة المنهج في الحياة الواقعية للناس ، وبين العمل والإنتاج والتهوؤ بالخلافة في الأرض فهذا التناسق هو الذي يحقق شرط الله لأهل الكتاب - ولكل جماعة من الناس - أن يأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم في الدنيا ، وأن تكفر عنهم سيئاتهم ويدخلوا جنات النعيم في الآخرة وأن يجتمع لهم الفردوس الأرضي - بالوفرة والكفاية مع السلام والطمأنينة - وفردوس الآخرة بما فيه من نعيم ورضوان ..

ولكننا مع هذا التوكيد لا نحب أن ننسى أن القاعدة الأولى والركيزة الأساسية هي الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الرباني في الحياة الواقعية .. فهذا يتضمن في ثناياه العمل والإنتاج والترقية والتطوير للحياة .. فضلا على أن للصلة بالله مذاقها الذي يغير كل طعوم الحياة ويرفع كل قيم الحياة ويقوم كل موازين الحياة ..

فهذا هو الأصل في التصور الإسلامي وفي المنهج الإسلامي ، وكل شيء فيه يجيء تبعاً له ، ومنبثقا منه ومعتمدا عليه .. ثم يتم تمام الأمر كله في الدنيا والآخرة في تناسق واتساق.

وينبغي أن نذكر أن الإيمان والتقوى والعبادة والصلة بالله وإقامة شريعة الله في الحياة .. كل أولئك ثمرته للإنسان ، وللحياة الإنسانية. فالله - سبحانه - غني عن العالمين .. وإذا شدد المنهج الإسلامي في هذه الأسس ، وجعلها مناط العمل والنشاط ورد كل عمل وكل نشاط لا يقوم عليها ، وعده باطلا



إنهم أولى أن يستمتعوا بما يشرطه الله لهم بدلا من الجوع والمرض والخوف والشظف الذي يعيشون فيه في كل أرجاء الوطن الإسلامي - أو الذي كان إسلاميا بتعبير أصح - وشرط الله قائم والطريق إليه معروف .. لو كانوا يعقلون ..

=====

## المبحث السادس

### ثمرات الإيمان بالكتب السماوية

(١) - أخذُ كتابِ اللهِ بقوةٍ، والتمسكُ به وتعظيمُ أوامره والعملِ بها، وعدمُ ضربِ بعضها ببعضٍ، والإيمانُ بمتشابهه، وردُّه إلى مُحكمه، على طريقةِ الراسخين في العلم. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ {٧} آل عمران

(٢) - وأنه منهجُ حياةٍ متكاملٍ يهدي للتي هي أقومُ، ولا سعادةَ للبشرية إلا به . قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا {٩} وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {١٠} الإسراء

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نوااميس الكون الطبيعية ونوااميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق .

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة .

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشقُّ التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء . ولا تسهل وترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار . ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض : أفراداً وأزواجاً ، وحكومات وشعوباً ، ودولاً وأجناساً ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى؛ ولا تميل مع المودة والشنآن؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض . الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل ، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان .

ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرمتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووثام.<sup>٤٠٤</sup>

(٣) - أنزل الله عز وجل كتبه هدايةً للعباد، وجعل لها المتزلة السامية، والمكانة الرفيعة، وجعل الإيمان بها ركناً من أركان دينه، لا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بها. قال تعالى : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُتُبَهُ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (٢٨٥) سورة البقرة

وقد رتب سبحانه على الإيمان بكتبه ثمرات عظيمة، لعل من أهمها السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة، ذلك أن من لم يؤمن بتلك الكتب فقد خالف أمر الله تعالى، وضلّ ضلالاً بعيداً، قال تعالى: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُتُبَهُ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } ( النساء: ١٣٦ ) ، فقد قرن سبحانه الإيمان بكتبه بالإيمان به، وجعل عاقبة الكفران بها كعاقبة الكفران به، سواء بسواء.

(٤) - استشعار المسلم لنعم الله عليه وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، فقد جعل له كتباً تهديه سبل الرشاد، فلم يتركه سبحانه هملاً تتخطفه الأهواء والشهوات، وتتقاذفه الميول والرغبات، بل هياً له من الأسباب ما يصلح أمره ويسدّد وجهته. ولن يقدر العبد ما أسبغ الله عليه من نعمة الإيمان به، وما يتبعه من إيمان بما أنزله من كتب إلا عندما يتأمل حال من حرم هذه النعم، وحال من كان يحيا حياة الغي والضلال، لا يدري الهدف من سيره، وما هي الغاية التي يسعى إليها من مسيره، قال تعالى: { أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (٢٢) سورة الملك ، وقال أيضاً في حق الضالين عن هديه: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (١٧٩) سورة الأعراف .

(٥) - إنه يمنح المؤمن الشعور بالراحة والطمأنينة، وذلك بمعرفته أن الله سبحانه قد أنزل على كل قوم من الشرائع ما يناسب حالهم، ويحقق حاجتهم، ويهديهم لما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } (المائدة: ٤٨) ، فإذا كان المؤمن على بينة من هذه السنة الإلهية ازداد إيماناً مع إيمانه، ويقيناً فوق يقينه، فيزداد حباً لربه ومعرفة له وتعظيماً لقدره، فتنتطق جوارحه عاملة بأوامر الله فتتحقق الغاية العظيمة من الإيمان بالكتب - وهي العمل بما فيها - فينال ثمرة هذا الإيمان سعادة في الدنيا وفوزاً في الآخرة، وقد وعد الله عز وجل العاملين بشرعه الخير والبركات في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } (الأعراف: ٩٦) وقال أيضاً: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ

<sup>٤٠٤</sup> - في ظلال القرآن - (ج ٥ / ص ٨)

مِنْ رَبِّهِمْ لِأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ {  
(المائدة: ٦٦).

إن هاتين الآيتين تقرران أصلا كبيرا من أصول التصور الإسلامي ، ومن ثم فهما تمثلان حقيقة ضخمة في الحياة الإنسانية. ولعل الحاجة إلى جلاء ذلك الأصل ، وإلى بيان هذه الحقيقة لم تكن ماسة كما هي اليوم والعقل البشري ، والموازين البشرية ، والأوضاع البشرية تتأرجح وتضطرب وتتوه بين ضباب التصورات وضلال المناهج ، بإزاء هذا الأمر الخطير ..

إن الله - سبحانه - يقول لأهل الكتاب - ويصدق القول وينطبق على كل أهل كتاب - إنهم لو كانوا آمنوا واثقوا لكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم - وهذا جزاء الآخرة. وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة والإنجيل وما أنزله الله إليهم من التعاليم - كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل - لصلحت حياتهم الدنيا ، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق ، ووفرة النتائج وحسن التوزيع ، وصلاح أمر الحياة .. ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج الله - إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدات غير مسرفة على نفسها «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ».

وهكذا يبدو من خلال الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا ، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده - وإن كان هو المقدم وهو الأدم - ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا ، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة .. وفرة وثناء وحسن توزيع وكفاية .. يرسمها في صورة حسية تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله : «لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ» ..

وهكذا يتبين أن ليس هنالك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة وطريق آخر مستقل لصلاح الحياة في الدنيا. إنما هو طريق واحد ، تصلح به الدنيا والآخرة ، فإذا تنكب هذا الطريق فسدت الدنيا وخسرت الآخرة .. هذا الطريق الواحد هو الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الإلهي في الحياة الدنيا .. وهذا المنهج ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور قلبي وتقوى فحسب ، ولكنه كذلك - وتبعاً لذلك - منهج حياة إنسانية واقعية ، يقام ، وتقام عليه الحياة .. وإقامته - مع الإيمان والتقوى - هي التي تكفل صلاح الحياة الأرضية ، وفيض الرزق ، ووفرة النتائج ، وحسن التوزيع ، حتى يأكل الناس جميعاً - في ظل هذا المنهج - من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

إن المنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلاً من الدنيا ولا يجعل سعادة الآخرة بديلاً من سعادة الدنيا ، ولا يجعل طريق الآخرة غير طريق الدنيا .. وهذه هي الحقيقة الغائبة اليوم في أفكار الناس وعقولهم وضمايرهم وأوضاعهم الواقعية.

لقد افترق طريق الدنيا وطريق الآخرة في تفكير الناس وضميرهم وواقعهم. بحيث أصبح الفرد العادي - وكذلك الفكر العام للبشرية الضالة - لا يرى أن هنالك سبيلا للالتقاء بين الطريقتين. ويرى على العكس أنه إما أن يختار طريق الدنيا فيهمل الآخرة من حسابه وإما أن يختار طريق الآخرة فيهمل الدنيا من حسابه ولا سبيل إلى الجمع بينهما في تصور ولا واقع .. لأن واقع الأرض والناس وأوضاعهم في هذه الفترة من الزمان توحى بهذا ..

حقيقة : إن أوضاع الحياة الجاهلية الضالة البعيدة عن الله ، وعن منهجه للحياة ، اليوم تباعد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة ، وتحتّم على الذين يريدون البروز في المجتمع ، والكسب في مضمار المنافع الدنيوية ، أن يتخلّوا عن طريق الآخرة وأن يضحوا بالتوجيهات الدينية والمثل الخلقية والتصورات الرفيعة والسلوك النظيف ، الذي يحضُّ عليه الدِّين. كما تحتّم على الذين يريدون النجاة في الآخرة أن يتجنبوا تيار هذه الحياة وأوضاعها القذرة ، والوسائل التي يصل بها الناس في مثل هذه الأوضاع إلى البروز في المجتمع ، والكسب في مضمار المنافع ، لأنها وسائل لا يمكن أن تكون نظيفة ولا مطابقة للدين والخلق ، ولا مرضية لله سبحانه ..

ولكن .. تراها ضربة لازب! ترى أنه لا مفرّ من هذا الحال التعيس؟ ولا سبيل إلى اللقاء بين طريق الدنيا وطريق الآخرة؟

كلا .. إنما ليست ضربة لازب!

فالعداء بين الدنيا والآخرة والافتراق بين طريق الدنيا وطريق الآخرة ، ليس هو الحقيقة النهائية التي لا تقبل التبديل .. بل إنما ليست من طبيعة هذه الحياة أصلا. إنما هي عارض ناشئ من انحراف طارئ! إن الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخرة وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا. وأن يكون الإنتاج والنماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة كما أنه هو المؤهل لرخاء هذه الحياة الدنيا وأن يكون الإيمان والتقوى والعمل الصالح هي أسباب عمران هذه الأرض كما أنها هي وسائل الحصول على رضوان الله وثوابه الأخروي ..

هذا هو الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية .. ولكن هذا الأصل لا يتحقق إلا حين تقوم الحياة على منهج الله الذي رضيّه للناس .. فهذا المنهج هو الذي يجعل العمل عبادة ، وهو الذي يجعل الخلافة في الأرض وفق شريعة الله فريضة. والخلافة عمل وإنتاج ، ووفرة ونماء ، وعدل في التوزيع يفيض به الرزق على الجميع من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، كما يقول الله في كتابه الكريم.

إن التصور الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله ، بإذن الله ، وفق شرط الله ..

ومن ثم يجعل العمل المنتج المثمر ، وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها - بل الخامات والموارد الكونية كذلك - هو الوفاء بوظيفة الخلافة. ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة - وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف - طاعة لله ينال عليها العبد ثواب الآخرة بينما هو بقيامه بهذه الوظيفة على هذا النحو يظفر بخيرات الأرض التي سخرها الله له ويفيض عليه الرزق من فوقه ومن تحت رجليه ، كما يصور التعبير القرآني الجميل! ووفق التصور الإسلامي يعتبر الإنسان الذي لا يفجر ينابيع الأرض ، ولا يستغل طاقات الكون المسخرة له ، عاصيا لله ، ناكلا عن القيام بالوظيفة التي خلقه الله لها ، وهو يقول للملائكة : «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً». وهو يقول كذلك للناس : «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ» ، ومعطلا لرزق الله الموهوب للعباد .. وهكذا يخسر الآخرة لأنه خسر الدنيا! والمنهج الإسلامي - بهذا - يجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق. فلا يفوت على الإنسان دنياه لينال آخرته ، ولا يفوت عليه آخرته لينال دنياه. فهما ليسا نقيضين ولا بديلين في التصور الإسلامي.

هذا بالقياس إلى جنس الإنسان عامة ، وبالقياس إلى الجماعات الإنسانية التي تقوم في الأرض على منهج الله .. فأما بالقياس إلى الأفراد فإن الأمر لا يختلف .. إذ أن طريق الفرد وطريق الجماعة - في المنهج الإسلامي - لا يختلفان ولا يتصادمان ولا يتعارضان .. فالمنهج يحتم على الفرد أن يبذل أقصى طاقته الجسمية والعقلية في العمل والإنتاج وأن يبتغي في العمل والإنتاج وجه الله ، فلا يظلم ولا يغدر ولا يغش ولا يخون ، ولا يأكل من سحت ، ولا يحتجز دون أخيه المحتاج في الجماعة شيئا يملكه - مع الاعتراف الكامل له بملكيته الفردية لثمرة عمله والاعتراف للجماعة بحقوقها في ماله في حدود ما فرض الله وما شرع - والمنهج يسجل للفرد عمله - في هذه الحدود ووفق هذه الاعتبارات - عبادة لله يجزيه عليها بالبركة في الدنيا وبالجنة في الآخرة ..

ويربط المنهج بين الفرد وربّه رباطاً أقوى بالشعائر التعبدية التي يفرضها عليه ليستوثق بهذا الرباط من تجدد صلته بالله في اليوم الواحد خمس مرات بالصلاة ، وفي العام الواحد ثلاثين يوماً بصوم رمضان ، وفي العمر كله بحج بيت الله. وفي كل موسم أو في كل عام بإخراج الزكاة ..

ومن هنا قيمة هذه الفرائض التعبدية في المنهج الإسلامي. إنها تحديد للعهد مع الله على الارتباط بمنهجه الكلي للحياة. وهي قربى لله يتجدد معها العزم على النهوض بتكاليف هذا المنهج ، الذي ينظم أمر الحياة كلها ، ويتولى شئون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم بين الناس في علاقاتهم وفي خلافاتهم. ويتجدد معها الشعور بعون الله ومدده على حمل التكاليف التي يتطلبها النهوض بهذا المنهج الكلي المتكامل ، والتغلب على شهوات الناس وعنادهم وانحرافهم وأهوائهم حين تقف في الطريق .. وليست هذه الشعائر التعبدية أمورا منفصلة عن شئون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم والقضاء ، والجهاد لإقرار منهج الله في الأرض ، وتقدير سلطانه في حياة الناس .. إنما الإيمان والتقوى والشعائر التعبدية

شطر المنهج ، المعين على أداء شطره الآخر .. وهكذا يكون الإيمان والتقوى وإقامة منهج الله في الحياة العملية سبيلا للوفرة والفيض. كما يعد الله الناس في هاتين الآيتين الكريمتين ..

إن التصور الإسلامي ، وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه ، لا يقدم الحياة الآخرة بديلا من الحياة الدنيا - ولا العكس - إنما يقدمهما معا في طريق واحد ، وبجهد واحد. ولكنهما لا يجتمعان كذلك في حياة الإنسان إلا إذا اتبع منهج الله وحده في الحياة - دون أن يدخل عليه تعديلات مأخوذة من أوضاع أخرى لم تنبثق من منهج الله ، أو مأخوذة من تصوراته الذاتية التي لم تضبط بهذا المنهج - ففي هذا المنهج وحده يتم ذلك التناسق الكامل.

والتصور الإسلامي - وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه - لا يقدم الإيمان والعبادة والصالح والتقوى ، بديلا من العمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة المادية .. وليس هو المنهج الذي يعد الناس فردوس الآخرة ويرسم لهم طريقه بينما يدع للناس أن يرسموا لأنفسهم الطريق المؤدي إلى فردوس الدنيا - كما يتصور بعض السطحيين في هذا الزمان!

- فالعمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة الدنيا تمثل في التصور الإسلامي - والمنهج الإسلامي - فريضة الخلافة في الأرض. والإيمان والعبادة والصالح والتقوى ، تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع والحوافز لتحقيق المنهج في حياة الناس .. وهذه وتلك معا هي مؤهلات الفردوس الأرضي والفردوس الأخروي معا والطريق هو الطريق ، ولا فصام بين الدين والحياة الواقعية المادية كما هو واقع في الأوضاع الجاهلية القائمة في الأرض كلها اليوم. والتي منها يقوم في أوهام الواهمين أنه لا مفر من أن يختار الناس الدنيا أو يختاروا الآخرة ، ولا يجمعوا بينهما في تصور أو في واقع .. لأنهما لا يجتمعان ..!

إن هذا الفصام النكد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة في حياة الناس ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، وبين العبادة الروحية والإبداع المادي ، وبين النجاح في الحياة الدنيا ، والنجاح في الحياة الأخرى .. إن هذا الفصام النكد ليس ضريبة مفروضة على البشرية بحكم من أحكام القدر الحتمية! إنما هو ضريبة بائسة فرضتها البشرية على نفسها وهي تشرد عن منهج الله ، وتتخذ لنفسها مناهج أخرى من عند أنفسها ، معادية لمنهج الله في الأساس والاتجاه ..

وهي ضريبة يؤديها الناس من دمائهم وأعصابهم في الحياة الدنيا ، فوق ما يؤدونه منها في الآخرة وهو أشد وأنكى ..

إنهم يؤدونها قلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبله خاطر ، من جراء خواء قلوبهم من طمأنينة الإيمان وبشاشته وزاده وريه ، إذا هم آثروا اطراح الدين كله ، على زعم أن هذا هو الطريق الوحيد للعمل والإنتاج والعلم والتجربة ، والنجاح الفردي والجماعي في المعترك العالمي! ذلك أنهم في هذه الحالة يصارعون

فطرقهم ، يصارعون الجوع الفطرية إلى عقيدة تملأ القلب ، ولا تطيق الفراغ والخواء. وهي جوع لا تملؤها مذاهب اجتماعية ، أو فلسفية ، أو فنية .. على الإطلاق .. لأنها جوع التزعة إلى إله .. وهم يؤدونها كذلك قلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبله خاطر ، إذا هم حاولوا الاحتفاظ بعقيدة في الله ، وحاولوا معها مزاوله الحياة في هذا المجتمع العالمي الذي يقوم نظامه كله وتقوم أوضاعه وتقوم تصوراتهم ، وتقوم وسائل الكسب فيه ووسائل النجاح على غير منهج الله ، وتتصادم فيه العقيدة الدينية والخلق الديني ، والسلوك الديني ، مع الأوضاع والقوانين والقيم والموازن السائدة في هذا المجتمع المنكود. وتعاني البشرية كلها ذلك الشقاء ، سواء اتبعت المذاهب المادية الإلحادية ، أو المذاهب المادية التي تحاول استبقاء الدين عقيدة بعيدة عن نظام الحياة العملية .. وتتصور - أو يصور لها أعداء البشرية - أن الدين لله ، وأن الحياة للناس!

وأن الدين عقيدة وشعور وعبادة وخلق ، والحياة نظام وقانون وإنتاج وعمل! وتؤدي البشرية هذه الضريبة الفادحة .. ضريبة الشقاء والقلق والحيرة والخواء .. لأنها لا تهتدي إلى منهج الله الذي لا يفصل بين الدنيا والآخرة بل يجمع ولا يقيم التناقض والتعارض بين الرخاء في الدنيا والرخاء في الآخرة ، بل ينسق ..

ولا يجوز أن نتخذنا ظواهر كاذبة ، في فترة موقوتة ، إذ نرى أما لا تؤمن ولا تتقي ، ولا تقيم منهج الله في حياتها ، وهي موفورة الخيرات ، كثيرة الإنتاج عظيمة الرخاء ... إنه رخاء موقوت ، حتى تفعل السنن الثابتة فعلها الثابت. وحتى تظهر كل آثار الفصام النكد بين الإبداع المادي والمنهج الرباني .. والآن تظهر بعض هذه الآثار في صور شتى :

تظهر في سوء التوزيع في هذه الأمم ، مما يجعل المجتمع حافلا بالشقاء ، وحافلا بالأحقاد ، وحافلا بالمخاوف من الانقلابات المتوقعة نتيجة هذه الأحقاد الكظيمة .. وهو بلاء على رغم الرخاء! .. وتظهر في الكبت والقمع والخوف في الأمم التي أرادت أن تضمن نوعا من عدالة التوزيع واتخذت طريق التحطيم والقمع والإرهاب ونشر الخوف والذعر ، لإقرار الإجراءات التي تأخذ بها لإعادة التوزيع .. وهو بلاء لا يأمن الإنسان فيه على نفسه ولا يطمئن ولا يبيت ليلة في سلام! وتظهر في الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي بدوره - إن عاجلا أو آجلا - إلى تدمير الحياة المادية ذاتها.

فالعمل والإنتاج والتوزيع ، كلها في حاجة إلى ضمانات الأخلاق. والقانون الأرضي وحده عاجز كل العجز عن تقديم الضمانات لسير العمل كما نرى في كل مكان! وتظهر في القلق العصبي والأمراض المنوعة التي تحتاج أُمم العالم - وبخاصة أشدها رخاء ماديا - مما يهبط بمستوى الذكاء والاحتمال. ويهبط بعد ذلك بمستوى العمل والإنتاج ، وينتهي إلى تدمير الاقتصاد المادي والرخاء! وهذه الدلائل اليوم واضحة وضوحا كافيا يلفت الأنظار! وتظهر في الخوف الذي تعيش فيه البشرية كلها من الدمار العالمي المتوقع في كل لحظة في هذا العالم المضطرب الذي تحوم حوله نذر الحرب المدمرة .. وهو خوف

يضغط على أعصاب الناس من حيث يشعرون أو لا يشعرون فيصيبهم بشق الأمراض العصبية .. ولم ينتشر الموت بالسكتة وانفجار المخ والانتحار كما انتشر في أمم الرخاء! وتظهر هذه الآثار كلها بصورة متقدمة واضحة في ميل بعض الشعوب إلى الاندثار والدمار - وأظهر الأمثلة الحاضرة تتجلى في الشعب الفرنسي - وليس هذا إلا مثالا للآخرين ، في فعل الافتراق بين النشاط المادي والمنهج الرباني وافتراق الدنيا والآخرة ، وافتراق الدين والحياة أو اتخاذ منهج للآخرة من عند الله ، واتخاذ منهج للدنيا من عند الناس وإيقاع هذا الفصام النكد بين منهج الله وحياة الناس! <sup>٤٠٥</sup>



---

<sup>٤٠٥</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٩٣٠)

## الركن الرابع

### الإيمان بالرسول

#### المبحث الأول

#### تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في اللغة : مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة . قال تعالى : { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ } { عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ } (النبأ : ١ ، ٢) . وسمي النبي نبياً لأنه مُخْبِرٌ من الله ، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخْبِرٌ ومُخْبِر . وقيل النبي مشتق من النبأوة : وهي الشيء المرتفع . وسمي النبي نبياً على هذا المعنى : لرفعة محله على سائر الناس . قال تعالى : { وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا } (مريم : ٥٧) .

والرسول في اللغة : مشتق من الإرسال وهو التوجيه . قال تعالى مخبراً عن ملكة سبأ : { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ } (النمل : ٣٥) . وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها : أن النبي : هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين . والرسول : هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبليغ رسالة الله . والفرق بينهما :

أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم .

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبليغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته . وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف عليه السلام على ملة إبراهيم ، وداود وسليمان عليهما السلام كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل . قال تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } (غافر : ٣٤) . وقال تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا } { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } (النساء : ١٦٣ ، ١٦٤) .

وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } (الحج : ٥٢) فذكر الله عز وجل أنه يرسل النبي والرسول . وبيان

ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسلٌ من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد .  
وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلق من الكفار والمؤمنين .

=====

## المبحث الثاني حكم الإيمان بالرسول وأدلته

الإيمان برسول الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان . وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة .

قال تعالى : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } (البقرة : ٢٨٥) .

فذكر الله تعالى الإيمان بالرسول في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون ، من أركان الإيمان . وبين أنهم في إيمانهم بالرسول لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض ، بل يصدقون بهم جميعاً .

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسول فقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } (النساء : ١٥٠ ، ١٥١) . فأطلق الكفر على من كذب بالرسول أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم . ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة .

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال : { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (النساء : ١٥٢) .

فوصفهم بالإيمان بالله ورسوله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى .

وأما السنة فدللت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسول ركن من أركان الإيمان وقد دل على ذلك حديث جبريل قال فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . قَالَ صَدَقْتَ<sup>٤٠٦</sup>

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: " الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْمِيزَانِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " . قَالَ - يَعْنِي السَّائِلُ - : إِذَا فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُؤْمِنٌ ؟ قَالَ: " نَعَمْ " . قَالَ: صَدَقْتَ<sup>٤٠٧</sup>

فذكر الإيمان بالرسول مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم تحقيقها واعتقادها .

<sup>٤٠٦</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (١٠٢)

<sup>٤٠٧</sup> - شعب الإيمان - (١ / ٤٣٨) (٢٧٤) صحيح

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ تَهَجَّدَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ بِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ. ٤٠٨

وعن ابن عباس قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَهِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » ٤٠٩ .

فشهادة النبي ﷺ أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بين يدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسول والأنبياء ومكانته في الدين .

فتقرر وجوب الإيمان بالرسول وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسول أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفراً صريحاً بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان .

=====

٤٠٨ - صحيح ابن حبان - ( ٦ / ٣٣٢ ) ( ٢٥٩٧ ) صحيح

٤٠٩ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٧٤٩٩ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ١٨٤٤ )

### المبحث الثالث أول الرسل وآخرهم

إن أول رسولٍ إلى أهل الأرض هو نوحٌ عليه السلام ، وآخرهم محمدٌ ﷺ . قال الله تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) [النساء/١٦٣ ، ١٦٤] } .  
وقال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (٤٠) سورة الأحزاب .

ثم إنه لم تخلُ أمةٌ من الأمم إلا وقد أرسل إليهم رسولٌ بشريعة مستقلةٍ أو أوحى إليه بشريعة من قبله ليحدثها ، قال الله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } (٣٦) سورة النحل ، وقوله تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } (٢٤) سورة فاطر .

=====

## المبحث الرابع الرسل من جنس البشر

الرسل بشرٌ مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية أو الألوهية شيءٌ ، بل تلحقهم جميعُ خصائص البشر من المرض والموت والحاجة إلى الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر من النكاح و التناسل - عدا الصفات المنفرة - ، ولكنهم يمتازون عن غيرهم بأنهم أصدقُ الناس وآمنُ الناس ، وأشجعُ الناس ، وأكرمُ الناس ، وأرحمُ الناس بالناس، وأتقى الناس ، ولا يقعون في المعاصي ، وأنَّ الله تعالى أوحى إليهم دون سواهم من الناس ، قال الله تعالى أمرا نبيه محمدا ﷺ: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (١٨٨) سورة الأعراف ، وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام واصفا ربه : { وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْجِنِّي بِالصَّبْرِ الْحَيْنَ (٨٣) [الشعراء/٧٩-٨٣] } ، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام : {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} (٥٩) سورة الزخرف .

=====

## المبحث الخامس

### كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالاً وتفصيلاً .  
فالإيمان الجمل :

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله . قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (النحل : ٣٦) .

وبأنهم جميعهم صادقون ، بارون ، راشدون ، كرام بررة ، أتقياء أمناء ، هداة مهتدون . قال تعالى :  
{ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } (يس : ٥٢) .

وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل : { وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } { ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } (الأنعام : ٨٧ ، ٨٨) .

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين ، والهدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم . قال تعالى حكاية عن أهل الجنة : { لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } (الأعراف : ٤٣) . وقال تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد : ٢٥) .

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأما شرائعهم فمختلفة . قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } (الأنبياء : ٢٥) . وقال عز وجل : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } (المائدة : ٤٨) .

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين ، فقامت بذلك الحجة على الخلق . قال تعالى : { لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } (الجن : ٢٨) . وقال تعالى : { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } (النساء : ١٦٥) .

ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون ، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء . وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة . قال تعالى : { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } (إبراهيم : ١١) . وقال تعالى عن نوح : { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } (هود : ٣١) . وقال عز وجل أمراً نبينا محمداً ﷺ أن يقول لقومه : { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } (الأنعام : ٥٠) .

ومما يجب اعتقاده أيضاً في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون من الله ، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم . قال تعالى : { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } (غافر : ٥١) . كما يجب اعتقاد تفاضل الرسل على ما أخبر عز وجل في قوله تعالى : { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } (البقرة : ٢٥٣) .

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عن الرسل على وجه العموم إيماناً مجملاً . وأما الإيمان المفصل :

فيكون بالإيمان بمن سَمَّى الله تعالى في كتابه والنيي ﷺ في سنته منهم ، إيماناً مفصلاً على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم .

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون . ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } { وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ } { وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } (الأنعام : ٨٣-٨٦) . وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن . قال تعالى : { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا } (الأعراف : ٦٥) .

وقال : { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا } (الأعراف : ٧٣) . وقال : { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا } (الأعراف : ٨٥) . وقال : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا } (آل عمران : ٣٣) . وقال : { وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ } (الأنبياء : ٨٥) . وقال : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } (الفتح : ٢٩) .

فيجب الإيمان بمؤلاء الأنبياء والمرسلين إيماناً مفصلاً ، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم .

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم ، كاتخاذ الله إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم خليلين لقوله تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } (النساء : ١٢٥) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي جُنْدَبُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ يَخْمَسُ وَهُوَ يَقُولُ « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ إِلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ  
«٤٠».

وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى : { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } (النساء : ١٦٤) . وكذلك  
تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه ، قال تعالى : { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ  
وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء : ٧٩) . وإلانة الحديد لداود كما قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا  
فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ } (سبأ : ١٠) . وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره  
، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء ، قال تعالى : { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا  
شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ } (سبأ : ١٢) . وتعليم سليمان  
منطق الطير ، قال تعالى : { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ  
كُلِّ شَيْءٍ } (النمل : ١٦) .

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم ، وما  
جرى بينهم من الخصومة ، ونصر الله لرسله وأتباعهم . كقصة موسى مع فرعون ، وإبراهيم مع قومه  
، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم . وما قص الله علينا في شأن يوسف مع  
إخوته وأهل مصر ، وقصة يونس مع قومه ، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل ،  
وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيماناً مفصلاً بحسب ما جاءت به النصوص .  
وبذلك يتحقق الإيمان بالرسول بقسميه المحمل والمفصل . والله تعالى أعلم .

الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى لا تفريق بينهم : فالكفر بواحد منهم كفرٌ بهم جميعاً، كما قال  
الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ  
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ  
عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢) [النساء/١٥٠-١٥٢] } ، فمن كفر بموسى أو عيسى عليهما  
السلام فقد كفر بالرسول جميعاً وخرج بذلك عن دائرة الإسلام.

التصديق بكل ما صحَّ من أخبارهم وجاء به نصٌّ من الكتاب أو السنة الصحيحة .  
ونؤمن بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونحفظ لهم حقهم، ونتأدب معهم، ولا نفضل عليهم  
أحدًا من الناس لا الأولياء ولا الأئمة، ولا غيرهم .

ونؤمن بأن خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ تسليمًا كثيرًا ، فلا نبي بعده، قال تعالى : { مَا كَانَ  
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رَّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (٤٠)

الأحزاب ، و عَنْ فُرَاتِ الْقَزَازِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ قَالَ قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ . قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بَبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَلَاوَلَّ ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ » (أخرجه الشيخان) <sup>٤١١</sup>.

وشريعته هي الشريعة المهيمنة على سائر الشرائع، إلى يوم القيامة، قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } {٤٨} وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } {٤٩} أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ } {٥٠} سورة المائدة

ولا يكون العبد مؤمناً حتى يتبعها ويسلم لحكمها تسليماً تاماً، قال تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } {٦٥} سورة النساء.

ونؤمن بأن الله قد اتخذ محمداً ﷺ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - النَّاسَ وَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ». قَالَ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَعَجَبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَى فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ ، لَا يَتَّقِينَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (أخرجه الشيخان) <sup>٤١٢</sup>. بعثه رحمة للعالمين قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } {١٠٧} سورة الأنبياء ، وأمره وأمر أمته بالتأسي بعملة إبراهيم فقال: { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {١٢٣} سورة النحل .

وقال سبحانه: ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَابَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } {٤} رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } {٥}

<sup>٤١١</sup> - البخارى برقم ( ٣٤٥٥ ) ومسلم برقم ( ٤٨٧٩ )

<sup>٤١٢</sup> - البخارى برقم ( ٣٦٥٤ ) ومسلم برقم ( ٦٣٢٢ ) من طرق

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ  
{٦} (المتحنة: ٤).

فنتأسى بذلك إلى أن تلقى الله، ونبرأ من المشركين وأنصارهم وأوليائهم، ونبعضهم ونبرأ مما يعبدون من دون الله، ونبرأ من الأشياء الباطلة المخالفة لدين الله، ونظهر عداوتنا للمحادين لله ورسوله منهم، المحاربين للحق، المجاهدين بباطلهم، ولا يمنعنا ذلك من دعوتهم وبيان الحق لمن أراد سماعه منهم، وتتمني هدايتهم. قال تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {٢٢} سورة المجادلة

إنها المفاضلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان ، والانحياز النهائي للصف المتميز ، والتجرد من كل عائق وكل جاذب ، والارتباط في العروة الواحدة بالجل الواحد.  
«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».. فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين : ودًا لله ورسوله وودًا لأعداء الله ورسوله! فإذا إيمان أو لا إيمان. أما هما معا فلا يجتمعان. «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» ..

فروابط الدم والقربة هذه تنقطع عند حد الإيمان. إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين : لواء الله ولواء الشيطان. والصحة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالجل الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر. وهم الصديق أبو بكر بقتل ولده عبد الرحمن. وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير. وقتل عمر وحزمة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم. متجردين من علائق الدم والقربة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله.

«أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» .. فهو مثبت في قلوبهم بيد الله مكتوب في صدورهم بيمين الرحمن. فلا زوال له ولا اندثار ، ولا انطماس فيه ولا غموض! «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ» ..

وما يمكن أن يعزموا هذه العزمة إلا بروح من الله. وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمددهم بالقوة والإشراق ، ويصلهم بمصدر القوة والإشراق.

«وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» .. جزاء ما تجردوا في الأرض من كل رابطة وآصرة ونفضوا عن قلوبهم كل عرض من أعراضها الفانية.

«رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» .. وهذه صورة وضيفة راضية مطمئنة ، ترسم حالة المؤمنين هؤلاء ، في مقام عال رفيع . وفي جو راض وديع ..

رهم راض عنهم وهم راضون عن رهم . انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به فتقبلهم في كنفه ، وأفسح لهم في جنبه ، وأشعرهم برضاه . فرضوا . رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه ..

«أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» .. فهم جماعته . المتجمعة تحت لوائه . المتحركة بقيادته . المتهتدية بهديه . المحققة لمنهجه . الفاعلة في الأرض ما قدره وقضاه . فهي قدر من قدر الله .

«أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» . ومن يفلح إذن إذا لم يفلح أنصار الله المختارون؟

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين : حزب الله وحزب الشيطان . وإلى رايتين اثنتين : راية الحق وراية الباطل . فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل .. وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان!!

لا نسب ولا صهر ، ولا أهل ولا قرابة ، ولا وطن ولا جنس ، ولا عصبية ولا قومية .. إنما هي العقيدة ، والعقيدة وحدها . فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله . تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم ، وتختلف عشائرتهم وتختلف أسرهم ، ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله ، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة . ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل ، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة . لا من أرض ، ولا من جنس ، ولا من وطن ولا من لون ، ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر .. لقد أنبتت الوشيحة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبثت هذه الوشائج جميعا ..<sup>٤١٣</sup>

=====

<sup>٤١٣</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٦ / ٣٥١٤ )

## المبحث السادس

### ما يجب علينا نحو الرسل

يجبُ على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله من المنازل الرفيعة في الدين ، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلة عنده ، وما شرفهم به من المهمات النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيه وشرعه لعامة خلقه ، ومن هذه الحقوق :

١ - تصديقهم جميعاً فيما جاءوا به ، وأهم مرسلون من ربهم ، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك . قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } (النساء : ٦٤) . وقال تعالى : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (المائدة : ٩٢) . وقال عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } (النساء : ١٥٠ ، ١٥١) . فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا به من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم .

ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحد من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة ، إذ أن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعة إلا لهذا النبي الكريم . قال تعالى : { وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران : ٨٥) . وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ : ٢٨) . وقال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } . . . (الأعراف : ١٥٨) .

٢ - موالاتهم جميعاً ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم ، قال تعالى : { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } (المائدة : ٥٦) . وقال تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (التوبة : ٧١) .

فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيماناً وعليه فإن موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعة درجاتهم في الإيمان . ولذا حذر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء . فقال عز من قائل : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } (البقرة : ٩٨) .

ومن ثم لا يجوز التفريق بين الأنبياء وبين الله تعالى في الإيمان ، ولا بين الأنبياء بعضهم وبعض ، فمن زعم أنه مؤمن بالله وكافر بالأنبياء أو ببعضهم ، أو أنه مؤمن ببعض الأنبياء وكافر ببعضهم

الْآخِرَ ، لَمْ يَسْتَحِقَّ اسْمَ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَخْرُجْ بِإِيمَانِهِ بِمَنْ آمَنَ بِهِ عَنْ أَنْ يَسْتَحِقَّ اسْمَ الْكُفْرِ حَقِيقَةً ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (سورة النساء / ١٥٠ - ١٥١) . ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَا يَنْفَعُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ أَوْ بِبَعْضِ رُسُلِهِ إِيْمَانُهُ إِذَا كَفَرَ بِرَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ بِالنَّبُوءَةِ ، وَكَفَرَ بِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ .

وَمَنْ سَمَّى أَتْبَاعَ الدِّيَانَاتِ السَّابِقَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ مُؤْمِنِينَ فَقَدْ خَالَفَ الشَّرِيعَةَ وَنَاقَضَ الْقُرْآنَ ٤١٤ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : إِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَمَنْ رَدَّ نُبُوَّتَهُ لِلْحَسَدِ أَوْ الْعَصْبِيَّةِ أَوْ التَّشَهِّيِّ يَتَبَيَّنُ أَنَّ إِيْمَانَهُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ إِيْمَانًا شَرْعِيًّا ، إِنَّمَا هُوَ عَنْ غَرَضٍ وَهَوًى وَعَصْبِيَّةٍ ، إِذْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ لَكُونَهُ رَسُولُ اللَّهِ لَا مُنَاوَا بِنَظِيرِهِ وَبِمَنْ هُوَ أَوْضَحُ دَلِيلًا وَأَقْوَى بُرْهَانًا ٤١٥ ، وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَالْأَمْرُ يَمْنَعُ أَحَدًا مِنْهُمْ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّبُوءَةِ مِنْ أَتْبَاعٍ مَنْ يُبْعَثُ بَعْدَهُ وَنُصْرَتِهِ ٤١٦ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (سورة آل عمران / ٨١ - ٨٢) ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي " ٤١٧

فَبِالْآخَرِ أَتْبَاعُ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَلْزَمُهُمْ أَتْبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِيمَانُ بِهِ ، وَإِلَّا فَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ حَقًّا .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْحُكْمِ أَيْضًا مَنْ قَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إِنَّمَا أُرْسِلَ إِلَى جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ خَاصَّةً ، وَلَا يَلْزَمُ أَتْبَاعُ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَتْبَاعُهُ ٤١٨

٣ - اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس ، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحدٌ من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى ، إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد

٤١٤ - تفسير القرطبي ٦ / ٦

٤١٥ - تفسير ابن كثير ١ / ٥٧٢

٤١٦ - تفسير القرطبي ٤ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

٤١٧ - أخرجه أحمد ( ٣ / ٣٨٧ ط الميمنية ) وذكره ابن حجر في فتح الباري ( ١٣ / ٣٣٤ ط السلفية ) وقال : رجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفا قلت : فالحديث حسن

٤١٨ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١ / ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٦ مطبعة المجد .

والعمل ، قال تعالى : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (الحج : ٧٥) . وقال تعالى : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَاهُ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠) [الأنعام : ٨٣ - ٩٠] }  
كما دلت السنة أيضًا على أن منزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيخان عن قتادة قال سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَمٍّ نَبِيِّكُمْ - يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » ٤١٩ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » . ٤٢٠  
قلت : لا خلاف بين العلماء أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ إِلَى أَنْ قَالَ : وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ( سورة الأنعام / ٨٣ - ٨٦ ) فَقَوْلُهُ : وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَرَدَ بَعْدَ ذِكْرِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ نَبِيًّا ، مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ . وَقَالَ تَعَالَى : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ( سورة النمل / ١٥ ) . قَالَ الطَّحَاوِيُّ : وَلَا تُفْضَلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَنَقُولُ : نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ .

### وَاخْتَلَفَ هَلِ الْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ أَمْ الْمَلَائِكَةُ ؟

فَالْمُخْتَارُ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ أَنَّ خَوَاصَّ بَنِي آدَمَ ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَعَوَامَّ بَنِي آدَمَ وَهُمْ الْأَتْقِيَاءُ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ . وَالْمَسْأَلَةُ عِنْدَهُمْ حِلَاقِيَّةٌ ظَنِّيَّةٌ ، وَرُويَ التَّوَقُّفُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ لِعَدَمِ الْقَاطِعِ ، وَتَفْوِيضِ عِلْمٍ مَا لَمْ يَحْصُلْ لَنَا الْحَزْمُ بِعِلْمِهِ إِلَى عَالِمِهِ .

٤١٩ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٣٩٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣١٠ )

٤٢٠ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٤١٦ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٠٩ )

وَأُطْلِقَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبُعْدَادِيُّ الْقَوْلَ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَقُولُونَ بِتَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ : عَلَى خِلَافِ قَوْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ مَعَ أَكْثَرِ الْقَدَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ<sup>٤٢١</sup>

٤ - اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض . قال تعالى : { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } (البقرة : ٢٥٣) . قال الطبري في تفسير الآية : " يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : تِلْكَ الرُّسُلُ الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ كَمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَشَمُوبِيلَ وَدَاوُدَ ، وَسَائِرٍ مَنْ ذَكَرَ نَبَاهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : هَؤُلَاءِ رُسُلِي فَضَّلْتُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَكَلَّمْتُ بَعْضَهُمْ وَالَّذِي كَلَّمْتُهُ مِنْهُمْ مُوسَى ﷺ وَرَفَعْتُ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ عَلَى بَعْضٍ بِالْكَرَامَةِ وَرَفَعَةَ الْمَنْزِلَةِ "٤٢٢ .

فإنزال كل واحد منهم منزلته في الفضل والرفعة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة قلت : لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ دَرَجَاتٌ وَأَنَّ بَعْضَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ( سورة الإسراء / ٥٥ ) وَقَوْلِهِ : تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ( سورة البقرة / ٢٥٣ ) . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "٤٢٣

وَمَنْ كَانَ مِنَ النَّبِيِّينَ رَسُولًا فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ مَنْ لَمْ يُرْسَلْ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : فَإِنَّ مَنْ أُرْسِلَ فَضَّلَ عَلَى غَيْرِهِ بِالرَّسَالَةِ وَاسْتَوَوْا فِي النَّبَوَّةِ .

وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ أُولُو الْعِزِّ مِنْهُمْ ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ مُوسَى ، ثُمَّ عِيسَى ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، عَلَى الْمَشْهُورِ ، قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ .٤٢٤

وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَهُمْ ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ ، فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرْبَ وَجْهِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ « مَنْ » . قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ « ادْعُوهُ » . فَقَالَ « أَضْرَبْتُهُ » . قَالَ سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ . قُلْتُ أَيْ خَبِيثٌ ، عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَأَخَذْتَنِي

٤٢١ - الموسوعة الفقهية الكويتية - ( ٤٠ / ٥١ ) و الدر المختار وحاشية ابن عابدين ١ / ٣٥٤ ، والفرق بين الفرق ص ٣٤٣ ، وتفسير القرطبي ٦ / ٢٦ ، وتفسير فتح القدير للشوكاني ١ / ٥٤٢ والكشاف وبذيله الإنصاف لابن المنير ١ / ٤٦٠ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢ / ٧٤١ .

٤٢٢ - تفسير الطبري - ( ٥ / ٣٧٨ )

٤٢٣ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٤٧١٢ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٥٠١ ) مطولا

٤٢٤ - الموسوعة الفقهية الكويتية - ( ٤٠ / ٤٩ )

غَضَبُهُ ضَرَبَتْ وَجْهَهُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى » ٤٢٥ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ . فَقَالَ لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَامَ ، فَلَطَمَ وَجْهَهُ ، وَقَالَ تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ - بَيْنَ أَظْهَرِنَا فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ أَبَا الْقَاسِمِ ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا ، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي . فَقَالَ « لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ » . فَذَكَرَهُ ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ - حَتَّى رَأَى فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ « لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي » ٤٢٦ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، قَالَ الْمُسْلِمُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ . فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ - الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفْبِقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ » ٤٢٧ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » . وَفِي رَوَايَةٍ « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » ٤٢٨ .  
فَقِيلَ : هَذَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتُ التَّفْضِيلِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ . فَعَلَى هَذَا : التَّفْضِيلُ الْآنَ حَائِزٌ .

وَقِيلَ : إِنَّمَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ .  
وَقِيلَ : إِنَّمَا نَهَى عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ لِئَلَّا يُؤَدِّيَ إِلَى أَنْ يُذَكَّرَ بَعْضُهُمْ بِمَا لَا يَنْبَغِي ، وَيَقِلَّ احْتِرَامُهُ عِنْدَ الْمُمَارَاةِ .

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ وَابْنُ تَيْمِيَّةَ : إِنَّمَا نُهِيَ عَنِ تَعْيِينِ الْمَفْضُولِ ، بِخِلَافِ مَا لَوْ فَضِّلَ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ .

٤٢٥ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٢٤١٢ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٠٥ )

٤٢٦ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٤١٤ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٠٠ )

٤٢٧ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٢٤١١ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٠٢ )

٤٢٨ - مسند أحمد - المكثر - ( ٤٢٨٣ و ٤٢٨٤ ) صحيح

وَقَالَ شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ : الْمَنْهِيُّ عَنْهُ التَّفْضِيلُ إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْفَخْرِ وَالْحَمِيَّةِ وَهَوَى النَّفْسِ ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِقَاصِ لِلْمَفْضُولِ .

وَاخْتَارَ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّ الْمَنْعَ مِنَ التَّفْضِيلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الثَّبُوتِ الَّتِي هِيَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاضُلُ فِيهَا ، وَالتَّفْضِيلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْأَلْطَافِ ٤٢٩

وقال البيهقي :

" فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي التَّخْيِيرِ وَالتَّفْضِيلِ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ : لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفْضَلَ نَفْسُهُ عَلَى يُونُسَ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَبْقَى وَذَهَبَ مُعَاضِبًا وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا ظَنَّ أَنَّهُ يُصِيبُهُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَمَا رَوَيْنَا فِي حَدِيثِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَمْنَعُ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ ، وَيُصَحِّحُ قَوْلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْإِمْسَاكِ عَنِ الْكَلَامِ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ جُمْلَةً ، وَذَكَرَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مَعْنَى النَّهْيِ عَنِ التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ تَرْكُ التَّخْيِيرِ بَيْنَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِزْرَاءِ بَعْضُهُمْ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ الْإِعْتِقَادِ فِيهِمْ وَالْإِحْطَالِ بِالْوَجَابِ مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَبِعَرَضِ الْإِيمَانِ بِهِمْ ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يَعْتَقِدَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ فَاضَلَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ " وَحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، فَقَالَ : قَدْ يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ خِلَافًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخْبَرَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَالسَّيِّدُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسُودِ ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ : " مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ وَجْهِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ وَاضِحٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ " إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالسُّودِدِ ، وَتَحَدَّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَإِعْلَامٌ لِأُمَّتِهِ وَأَهْلِ دَعْوَتِهِ عُلُوَّ مَكَانِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَحَلَّهُ مِنْ خُصُوصِيَّتِهِ لِيَكُونَ إِيْمَانُهُمْ بِنُبُوَّتِهِ وَاعْتِقَادُهُمْ لِبَطَاعَتِهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ ، وَكَانَ بَيَانٌ هَذَا لِأُمَّتِهِ وَإِظْهَارُهُ لَهُمْ مِنَ الْإِذَارِ لَهُ وَالْمَقْرُوضِ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا قَوْلُهُ فِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ " مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ " إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مَنْ سِوَاهُ مِنَ النَّاسِ دُونَ نَفْسِهِ ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ : أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَامًّا مُطْلَقًا فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ الْهَضْمِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِظْهَارِ التَّوَاضُّعِ لِرَبِّهِ يَقُولُ : لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ الْفَضِيلَةَ الَّتِي نَلِئْتُهَا كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ وَخُصُوصِيَّةً مِنْهُ ، لَمْ أَتْلُهَا مِنْ قَبْلِ نَفْسِي ، وَلَا بَلَعْتُهَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي ، فَلَيْسَ لِي أَنْ أَفْتَحِرَ بِهَا ، وَإِنَّمَا خَصَّ يُونُسَ بِالذِّكْرِ فِيمَا نَرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِمَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَأْنِهِ وَمَا كَانَ مِنْ قِلَّةِ صَبْرِهِ عَلَى أذى قَوْمِهِ ، وَخَرَجَ مُعَاضِبًا لَهُ وَلَمْ يَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ . قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا أَوْلَى الْوَجْهَيْنِ وَأَشْبَهُهُمَا بِمَعْنَى الْحَدِيثِ ،

٤٢٩ - تفسير القرطبي ٣ / ٢٦١ ، ٢٦٣ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٤٧ و ١ / ٣٠٤ ، وفتح الباري ٦ / ٤٥٢ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١ / ٤٩ ، ٥٥ ، والصارم المسلول ص ٥٦٦ .

فَقَدْ جَاءَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ أَنَّهُ قَالَ ﷺ : " مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُوْنُسَ بْنِ مَتَّى " .  
فَعَمَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ ، فَدَخَلَ هُوَ فِي جُمْلَتِهِمْ " ٤٣٠

##### ٥ - لَقَدْ أَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

وَأَمَّا سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ذِكْرُ السَّلَامِ عَلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِلْيَاسَ ، وَفِي خِتَامِ السُّورَةِ عَمَّ الْمُرْسَلِينَ بِالسَّلَامِ فَقَالَ : وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (سورة الصافات / ١٨١) وَفِي سُورَةِ مَرْيَمَ ذَكَرَ السَّلَامَ عَلَى يَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سُورَةِ مَرْيَمَ / ١٥ ٣٣ . وَقَالَ تَعَالَى : قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (سورة النمل / ٥٩) ، وَمِنْ هُنَا لَمْ يُوجَدْ خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي اسْتِحْبَابِ السَّلَامِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، لِأَنَّ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (سورة الصافات / ١٠٨ - ١٠٩) يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، قِيلَ : فِي الْآخِرِينَ الْمُرَادُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَقِيلَ : هُمْ جَمِيعُ الْأُمَمِ بَعْدَهُ ، وَعَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ هُوَ دَلِيلُ الْمَشْرُوعِيَّةِ . وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " ٤٣١

وَأَمَّا الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَرَدْ فِيهَا بِخُصُوصِهِمْ نَصٌّ خَاصٌّ يَصِحُّ ، وَمِنْ هُنَا ذَهَبَ مَالِكٌ فِي قَوْلِهِ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الشُّفَا ، وَبَعْضُ أَصْحَابِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ لَا تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ .

وَلَكِنْ قَالَ جُمُهُورُ الْعُلَمَاءِ بِجَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِحْبَابِهَا قِيَاسًا عَلَى الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَلِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ وَهُوَ مَنْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ يَدْخُلُونَ فِي الصَّلَاةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ : " كَمَا صَلَّيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ " دُخُولًا أَوَّلِيًّا ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ النَّوَوِيُّ فِي الْأَذْكَارِ : أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى جَوَازِهَا وَاسْتِحْبَابِهَا عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ اسْتِقْلَالًا ٤٣٢

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ ، قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَنَاسًا مِنَ النَّاسِ التَّمَسُّوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّ أَنَاسًا مِنَ الْقُصَّاصِ قَدْ أَحْدَثُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى خُلَفَائِهِمْ وَأُمَرَائِهِمْ عَدْلَ صَلَاتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَمُرُّهُمْ أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى النَّبِيِّينَ وَدُعَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً ، وَيَدْعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ. ٤٣٣

٤٣٠ - دَلَالَةُ الْبُيُوتِ لِلْبَيْهَقِيِّ ( ٢٢٥١ )

٤٣١ - أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ٢٣ / ١١٦ ط الحلي ) من حديث قتادة مرسلا ، وذكر السخاوي في القول البديع ( ص ٥٢ ،

٥٣ ) شواهد له مشيرة إلى تقويته بها .

٤٣٢ - تفسير القرطبي ١٥ / ٩٠ ، ١٤٢ ، وشرح الشفا ٣ / ٨٣٠ ، والأذكار للنووي ص ٩٩ دمشق ، دار الملاح ، وانظر جلاء

الأفهام لابن القيم ص ٣١٢ ط المنيرية .

٤٣٣ - مصنف ابن أبي شيبة - ( ١٣ / ٤٦٨ ) ( ٣٦٢٤١ ) وتفسير ابن كثير ٣ / ٥١٧ حسن

فهذه طائفة مما يجب للرسول من حقوق على هذه الأمة مما دلت عليه النصوص وقرره أهل العلم . والله تعالى أعلم .

=====

## المبحث السابع أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم : ذوو الحزم والصبر . قال تعالى : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } (الأحقاف : ٣٥) .

وقد اختلف العلماء فيهم . فقليل المراد بأولي العزم هم جميع الرسل . و " من " في قوله { مِنَ الرُّسُلِ } بيان الجنس لا للتبعض . قال ابن زيد : " كل الرسل . كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل " .<sup>٤٣٤</sup>

وقيل هم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم . قال ابن عباس : " أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى " . وبهذا القول قال مجاهد وعطاء الخراساني ، وعليه كثير من متأخري أهل العلم .

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه استدلل لهذا القول . الأول في سورة الأحزاب . قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } (الأحزاب : ٧) . والثاني في سورة الشورى .

وقال تعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } (الشورى : ١٣) . قال بعض المفسرين : " ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل ؛ لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل ، وتقدم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى " .<sup>٤٣٥</sup>

وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم . فعن أبي هريرة قال : خيار ولد آدم خمسة : نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ، ومحمد ﷺ وخيرهم محمد ﷺ وصلى الله عليهم أجمعين وسلم..<sup>٤٣٦</sup>

وأفضلهم محمد ﷺ قال أبو هريرة : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ »..<sup>٤٣٧</sup>

وعن عبد الله ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَمُشَفِّعٍ ، بِيَدِي لِرِوَاءِ الْحَمْدِ ، تَحْتِي آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ..<sup>٤٣٨</sup>

<sup>٤٣٤</sup> - التفسير الحديث لدروزة - (٥ / ٣١)

<sup>٤٣٥</sup> - فتح القدير للشوكاني - (٦ / ٢١)

<sup>٤٣٦</sup> - كشف الأستار - (٣ / ١١٤) (٢٣٦٨) صحيح

<sup>٤٣٧</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٦٠٧٩)

<sup>٤٣٨</sup> - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٩٨) (٦٤٧٨) صحيح

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: " وَلَئِنْ شَرَفَ الرَّسُولَ ﷺ ، بِالرَّسَالَةِ وَنَبَّيْنَا خُصَّ بِأَشْرَفِ الرِّسَالَاتِ ، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ مَا تَقَدَّمَهَا مِنَ الرِّسَالَاتِ ، وَلَا يَأْتِي بَعْدَهَا رِسَالَةٌ تَنْسَخُهَا ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا وَصَفَ بِهِ كِتَابَهُ إِذَا قَالَ: { وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حُمِيدٍ } [فصلت: ٤٢] فَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَيْسَ فِيمَا تَقَدَّمَهُ يُكَذِّبُهُ ، وَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ مَا يُؤَقِّفُهُ ، وَفِي هَذَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَفْضَلُ الرِّسَالَاتِ فَصَحَّ أَنَّ الْمُرْسَلَ بِهَا أَفْضَلُ الرُّسُلِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ وَمَعْقُولٍ أَنَّ مَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاةٍ غَيْرِهِ فَإِنَّمَا يُقْسِمُ بِحَيَاةٍ أَكْرَمَ الْأَحْيَاءِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا خَصَّ اللَّهُ نَبِيَّنَا ﷺ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ بِأَنَّ أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فَقَالَ: { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الحجر: ٧٢] بَأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ وَأَقْسَامُهُ بِ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَدْخُلُ فِي أَعْدَادِهِ ، كَذَلِكَ إِقْسَامُهُ بِحَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَدْخُلُ فِي عِدَادِهِ ، وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ لَهُ بَيْنَ إِنْزَالِ الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَإِصْغَادِهِ إِلَى مَسَاكِينِ الْمَلَائِكَةِ وَبَيْنَ إِسْمَاعِ كَلَامِ الْمَلِكِ ، وَإِرَائِهِ إِيَّاهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ إِخْبَارِهِ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِطْلَاعِهِ عَلَيْهِمَا فَصَارَ الْعِلْمُ لَهُ وَاقِعًا بِالْعَالَمِينَ وَدَارِ التَّكْلِيفِ وَدَارِ الْجَزَاءِ عَيْنًا وَبَسْطَ الْكَلَامِ فِيهِ " " وَهَذَا بَيِّنٌ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي مِعْرَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ فِي الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ مِنْ كِتَابِ دَلَائِلِ الثُّبُوتِ وَمِنْهَا: أَنَّ مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْمَلِكُ كَرَامَةً لَهُ إِذَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ وَحَسَبُ أَنْ يَكُونَ مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فَيَتَجَاوَزُ مَكَالَمَتَهُ إِلَى مَقَاتِلَةِ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُ حَتَّى يُظْفِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَّا إِبْلَاجُ الرِّسَالَةِ إِيَّاهُ ثُمَّ الْإِنْصِرَافُ عَنْهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِنَبِيِّنَا ﷺ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَقَدْ ذَكَرْنَا نُزُولَ الْمَلَائِكَةِ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ الثُّبُوتِ ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَذْكُورٌ ، فَإِنْ غُورِضَ هَذَا بِسُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَالْسُّجُودُ كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ خَلْقِ آدَمَ " وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَوْ أَبِي سَعِيدٍ - شَكَّ الْأَعْمَشُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ " وَمَعْلُومٌ أَنَّ ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا لِغَيْرِهِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ السُّجُودَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ جِنْسٍ مَا أُمِرَ بِهِ ابْنُ آدَمَ وَهُوَ السُّجُودُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَكِنْ عِنْدَ خَلْقِ آدَمَ إِعْظَامًا لِقُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَظْهَرَهَا لَهُمْ بِخَلْقِهِ إِيَّاهُ " . وَقَالَ: " وَإِنْ كَانَ السُّجُودُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ عِقُوبَةً لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } [البقرة: ٣٠] فَعَرِضَ الْكَرَامَةَ لَهُ فِيهِ لَا يَخْلُصُ مِنْ عَرَضِ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ ، وَأَمَّا قِتَالُ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَإِنَّهَا كَرَامَةٌ خَالِصَةٌ عَرَضَهُ اللَّهُ لَهَا بِفَضْلِهِ ذَلَالَةً عَلَى نَفَاسَةِ قُدْرِهِ وَعَظِيمِ مَنَزِلَتِهِ ، وَلِأَنَّ الْأَفْضَلَ مَنْ

يُفَضِّلُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُكْرِّمُهُ بِمَا لَا يُكْرَّمُ بِهِ غَيْرُهُ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ نَبِيِّنَا الصَّادِقِ عليه السلام ، مَا ذَكَرْنَاهُ فِي  
كِتَابِ الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ مِنْ شَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْجَمْعِ، ثُمَّ لِأُمَّتِهِ <sup>٤٣٩</sup> ۥ

=====

## المبحث الثامن

### خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته

أولاً : خصائصه ﷺ :

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمداً ﷺ بكثير من الخصائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين . ومن هذه الخصائص :

١ - عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحداً منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته . قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } (سبا : ٢٨) . وقال تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (الفرقان : ١) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : " العالمين : الجن والإنس " .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ » .<sup>٤٤٠</sup>

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » .<sup>٤٤١</sup>

٢ - أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص . قال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } (الأحزاب : ٤٠) .

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبَنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ »<sup>٤٤٢</sup> .

ولهذه النصوص أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على هذه العقيدة كما أجمعت على تكفير من ادعى النبوة بعده ﷺ ووجوب قتل مدعيها إن أصر على ذلك . قال الألوسي : " وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعي خلافة ويقتل إن أصر " <sup>٤٤٣</sup> .

<sup>٤٤٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ١١٩٥ )

<sup>٤٤١</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٤٠٣ )

<sup>٤٤٢</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٥٣٥ )

<sup>٤٤٣</sup> - تفسير الألوسي - ( ١٥٣ / ١٦ )

٣ - أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم ، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل ، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه . قال تعالى : { قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (الإسراء : ٨٨) . وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (العنكبوت : ٥١) .

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ - أَوْ آمَنَ - عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>٤٤٤</sup> .

٤ - أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة . قال تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (آل عمران : ١١٠) .  
وعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ فِي قَوْلِهِ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قَالَ « إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ »<sup>٤٤٥</sup> .

قال الخطيب : " وفي قوله تعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » وفي التعبير بلفظ الماضي « كنتم » ما يشير إلى أن هذا الحكم الذي حكم به الله على هذه الأمة ، بأنها خير أمة أخرجت للناس — ليس محدودا بزمن من أزمانها ، ولا مخصوصا بحال من أحوالها .. وإنما هو حكم عام مطلق ، يشمل الأمة الإسلامية كلها ، في كل أزمانها ، وفي جميع أحوالها ، من عهد النبوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. إنه حكم للأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ، ومستقبلها . وإن تلقته في أول وجودها ، وفي ساعة مولدها .. « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » !  
هذا هو حكم الله فيما أحاط به علمه ، وفيما قدره لكل أمة من أجل ، ومن رزق ! .  
وفي قوله تعالى : « أُخْرِجَتْ » تنويه آخر بشأن هذه الأمة ، وأنها هي المولود الكامل ، الذي تمحضت عنه الإنسانية كلها .. ولن تلد مثله أبد الدهر ! .

وفي قوله سبحانه : « أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » تنويه ثالث بتلك الأمة ، فإنها لم تخرج من الناس ، ولكنها « أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » وكأنها بهذا من معدن غير معدن الناس ، ومن عالم غير عالم الناس ، جاءتهم هكذا من عالم الغيب ، وأخرجت لهم من حيث لا يتوقعون .. من صحراء مجدبة قفر ، ومن مجتمع أمي غارق في الجهالة ! ، فقادت ركب الإنسانية ، وحررتها من قيود العبودية والظلم .  
هذا هو مكاننا — أمة الإسلام — الذي ندبنا الله له ، وأحلنا فيه ، وأقامنا عليه ..

<sup>٤٤٤</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧٢٧٤ )

<sup>٤٤٥</sup> - سنن الترمذى - المكثر - ( ٣٢٧١ ) صحيح

وإنه لن يرحلنا عن هذا المقام زمان ، ولن يحتله مكاننا أحد .. وإنما — أمة الإسلام — على أي حال كنا ، وفي أسوأ وجود لنا — خير أمة أخرجت للناس!.

وإن ميزاننا مهما خفّ في هذه الحياة فهو أثقل من ميزان أية أمة ، وإن بدا في ظاهرها أنها أقوى قوة ، أو أكثر مالا ، وأعزّ نفرا!.

ذلك ما ينبغي أن نؤمن به إيماناً راسخاً كيإيماننا بالله .. وإلا كنا مكذّبين بآياته ، منكّرين ، أو منتكّرين لكتابه!

إننا — أمة الإسلام — أشبه بالذهب ، بين المعادن الأخرى .. قيمته دائماً فيه ، حتى ولو علا بريقه التراب ، وغبّر وجهه دخان الزمن .. إنه الذهب على أي حال.

فليكن ذلك شعورنا بأنفسنا ، وإيماننا بمكانتنا في هذه الحياة .. ثم ليكن ممّا يقابل هذا الشعور ، وذلك الإيمان ، من جدّ ، ومن تحصيل لكل معاني الإنسانية الكريمة ، ومثلها الرفيعة ، فذلك هو الذي يحقق كل معاني الخيرية فينا ، ويعرض للناس وللحياة أكمل الكمال ممّا ..

ومع هذا ، فإنه لن يترع عنا هذا الفضل الذي فضل الله به على هذه الأمة ما يلمّ بنا من ضعف أو يعرض لنا من فتور ، أو يقع في محيطنا من انحراف .. فتلك كلها عوارض لا تمسّ الصميم منّا ، ولا تنقض حكم الله لنا ..

فنحن — على أية حال نكون عليها — « خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ».

ولسنا بهذا ندّعي ما يدّعيه اليهود لأنفسهم من أنهم « شعب الله المختار ». فنحن شيء ، واليهود شيء. نحن تلقينا كرامة الله وفضله .. واليهود رموا بغضب الله ولعنته!!

ذلك أن الله سبحانه ، أفاض على اليهود من أفضاله ، ومنحهم من نعمه ما لم يمنحه أحداً من العالمين .. امتحاناً وابتلاء. فلما مكروا بآيات الله ، وعصوا رسله ، وقتلوا من قتلوا من أنبيائه ، وأعتنوا من أعتنوا منهم — أخذهم الله بالبأساء والضراء ، وساق إليهم نقمه ، وشملهم بسخطه ، وصبّ عليهم لعنته — وفي هذا يقول الله تعالى فيهم : « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ » (١٣ : المائدة).

أما نحن — أمة الإسلام — فقد فضّل علينا بهذا الفضل ، وجعله حكماً قائماً فينا أبداً : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » ولن ينقض أبداً هذا الحكم الذي حملته كلمات الله.

وقوله تعالى : « تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » بيان للصفات التي استحقّ بها المسلمون أن يكونوا « خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » فمن رسالة هذه الأمة ألا تحتجز الخير لنفسها ، ولا تستأثر به حين يقع ليدها ، بل تجعل منه نصيباً تبرّ به الإنسانية كلها ، وتشرك الناس جميعاً معها ، فيه. ذلك شأنها في كل خير تصيبه .. فإذا أصاب المسلم مالا ، جعل فيه للفقراء والمساكين نصيباً ، وآتى منه ذوى القربى واليتامى ، وأنفق منه في سبيل الله ، وفي إعلاء كلمة الحق .. وإذا أصاب هدى من

الله ، وعرف طريقا إلى الحق ، لم يجد لذلك مساعا إلا إذا وجّه الناس إليه ، ودلّهم عليه ، ولو احتمل في سبيل ذلك الضرّ والأذى ، وعرض نفسه للتلف والهلاك ، شأن الطبيب الذي يرى وباء يقتك بالناس ، ويذروهم كما تذرّو الرياح الهشيم .. إنه — والحال كذلك — ينسى نفسه ، ويدخل في معركة مع هذا الوباء ، غير حاسب حسابا لما قد يقع له من سوء ، ولو كان في ذلك ذهاب نفسه !

هكذا هو موقف الأمة الإسلامية من الخير الذي ساقه الله إليها ، على يد الرسول الكريم ﷺ ، مما تلقى من بركات السماء ، ورحماتها . « تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » كما جاءكم رسول الله ﷺ يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر .. وفي هذا يقول الله تعالى « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ » .

وفي قوله تعالى : « تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله ، الذي هو مقدّم على كل عمل طيب ، حيث لا يطيب العمل ، ولا يقبل ، إلا مع الإيمان . فكيف يؤخر الإيمان هنا ، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

والجواب عن هذا من وجهين :

أولا : أن الله سبحانه وتعالى إذ وصف هذه الأمة هذا الوصف الكريم ، وحكم لها هذا الحكم القاطع اللازم ، لم يصفها هذا الوصف ولم يعطها هذا الحكم إلا وهي على الإيمان ، مجتمععة هي عليه ومشتتملا هو عليها .. فهي ليست مطلق أمة ، وإنما هي أمة مسلمة ، تلك الأمة التي كانت استجابة من الله لدعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، إذ يقولان كما حكاه القرآن عنهما : « رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ » ( البقرة : ١٣٨ ) .

ثانيا : ذكر الإيمان بالله هنا لم تكن داعيته وصف هذه الأمة بأنها مؤمنة بالله — إذ كان إيمانها بالله ، معروفا مقدرا من قبل ، وإنما داعية ذكره في القرآن أنه إيمان على صفة غير ما عليه إيمان المؤمنين من أهل الكتاب ! .

والإيمان بالله الذي عليه الأمة الإسلامية ، هو إيمان بريء من كل شائبة من شوائب الشرك ، وخلص من كل نزعة من نزغات الشك .. إنه إيمان مصفى ، يرى فيه المؤمن وجه الحق واضحا مشرقا ، إذ لا يتكلف له المؤمن جهدا في الوصول إليه ، ولا تنقطع أنفاسه في الدوران حوله ، لأنه قريب ، قريب ، يراه العامة والفلاسفة على السواء .. إنه : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير » ذلكم الله رب العالمين ، وهو ما يقوم به وعليه إيمان المسلمين .. بلا فلسفه ، ولا كهنة ، ولا أحبار ، ولا رهبان .. إيمان يطمئن إليه قلب الراعي بين غنمه ، والزارع وراء محراثه ، كما يطمئن إليه قلب العالم في معمله ، والفيلسوف في محراب فلسفته !

إيمان بديهة .. لا تكدّ ذهنها ، ولا تشتت خاطرها ، ولا تزعج وجدانها .

وليس كذلك إيمان المؤمنين من أهل الكتاب .. إنه إيمان مرهق معقد ، مركّب على قضايا من المقولات الفلسفية والمنطقية ، المبنية على معطيات مما وراء الطبيعة ، التي تدور بها رموس العامة ، وتضطرب لها عقول العلماء .. فإذا آمن مؤمنهم بالله كان بينه وبين الله حجب كثيفة من هذه المقولات ، التي لا يستطيع أن يرى الله من خلالها إلّا محاطا بضباب كثير من الشك والارتياب!!

فإيمان المسلمين بالله ، إيمان .. وإيمان أهل الكتاب بالله إيمان .. وبين الإيمانيين بعدد بعيد ، وبون شاسع .. ومن هنا كان ذكر إيمان المسلمين في هذا المقام تنويها بهذا الإيمان ، وعزلا له عن إيمان المؤمنين من أهل الكتاب ، ذلك الإيمان المشوب غير الخالص من العلل والآفات ، ولهذا جاء قوله تعالى : « وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ » جاء بعد « قوله تعالى : وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » داعيا أهل الكتاب أن يؤمنوا بإيماننا مصححا مجددا ، كيإيمان المسلمين .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ».

وقد كشف القرآن الكريم عن حقيقة الإيمان الذي عليه أهل الكتاب .. فقال تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ » (١٣ : البقرة) أي أنهم إذا دعوا إلى الإيمان بالله إيمانا بعيدا عن المماحكات والسفسطات ، وعن الألغاز والطلاسم ، التي تعمّي على الناس السبيل إلى الطريق المستقيم — إذا دعوا أن آمنوا كما آمن الناس ، إيمانا سمحا سهلا واضحا — أبوا وقالوا أنؤمن كما آمن السفهاء من الجهلة والعامة ؟

وقالوا في أنفسهم : كيف يهتدي أحد إلى الله من هذا الطريق القريب ؟

إنّ الله بعيد بعيد ، متستر في حجب جلاله وبهائه ، فلا تناله الأبصار ، ولا تدركه العقول ، وإنه لا بد — والأمر كذلك — من دراسات وفلسفات ، وبحوث مضنية مرهقة ، حتى يمسك الدارسون ، والفلاسفة والباحثون بأذيال هذه الحقيقة الكبرى!

هكذا زين لهم سوء عملهم فأروه حسنا.

وقال تعالى أيضا مشيرا إلى أهل الكتاب وإلى إيمانهم : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ » (٨ : البقرة) إنه إيمان مشوب بالشك ، ومختلط بالضلال .. فلا يعدّ ، ولا يحسب في الإيمان الصحيح بحال أبدا. <sup>٤٤٦</sup>

إن التعبير بكلمة «أُخْرِجَتْ» المبني لغير الفاعل ، تعبير يلفت النظر. وهو يكاد يشي باليد المدبرة اللطيفة ، تخرج هذه الأمة إخراجا وتدفعها إلى الظهور دفعا من ظلمات الغيب ، ومن وراء الستار السرمدى الذي لا يعلم ما وراءه إلا الله .. إنها كلمة تصور حركة خفية المسرى ، لطيفة الدبيب.

<sup>٤٤٦</sup> - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٥٤٧)

حركة تخرج على مسرح الوجود أمة. أمة ذات دور خاص. لها مقام خاص ، ولها حساب خاص :  
«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» ..

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ، ولتكون لها القيادة ، بما أنها هي خير أمة. والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض. ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية. إنما ينبغي دائما أن تعطي هذه الأمم مما لديها. وأن يكون لديها دائما ما تعطيه. ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح ، والتصور الصحيح ، والنظام الصحيح ، والخلق الصحيح ، والمعرفة الصحيحة ، والعلم الصحيح .. هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها ، وتحتمه عليها غاية وجودها.

واجبها أن تكون في الطليعة دائما ، وفي مركز القيادة دائما. ولهذا المركز تبعاته ، فهو لا يؤخذ ادعاء ، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلا له .. وهي بتصورها الاعتقادي ، وبنظامها الاجتماعي أهل له. فيبقى عليها أن تكون بتقدمها العلمي ، وبعمارها للأرض - قياما بحق الخلافة - أهلا له كذلك .. ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير ويدفعها إلى السبق في كل مجال .. لو أنها تتبعه وتلتزم به ، وتدرك مقتضياته وتكاليفه.

وفي أول مقتضيات هذا المكان ، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد .. وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي خير أمة أخرجت للناس. لا عن محاملة أو محاباة ، ولا عن مصادفة أو جزاف - تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا - وليس توزيع الاختصاصات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون : «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» .. كلا! إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر ، وإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر :  
«تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» ..

فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة ، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب ، وبكل ما في طريقها من أشواك .. إنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد .. وكل هذا متعب شاق ، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانتته ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة ..

ولا بد من الإيمان بالله ليوضع الميزان الصحيح للقيم ، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر. فإن اصطلاح الجماعة وحده لا يكفي. فقد يعم الفساد حتى تضطرب الموازين وتختل. ولا بد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير والشر ، وللفضيلة والرذيلة ، وللمعروف والمنكر. يستند إلى قاعدة أخرى غير اصطلاح الناس في جيل من الأجيال.

وهذا ما يحققه الإيمان ، بإقامة تصور صحيح للوجود وعلاقته بخالقه. وللإنسان وغاية وجوده ومركزه الحقيقي في هذا الكون .. ومن هذا التصور العام تنبثق القواعد الأخلاقية. ومن الباعث على إرضاء

اللّٰه وتوقي غضبه يندفع الناس لتحقيق هذه القواعد. ومن سلطان اللّٰه في الضمائر ، وسلطان شريعته في المجتمع تقوم الحراسة على هذه القواعد كذلك.

ثم لا بد من الإيمان أيضا ليملك الدعاة إلى الخير ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ، أن يعضوا في هذا الطريق الشاق ، ويحتملوا تكاليفه. وهم يواجهون طاغوت الشر في عنفوانه وجبروته ، ويواجهون طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها ، ويواجهون هبوط الأرواح ، وكلل العزائم ، وثقله المطامع ..

وزادهم هو الإيمان ، وعدتهم هي الإيمان. وسندهم هو اللّٰه .. وكل زاد سوى زاد الإيمان ينفد. وكل عدة سوى عدة الإيمان تفلّ ، وكل سند غير سند اللّٰه ينهار! وقد سبق في السياق الأمر التكليفي للجماعة المسلمة أن ينتدب من بينها من يقومون بالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما هنا فقد وصفها اللّٰه سبحانه بأن هذه صفتها. ليدلها على أنها لا توجد وجودا حقيقيا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية ، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني. فإما أن تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - مع الإيمان باللّٰه - فهي موجودة وهي مسلمة. وإما أن لا تقوم بشيء من هذا فهي غير موجودة ، وغير متحققة فيها صفة الإسلام.<sup>٤٤٧</sup>

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فِي قُبَّةٍ فَقَالَ « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». قُلْنَا نَعَمْ . قَالَ « تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». قُلْنَا نَعَمْ . قَالَ « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». قُلْنَا نَعَمْ . قَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُّسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ »<sup>٤٤٨</sup>.

٥ - أنه سيد ولد آدم يوم القيامة . فعن أبي هريرة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ ».<sup>٤٤٩</sup>

٦ - أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربه بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى : { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا } (الإسراء : ٧٩) .

وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

<sup>٤٤٧</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ١ / ٤٤٧ )

<sup>٤٤٨</sup> - صحيح البخاري- المكثر - ( ٦٥٢٨ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٥٥٢ )

<sup>٤٤٩</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٦٠٧٩ )

ﷺ قَالَ : " الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الشَّفَاعَةُ " وَفِي رِوَايَةٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : عَسَى أَنْ يَعْثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا قَالَ : " هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِهِ " ٤٥٠ .

وقد دلت السنة كذلك على شفاعته ﷺ في أهل الموقف كما جاء ذلك عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا . فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَجِي - أَتُّوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَجِي ، فَيَقُولُ أَتُّوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ، أَتُّوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بَعِيرٍ فَيَسْتَجِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ أَتُّوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ . فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ ، أَتُّوا مُحَمَّدًا ﷺ - عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ { لِي } فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلِّ نُعْطَهُ ، وَقُلْ يُسْمِعُ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي - مِثْلَهُ - ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ { ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ } ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ » . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ « إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ » . يَعْنِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ( خَالِدِينَ فِيهَا ) ٤٥١ .

٧ - أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة ، ويكون الناس تبعاً له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره . ذكر هذا بعض أهل العلم . وقد دلت السنة على اختصاصه بهذه الفضيلة العظيمة . فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ » ٤٥٢ .

٨ - أنه صاحب الوسيلة ، وهي درجة عالية في الجنة ، لا تكون إلا لعبد واحد ، وهي أعلى درجات الجنة . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَى فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ إِلَى الْوَسِيلَةِ

٤٥٠ - شُعْبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ( ٣٠٣ ) صحيح

٤٥١ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٤٧٦ )

٤٥٢ - سنن الترمذى - المكثر - ( ٣٩٧٥ ) صحيح لغيره

فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ إِلَى الْوَسِيلَةِ  
حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>٤٥٣</sup> ..

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ﷺ ، الدالة على علو درجته عند ربه ، وسمو مكانته في الدنيا  
والآخرة ، وهي كثيرة جدا .

=====

---

<sup>٤٥٣</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٨٧٥ )

## المبحث التاسع

### حقوق النبي ﷺ على أمته

للنبي الكريم ﷺ حقوق على أمته وهي كثيرة، منها: الإيمان الصادق به ﷺ قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ﷺ ، وجوب طاعته والحذر من معصيته ﷺ ، وجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله منزلته ﷺ بلا غلو ولا تقصير، واتباعه واتخاذة قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبة أكثر من النفس، الأهل والمال والولد والناس جميعاً، واحترامه وتوقيره ونصر دينه والذب عن سنته ﷺ ، والصلاة عليه؛ لقوله ﷺ : « إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبُضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ». قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ يَقُولُونَ بَلِيَّتْ. فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ». ٤٥٤.

وإليك هذه الحقوق بالتفصيل والإيجاز كالتالي:

**أولاً — الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أتى به**

قال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} سورة التغابن، الآية: ٨. ، {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} سورة الأعراف، الآية: ١٥٨. ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} سورة الحديد، الآية: ٢٨. ، {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} سورة الفتح، الآية: ١٣

وقال ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ». ٤٥٥.

والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك العمل بما جاء به تم الإيمان به ﷺ. ٤٥٦.

**ثانياً—وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته**

فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} سورة الأنفال، الآية: ٢٠. وقال

٤٥٤ - سنن أبي داود (١٠٤٩) صحيح = أرْمَ : بلى = أرمت : بليت

٤٥٥ - صحيح مسلم (١٣٥)

٤٥٦ - انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٥٣٩/٢.

تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} سورة الحشر، الآية: ٧. وقال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} سورة النور، الآية: ٥٤، وقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} سورة النور، الآية: ٦٣، وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} سورة الأحزاب، الآية: ٧١، وقال تعالى: {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} سورة الأحزاب، الآية: ٣٦، وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ .. »<sup>٤٥٧</sup>

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، إِلَّا مَنْ أَبَى ». قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ». <sup>٤٥٨</sup>  
وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ - « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذُّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ». <sup>٤٥٩</sup>

### ثالثاً- اتباعه ﷺ واتخاذة قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه.

قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} سورة آل عمران، وقال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} سورة الأحزاب، وقال تعالى: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} سورة الأعراف، الآية: ١٥٨، فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، فعن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ - يسألون عن عبادة النبي ﷺ - فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ - فقال

<sup>٤٥٧</sup> - البخاري (٧١٣٧)

<sup>٤٥٨</sup> - البخاري (٧٢٨٠)

<sup>٤٥٩</sup> - مسند أحمد (٥٢٣٣) صحيح لغيره

« أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي » . ٤٦٠ .

رابعاً - محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين،

والحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ﷺ مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه ، قال الله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } ٢٤ سورة التوبة ، فقرن الله محبة رسوله ﷺ بمحبته عز وجل وتوعد من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقوله : { فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } .

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » ٤٦١ .

وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة فعَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ « وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا » . قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ - . فَقَالَ « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ - « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ - وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيٍّ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ .. ٤٦٢

وعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ « وَمَا أَعْدَدْتَ لِلْسَّاعَةِ » . قَالَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ - « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ . ٤٦٣ .

وعن عبد الله بن هشام قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « لَا وَالَّذِي نَفْسِي

٤٦٠ - البخاري (٥٠٦٣)

٤٦١ - صحيح البخاري (١٥)

٤٦٢ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٦٨٨) .

٤٦٣ - صحيح مسلم (٦٨٨١)

بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي .  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « الْآنَ يَا عُمَرُ » ٤٦٤ ،

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ  
أَحَبَّ » . ٤٦٥ .

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ  
رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا » . ٤٦٦ .

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ  
يُقَذَفَ فِي النَّارِ » ٤٦٧ .

ولاشك أن من وفقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاققة  
في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ؛ لأنه رضى به  
رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ ؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهر حُبَّه      هذا لعمري في القياس بدیع  
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطعته      إن المحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعٌ ٤٦٨

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ ، واتباع سنته، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه،  
والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً أثره، وأثر  
موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدعيًا ٤٦٩ .

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ فعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ  
« قُلْنَا لِمَنْ قَالَ » لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » ٤٧٠ . أَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ فَتَصَدِّيقُهُ عَلَى الرَّسَالَةِ ، وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ، وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَنُصْرَتُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ،  
وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ ، وَمُؤَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ ، وَإِعْظَامُ حَقِّهِ ، وَتَوْقِيرُهُ ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَبَثُّ دَعْوَتِهِ ،  
وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ ، وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا ، وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا ، وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا ، وَالِدُّعَاءُ إِلَيْهَا ، وَالتَّلَطُّفُ

٤٦٤ - صحيح البخارى ( ٦٦٣٢ )

٤٦٥ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦١٦٩ )

٤٦٦ - صحيح مسلم ( ١٦٠ )

٤٦٧ - صحيح البخارى - المكثر - ( ١٦ )

٤٦٨ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٥٤٩/٢ و ٥٦٣/٢ .

٤٦٩ - انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٥٧١/٢ - ٥٨٢ .

٤٧٠ - صحيح مسلم ( ٢٠٥ )

فِي تَعْلُمِهَا وَتَعْلِيمِهَا ، وَإِعْظَامِهَا ، وَإِجْلَالِهَا ، وَالتَّأْدُّبِ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا ، وَالْإِمْسَاكِ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَإِجْلَالِ أَهْلِهَا لِإِنْسَابِهِمْ إِلَيْهَا ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ ، وَالتَّأْدُّبِ بِآدَابِهِ ، وَمَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَمُجَانَبَةِ مَنْ إِبْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ ، أَوْ تَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ <sup>٤٧١</sup>.

**خامساً - وجوب احترامه وتوقيره ونصرته.**

فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه قال تعالى: {لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} ٩ سورة الفتح، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ١ سورة الحجرات، وقال تعالى {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ٦٣ سورة النور.

وحرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته، قال القاضي عياض: "واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته" <sup>٤٧٢</sup>.

وكذلك الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا المبحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل.

**سادساً - الصلاة عليه ﷺ.**

قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ٥٦ سورة الأحزاب.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ إِلَى الْوَسِيلَةِ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرَجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ إِلَى الْوَسِيلَةِ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» <sup>٤٧٣</sup>.

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ «الْبَحِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَىَّ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ «فَلَمْ يُصَلِّ عَلَىَّ» ﷺ كَثِيرًا. <sup>٤٧٤</sup>

<sup>٤٧١</sup>- شرح النووي على مسلم - ج ١ / ص ١٤٤ و الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي حياض ٥٨٢/٢ - ٥٨٤.

<sup>٤٧٢</sup> - الشفاء ٥٩٥/٢ و ٦١٢.

<sup>٤٧٣</sup> - صحيح مسلم (٨٧٥)

<sup>٤٧٤</sup> - مسند أحمد (١٧٦٢) صحيح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ ». <sup>٤٧٥</sup>

وقال ﷺ : "إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمي السلام" <sup>٤٧٦</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ارْتَقَى الْمِنْبَرَ فَقَالَ : « آمِينَ آمِينَ آمِينَ ». فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ : « قَالَ لِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ فَلَمْ يُعَفِّرْ لَهُ فَقُلْتُ آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَقُلْتُ آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ آمِينَ ». <sup>٤٧٧</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَى إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَى رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ». <sup>٤٧٨</sup>

وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى واحداً وأربعين موطناً منها على سبيل المثال: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه <sup>٤٧٩</sup>.

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ » <sup>٤٨٠</sup>.

**سابعاً - وجوب التحاكم إليه والرضي بحكمه ﷺ .**

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} ٥٩ سورة النساء

<sup>٤٧٥</sup> - سنن الترمذی ( ٣٧٠٨ ) صحيح = الترة : الحسرة والندامة

<sup>٤٧٦</sup> - النسائي ٤٣/٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٧٤/١.

<sup>٤٧٧</sup> - السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ / ص ٣٠٤ ( ٨٧٦٧ ) صحيح

<sup>٤٧٨</sup> - سنن أبي داود ( ٢٠٤٣ ) صحيح

<sup>٤٧٩</sup> -- راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

<sup>٤٨٠</sup> سنن النسائي ( ١٣٠٥ ) صحيح

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِطَاعَتِهِ تَعَالَى ، وَبِالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ ، وَبِإِطَاعَةِ رَسُولِهِ ، لِأَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَيُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ شَرْعُ وَأَوَامِرُهُ ، كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِإِطَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ ، مِنْ حُكَّامٍ وَأُمَرَاءٍ وَرُؤَسَاءِ جُنْدٍ ، مِمَّنْ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجَاتِ ، وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ وَجَبَ أَنْ يُطَاعُوا فِيهِ ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ ، وَأَنْ لَا يُخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ ، وَلَا سُنَّةَ نَبِيِّهِ الَّتِي عُرِفَتْ بِالتَّوَاتُرِ ، وَأَنْ يَكُونُوا مُخْتَارِينَ فِي بَحْثِهِمْ فِي الْأَمْرِ ، وَاتَّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ غَيْرَ مُكْرَهِينَ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ أَحَدٍ أَوْ نَفْوَذِهِ .

وَكُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ فَمِنْ الْوَاجِبِ رَدُّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، وَيَحْتَكِمَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

وَمَنْ يَحْتَكِمَ إِلَى شَرْعِ اللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَالًا ( تَأْوِيلًا ) ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُشَرِّعْ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ وَمَنْفَعَتُهُمْ ، وَالْاِحْتِكَامُ إِلَى الشَّرْعِ يَمْنَعُ الْاِخْتِلَافَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى التَّنَازُعِ وَالضَّلَالِ .<sup>٤٨١</sup>

وقال تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } ٦٥ سورة النساء

يُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى أَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ رَغِبُوا عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى الرَّسُولِ ، وَمَنْ مَاتَلَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، لَا يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا حَقًّا ( أَيِ إِيمَانٍ إِذْعَانٍ وَانْقِيَادٍ ) إِلَّا إِذَا كَمَلْتَ لَهُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ :

- أَنْ يُحَكِّمُوا الرَّسُولَ فِي الْقَضَايَا الَّتِي يَخْتَصِمُونَ فِيهَا ، وَلَا يَبِينُ لَهُمْ فِيهَا وَجْهُ الْحَقِّ .  
- أَلَّا يَجِدُوا ضِيقًا وَحَرَجًا مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ ، وَأَنْ تُذْعِنَ نَفُوسُهُمْ لِقَضَائِهِ ، إِذْعَانًا تَامًا دُونَ امْتِنَاعٍ مِنْ قَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ ، لِأَنَّهُ الْحَقُّ وَفِيهِ الْخَيْرُ .

- أَنْ يَتَّقَادُوا وَيُسَلِّمُوا لِذَلِكَ الْحُكْمِ ، مُوقِنِينَ بِصِدْقِ الرَّسُولِ فِي حُكْمِهِ ، وَبِعِصْمَتِهِ عَنِ الْخَطَأِ .<sup>٤٨٢</sup>  
وقوله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » . هو بيان للإيمان الذي يقبل من هؤلاء الضالين الذين يريدون العودة إلى الله ، فإنهم لا يحسبون في المؤمنين ، حتى يتركوا على حكم الله ، فيما يكون بينهم من خلاف ، فذلك هو الدستور الذي لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يستقيم عليه ، ويتقبل حكمه فيه ، بقلب مطمئن ، ونفس راضية ، ولو كان ذلك مخالفا لهواه ، مَفُوتًا لمصلحة خاصة له .. أما أن يأخذ من حكم الله ما يرضيه ، ويدع ما لا يستجيب لهواه ، ويلتقي مع رغباته ، فذلك هو النفاق مع الله ، ومع الرسول !

<sup>٤٨١</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٥٢ )

<sup>٤٨٢</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٥٥٨ )

إن الإيمان هو التسليم المطلق لأحكام الله ، والولاء المطلق لرسوله ، وما يقضى به .. وبغير هذا لا يكون إيمان ، ولا يعتدّ بدعوى من يدعيه!

وفي إضافة النبي الكريم إلى الله في قوله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ » تشریف للنبي ، واستدعاء له إلى الحضرة العلية ليشهد هذا القسم العظيم ، وليكون شاهدا على هؤلاء الضالين المنافقين .. و« لا » النافية في قوله تعالى : « فَلَا يُؤْمِنُونَ » هي تأكيد للنفي السابق للقسم في قوله سبحانه : « فَلَا وَرَبِّكَ » .. وقد فصل القسم بينهما.<sup>٤٨٣</sup>

ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده ﷺ .

إن الناس لا يؤمنون - ابتداء - إلا أن يتحاكموا إلى منهج الله مثلا - في حياة الرسول ﷺ - في أحكام الرسول. وباقيا بعده في مصدرية القرآن والسنة بالبداهة ولا يكفي أن يتحاكموا إليه - ليحسبوا مؤمنين - بل لا بد من أن يتلقوا حكمه مسلمين راضين

وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله - ﷺ - هو تحكيم شخصه. إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه. وإلا لم يبق لشرعية الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته - ﷺ - وذلك قول أشد المرتدين ارتدادا على عهد أبي بكر - رضي الله عنه - وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين : بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير. وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله ، في حكم الزكاة وعدم قبول حكم رسول الله فيها ، بعد الوفاة! وإذا كان يكفي لإثبات «الإسلام» أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله .. فإنه لا يكفي في «الإيمان» هذا ، ما لم يصحبه الرضى النفسي ، والقبول القلبي ، وإسلام القلب والجنان ، في اطمئنان!

هذا هو الإسلام .. وهذا هو الإيمان .. فلتنظر نفس أين هي من الإسلام وأين هي من الإيمان! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان!<sup>٤٨٤</sup>

فما يمكن أن يجتمع الإيمان ، وعدم تحكيم شريعة الله ، أو عدم الرضى بحكم هذه الشريعة. والذين يزعمون لأنفسهم أو لغيرهم أنهم «مؤمنون» ثم هم لا يحكمون شريعة الله في حياتهم ، أو لا يرضون حكمها إذا طبق عليهم .. إنما يدعون دعوى كاذبة وإنما يصطدمون بهذا النص القاطع : «وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ». فليس الأمر في هذا هو أمر عدم تحكيم شريعة الله من الأحكام فحسب بل إنه كذلك عدم الرضى بحكم الله من المحكومين ، يخرجهم من دائرة الإيمان ، مهما ادعوه باللسان.<sup>٤٨٥</sup>

ثامنا- وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة

<sup>٤٨٣</sup> - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - ( ٣ / ٨٢٧ )

<sup>٤٨٤</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - ( ٢ / ٦٨٧ )

<sup>٤٨٥</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - ( ٢ / ٨٩٥ )

فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه ، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرهما منه . قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (المائدة : ٣) .

إن المؤمن يقف أولا : أمام إكمال هذا الدين يستعرض موكب الإيمان ، وموكب الرسالات ، وموكب الرسل ، منذ فجر البشرية ، ومنذ أول رسول - آدم عليه السلام - إلى هذه الرسالة الأخيرة . رسالة النبي الأمي إلى البشر أجمعين .. فماذا يرى؟ .. يرى هذا الموكب المتطاوّل المتواصل . موكب الهدى والنور . ويرى معالم الطريق ، على طول الطريق . ولكنه يجد كل رسول - قبل خاتم النبيين - إنما أرسل لقومه . ويرى كل رسالة - قبل الرسالة الأخيرة - إنما جاءت لمرحلة من الزمان .. رسالة خاصة ، لمجموعة خاصة ، في بيئة خاصة .. ومن ثم كانت كل تلك الرسالات محكومة بظروفها هذه متكيفة بهذه الظروف .. كلها تدعو إلى إله واحد - فهذا هو التوحيد - وكلها تدعو إلى عبودية واحدة لهذا الإله الواحد - فهذا هو الدين - وكلها تدعو إلى التلقي عن هذا الإله الواحد والطاعة لهذا الإله الواحد - فهذا هو الإسلام - ولكن لكل منها شريعة للحياة الواقعية تناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان والظروف ..

حتى إذا أراد الله أن يختم رسالاته إلى البشر أرسل إلى الناس كافة ، رسولا خاتم النبيين برسالة «للإنسان» لا لمجموعة من الأناسي في بيئة خاصة ، في زمان خاص ، في ظروف خاصة .. رسالة تخاطب «الإنسان» من وراء الظروف والبيئات والأزمنة لأنها تخاطب فطرة الإنسان التي لا تبدل ولا تتحور ولا ينالها التغيير : «فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» ..

وفصل في هذه الرسالة شريعة تتناول حياة «الإنسان» من جميع أطرافها ، وفي كل جوانب نشاطها وتضع لها المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وتضع لها الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان .. وكذلك كانت هذه الشريعة بمبادئها الكلية وبأحكامها التفصيلية محتوية كل ما تحتاج إليه حياة «الإنسان» منذ تلك الرسالة إلى آخر الزمان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات ، لكي تستمر ، وتنمو ، وتتطور ، وتتجدد حول هذا المحور وداخل هذا الإطار .. وقال الله - سبحانه - للذين آمنوا : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» ..

فأعلن لهم إكمال العقيدة ، وإكمال الشريعة معا .. فهذا هو الدين .. ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين - بمعناه هذا - نقصا يستدعي الإكمال . ولا قصورا يستدعي الإضافة . ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير .. وإلا فما هو بمؤمن وما هو بمقر بصدق الله وما هو بمترضى ما ارتضاه الله للمؤمنين ! إن شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن ، هي شريعة كل زمان ، لأنها - بشهادة الله - شريعة الدين الذي جاء «للإنسان» في كل زمان وفي كل مكان لا لجماعة من بني الإنسان ، في جيل من الأجيال ، في مكان من الأمكنة ، كما كانت تحيى الرسل والرسالات .

الأحكام التفصيلية جاءت لتبقى كما هي. والمبادئ الكلية جاءت لتكون هي الإطار الذي تنمو في داخله الحياة البشرية إلى آخر الزمان دون أن تخرج عليه ، إلا أن تخرج من إطار الإيمان! واللّه الذي خلق «الإنسان» ويعلم من خلق هو الذي رضي له هذا الدين المحتوي على هذه الشريعة.

فلا يقول : إن شريعة الأمس ليست شريعة اليوم ، إلا رجل يزعم لنفسه أنه أعلم من اللّه بحاجات الإنسان وبأطوار الإنسان! ويقف المؤمن ثانيا : أمام إتمام نعمة اللّه على المؤمنين ، بإكمال هذا الدين وهي النعمة التامة الضخمة الهائلة.

النعمة التي تمثل مولد «الإنسان» في الحقيقة ، كما تمثل نشأته واكتماله. «فالإنسان» لا وجود له قبل أن يعرف إلهه كما يعرفه هذا الدين له. وقبل أن يعرف الوجود الذي يعيش فيه كما يعرفه له هذا الدين. وقبل أن يعرف نفسه ودوره في هذا الوجود وكرامته على ربه ، كما يعرف ذلك كله من دينه الذي رضي له ربه.

و«الإنسان» لا وجود له قبل أن يتحرر من عبادة العبيد بعبادة اللّه وحده وقبل أن ينال المساواة الحقيقية بأن تكون شريعته من صنع اللّه وبسلطانه لا من صنع أحد ولا بسلطانه.

إن معرفة «الإنسان» بهذه الحقائق الكبرى كما صورها هذا الدين هي بدء مولد «الإنسان» .. إنه بدون هذه المعرفة على هذا المستوي يمكن أن يكون «حيوانا» أو أن يكون «مشروع إنسان» في طريقه إلى التكوين! ولكنه لا يكون «الإنسان» في أكمل صورة للإنسان ، إلا بمعرفة هذه الحقائق الكبيرة كما صورها القرآن ..

والمسافة بعيدة بعيدة بين هذه الصورة ، وسائر الصور التي اصطنعها البشر في كل زمان! «١» وإن تحقيق هذه الصورة في الحياة الإنسانية ، هو الذي يحقق «للإنسان» «إنسانيته» كاملة .. يحققها له وهو يخرج بالتصور الاعتقادي ، في اللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، من دائرة الحس الحيواني الذي لا يدرك إلا المحسوسات ، إلى دائرة «التصور» الإنساني ، الذي يدرك المحسوسات وما وراء المحسوسات. عالم الشهادة وعالم الغيب .. عالم المادة وعالم ما وراء المادة .. وينقذه من ضيق الحس الحيواني المحدود!

ويحققها له وهو يخرج بتوحيد اللّه ، من العبودية للعباد إلى العبودية للّه وحده ، والتساوي والتحرر والاستعلاء أمام كل من عداه. فيلّى اللّه وحده يتجه بالعبادة ، ومن اللّه وحده يتلقى المنهج والشريعة والنظام ، وعلى اللّه وحده يتوكل ومنه وحده يخاف .. ويحققها له ، بالمنهج الرباني ، حين يرفع اهتماماته ويهذب نوازه ، ويجمع طاقته للخير والبناء والارتقاء ، والاستعلاء على نوازع الحيوان ، ولذا نذ البهيمة وانطلاق الأنعام!

ولا يدرك حقيقة نعمة اللّه في هذا الدين ، ولا يقدرها قدرها ، من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها - والجاهلية في كل زمان وفي كل مكان هي منهج الحياة الذي لم يشرعه اللّه - فهذا

الذي عرف الجاهلية وذاق ويلاتها .. ويلاتها في التصور والاعتقاد ، وويلاتها في واقع الحياة .. هو الذي يحس ويشعر ، ويرى ويعلم ، ويدرك ويتذوق حقيقة نعمة الله في هذا الدين .. الذي يعرف ويعاني ويلات الضلال والعمى ، وويلات الحيرة والتمزق ، وويلات الضياع والخواء ، في معتقدات الجاهلية وتصوراتها في كل زمان وفي كل مكان .. هو الذي يعرف ويتذوق نعمة الإيمان . والذي يعرف ويعاني ويلات الطغيان والهوى ، وويلات التخبط والاضطراب ، وويلات التفريط والإفراط في كل أنظمة الحياة الجاهلية ، هو الذي يعرف ويتذوق نعمة الحياة في ظل الإيمان بمنهج الإسلام.

ولقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة ، يعرفون ويدركون ويتذوقون هذه الكلمات. لأن مدلولاتها كانت متمثلة في حياتهم ، في ذات الجيل الذي خوطب بهذا القرآن .. كانوا قد ذاقوا الجاهلية .. ذاقوا تصوراتها الاعتقادية. وذاقوا أوضاعها الاجتماعية. وذاقوا أخلاقها الفردية والجماعية. وبلوا من هذا كله ما يدركون معه حقيقة نعمة الله عليهم بهذا الدين وحقيقة فضل الله عليهم ومنته بالإسلام.

كان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية وسارهم في الطريق الصاعد ، إلى القمة السامقة - كما فصلنا ذلك في مستهل سورة النساء - فإذا هم على القمة ينظرون من عل إلى سائر أمم الأرض من حولهم نظرهم إلى ماضيهم في جاهليتهم كذلك.

كان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية في التصورات الاعتقادية حول ربوبية الأصنام ، والملائكة ، والجن ، والكواكب ، والأسلاف وسائر هذه الأساطير الساذجة والخرافات السخيفة لينقلهم إلى أفق التوحيد. إلى أفق الإيمان بآله واحد ، قادر قاهر ، رحيم ودود ، سميع بصير ، عليم خبير. عادل كامل. قريب مجيب. لا واسطة بينه وبين أحد والكل له عباد ، والكل له عبيد .. ومن ثم حررهم من سلطان الكهانة ، ومن سلطان الرياسة ، يوم حررهم من سلطان الوهم والخرافة ..

وكان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية في الأوضاع الاجتماعية. من الفوارق الطبقيّة ومن العادات الزرية ومن الاستبداد الذي كان يزاوله كل من تهيأ له قدر من السلطان (لا كما هو سائد خطأ من أن الحياة العربية كانت تمثل الديمقراطية!).

وكان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية في التقاليد والعادات والأخلاق والصلات الاجتماعية .. كان قد التقطهم من سفح البنت الموعودة ، والمرأة المنكودة ، والخمر والقمار والعلاقات الجنسية الفوضوية ، والتبرج والاختلاط مع احتقار المرأة ومهانتها ، والثارات والغارات والنهب والسلب ، مع تفرق الكلمة وضعف الحيلة أمام أي هجوم خارجي جدي ، كالذي حدث في عام الفيل من هجوم الأحباش على الكعبة ، وتخاذل وخذلان القبائل كلها ، هذه القبائل التي كان بأسها بينها شديدا !»

وكان الإسلام قد أنشأ منهم أمة تطل من القمة السامقة على البشرية كلها في السفح ، في كل جانب من جوانب الحياة. في جيل واحد. عرف السفح و عرف القمة. عرف الجاهلية و عرف الإسلام. ومن ثم كانوا يتذوقون ويدركون معنى قول الله لهم :

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» ..

ويقف المؤمن ثالثا : أمام ارتضاء الله الإسلام دينا للذين آمنوا .. يقف أمام رعاية الله - سبحانه - وعنايته بهذه الأمة ، حتى ليختار لها دينها ويرتضيه .. وهو تعبير يشي بحب الله لهذه الأمة ورضاه عنها ، حتى ليختار لها منهج حياتها .. وإن هذه الكلمات الهائلة لتلقي على عاتق هذه الأمة عبئا ثقيلا ، يكافئ هذه الرعاية الجليلة .. أستغفر الله ..

فما يكافئ هذه الرعاية الجليلة من الملك الجليل شيء تملك هذه الأمة بكل أجيالها أن تقدمه .. وإنما هو جهد الطاقة في شكر النعمة ، ومعرفة المنعم .. وإنما هو إدراك الواجب ثم القيام بما يستطيع منه ، وطلب المغفرة والتجاوز عن التقصير والقصور فيه.

إن ارتضاء الله الإسلام دينا لهذه الأمة ، ليقضي منها ابتداء أن تدرك قيمة هذا الاختيار. ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين جهد ما في الطاقة من وسع واقتدار .. وإلا فما أنكد وما أحمق من يهمل - بله أن يرفض - ما رضى الله له ، ليختار لنفسه غير ما اختاره الله! .. وإنها - إذن - لجرمة نكدة لا تذهب بغير جزاء ، ولا يترك صاحبها يمضي ناجيا أبدا وقد رفض ما ارتضاه له الله .. ولقد يترك الله الذين لم يتخذوا الإسلام دينا لهم ، يرتكبون ما يرتكبون ويمهلهم إلى حين .. فأما الذين عرفوا هذا الدين ثم تركوه أو رفضوه ..

واتخذوا لأنفسهم مناهج في الحياة غير المنهج الذي ارتضاه لهم الله .. فلن يتركهم الله أبدا ولن يمهلهم أبدا ، حتى يذوقوا وبال أمرهم وهم مستحقون! <sup>٤٨٦</sup>

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَتَتَخَوَّفُهُ فَقَالَ « أَلْفَقَرٌ تَخَافُونَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَصَبَّنَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِزَاعَةً إِلَّا هِيَ وَائِمُّ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ ». قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ صَدَقَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - تَرَكْنَا وَاللَّهِ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ. <sup>٤٨٧</sup>

وقد شهد للنبي ﷺ بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم فعن جابر بن عبد الله ... أن رسول الله ﷺ قال « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رِبْعَةَ

<sup>٤٨٦</sup> - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - ( ٢ / ٨٤٢ )

<sup>٤٨٧</sup> - سنن ابن ماجه - المكثر - ( ٥ ) وصحيح الجامع ( ٩ ) صحيح لغيره

بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هَذِيلُ وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبًّا أَضَعُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَأَتَقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلَنْ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُمْ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ». قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدْ لِلَّهِمَّ اشْهَدْ».

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>٤٨٨</sup>

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ: ﷺ: مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرَّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعَدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ.<sup>٤٨٩</sup>

تاسعاً - إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير .

فهو عبد الله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام الحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} ٥٠ سورة الأنعام

وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} ٢١ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢ {سورة الجن

وقد مات ﷺ كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيام {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} ٣٠ سورة الزمر

وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ} ٣٤ سورة الأنبياء، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} سورة الأنعام، الآية: ١٦٢، ..١٦٣

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ فَصَلَّى الْعَدَاةَ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الضُّحَى ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الْأُولَى، وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا شَأْنُهُ؟ صَعَعَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ

<sup>٤٨٨</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٣٠٠٩)

<sup>٤٨٩</sup> - المعجم الكبير للطبراني - (٢ / ٢١١) (١٦٢٤) صحيح

أَمَرَ الدُّنْيَا وَأَمَرَ الْآخِرَةَ ، فَجُمِعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَفَطَعَ النَّاسُ لِذَلِكَ حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ وَالْعَرَقُ كَادَ يُلْجِمُهُمْ ، فَقَالُوا : يَا آدَمُ ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، قَالَ : قَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُمْ ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ إِلَى نُوحٍ : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [سورة آل آية ٣٣] ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ ، فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ ، وَاسْتَجَابَ لَكَ فِي دُعَائِكَ ، وَلَمْ يَدْعَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا ، فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى ، فَإِنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا ، فَيَقُولُ مُوسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى ، فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى ، فَيَقُولُ عِيسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَلْيَشْفَعْ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ ، فَآتَى جِبْرِيلَ ، فَيَأْتِي جِبْرِيلُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ ، فَيَخْرُ سَاجِدًا قَدَرُ جُمُعَةٍ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، قَالَ : فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ خَرَّ سَاجِدًا قَدَرُ جُمُعَةٍ أُخْرَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، قَالَ : فَيَذْهَبُ لِيَقْعَ سَاجِدًا ، قَالَ : فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ بِضَبْعَيْهِ ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، جَعَلْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ لَأَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ ، وَأَيْلَةَ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الصَّادِقِينَ فَيَشْفَعُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ ، قَالَ : فَيَجِيءُ النَّبِيُّ مَعَهُ الْعَصَابَةُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ وَالسَّتَّةُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الشُّهَدَاءَ ، قَالَ : فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا ، فَإِذَا فَعَلَتِ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ : أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، ادْخُلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، قَالَ : فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا فِي النَّارِ هَلْ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ ، قَالَ : فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ ، فَيَقُولُ : أَسْمَحُوا لِعَبْدِي كَمَا سَمَحَ إِلَيَّ عَبْدِي ، ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا آخَرَ ، فَيَقُولُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ ، فَيَقُولُ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَمَرْتُ وَلَدِي إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ ، ثُمَّ أَطْحَنُونِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الْكُحْلِ ، فَادْهَبُوا إِلَى الْبَحْرِ فَذَرُونِي فِي الرِّيحِ ، قَالَ : فَقَالَ اللَّهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ مَخَافَتِكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : انْظُرْ إِلَى مُلْكٍ أَعْظَمَ مَلِكٍ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : لِمَ تَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ فَذَلِكَ الَّذِي ضَحِكْتُ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى . ٤٩٠

عاشرا- محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاهم جميعاً والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء.<sup>٤٩١</sup>

فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم . فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (الحشر : ١٠) . وقال تعالى في حق قرابة رسوله ﷺ وأهل بيته : { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } (الشورى : ٢٣) . جاء في تفسير الآية : " قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتمكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي "<sup>٤٩١</sup> .

وعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَوَعِظَ وَذَكَرَ ثُمَّ قَالَ « أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالتُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ » . فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ « وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ».<sup>٤٩٢</sup>

فأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحققهم ، لقربهم منه وشرفهم . كما أوصى النبي ﷺ بأصحابه خيراً ونهى عن سبهم وتنقصهم فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ »<sup>٤٩٣</sup> .

وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله ﷺ وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال ، قال أبو زُرْعَةَ : " إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَالْجَرِّحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ "<sup>٤٩٤</sup>

<sup>٤٩١</sup> - تفسير الطبري - ( ٢١ / ٥٢٧ )

<sup>٤٩٢</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٦٣٧٨ )

<sup>٤٩٣</sup> - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٦٧٣ ) -التصنيف : النصف

<sup>٤٩٤</sup> - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ( ١٠٤ )

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمِمْوْنِيُّ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ : مَا لَهُمْ وَلَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ  
الْعَافِيَةَ ، وَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْحَسَنِ إِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُوءٍ فَاتَّهِمَهُ عَلَى  
الْإِسْلَامِ ٤٩٥

=====

## المبحث العاشر رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ

ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّعْبِيرِ مِنْ صَحِيحِهِ بَابًا بِعُنْوَانٍ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَذَكَرَ فِيهِ خَمْسَةَ أَحَادِيثَ مِنْهَا : مَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ : « مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْبَقِظَةِ ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي » ٤٩٦ ..

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ رُؤْيَيْهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ، وَالنَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ أَقْوَالَ مُخْتَلِفَةً فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْبَقِظَةِ .

وَالصَّحِيحُ مِنْهَا أَنَّ مَقْصُودَهُ أَنَّ رُؤْيَيْهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ لَيْسَتْ بَاطِلَةً وَلَا أَضْعَافًا ، بَلْ هِيَ حَقٌّ فِي نَفْسِهَا ، وَلَوْ رُئِيَ عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ ﷺ فَتَصَوُّرُ تِلْكَ الصُّورَةِ لَيْسَ مِنَ الشَّيْطَانِ بَلْ هُوَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ ، وَقَالَ : وَهَذَا قَوْلُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الطَّيِّبِ وَغَيْرِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ : « مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ » ٤٩٧ . أَيُّ رَأَى الْحَقَّ الَّذِي قَصَدَ إِعْلَامَ الرَّائِي بِهِ ، فَإِنْ كَانَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا وَإِلَّا سَعَى فِي تَأْوِيلِهَا وَلَا يُهْمَلُ أَمْرُهَا ، لِأَنَّهَا إِمَّا بُشِّرَى بِخَيْرٍ ، أَوْ إِذَارَ مِنْ شَرٍّ إِمَّا لِيُخَفِّفَ الرَّائِي ، إِمَّا لِيَنْزَجِرَ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِيُنَبِّهَ عَلَى حُكْمٍ يَقَعُ لَهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ ٤٩٨ .

وَذَكَرَ الْفَرَاغِيُّ فِي الْفُرُوقِ أَنَّ رُؤْيَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا تَصِحُّ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : أَحَدُهُمَا : صَحَابِيُّ رَأَاهُ فَعَلِمَ صِفَتَهُ فَانْطَبَعَ فِي نَفْسِهِ مِثَالُهُ فَإِذَا رَأَاهُ جَزَمَ بِأَنَّهُ رَأَى مِثَالَهُ الْمَعْصُومَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَيَنْتَفِي عَنْهُ اللَّبْسُ وَالشَّكُّ فِي رُؤْيَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَتَانِيَهُمَا : رَجُلٌ تَكَرَّرَ عَلَيْهِ سَمَاعُ صِفَاتِهِ الْمُنْقُولَةِ فِي الْكُتُبِ حَتَّى انْطَبَعَتْ فِي نَفْسِهِ صِفَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَمِثَالُهُ الْمَعْصُومُ ، كَمَا حَصَلَ ذَلِكَ لِمَنْ رَأَاهُ ، فَإِذَا رَأَاهُ جَزَمَ بِأَنَّهُ رَأَى مِثَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا يَجْزِمُ بِهِ مَنْ رَأَاهُ ، فَيَنْتَفِي عَنْهُ اللَّبْسُ وَالشَّكُّ فِي رُؤْيَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذَيْنِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْحَزْمُ بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِثَالِهِ ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَخْيِيلِ الشَّيْطَانِ ، وَلَا يُفِيدُ قَوْلَ الْمُرِّيِّ لِمَنْ رَأَاهُ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَا قَوْلَ مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَكْذِبُ لِنَفْسِهِ وَيَكْذِبُ لِغَيْرِهِ ، فَلَا يَحْصُلُ الْجَزْمُ ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ صَرِيحًا فِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رُؤْيِيهِ مِثَالِهِ الْمَخْصُوصِ لَا يُنَافِي مَا تَقَرَّرَ فِي التَّعْبِيرِ أَنَّ الرَّائِي يَرَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَيْخًا وَشَابًّا وَأَسْوَدَ ، وَذَاهِبَ الْعَيْنَيْنِ ، وَذَاهِبَ الْيَدَيْنِ ، وَعَلَى أَنْوَاعٍ شَتَّى مِنَ الْمُثُلِ الَّتِي لَيْسَتْ مِثَالُهُ عَلَيْهِ

٤٩٦ - صحيح البخارى (٦٩٩٣) ومسلم (٦٠٥٧)

٤٩٧ - صحيح البخارى (٦٩٩٦) ومسلم (٦٠٥٨)

٤٩٨ - فتح الباري (١٢ / ٣٨٤ - ٣٨٥ ط الرياض)

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ صِفَاتُ الرَّائِينَ وَأَحْوَالُهُمْ تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ كَالْمِرَآةِ لَهُمْ <sup>٤٩٩</sup> .

تَرْتَّبُ الْحُكْمُ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ فِعْلِهِ فِي الرُّؤْيَا <sup>٥٠٠</sup>:

مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ يَقُولُ قَوْلًا أَوْ يَفْعَلُ فِعْلًا فَهَلْ يَكُونُ قَوْلُهُ هَذَا أَوْ فِعْلُهُ حُجَّةً يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْحُكْمُ أَوْ لَا ؟ .

ذَكَرَ الشُّوْكَانِيُّ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ :

الأَوَّلُ : أَنَّهُ يَكُونُ حُجَّةً وَيُلْزَمُ الْعَمَلُ بِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهَا الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ حَقٌّ وَالشَّيْطَانُ لَا يَتِمَثَّلُ بِهِ .

الثَّانِي : أَنَّهُ لَا يَكُونُ حُجَّةً وَلَا يُثَبِّتُ بِهِ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَإِنْ كَانَتْ رُؤْيَا حَقٌّ وَأَنَّ الشَّيْطَانُ لَا يَتِمَثَّلُ بِهِ لَكِنْ النَّائِمُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ التَّحَمُّلِ لِلرُّوَايَةِ لِعَدَمِ حِفْظِهِ .

الثَّالِثُ : أَنَّهُ يُعْمَلُ بِذَلِكَ مَا لَمْ يُخَالِفْ شَرْعًا ثَابِتًا .

قَالَ الشُّوْكَانِيُّ : وَلَا يَخْفَاكَ أَنَّ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا ﷺ قَدْ كَمَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (سورة المائدة ٣).

<sup>٤٩٩</sup> - الفروق ( ٤ / ٢٤٥ ط الأولى ) و تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية - ( ج ٤ / ص ٤٦٢ ) وأنوار البيروق في

أنواع الفروق - ( ج ٨ / ص ٣٩٠ - ٣٩٢ )

<sup>٥٠٠</sup> - وفي البحر المحيط - ( ج ٧ / ص ٣٨٩ )

رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّوْمِ ، عَلَى وَجْهِ حِكَاةِ الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ ، يَكُونُ حُجَّةً وَيُلْزَمُ الْعَمَلُ بِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ فِيهِ مَزِيدُ بَيَانٍ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَنَامَ لَا يُثَبِّتُ حُكْمًا شَرْعِيًّا وَلَا بَيِّنَةً ، وَإِنْ كَانَتْ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا ، وَالشَّيْطَانُ لَا يَتِمَثَّلُ بِهِ ، وَلَكِنْ النَّائِمُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ التَّحَمُّلِ وَالرُّوَايَةِ لِعَدَمِ تَحْفَظِهِ وَأَمَّا الْمَنَامُ الَّذِي رُويَ فِي الْأَذَانِ ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَمَلِ بِهِ ، فَلَيْسَ الْحُجَّةُ فِيهِ الْمَنَامُ ، بَلْ الْحُجَّةُ فِيهِ أَمْرُهُ بِذَلِكَ فِي مَدَارِكِ الْعِلْمِ .

وفي إرشاد الفحول - ( ج ٢ / ص ٢٠٢ )

"الفائدة" السابعة: في رؤيا النبي ﷺ

ذكر جماعة من أهل العلم منهم الأستاذ أبو إسحاق: أنه يكون حجة ويلزم العمل به.

وقيل: لا يكون حجة، لا يثبت به حكم شرعي، وإن كانت رؤية النبي ﷺ حق، والشيطان لا يتمثل به لكن النائم ليس من أهل التحمل للرواية، لعدم حفظه.

وقيل: إنه يعمل به، ما لم يخالف شرعا ثابتا.

ولا يخفك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا ﷺ قد كمله الله عز وجل، وقال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } ( الآية ٣ من سورة المائدة)، ولم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ ، إذا قال فيها بقول، أو فعل فيها فعلا يكون دليلا وحجة، بل قد قبضه الله إليه بعد أن كمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه، ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها، وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع، وتبيينها بالموت، وإن كان رسولا حيا وميتا، وهذا تعلم أن لو قدرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ﷺ وفعله حجة عليه، ولا على غيره من الأمة.

وَلَمْ يَأْتِنَا دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رُؤْيَيْهِ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ إِذَا قَالَ فِيهَا بِقَوْلٍ ، أَوْ فَعَلَ فِيهَا فِعْلًا يَكُونُ دَلِيلًا وَحُجَّةً ، بَلْ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَمَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَا شَرَعَهُ لَهَا عَلَى لِسَانِهِ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ حَاجَةٌ لِلْأُمَّةِ فِي أَمْرِ دِينِهَا ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْبُعْثَةُ لِتَلْيِغِ الشَّرَائِعِ وَتَبْيِينِهَا بِالْمَوْتِ وَإِنْ كَانَ رَسُولًا حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَبِهَذَا نَعْلَمُ أَنَّا لَوْ قَدَرْنَا ضَبْطَ النَّائِمِ لَمْ يَكُنْ مَا رَأَاهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ أَوْ فِعْلِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ وَلَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَّةِ ٥٠١ .

وَذَكَرَ صَاحِبُ تَهْذِيبِ الْفُرُوقِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ صِحَّةِ الرُّؤْيَا التَّعْوِيلُ عَلَيْهَا فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ لِاحْتِمَالِ الْخَطَأِ فِي التَّحْمُلِ وَعَدَمِ ضَبْطِ الرَّائِي ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا يَثْبُتُ فِي الْيَقَظَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى مَا ثَبَتَ بِالنَّوْمِ عِنْدَ التَّعَارُضِ ، قَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لِرَجُلٍ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ يَقُولُ لَهُ إِنَّ فِي الْمَحَلِّ الْفُلَانِيَّ رِكَازًا أَذْهَبَ فَخُذْهُ وَلَا خُمْسَ عَلَيْكَ فَذَهَبَ وَوَجَدَهُ وَاسْتَفْتَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الْعُلَمَاءَ ، فَقَالَ لَهُ الْعِزُّ : أَخْرِجِ الْخُمْسَ فَإِنَّهُ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ ، وَقُصَارَى رُؤْيَيْكَ الْآحَادُ ، فَلِذَلِكَ لَمَّا اضْطَرَبَتْ آرَاءُ الْفُقَهَاءِ بِالتَّحْرِيمِ وَعَدَمِهِ فِيمَنْ رَأَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمْرًا تَكُ طَالِقٌ ثَلَاثًا وَهُوَ يَحْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يُطْلَقْهَا لِتَعَارُضِ خَبَرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَحْرِيمِهَا فِي النَّوْمِ ، وَإِخْبَارِهِ فِي الْيَقَظَةِ فِي شَرِيعَتِهِ الْمُعْظَمَةِ أَنَّهَا مُبَاحَةٌ لَهُ ، اسْتَظْهَرَ الْأَصْلُ أَنَّ إِخْبَارَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَقَظَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْخَبَرِ فِي النَّوْمِ لِتَطَرُّقِ الْإِحْتِمَالِ لِلرَّائِي بِالْعَلَطِ فِي ضَبْطِهِ الْمِثَالِ قَالَ : فَإِذَا عَرَضْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا احْتِمَالَ طُرُوءِ الطَّلَاقِ مَعَ الْجَهْلِ بِهِ وَاحْتِمَالَ طُرُوءِ الْعَلَطِ فِي الْمِثَالِ فِي النَّوْمِ وَجَدْنَا الْعَلَطَ فِي الْمِثَالِ أَيْسَرَ وَأَرْجَحَ ، أَمَّا ضَبْطُ عَدَمِ الطَّلَاقِ فَلَا يَخْتَلِ إِلَّا عَلَى النَّادِرِ مِنَ النَّاسِ ، وَالْعَمَلُ بِالرَّاجِحِ مُتَعَيِّنٌ ، وَكَذَلِكَ لَوْ قَالَ عَنْ حَلَالٍ إِنَّهُ حَرَامٌ ، أَوْ عَنْ حَرَامٍ إِنَّهُ حَلَالٌ ، أَوْ عَنْ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ قَدَمْنَا مَا ثَبَتَ فِي الْيَقَظَةِ عَلَى مَا رَأَى فِي النَّوْمِ ، كَمَا لَوْ تَعَارَضَ خَبَرَانِ مِنْ أَخْبَارِ الْيَقَظَةِ صَحِيحَانِ فَإِنَّا نُقَدِّمُ الْأَرْجَحَ بِالسَّنَدِ ، أَوْ بِاللَّفْظِ ، أَوْ بِفَصَاحَتِهِ ، أَوْ قِلَّةِ الْإِحْتِمَالِ فِي الْمَجَازِ أَوْ غَيْرِهِ ، فَكَذَلِكَ خَبَرُ الْيَقَظَةِ وَخَبَرُ النَّوْمِ يَخْرُجَانِ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ٥٠٢ .

=====

٥٠١ - إرشاد الفحول / ٢٤٩ ط . الحلبي .

٥٠٢ - تهذيب الفروق ( ٤ / ٢٧٠ - ٢٧١ ط - الأولى ) و أنوار البروق في أنواع الفروق - ( ج ٨ / ص ٣٩٤ - ٣٩٦ )

## المبحث الحادي عشر ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عن خصائص النبي ﷺ وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو من جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرتها تقريرها عليهم . فمن ثمار هذه العقيدة :

١ - استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حياة الأمة، ولذا امتنَّ الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (المائدة : ٣) .

وقد كان نزول هذه الآية على النبي ﷺ في حجة الوداع قبل وفاته بأشهر بعد أن أكمل الله له التشريع . عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةُ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ : وَأَيُّ آيَةٍ قَالَ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ .<sup>٥٠٣</sup>

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ عَلَيْنَا أُنْزِلَتْ: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } [المائدة: ٣] الْآيَةَ، لَاتَّخَذْنَاهُ عِيدًا . فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ، نَزَلَتْ بِعَرَفَةَ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ " <sup>٥٠٤</sup>

وقد أبرز النبي ﷺ الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسائل قبله بقصر أكمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة ، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بها البناء ، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصة ولا الرسائل عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه . وقد تقدم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فليراجع في موضعه .

٢ - ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشرعية محمد ﷺ ببعثته نبيا آخر " ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته ، وأما نزول عيسى عليه

<sup>٥٠٣</sup> - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - ( ٣ / ١٨١ ) ( ٥٨٣٠ ) وصحيح البخاري - المكثر - ( ٤٦٠٦ ) وصحيح مسلم - المكثر -

( ٧٧١٢ ) واللفظ للبيهقي

<sup>٥٠٤</sup> - أخبار مكة للفاكهي - ( ٥ / ٢٢ ) ( ٢٧٥٢ ) صحيح

السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك ، على أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولاً وفروعاً " ٥٠٥ .

**٣ - القطع بتكذيب كل مدع للنبوّة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل ، وهذا من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوّة التي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوّة من الدجالين الكذابين ، ولهذا كان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوّة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلهم يدعي النبوّة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيراً للأمة من تصديقهم واتباعهم .** كما جاء عَنْ ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةِ عَامَةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، فَإِنَّ رَبِّي ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ ، وَإِنِّي أُعْطِيكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةِ عَامَةٍ ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ، أَوْ قَالَ : مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضْلِينَ ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذُلُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ..** ٥٠٦

**٤ - ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء .** فعَنْ فُرَاتِ الْقَزَّازِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ قَالَ قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ . قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بَبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ » ٥٠٧ ..

فكان مقام الخلفاء في الأمة مقام الأنبياء في بني إسرائيل في سياسة الناس وقيادتهم . وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ اللَّهَ يَنْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا » ٥٠٨ .

٥٠٥ - أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - ( ١ / ٢٤٩ )

٥٠٦ - صحيح ابن حبان - ( ١٦ / ٢٢٠ ) ( ٧٢٣٨ ) صحيح

٥٠٧ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٤٥٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٤٨٧٩ )

٥٠٨ - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٢٩٣ ) صحيح

وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع ، ولا يزال الله تعالى يجدد لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها على مرّ العصور والدهور بالأئمة المحددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فدينُ الله بهم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمن الرسالة . وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة .

وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه ، إلى أن يأتي أمر الله .

=====

## المبحث الثاني عشر الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته

### تعريف الإسراء لغة وشرعا :

الإسراء في اللغة : من السرى وهو : سير الليل أو عامته . وقيل : سير الليل كله .  
ويقال : سريت ، وأسريت . ومنه قول حسان :

أسرت إليك ولم تكن تسري ...

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به : الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته .

### حقيقة الإسراء وأدلته :

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا على البراق بصحبة جبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس ، فربط البراق بحلقة باب المسجد ، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماما ، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل : هديت للفقرة . وقد دلّ على الإسراء الكتاب والسنة .

قال تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (الإسراء : ١) .

يُمَجِّدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ ، وَيُنْزِلُهَا عَنْ شِرْكٍ مَنْ أَشْرَكَ ، وَيُعْظِمُ شَأْنَهُ لِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، فَقَدْ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ ( الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) ، إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ( الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ) ، وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي بَارَكَ اللَّهُ مَا حَوْلَهُ ، مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ وَنَبَاتٍ . . لِيُرِيَ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا ، مِنْ آيَاتِهِ الْعِظَامِ ، مَا فِيهِ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَعَظِيمُ قُدْرَتِهِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ ، الْبَصِيرُ بِأَحْوَالِهِمْ .

وَمَنْ آمَنَ بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى الَّتِي لَا حُدُودَ لَهَا ، لَا يَسْتَعْظِمُ أَنْ يُسْرِيَ اللَّهُ بِرَسُولِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِجَسَدِهِ ، لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ بِالنَّبِيِّ بِجَسَدِهِ هُوَ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي مِثْلِ السُّهُولَةِ الَّتِي يُسْرَى بِهِ بِرُوحِهِ ، وَلِذَلِكَ فَلَا يَسْتَعْرِبُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَقُوعَ هَذَا الْحَادِثِ ) .

وَقَدْ جَاءَ فِي كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نُبُوءَاتَانِ لِنَبِيِّنِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ تُشِيرُ أُولَاهُمَا إِلَى أَنَّ سَيِّدَ الرُّسُلِ أَوْ رَسُولَ اللَّهِ سَيُزُورُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجَاءَ . وَتَقُولُ الْأُخْرَى إِنَّهُ سَيُعْرَجُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيُمَثَلَ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ

الْعَظِيمِ لِيَمْنَحَهُ الْمَجْدَ وَالسُّلْطَانَ لِإِبَادَةِ الشَّرِّكَ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ هَذَا الشَّرْفَ الْعَظِيمَ ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالنَّبِوَتَيْنِ . ٥٠٩

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال « أُتِيتُ بِالْبَرَّاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ - قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرَبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمَرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ - ﷺ - اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ .

قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ - ﷺ - إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ .

قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ .

قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ - ﷺ - فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى - ﷺ - فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ

لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَافِ - قَالَ - فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَتَزَلْتُ إِلَى مُوسَى - ﷺ - فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمِّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً . قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ

لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبَّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ - قَالَ - فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى - ﷺ - فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ <sup>٥١٠</sup>.

وعروجه إلى السماء . وقد دلَّ على الإسراء برسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها ما جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ﷺ ، جمعٌ من الصحابة نحو الثلاثين رجلاً ثم تناقلها عنهم ما لا يحصي عددهم إلا الله من رواة السنة وأئمة الدين .

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفاً وخلفاً وانعقد إجماعهم على صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق . نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض في (الشفاء) والسفاري في (لوامع الأنوار) .

والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده ، يقظة لا مناماً . فهذا هو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والحقائق من أهل العلم .

قال ابن أبي العز الحنفي : (وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: أَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ فِي الْيَقْظَةِ، عَلَى الصَّحِيحِ، مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) <sup>٥١١</sup> . وقال القاضي عياض مقررًا أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم : (وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ ، وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءُ بِالْجَسَدِ ، وَفِي الْيَقْظَةِ ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَجَابِرٍ ، وَأَنْسٍ ، وَخُذَيْفَةَ ، وَعُمَرَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَأَبِي حَبَّةَ الْبَدْرِيِّ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَالضَّحَّاكِ ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَقَتَادَةَ ، وَابْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَابْنِ شِهَابٍ ، وَابْنِ زَيْدٍ ، وَالْحَسَنَ ، وَإِبْرَاهِيمَ ، وَمَسْرُوقٍ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَعَكْرَمَةَ ، وَابْنِ جُرَيْجٍ ، وَهُوَ دَلِيلُ قَوْلِ عَائِشَةَ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، وَالْمُحَدِّثِينَ ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، وَالْمُفَسِّرِينَ ) <sup>٥١٢</sup> .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : " وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَيْمَةُ النَّقْلِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً بِمَكَّةَ بَعْدَ الْبُعْثَةِ . وَيَا عَجَبًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ مِرَارًا كَيْفَ سَاغَ لَهُمْ أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تُفَرِّضُ

<sup>٥١٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٤٢٩ )

<sup>٥١١</sup> - أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - ( ١ / ٢٥٦ ) وشرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية - ( ١ / ١٩٧ ) وشرح

الطحاوية - ط دار السلام - ( ١ / ٢٢٤ )

<sup>٥١٢</sup> - الشفا بتعريف حقوق المصطفى [ ص: ٢٣١ ]

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ ثُمَّ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ رَبِّهِ وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى تَصِيرَ خَمْسًا ثُمَّ يَقُولُ " أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي " ثُمَّ يُعِيدُهَا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَى خَمْسِينَ ثُمَّ يَحْطُهَا عَشْرًا عَشْرًا .. " ٥١٣

### المعراج وحقيقته :

الحديثُ عن المعراج هو قرينُ الحديث عن الإسراء في النصوص وكلام أهل العلم ولذا كان من المناسب التعريف به تكميلاً للفائدة .

والمعراج : مفعال من العروج . أي الآلة التي يعرج فيها ، أي يصعد . وهو منزلة السلم لكن لا نعلم كيفيته . والمقصودُ بالمعراج عند الإطلاق في الشرع : هو صعود النبي ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السماوات على منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به ، ثم صعوده إلى سدرة المنتهى ، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها ، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نزوله إلى الأرض . وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح .

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج . أما الكتاب فقد جاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ﷺ ليلة المعراج كقوله تعالى : { وَالتَّجَمُّ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) [النجم : ١ - ١٨] .

أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد ﷺ عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، وليس نطقه صادراً عن هوى نفسه. ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد ﷺ .

علم محمداً ﷺ ملك شديد القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسول ﷺ في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا جبريل من الرسول ﷺ ، فزاد في القرب، فكان دنوه مقدار قوسين أو أقرب من ذلك. فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام. ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره .

٥١٣ - شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية - ( ١ / ١٩٦ ) وشرح الطحاوية - ط دار السلام - ( ١ / ٢٢٤ ) وزاد المعاد في هدي خير العباد - ( ٣ / ٤٢ )

أَتَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟ ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى - شجرة نَبَق - وهي في السماء السابعة، ينتهي إليها ما يُعْرَج به من الأرض، وينتهي إليها ما يُهْبَط به من فوقها، عندها جنة المأوى التي وُعد بها المتقون. إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. وكان النبي ﷺ على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يمينًا ولا شمالًا ولا جاوز ما أُمِر برؤيته. لقد رأى محمد ﷺ ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك.<sup>٥١٤</sup>

فذكر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ﷺ ليلة المعراج كرويته جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى ، ورؤيته سدرة المنتهى وقد غشاها ما غشاها من أمر الله . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُخْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيَقْبَضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا ، فَيَقْبَضُ مِنْهَا { إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى } ، قَالَ : فَرَأَشُ بِهِ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : فَأُعْطِيَ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ الْمُتَحِمَاتِ.<sup>٥١٥</sup>

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلاً في أكثر من حديث فعَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رضى الله عنهما - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ « بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدْ - قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهِ قَالَ مِنْ ثُعْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا ، فَعُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ، ثُمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ » . - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ هُوَ الْبَرَّاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ قَالَ أُنْسُ نَعَمْ ، يَضَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ - « فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَأَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ، فَقَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْإِنِّ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ . فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ، ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ . فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ . قَالَ هَذَا يُوسُفُ

<sup>٥١٤</sup> - التفسير الميسر - (٩ / ٣٥٠)

<sup>٥١٥</sup> - مصنف ابن أبي شيبة - (١١ / ٤٦٠) (٣٢٣٥٥) صحيح

۳.۴

فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمَّتِكَ . قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمَ - قَالَ - فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي « ٥١٦ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « أُتِيتُ بِالْبِرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ - قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ - ﷺ - اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ .

قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ - ﷺ - إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ .

قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ .

قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ - ﷺ - فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى - ﷺ - فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - . قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ

لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَافِ - قَالَ - فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَتَزَلْتُ إِلَى مُوسَى - ﷺ - فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أَمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً . قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أَمَّتَكَ

لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبَّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ - قَالَ - فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى - ﷺ - فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ <sup>٥١٧</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ - ﷺ - فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيَخَازِنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا افْتَحْ. قَالَ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ قَالَ نَعَمْ مَعِيَ مُحَمَّدٌ - ﷺ -. قَالَ فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ فَفَتَحَ - قَالَ - فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ - قَالَ - فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى - قَالَ - فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ - قَالَ - قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا آدَمُ - ﷺ - وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى - قَالَ - ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ . فَقَالَ لِيَخَازِنَهَا افْتَحْ - قَالَ - فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَفَتَحَ ». فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَلَمْ يُثَبِّتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. قَالَ « فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِإِدْرِيسَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - قَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ - ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ - قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - قَالَ - ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ - قَالَ - قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ ». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «

ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ «. قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً - قَالَ - فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمَرَ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ - قَالَ - قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَاغِ رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ - قَالَ - فَرَاغْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ رَاغِ رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ - قَالَ - فَرَاغْتُ رَبِّي فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاغِ رَبِّكَ. فَقُلْتُ قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي - قَالَ - ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ - قَالَ - ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَنَابِدُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا ثَرَابُهَا الْمِسْكُ «.<sup>٥١٨</sup>

وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ - لَعَلَّهُ قَالَ - عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ. فَأَتَيْتُ فَأَنْطَلِقَ بِي فَأَتَيْتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا ». قَالَ قَتَادَةُ فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ مَا يَعْنِي قَالَ إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ « فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي فَعُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حُشِيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ الْبَرَّاقُ فَوَقَّ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُعْلِ يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - ﷺ - فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ -. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ - قَالَ - فَفَتَحَ لَنَا وَقَالَ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ - قَالَ - فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ - ﷺ - «. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى وَيَحْيَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَفِي الثَّلَاثَةِ يُوسُفَ وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ - قَالَ « ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى فَنُودِيَ مَا يُبْكِيكَ قَالَ رَبِّ هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتُهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي. - قَالَ - ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ «. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ « فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ قَالَ أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورُ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا حَمْرٌ وَالْآخَرُ لَبَنٌ فَعَرِضَا عَلَى

<sup>٥١٨</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٤٣٣)

الجنابذ : جمع الجنبذة وهي القبة = الأسود : جمع سواد وهو الشخص = الصريف : صوت جريائها بما تكتبه من أفضية الله تعالى ووحيه = ظهرت : علوت = النسم : جمع نسمة وهي النفس والروح

فَاخْتَرْتُ اللَّبْنَ فَقِيلَ أَصَبْتَ أَصَابَ اللَّهُ بِكَ أُمْتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً. ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ. ٥١٩

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَمٍّ نَبِيِّكُمْ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرَى بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، سَبَطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ . » وَالِدَّجَالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ . قَالَ أَنَسُ وَأَبُو بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - « تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ الْمَدِينَةَ مِنَ الدَّجَالِ » ٥٢٠ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ « رَأَيْتُ مُوسَى وَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبُ رَجُلٍ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رُبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ - ﷺ - بِهِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ ، فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقَالَ اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتَ . فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَشَرِبْتُهِ فَقِيلَ أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمْتُكَ » ٥٢١ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قَالَ هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ ، أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ . قَالَ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ قَالَ هِيَ شَجَرَةُ الزُّقُومِ . ٥٢٢

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ بِإِيلَاءٍ بَقْدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبْنَ قَالَ جَبْرِيلُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَاكَ لِلْفِطْرَةِ ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمْتُكَ . ٥٢٣

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « عُرِضَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ إِذَا مُوسَى ضَرْبُ مَنْ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً بَنُ مَسْعُودٍ وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - وَرَأَيْتُ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةً . » ٥٢٤

٥١٩ - صحيح مسلم- المكثر - ( ٤٣٤ )

٥٢٠ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٢٣٩ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٤٣٧ )

-الآدم : أسمر اللون =جعد : منقبض الشعر غير منبسطه =المربوع : بين الطويل والقصير =السيط : مسترسل الشعر

٥٢١ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٣٩٤ ) وصحيح مسلم- المكثر - ( ٤٤٢ ) الديماس : الحمام =الربعة : الرجل بين الطويل

والقصير

٥٢٢ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٣٨٨٨ )

٥٢٣ - صحيح البخارى- المكثر - ( ٤٧٠٩ )

٥٢٤ - صحيح مسلم- المكثر - ( ٤٤١ ) -الضرب : الخفيف اللحم المشقوق المستدق

وَعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : أَتَى بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا لِيَرْكَبَهُ ، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَرْفُضُ عَرَفًا.<sup>٥٢٥</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي ، انْتَهَيْتُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَخَرَقَ جَبْرِيلُ الصَّخْرَةَ بِإِصْبَعِهِ وَشَدَّ بِهَا الْبُرَاقَ.<sup>٥٢٦</sup>

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَرَرْتُ بِمُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ.<sup>٥٢٧</sup>

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ ، رَبُّمَا يَعْدُ الشَّيْءَ لَوْفَتٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ يَقْضِي كَوْنَهُ بَعْضُ ذَلِكَ الشَّيْءِ قَبْلَ مَجِيءِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، كَوَعْدِهِ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَعْلِهِ مُحْدُوْدًا ، ثُمَّ قَضَى كَوْنَهُ مِثْلَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، مِثْلَ مَنْ ذَكَرَهُ اللَّهُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ ، حَيْثُ يَقُولُ : { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَكَإِحْيَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَعْضَ الْأَمْوَاتِ .

فَلَمَّا صَحَّ وَجُودُ كَوْنِهِ هَذِهِ الْحَالَةِ فِي الْبَشَرِ ، إِذَا أَرَادَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَمْ يُنْكَرْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَحْيَا مُوسَى فِي قَبْرِهِ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ الْمُصْطَفَى ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْرَ مُوسَى بِمُدَيْنَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَرَأَاهُ ﷺ يَدْعُو فِي قَبْرِهِ إِذِ الصَّلَاةُ دُعَاءً ، فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأُسْرِي بِهِ ، أُسْرِي بِمُوسَى حَتَّى رَأَاهُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ ، وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي خَبَرِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي خَبَرِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ : بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ إِذْ أَتَانِي آتٍ ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ فَضِيلَةٌ فَضَّلَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَنَّهُ مِنْ مُعْجَزَاتِ النُّبُوَّةِ ، إِذِ الْبَشَرُ إِذَا شَقَّ عَنْ مَوْضِعِ الْقَلْبِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ اسْتُخْرِجَ قُلُوبُهُمْ مَاتُوا .

وَقَوْلُهُ : ثُمَّ حُسْبِي يُرِيدُ : أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا حَسَا قَلْبُهُ الْيَقِينَ وَالْمَعْرِفَةَ ، الَّذِي كَانَ اسْتِقْرَارُهُ فِي طَسْتِ الذَّهَبِ ، فَتَقَلَّ إِلَى قَلْبِهِ .

<sup>٥٢٥</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٣٤ ) ( ٤٦ ) صحيح

<sup>٥٢٦</sup> - صحيح ابن حبان - ( ٤٧ ) صحيح

<sup>٥٢٧</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٤١ ) ( ٥٠ و ٤٩ ) صحيح

ثُمَّ أُتِيَ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا : الْبَرَاقُ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَطِيمِ أَوْ الْحَجَرِ ، وَهُمَا جَمِيعًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى بِهِ عَلَى قَبْرِ مُوسَى عَلَى حَسَبِ مَا وَصَفْنَاهُ ، ثُمَّ دَخَلَ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَخَرَقَ جِبْرِيلُ الصَّخْرَةَ بِإِصْبَعِهِ ، وَشَدَّ بِهَا الْبَرَاقَ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ .  
ذَكَرَ شَدَّ الْبَرَاقَ بِالصَّخْرَةِ فِي خَبَرِ بُرَيْدَةَ ، وَرُؤْيَا مُوسَى ﷺ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ لَيْسَا جَمِيعًا فِي خَبَرِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ .

فَلَمَّا صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، اسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ يُرِيدُ بِهِ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْرَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، لَا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا بِرِسَالَتِهِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ بِسَبْعِ سِنِينَ ، فَلَمَّا فُتِحَ لَهُ فَرَأَى آدَمَ عَلَى حَسَبِ مَا وَصَفْنَا قَبْلُ .

وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَفِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ ، وَفِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ ، ثُمَّ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ هَارُونَ ، ثُمَّ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ مُوسَى ، ثُمَّ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ جَائِزُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَحْيَاهُمْ لِأَنَّهُمْ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ آيَةً مُعْجَزَةً يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى نُبُوَّتِهِ عَلَى حَسَبِ مَا أَصَلْنَا قَبْلُ .  
ثُمَّ رُفِعَ لَهُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، فَرَأَاهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي وَصَفَ .

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَهَذَا أَمْرُ ابْتِلَاءٍ أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ابْتِلَاءَ صَفِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَيْثُ فَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً ، إِذْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ أَنَّهُ لَا يَفْرُضُ عَلَى أُمَّتِهِ إِلَّا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فَقَطْ ، فَأَمْرُهُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً أَمْرُ ابْتِلَاءٍ ، وَهَذَا كَمَا نَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ يَأْمُرُ بِالْأَمْرِ يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَأْمُورُ بِهِ إِلَى أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرِيدَ وَجُودَ كَوْنِهِ ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ ابْنِهِ ، أَمْرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَادَ بِهِ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى أَمْرِهِ دُونَ وَجُودِ كَوْنِهِ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا ، وَتَلَّهِ لِلْحَبِيبِ ، فَذَاهُ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ ، إِذْ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا كَوْنَ مَا أَمَرَ ، لَوَجَدَ ابْنَهُ مَذْبُوحًا ، فَكَذَلِكَ فَرَضَ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ أَرَادَ بِهِ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى أَمْرِهِ دُونَ وَجُودِ كَوْنِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مُوسَى ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَمَرَ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلِّ يَوْمٍ ، أَلْهَمَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَسْأَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمْ بِسُؤَالِ رَبِّهِ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِهِ ، فَجَعَلَ جَلَّ وَعَلَا قَوْلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سَبَبًا لِبَيَانِ الْوُجُودِ لِصِحَّةِ مَا قُلْنَا : إِنَّ الْفَرَضَ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَرَادَ إِيثَانَهُ خَمْسًا لَا خَمْسِينَ . فَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَسَأَلَهُ ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا ، وَهَذَا أَيْضًا أَمْرُ ابْتِلَاءٍ أُرِيدَ بِهِ الْإِنْتِهَاءَ إِلَيْهِ دُونَ وَجُودِ كَوْنِهِ ، ثُمَّ جَعَلَ سُؤَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّاهُ سَبَبًا لِنَفَادِ قَضَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي سَابِقِ عِلْمِهِ ، أَنَّ الصَّلَاةَ تُفْرَضُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ خَمْسًا لَا خَمْسِينَ ، حَتَّى رَجَعَ فِي التَّخْفِيفِ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ .

ثُمَّ أَلْهَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا صَفِيَّهُ ﷺ حِينَئِذٍ حَتَّى قَالَ لِمُوسَى : قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، لَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ ، فَلَمَّا جَاوَزَ نَادَاهُ مُنَادٍ : أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ، أَرَادَ بِهِ الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ ، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي ، يُرِيدُ : عَنْ عِبَادِي مِنْ أَمْرِ الْإِيتِلَاءِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ مِنْ خَمْسِينَ صَلَاةٍ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَجُمْلَةُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِسْرَاءِ رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجِسْمِهِ عَيَانًا دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رُؤْيَا أَوْ تَصَوُّرًا صَوَّرَ لَهُ ، إِذْ لَوْ كَانَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَمَا رَأَى فِيهَا نَوْمًا دُونَ الْيَقَظَةِ ، لَاسْتَحَالَ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْبَشَرَ قَدْ يَرَوْنَ فِي الْمَنَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَمَا أَشَبَّهَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، فَلَوْ كَانَ رُؤْيَاهُ الْمُصْطَفَى ﷺ مَا وَصَفَ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فِي النَّوْمِ دُونَ الْيَقَظَةِ ، لَكَانَتْ هَذِهِ حَالَةً يَسْتَوِي فِيهَا مَعَهُ الْبَشَرُ ، إِذْ هُمْ يَرَوْنَ فِي مَنَامَاتِهِمْ مِثْلَهَا ، وَاسْتَحَالَ فَضْلُهُ ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ حَالَةً مُعْجَزَةً يُفَضَّلُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ ، ضِدَّ قَوْلِ مَنْ أَبْطَلَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ ، وَأَنْكَرَ قُدْرَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِمْضَاءَ حُكْمِهِ لِمَا يُحِبُّ كَمَا يُحِبُّ ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ، يَقُولُ : أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ ، فَظَرَّ إِلَيْهِمَا ، ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُدَيْتَ الْفِطْرَةَ ، وَلَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ .<sup>٥٢٨</sup>

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ .<sup>٥٢٩</sup>

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ فَقَالُوا : لِفَتًى مِنْ قُرَيْشٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لِي ، قُلْتُ : مَنْ هُوَ ؟ قِيلَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا أَبَا حَفْصٍ لَوْلَا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ لَدَخَلْتُهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَيْهِ ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَغَارُ عَلَيْكَ .

وَعَنْ حَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ لَوْلُؤٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أُدْخِلَهُ إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ ، قَالَ : عَلَيْكَ أَغَارُ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي عَلَيْكَ أَغَارُ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ فَقَالُوا : لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ ، فَقُلْتُ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالُوا : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

<sup>٥٢٨</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٤٧ ) ( ٥٢ ) صحيح

<sup>٥٢٩</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٤٩ ) ( ٥٣ ) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَبَكَى عُمَرُ وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعَلَيْكَ أَغَارٌ ؟.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي هَذَا الْخَبَرِ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ وَفِي خَبَرِ جَابِرٍ : أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ أُدْخِلَ ﷺ الْجَنَّةَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ فَرَأَى قَصْرَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَ عَنِ الْقَصْرِ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لِعُمَرَ ، وَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ مَرَّةً أُخْرَى ، إِذْ رَأَى كَأَنَّهُ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَإِذَا امْرَأَةٌ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ تَتَوَضَّأُ ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَصْرِ فَقَالَتْ : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَفْظُ خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِخِلَافِ لَفْظِ خَبَرِ جَابِرٍ فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمَا خَبَرَانِ فِي وَفْقَتَيْنِ مُتَابِعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ تَضَادٌّ وَلَا تَهَاقُتٌ.<sup>٥٣٠</sup>

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ.<sup>٥٣١</sup>

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ } [الإسراء : ] ، قَالَ : هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أُرَيْيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ.<sup>٥٣٢</sup>

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ.<sup>٥٣٣</sup>

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ، أَرَادَ بِهِ بِقَلْبِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَمْ يَصْعَدْهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ ارْتِفَاعًا فِي الشَّرَفِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ : لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُهُ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : سَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ نُورًا.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَرِ رَبَّهُ ، وَلَكِنْ رَأَى نُورًا عَلَوِيًّا مِنَ الْأَنْوَارِ الْمَخْلُوقَةِ.<sup>٥٣٤</sup>

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم : ] ، قَالَ : رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ يَاقُوتٍ ، قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

<sup>٥٣٠</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥٠ ) ( ٥٤ ) و ( ٦٨٨٦ و ٦٨٨٧ و ٦٨٨٨ ) صحيح

<sup>٥٣١</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥١ ) ( ٥٥ ) صحيح

<sup>٥٣٢</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥٢ ) ( ٥٦ ) صحيح

<sup>٥٣٣</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥٣ ) ( ٥٧ ) صحيح

<sup>٥٣٤</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥٤ ) ( ٥٨ ) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنْ يُعَلِّمَ مُحَمَّدًا ﷺ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهُ كَمَا قَالَ : {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} [النجم : ] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ {ثُمَّ دَنَا ، فَتَدَلَّى} [النجم : ] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم : ] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ] بِجِبْرِيلَ {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ] يُرِيدُ بِهِ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ ، وَرَأَى جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ يَاقُوتٍ ، قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى مَا فِي خَبَرِ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.<sup>٥٣٥</sup>

وَعَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ ، تَقُولُ : أَعْظَمُ الْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ مَنْ قَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كُنَّ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، قِيلَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا رَأَاهُ ؟ قَالَتْ : لَا ، إِنَّمَا ذَلِكَ جِبْرِيلُ رَأَاهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ : مَرَّةً مَلَأَ الْأُفُقَ ، وَمَرَّةً سَادًا أَفُقَ السَّمَاءِ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَدْ يَتَوَهَّمُ مَنْ لَمْ يُحْكَمْ صِنَاعَةُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذَيْنِ الْخَبَرَيْنِ مُتَضَادَّانِ ، وَلَيْسَا كَذَلِكَ ، إِذِ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَضَّلَ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، حَتَّى كَانَ جِبْرِيلُ مِنْ رَبِّهِ أَدْنَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ يَعْلَمُهُ جِبْرِيلُ حِينَئِذٍ ، فَرَأَاهُ ﷺ بِقَلْبِهِ كَمَا شَاءَ. وَخَبَرُ عَائِشَةَ وَتَأْوِيلُهَا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ ، تُرِيدُ بِهِ فِي النَّوْمِ وَلَا فِي الْيَقَظَةِ ، وَقَوْلُهُ : {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام : ] فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، يُرَى فِي الْقِيَامَةِ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ إِذَا رَأَتْهُ ، لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الْإِحَاطَةُ ، وَالرُّؤْيَا هِيَ النَّظَرُ ، وَاللَّهُ يُرَى وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهُ ، لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ يَقَعُ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ ، وَالنَّظَرُ يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ رَبَّهُ.

وَخَبَرُ عَائِشَةَ أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، إِلَّا مَنْ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنْ يُجْعَلَ أَهْلًا لِذَلِكَ. وَاسْمُ الدُّنْيَا قَدْ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بَدَايَاتُ خَلْقِهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِتُكْتَسَبَ فِيهَا الطَّاعَاتُ لِلْآخِرَةِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْبِدَايَةِ ، فَالْتَّبِيُّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الدُّنْيَا ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُ أَدْنَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ حَتَّى يَكُونَ خَبَرُ عَائِشَةَ ، أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ ﷺ فِي الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ تَضَادُّ أَوْ تَهَانُرٌ.<sup>٥٣٦</sup>

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَجِبْرِيلَ : مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ : هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا مُحَمَّدُ مَرُّ أُمَّتِكَ أَنْ يُكْتَرُوا غِرَاسَ الْحَنَّةِ ، فَإِنَّ ثُرْبَتَهَا

<sup>٥٣٥</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥٥ ) ( ٥٩ ) صحيح

<sup>٥٣٦</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٢٥٨ ) ( ٦٠ ) صحيح

طَيِّبَةً ، وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِبْرَاهِيمَ : وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ٥٣٧

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ، فَقَالَ : يَا جَبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ قَالَ : هَذِهِ رِيحُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا ، بَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي بِنْتِ فِرْعَوْنَ ، إِذْ سَقَطَ الْمَدْرَى مِنْ يَدِهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ، قَالَتْ : بَلْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، قَالَتْ : وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرَ أَبِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، اللَّهُ ، قَالَتْ : فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ أَبِي ، قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأُخْبِرُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِنُفْرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ ، فَأُخْمِيَتْ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَجَعَلَ يُلْقِي وَلَدَهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى وَلَدٍ لَهَا رَضِيعٍ ، فَقَالَ : يَا أُمَّتَاهُ اثْبِتِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ مَاشِطَةُ بِنْتِ فِرْعَوْنَ ، كَانَتْ تَمْشِي عَلَيْهَا فَوْقَ الْمُشْطِ مِنْ يَدِهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ ، قَالَتْ : أَقُولُ لَهُ ، قَالَتْ : قُولِي ، فَقَالَتْ : فَقَالَ لَهَا : أَلَيْكَ مِنْ رَبِّ غَيْرِي ؟ قَالَتْ : رَبِّي وَرَبُّكَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَتْ : فَأُخْمِي لَهَا نُفْرَةً مِنْ نُحَاسٍ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ : حَاجَتِي أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ عِظَامِي وَبَيْنَ عِظَامِ وَلَدِي قَالَ : ذَلِكَ لَكَ لَمَّا لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ ، فَأُلْقَى وَلَدَهَا فِي النَّقْبِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، وَكَانَ آخِرُهُمْ صَبِيٌّ فَقَالَ : يَا أُمَّتَاهُ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَرْبَعَةٌ تَكَلَّمُوا وَهُمْ صِبَاغٌ : ابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ ، وَصَبِيُّ جُرَيْجٍ ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَالرَّابِعُ لَا أَحْفَظُهُ . ٥٣٨

أما ثبوت تعيين تاريخ الإسراء والمعراج فلم يثبت على الإطلاق أي دليل صحيح صريح في تحديد وقت الإسراء والمعراج، وكل ما نعرفه من خلال السيرة هو أن الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة، هذا هو القول الراجح، والمشهور والمستفيض أن الإسراء والمعراج كان بعد موت أبي طالب عم النبي ﷺ ، وبعد موت خديجة ، وبعد أن ذهب النبي ﷺ إلى الطائف ورده أهلها، وهو العام الذي يسمى عام الحزن، لأن النبي ﷺ لقي فيه الأذى الشديد والألم والتعب، فمن الله تبارك وتعالى عليه بهذه الآيات العظيمة، وهذه المشاهد وهذا المقام الرفيع الذي لم يصل إليه بشر، تسلياً للنبي ﷺ ، وكانت آيات عظيمة قال الله تعالى: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [النجم: ١٨] فأراه الله عز وجل آيات عظيمة ففرج عنه ﷺ الهم وسرّيه عنه، وعاد وقد استيقن بربه وبلقائه، وأن ما يوحى إليه هو الحق أكثر من ذي قبل، وعاد ﷺ وقد شد العزم على أن يبلغ دعوة ربه، وأن لا يبالي بالناس مهما صدوه، بعدما

٥٣٧ - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٠٣) (٨٢١) صحيح

٥٣٨ - صحيح ابن حبان - (٧ / ١٦٣) (٢٩٠٣ و ٢٩٠٤) صحيح

رأى ما رأى من الأنبياء ومن الكرامة التي نالها، فوقوعه في ذلك التاريخ فيه حكم عظيمة، لكن لا ندري بالضبط متى كان؟ فقد اختلف في أي يوم كان؟ وفي أي شهر؟ وفي أي سنة؟<sup>٥٣٩</sup>

### بعض الدروس من الإسراء والمعراج

١- بعد كل محنة منحة، وقد تعرض رسول الله ﷺ لحن عظيمة، فهذه قريش قد سدت الطريق في وجه الدعوة في مكة، وفي ثقيف وفي قبائل العرب، وأحكمت الحصار ضد الدعوة ورجالها من كل جانب، وأصبح النبي ﷺ في خطر بعد وفاة عمه أبي طالب أكبر حُماته، ورسول الله ﷺ ماضٍ في طريقه، صابر لأمر ربه، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا حرب محارب، ولا كيد مستهزئ فقد آن الأوان للمنحة العظيمة، فجاءت حادثة الإسراء والمعراج على قدر من رب العالمين، فيعرج به من دون الخلائق جميعاً، ويكرمه على صبره وجهاده، ويلتقي به مباشرة دون رسول ولا حجاب، ويطلعه على عوالم الغيب دون الخلق كافة، ويجمعه مع إخوانه من الرسل في صعيدٍ واحد، فيكون الإمام والقدوة لهم وهو خاتمهم وآخرهم<sup>٥٤٠</sup>.

٢- إن الرسول ﷺ كان مُقدِّماً على مرحلة جديدة، مرحلة الهجرة، والانطلاق لبناء الدولة، يريد الله تعالى لِلْبَنَاتِ الأولى في البناء أن تكون سليمة قوية متراصة متماسكة، فجعل الله هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين، والذين في قلوبهم مرض، ويثبت المؤمنين الأقوياء الخالص الذين لمسوا عياناً صدق نبيهم بعد أن لمسوه تصديقاً، وشهدوا مدى كرامته على ربه، فأبي حفظ يحوطهم وأي سعد يغمرهم وهم حول هذا النبي المصطفى وقد آمنوا به، وقدموا حياتهم فداء له ولدينهم، كم يترسخ الإيمان في قلوبهم أمام هذا الحدث الذي تم بعد وعشاء الطائف، وبعد دخول مكة بجوارٍ وبعد أذى الصبيان والسفهاء<sup>٥٤١</sup>.

٣- إن شجاعة النبي ﷺ العالية تتجسد في مواجهته للمشركين بأمر تنكره عقولهم ولا تدركه في أول الأمر تصوراتهم، ولم يمنعه من الجهر به الخوف من مواجهتهم، وتلقي نكيرهم واستهزائهم فضرب بذلك ﷺ لأمتة أروع الأمثلة في الجهر بالحق أمام أهل الباطل، وإن تحزبوا ضد الحق وجندوا لحربه كل ما في وسعهم، وكان من حكمة النبي ﷺ في إقامة الحججة على المشركين بأن حدثهم عن أسرائه إلى بيت المقدس، وأظهر الله له علامات تلزم الكفار بالتصديق وهذه العلامات هي:

\* وصف النبي ﷺ بيت المقدس، وقد أقرؤا بصدق الوصف ومطابقته للواقع الذي يعرفونه.

\* إخباره عن العير التي بالروحاء، والبعير التي أضلوه، وما قام به من شرب الماء الذي في القدح.

\* إخباره عن العير الثانية التي نفرت فيها الإبل ووصفه الدقيق لأحد جمالمهم.

<sup>٥٣٩</sup> - شروح الطحاوية - (٤ / ١٨١١) وفتح الباري ٢٠٣/٧ وفتح الباري لابن رجب - (٣ / ٥١)

<sup>٥٤٠</sup> - انظر: التربية القيادية، (١/٤٤٧).

<sup>٥٤١</sup> - انظر: التربية القيادية، (١/٤٥١).

\* إخباره عن العبر الثالثة التي بالأبواء ووصفه الحمل الذي يقدمها، وإخباره

بأنها تطلع ذلك الوقت من ثنية التنعيم، وقد تأكد المشركون فوجدوا أن ما أخبرهم به الرسول ﷺ كان صحيحاً فهذه الأدلة الظاهرة كانت مفحمة لهم ولا يستطيعون معها أن يتهموه بالكذب، كانت هذه الرحلة العظيمة، تربية ربانية رفيعة المستوى، وأصبح ﷺ يرى الأرض كلها بما فيها من مخلوقات نقطة صغيرة في ذلك الكون الفسيح، ثم ما مقام كفار مكة في هذه النقطة؟ إنهم لا يمثلون إلا جزءاً يسيراً جداً من هذا الكون، فما الذي سيفعلونه تجاه من اصطفاه الله تعالى من خلقه، وخصه بتلك الرحلة العلية الميمونة وجمعه بالملائكة والأنبياء عليهم السلام، وأراه السماوات السبع وسدرة المنتهى والبيت المعمور وكلمه جلا وعلا؟<sup>٥٤٢</sup>

٤- يظهر إيمان الصديق رضي الله عنه القوي في هذا الحدث الجلل، فعندما أخبره الكفار قال بلسان الواثق، لئن كان قال ذلك لقد صدق، ثم قال: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، وبهذا استحق لقب الصديق، وهذا منتهى الفقه واليقين، حيث وازن بين هذا الخبر ونزول الوحي من السماء، فبين لهم أنه إذا كان غريباً على الإنسان العادي فإنه في غاية الإمكان بالنسبة للنبي ﷺ<sup>٥٤٣</sup>.

٥- إن شرب رسول الله ﷺ اللبن حين خير بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام: هديت للفطرة، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية التي ينسجم معها، فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يلي نوازعها واحتياجاتها، ويحقق طموحاتها ويكبح جماحها ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) [الروم: ٣٠].

٦- إن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء دليل على أنهم سلموا له بالقيادة والريادة، وأن شريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه وسع أتباع هؤلاء الأنبياء ما وسع أنبياءهم أن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ولرسالته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

إن على الذين يعتقدون مؤتمرات التقارب بين الأديان أن يدركوا هذه الحقيقة، ويدعوا إليها، وهي ضرورة الانخلاع عن الديانات المنحرفة، والإيمان بهذا الرسول ﷺ ورسالته، وعليهم أن يدركوا حقيقة هذه الدعوات المشبوهة، التي تخدم وضعاً من الأوضاع أو نظاماً من الأنظمة الجاهلية.

٧- إن الربط بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام وراءه حكم ودلالات وفوائد منها:

<sup>٥٤٢</sup> - انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (٤١/٣، ٤٢).

<sup>٥٤٣</sup> - انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (٤٣/٣).

\* أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين، إذ أصبح مسرى رسولهم ﷺ، ومعراجة إلى السماوات العلا، وكان لا يزال قبلتهم الأولى طيلة الفترة المكية، وهذا توجيه وإرشاد للمسلمين بأن يحبوا المسجد الأقصى وفلسطين؛ لأنها مباركة ومقدسة.

\* الربط يشعر المسلمين بمسؤوليتهم نحو المسجد الأقصى بمسئولية تحرير المسجد الأقصى من أضرار الشرك وعقيدة التثليث، كما هي أيضاً مسئوليتهم تحرير المسجد الحرام من أضرار الشرك وعبادة الأصنام.

\* الربط يشعر بأن التهديد للمسجد الأقصى، هو تهديد للمسجد الحرام وأهله، وأن النيل من المسجد الأقصى توطئة للنيل من المسجد الحرام، فالمسجد الأقصى بوابة الطريق إلى المسجد الحرام، وزوال المسجد الأقصى من أيدي المسلمين، ووقوعه في أيدي اليهود يعني أن المسجد الحرام، والحجاز قد تهدد الأمن فيهما واتجهت أنظار الأعداء إليهما لاحتلالهما.

والتاريخ قديماً وحديثاً يؤكد هذا، فإن تاريخ الحروب الصليبية يخبرنا أن (أرناط) الصليبي صاحب مملكة الكرك أرسل بعثة للحجاز للاعتداء على قبر الرسول ﷺ وعلى جثمانه في المسجد النبوي، وحاول البرتغاليون (النصارى الكاثوليك) في بداية العصور الحديثة الوصول إلى الحرمين الشريفين لتنفيذ ما عجز عنه أسلافهم الصليبيون، ولكن المقاومة الشديدة التي أبدتها المماليك وكذا العثمانيون حالت دون إتمام مشروعهم الجهنمي وبعد حرب ١٩٦٧م التي احتل اليهود فيها بيت المقدس صرخ زعماءهم بأن الهدف بعد ذلك احتلال الحجاز وفي مقدمة ذلك مدينة رسول الله ﷺ وخيبر.

لقد وقف دافيد بن غوريون زعيم اليهود بعد دخول الجيش اليهودي القدس يستعرض جنوداً وشباناً من اليهود بالقرب من المسجد الأقصى ويلقي فيهم خطاباً نارياً يختتمه بقوله: (لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب)<sup>٥٤٤</sup>.

ووقفت غولدا مائير، رئيسة وزراء اليهود، بعد احتلال بيت المقدس، وعلى خليج إيلات العقبة، تقول: «إنني أشم رائحة أجدادي في المدينة والحجاز، وهي بلادنا التي سوف نسترجعها»<sup>٥٤٥</sup>.

وبعد ذلك نشر اليهود خريطة لدولتهم المنتظرة التي شملت المنطقة من الفرات إلى النيل، بما في ذلك الجزيرة العربية والأردن وسوريا والعراق ومصر واليمن والكويت والخليج العربي كله، ووزعوا خريطة دولتهم هذه بعيد انتصارهم في حرب (١٩٦٧م) في أوروبا<sup>٥٤٦</sup>.

٨- أهمية الصلاة وعظيم منزلتها: وقد ثبت في السنة النبوية أن الصلاة فرضت على الأمة الإسلامية في ليلة عروجه ﷺ إلى السماوات وفي هذا كما قال ابن كثير: «اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها»

<sup>٥٤٤</sup> - انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص ٣١٤.

<sup>٥٤٥</sup> - جريدة الدستور الأردنية العدد (٤٦١٣) بقلم أميل الغوري، نقلا عن السيرة النبوية لأبي فارس، ص ٣١٤.

<sup>٥٤٦</sup> - انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص ٢١٥. (٤) تفسير ابن كثير (٢٣/٣).

فعلى الدعاة أن يؤكدوا على أهمية الصلاة والمحافظة عليها، وأن يذكروا فيما يذكرون، من أهميتها ومترلتها كونها فرضت في ليلة المعراج، وأنها من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ قبل موته<sup>٥٤٧</sup>.

٩- تحدث الرسول ﷺ عن مخاطر الأمراض الاجتماعية وبين عقوبتها كما شاهد ذلك في ليلة الإسراء والمعراج ومن هذه الأمراض وعقوبتها:

\* عقوبة جريمة الغيبة والمغتائبين، فقد رأى رسول الله ﷺ أناسا يأكلون الجيف فأخبره جبريل: «هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس»<sup>٥٤٨</sup>.

\* عقوبة أكلة أموال اليتامى، فقد رأى رسول الله ﷺ رجالاً لهم مشافر -شفاه كبيرة- كشفاه البعير، في أيديهم قطع من نار كالأفهار (أى الحجارة) يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فأخبره جبريل: «هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً»<sup>٥٤٩</sup>.

\* أكلة الربا، فقد أتى النبي ﷺ على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فأخبره جبريل: «هؤلاء أكلة الربا»<sup>٥٥٠</sup>.

\* وذكرت الروايات عقوبة الزناة، ومانعي الزكاة، وخطباء الفتنة، والتهاون في الأمانة<sup>٥٥١</sup>.

\* ثواب المجاهدين، ففي ليلة الإسراء والمعراج مر رسول الله ﷺ على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عادوا كما كان، فأخبر جبريل: «هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يُخلف»<sup>٥٥٢</sup>.

١٠- إدراك الصحابة لأهمية المسجد الأقصى: أدرك الصحابة رضي الله عنهم مسئوليتهم نحو المسجد الأقصى، وهو يقع أسيراً تحت حكم الرومان، فحرروه في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وظل ينعم بالأمن والأمان حتى عاث الصليبيون فساداً فيه بعد خمسة قرون، من هجرة المصطفى، ومكثوا ما يعادل قرناً يعيشون فساداً فحرره المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وها هو ذا يقع تحت الاحتلال اليهودي فما الطريق إلى تخليصه؟<sup>٥٥٣</sup>.

الطريق إلى تخليصه الجهاد في سبيل الله، على المنهج الذي سار عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

=====

<sup>٥٤٧</sup> - انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (٩٣/٢).

<sup>٥٤٨</sup> - الفتح الرباني للساعاتي (٢٥٥/٢٠) إسناده صحيح.

<sup>٥٤٩</sup> - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢٠٠/٨).

<sup>٥٥٠</sup> - تفسير ابن كثير (٢٧٤/٤).

<sup>٥٥١</sup> - تفسير الطبري (٧/١٥)، والفتح الرباني (٢٥٧/٢٠).

<sup>٥٥٢</sup> - انظر: الخصائص الكبرى (١٧١/١) والسيرة النبوية لأبي فارس، ص ٢٢٠.

<sup>٥٥٣</sup> - انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص ٢٢٠. و السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (١ / ٣٤١)

فوائد ودروس وعبر:

## المبحث الثالث عشر القول في حياة الأنبياء عليهم السلام

دلت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسى عليه السلام فإنه لم يمت بعد وإنما رفع إلى الله تعالى حيا على ما سيأتي بيانه .

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعالى : { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ } (البقرة : ١٣٣) . وقال تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } (غافر : ٣٤) . وقال تعالى عن سليمان عليه السلام : { فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ } (سبا : ١٤) . وقال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } (الزمر : ٣٠) .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَاطِمَةَ فَقَالَ : « قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي » . فَبَكَتْ فَقَالَ : « لَا تَبْكِي ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لَأَحِقُّ بِي » . فَضَحِكَتْ فَرَأَاهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقُلْنَ : يَا فَاطِمَةُ رَأَيْنَاكِ بَكَيتِ ثُمَّ ضَحِكْتَ . قَالَتْ : إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيتُ ، فَقَالَ لِي : « لَا تَبْكِي ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لَأَحِقُّ بِي » . فَضَحِكْتُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْبَدَةً ، وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ » .<sup>٥٥٤</sup>

وقال تعالى مخبرا عن موت كل نفس مخلوقة : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } (آل عمران : ١٨٥) . وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ عِنْدَ امْرَأَتِهِ ابْنَةَ خَارِجَةَ بِالْعَوَالِي فَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَمْ يَمُتِ النَّبِيُّ - ﷺ - إِنَّمَا هُوَ بَعْضُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ عِنْدَ الْوَحْيِ . فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ أَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُمِيتَكَ مَرَّتَيْنِ قَدْ وَاللَّهِ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - . وَعُمَرُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِي أَنْاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَثِيرٍ وَأَرْجُلُهُمْ . فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) . قَالَ عُمَرُ فَلَكَاثِي لَمْ أَفْرَأَهَا إِلَّا يَوْمَئِذٍ .<sup>٥٥٥</sup>

<sup>٥٥٤</sup> - سنن الدارمي - المكثر - (٨٠) صحيح

<sup>٥٥٥</sup> - سنن ابن ماجه - المكثر - (١٦٩٥) صحيح

فدلت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنهم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله عز وجل عن عيسى عليه السلام من رفعه إليه كما قال تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } (آل عمران : ٥٥) . فدللت الآية على رفع الله تعالى لعيسى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت .

وللعلماء في تفسير هذه الآية الكريمة أقوال كثيرة أشهرها قولان :  
أما القول الأول : وهو قول جمهور العلماء - فيرى أصحابه أن معنى إِيَّيْ مُتَوَفِّكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ أى قابضك من الأرض ورافعك إلى السماء بجسدك وروحك لتستوفي حظك من الحياة هناك .  
وأصحاب هذا الرأي لا يفسرون التوفي بالموت وإنما يقولون : إن التوفي في اللغة معناه أخذ الشيء تاما وافيا . فمعنى مُتَوَفِّكَ أَخَذَكَ وافيا بروحك وجسدك ومعنى وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَارْفَعْكَ إلى محل كرامتي في السماء فالعطف للتفسير . يقال : وفيت فلانا حقه أى أعطيته إياه وافيا فاستوفاه وتوفاه أى أخذه وافيا كاملا .

قال القرطبي : « قال الحسن وابن جريح : معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أى قبضته »<sup>٥٥٦</sup>

أما القول الثاني : وهو قول قلة من العلماء - فيرى أصحابه أن معنى إِيَّيْ مُتَوَفِّكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ أى مميتك ورافع منزلك وروحك إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي كما ترفع أرواح الأنبياء إليه - سبحانه - .

فأنت ترى أن أصحاب هذا الرأي يفسرون التوفي بالإماتة ، ويقولون إن هذا التفسير هو الظاهر من معنى التوفي ويفسرون وَارْفَعْكَ إِلَيَّ بمعنى رفع الروح إلى السماء .  
أى أن الله - تعالى - قد توفى عيسى كما يتوفى الأنفس كلها ، ورفع روحه إليه كما يرفع أرواح النبيين .

والذي تسكن إليه النفس هو القول الأول لأمر :  
أولها : أن قوله - تعالى - في سورة النساء وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ « الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨ » يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه لأن الإضراب مقابل للقتل والصلب الذي أرادوه وزعموا حصوله ، ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما ومادام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح .  
ثانيها : أن هناك أحاديث متعددة ، بلغت في قوتها مبلغ التواتر المعنوي - كما يقول ابن كثير - قد وردت في شأن نزول عيسى إلى الأرض في آخر الزمان ليملأها عدلا كما ملئت جورا ، وليكون

<sup>٥٥٦</sup> - تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٠٠ .

حاكما بشريعة محمد ﷺ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يتزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، يقتل الدجال ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين »<sup>٥٥٧</sup> وظاهر هذا الحديث وما يشابهه من الأحاديث الصحيحة في شأن نزول عيسى ، يفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله إليه بروحه وجسده.

ثالثا : أن هذا القول هو قول جمهور العلماء ، وهو القول الذي يتناسب مع ما أكرم الله - تعالى - به عيسى - عليه السلام - من كرامات ومعجزات.

قال بعض العلماء ما ملخصه : وجمهور العلماء على أن عيسى رفع حيا من غير موت ولا غفوة بجسده وروحه إلى السماء. والخصوصية له - عليه السلام - هي في رفعه بجسده ، وبقاؤه فيها إلى الأمد المقدر له ولا يصح أن يحمل التوفي على الإماتة لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها ورفعها إلى السماء جنة هامة سخف من القول. وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجلث الموتى. وإن كان الرفع بالروح فقط فأى مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء ، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحق أنه - عليه السلام - رفع إلى السماء حيا بجسده. وكما كان - عليه السلام - في مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة ، كان في نهاية أمره آية ومعجزة باهرة والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك العقول ، وهي من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام -<sup>٥٥٨</sup> «

وقد سئل - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - : عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى " مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ وَرَأَاهُ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَرَأَاهُ فِي السَّمَاءِ ؛ وَكَذَلِكَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ . وَهَلْ إِذَا مَاتَ أَحَدٌ يَبْقَى لَهُ عَمَلٌ ؟ وَالْحَدِيثُ أَنَّهُ يَنْقَطِعُ عَمَلُهُ . وَهَلْ يَنْتَفِعُ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ وَالطَّوَّافِ ؟ وَهَلْ رَأَى الْأَنْبِيَاءُ بِأَجْسَادِهِمْ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ أَمْ بِأَرْوَاحِهِمْ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَمَّا رُؤْيَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الطَّوَّافِ فَهَذَا كَانَ رُؤْيَا مَنْامٍ لَمْ يَكُنْ لَيْلَةً الْمِعْرَاجَ كَذَلِكَ جَاءَ مُفَسَّرًا كَمَا رَأَى الْمَسِيحُ أَيْضًا وَرَأَى الدَّجَالَ . وَأَمَّا رُؤْيَاهُ وَرُؤْيَا غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِي السَّمَاءِ لَمَّا رَأَى آدَمُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَرَأَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَيُوسُفَ فِي الثَّالِثَةِ وَإِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ وَهَارُونَ فِي الْخَامِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ أَوْ

<sup>٥٥٧</sup> - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٧٨.

<sup>٥٥٨</sup> - التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي - ( ٢ / ١٢١ ) والتفسير المنير - موافقا للمطبوع - ( ٣ / ٢٣٨ ) وصفوة البيان لمعان القرآن ج ١٠٩ ص ٢١٣ لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

بِالْعَكْسِ فَهَذَا رَأَى أَرْوَاحَهُمْ مُصَوَّرَةً فِي صُورِ أَبْدَانِهِمْ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : لَعَلَّهُ رَأَى نَفْسَ  
الْأَجْسَادِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْقُبُورِ ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ .

لَكِنَّ " عِيسَى " صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ قِيلَ فِي " إِدْرِيسَ " . وَأَمَّا " إِبْرَاهِيمُ " "   
وَمُوسَى " وَغَيْرُهُمَا فَهُمْ مَدْفُونُونَ فِي الْأَرْضِ . وَالْمَسِيحُ - ﷺ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ - لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ  
إِلَى الْأَرْضِ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ كَمَا ثَبَتَ  
ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ يُوسُفَ وَإِدْرِيسَ  
وَهَارُونَ ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ التَّزُولَ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ . وَآدَمُ كَانَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا لِأَنَّ  
نَسَمَ بَنِيهِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ : أَرْوَاحُ السُّعَدَاءِ - وَالْأَشْفِيَاءِ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى  
يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ - فَلَا بُدَّ إِذَا عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُمْ . وَأَمَّا كَوْنُهُ رَأَى مُوسَى  
قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ وَرَأَاهُ فِي السَّمَاءِ أَيْضًا فَهَذَا لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّ أَمْرَ الْأَرْوَاحِ مِنْ جِنْسِ أَمْرِ  
الْمَلَائِكَةِ . فِي اللَّحْظَةِ الْوَاحِدَةِ تَصْعَدُ وَتَهْبِطُ كَأَمَلِكِ لَيْسَتْ فِي ذَلِكَ كَالْبَدَنِ . وَقَدْ بَسَطْتُ الْكَلَامَ  
عَلَى أَحْكَامِ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَبْدَانِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَذَكَرْتُ بَعْضَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ  
وَالنَّارِ وَالذَّلَائِلِ .

وَهَذِهِ الصَّلَاةُ وَنَحْوُهَا مِمَّا يَتَمَتَّعُ بِهَا الْمَيِّتُ وَيَتَنَعَّمُ بِهَا كَمَا يَتَنَعَّمُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِالتَّسْبِيحِ فَإِنَّهُمْ يُلْهِمُونَ  
التَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهِمُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا النَّفْسَ ؛ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ عَمَلِ التَّكْلِيفِ الَّذِي يُطَلَّبُ لَهُ ثَوَابٌ مُتَفَصِّلٌ  
بَلْ نَفْسُ هَذَا الْعَمَلِ هُوَ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَتَنَعَّمُ بِهِ الْأَنْفُسُ وَتَتَلَذَّذُ بِهِ . وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ " { إِذَا مَاتَ ابْنٌ  
آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ } يُرِيدُ بِهِ الْعَمَلَ  
الَّذِي يَكُونُ لَهُ ثَوَابٌ لَمْ يَرِدْ بِهِ نَفْسَ الْعَمَلِ الَّذِي يَتَنَعَّمُ بِهِ فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ  
وَيَتَنَعَّمُونَ بِذِكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَيَتَنَعَّمُونَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَيُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ  
تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا . وَيَتَنَعَّمُونَ بِمُخَاطَبَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَمُنَاجَاتِهِ وَإِنْ كَانَتْ  
هَذِهِ الْأُمُورُ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالًا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الثَّوَابُ ؛ فَهِيَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَالٌ يَتَنَعَّمُ بِهَا صَاحِبُهَا أَعْظَمَ مِنْ  
أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَنِكَاحِهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ أَيْضًا ؛ وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنِّكَاحُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يُؤْمَرُ بِهِ  
وَيُثَابُ عَلَيْهِ مَعَ النَّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ نَفْسُ الثَّوَابِ الَّذِي يَتَنَعَّمُ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَهَذَا قَدْرُ مَا  
احْتَمَلْتُهُ هَذِهِ الْوَرَقَةَ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ لَهَا بَسْطٌ طَوِيلٌ .<sup>٥٥٩</sup>

فَالْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَمْوَاتٌ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا خَاطَمَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ :  
( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) الزمر / ٣٠ ، أَمَا عِنْدَ اللَّهِ فَهُمْ أَحْيَاءُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الشَّهِيدُ حَيًّا عِنْدَ اللَّهِ  
فَالْأَنْبِيَاءُ أَرْفَعُ رَتَبَةً مِنَ الشَّهَدَاءِ بَلَا شَكَّ .<sup>٥٦٠</sup>

<sup>٥٥٩</sup> - مجموع الفتاوى - ( ٤ / ٣٢٨ ) و أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - ( ١ / ٢٦٨ )

<sup>٥٦٠</sup> - انظر فتح الباري ٦ / ٤٤٤

وقد صح عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ. " ٥٦١  
وهذه الصلاة مما يتمتعون بها كما يتمتع أهل الجنة بالتسبيح .

وهم في قبورهم صلوات الله وسلامه عليهم إلا عيسى عليه السلام ، فإن الله رفعه إلى السماء ؛ كما قال تعالى : ( وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا - بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ) النساء / ١٥٧-١٥٨ ) ٥٦٢  
وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفظ أجسادهم في الأرض ، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « أَفْضَلُ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبُضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَىَّ ». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ يَقُولُونَ قَدْ بَلَيْتَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ». وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَرَّةً : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ».. ٥٦٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَتُحَدِّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ " ٥٦٤ .

٥٦١ - الفوائد لتمام ٤١٤ - ( ١ / ٣٣ ) ( ٥٨ ) ومسند البزار كاملا - ( ٢ / ٣١٨ ) ( ٦٨٨٨ ) ومسند أبي يعلى الموصلي ( ٣٤٢٥ ) والصحيحة ( ٦٢١ ) و صحيح الجامع ( ٢٧٩٠ ) صحيح

٥٦٢ - انظر فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ٢٧٤٥ ) - سؤال رقم ٢٦١١٧ - حياة الأنبياء - هل الرسل أحياء أم أموات ؟

٥٦٣ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - ( ٣ / ٢٤٨ ) ( ٦٢٠٦ ) سنن أبي داود - المكثر - ( ١٠٤٩ ) صحيح - أرم : بلى = أرميت : بليت

٥٦٤ - مسند البزار ١-١٤ - ( ج ٢ / ص ٤٥٨ ) برقم ( ١٩٢٥ ) والإتحاف ٩/ ١٧٦ و ١٧٧ ومطالب ( ٣٨٥٣ ) وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - ( ج ٧ / ص ٣٠ ) برقم ( ٦٤١٢ ) وهو حديث حسن

وقد حاول الشيخ ناصر رحمه الله في السلسلة الضعيفة - ( ج ٢ / ص ٤٧٤ ) برقم ( ٩٧٥ ) وتبعه في الفتاوى الحديثية للحويني - ( ج ٢ / ص ١٦ ) تضعيف هذا الحديث بحجة أنه روي عن غير عبد العزيز بن أبي رواد المكي دون الزيادة فاعتبرها شاذة أو منكورة .

قلت : وفي طرح الشريب - ( ج ٤ / ص ٣٠٨ ) و ( ٢٩٧/٣ ) وَرَوَى أَبُو بَكْرِ الْبَزَّازُ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، وَقَالَ السَّيْوَتِيُّ فِي «الخصائص» ( ٤٩١/٢ ) صحيح إسناده .

والصواب أنه حسن على الأقل لأمرور :

الأول- أن الأكثر على توثيق عبد العزيز بن أبي رواد المكي ، انظر تهذيب الكمال [ ج ١٨ - ص ١٣٦ ] برقم ( ٣٤٤٧ ) الثاني - هنا عندنا حديثان بسند واحد ليس إلا ، فلا علاقة له بزيادة الثقات ، إذ زيادة الثقات تكون عادة في الحديث نفسه زيادة ونقصاً ، وليس في حديثين مختلفين لفظاً ومعنى .

الثالث- أنه لم ينص عالم من علماء الجرح والتعديل على تضعيف هذه الرواية ، فدل على قبولها عندهم ، بل نصوا على تقويتها.

## المبحث الرابع عشر

### معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

التعريف بالمعجزة :

المعجزة : مأخوذة من العجز . وهو عدم القدرة .

جاء في القاموس : ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة .

والمعجزة في الاصطلاح : أمر خارق للعادة يجري على أيدي الأنبياء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة .

فقولنا : خارق للعادة : أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات . وقولنا : يجري على أيدي الأنبياء : أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأولياء فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات ، لمتابعتهم للأنبياء ويخرج من باب أولى ما يأتي به السحرة والكهان من الشعبة فهذه لا تصدر إلا من شرار الخلق . وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة : أخرج ما يدعيه المتنبيون الكذابين من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم من المعارضة بل يعارضها أمثالهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعبذة .<sup>٥٦٥</sup>

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء :

ومعجزات الأنبياء كثيرة :

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبوا<sup>٥٦٦</sup> . يقول الله تعالى في ذلك : { وَإِلَى نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ } (الأعراف : ٧٣) .

---

الرابع - هناك حديث مرسل روي عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيَحْدُثُ لَكُمْ وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنِ حَمْدَتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئِ اسْتَفْقَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ " أخرجه في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث - (ج ٢ / ص ٨٨٤) برقم (٩٥٣) وفي فضل الصلاة على النبي لإسماعيل بن إسحاق - (ج ١ / ص ٢٥) برقم (٢٥٢٤) من طرق عنه وهو صحيح مرسل مما يقوي بيقين حديث عبد المجيد ويرد الوهم عنه .

وفي فتح الباري لابن حجر - (ج ١٤ / ص ٢٧٩) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري - (ج ٢١ / ص ١٦٠ و ١٦٢) وتحفة الأحمدي - (ج ٧ / ص ٣٤٥) وأخرج ابن المبارك في الزهد من طريق سعيد بن المسيب قال " ليس من يوم إلا يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُمْنُهُ غَدَوَةٌ وَعَشِيَّةٌ فَيُغَرِّفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَاهُمْ . فَلِذَلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ " وسكتوا عليه .

ويقويه أيضاً أحاديث رد روحه إليه ﷺ للرد على من سلم عليه

<sup>٥٦٥</sup> أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - (١ / ٢٧٠) -

<sup>٥٦٦</sup> - تفسير ابن كثير (٣ / ٤٣٦) .

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه . قال تعالى : { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } (الأنبياء : ٦٨ - ٧٠) .

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة إذا ألقاها إلى الأرض . قال تعالى : { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى } { قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } { قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى } { فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى } { قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى } (طه : ١٧ - ٢١) . ومن معجزات موسى عليه السلام أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء . قال تعالى : { وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى } (طه : ٢٢) .

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورًا بإذن الله ، ويمسح الأكمه - وهو الأعمى - والأبرص فيبرأ بإذن الله ، وينادي الموتى في قبورهم فيحييون بإذن الله . قال تعالى : { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي } (المائدة : ١١٠) .

ومن معجزات نبينا ﷺ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق . قال تعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة : ٢٣) . وقال تعالى : { قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (الإسراء : ٨٨) .

ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم . قال تعالى : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } { الْقمر : ١ ، ٢ } .

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج . قال تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى } (الإسراء : ١) .

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد ﷺ فإن الله أيده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقته هنا إنما هو للتمثيل فقط .

كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ :

- الْكَرَامَاتُ جَمْعُ كَرَامَةٍ ، وَهِيَ فِي اللَّغَةِ : الشَّرَفُ . مِنَ الْكَرَمِ : الَّذِي يَعْنِي شَرَفَ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ . أَوْ الْإِكْرَامُ : الَّذِي هُوَ إِصْصَالُ نَفْعٍ إِلَى الْإِنْسَانِ ، لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ غَضَاظَةٌ ، أَوْ أَنْ يَجْعَلَ مَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ شَيْئًا كَرِيمًا ، أَيْ شَرِيفًا.<sup>٥٦٧</sup>

أَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ الشَّرْعِيِّ ، فَقَدْ عَرَّفَ ابْنُ عَابِدِينَ الْكَرَامَةَ بِأَنَّهَا : ظُهُورُ أَمْرِ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ ، عَلَى يَدِ عَبْدٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ ، مُلتَزِمٍ لِمُتَابَعَةِ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مُقْتَرِنًا بِصَحِيحِ الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ غَيْرِ مُقَارِنٍ لِدَعْوَى النُّبُوَّةِ .<sup>٥٦٨</sup>

فَامْتَاَزَتِ الْكَرَامَةُ بِعَدَمِ الْإِفْتِرَاقِ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ عَنِ الْمُعْجِزَةِ ، وَبِكَوْنِهَا عَلَى يَدِ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ وَهُوَ الْوَلِيُّ عَمَّا يُسْمَوْنَهُ مُعَوْنَةً وَهِيَ الْخَارِقُ الظَّاهِرُ عَلَى أَيْدِي عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ ، تَخَلُّصًا لَهُمْ مِنَ الْمِحْنِ وَالْمَكَارِهِ ، وَبِمُقَارَنَةِ صَحِيحِ الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ عَنِ الْإِسْتِدْرَاجِ ، وَبِمُتَابَعَةِ نَبِيِّ قَبْلَهُ عَنْ خَوَارِقِ مُدَّعِيِ النُّبُوَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ لِكُذْبِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْإِهَانَةِ كَبَصُقِ مُسَيْلِمَةَ فِي بئرِ عَذْبَةِ الْمَاءِ لِيَزْدَادَ مَاؤُهَا حَلَاوَةً ، فَصَارَ مِلْحًا أُجَاجًا .<sup>٥٦٩</sup>

- وَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْأُصُولِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمْ - خِلَافًا لِلْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ - إِلَى أَنَّ ظُهُورَ الْكَرَامَةِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ حَائِزٌ عَقْلًا ، لِأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْمُمَكِّنَاتِ ، وَأَنَّهَا وَاقِعَةٌ نَقْلًا مُفِيدًا لِلْيَقِينِ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ الْقُرْآنِ بِهَا ، وَوُقُوعِ التَّوَاتُرِ عَلَيْهَا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ . وَبَعْدَ ثُبُوتِ الْوُقُوعِ لَا حَاجَةَ إِلَى إِثْبَاتِ الْحَوَازِ .<sup>٥٧٠</sup>

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : وَكَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ وَالْآثَارُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَهَا أَهْلُ الْبِدْعِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَدَّعِيهَا أَوْ تُدَّعَى لَهُ يَكُونُ كَذَابًا أَوْ مَلْبُوسًا عَلَيْهِ .<sup>٥٧١</sup>

وَاسْتَدَلُّوا عَلَى وَقُوعِهَا بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا

<sup>٥٦٧</sup> - معجم مقاييس اللغة ٥ / ١٧٢ ، ومفردات الراغب ص ٧٠٧ .

<sup>٥٦٨</sup> - مجموعة رسائل ابن عابدين ٢ / ٢٧٨ .

<sup>٥٦٩</sup> - المحلى على جمع الجوامع مع حاشية العطار ٢ / ٤٨١ ، وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الميداني ص ١٣٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٩٧٥ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢ / ٣٩٢ ، ومجموعة رسائل ابن عابدين ٢ / ٢٧٨ ، وتعريفات الجرجاني ص ١١٥ .

<sup>٥٧٠</sup> - قطر الولي للشوكاني ص ٢٥٧ وما بعدها ، وبستان العارفين للنووي ص ١٤١ - ١٥٥ ، والمعتمد لأبي يعلى ص ١٦١ ، والفتاوى الحديثية لابن حجر المكي ص ٣٠١ ، وشرح الطحاوية للغنيمي ص ١٣٩ ، ولوامع الأنوار البهية ٤ / ٢٣٩ ، والمحلى على جمع الجوامع وحاشية العطار عليه ٢ / ٤٨١ .

<sup>٥٧١</sup> - مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٠٠ .

قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ { ٥٧٢ } (سورة آل عمران)، قَالَ الْبَيْضاويُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: هَذَا دَلِيلُ جَوَازِ الْكَرَامَةِ لِلْأَوْلِيَاءِ { ٥٧٣ }، وَفِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ زَادَهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضاويِّ: لِأَنَّ حُصُولَ الرِّزْقِ عِنْدَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ لَا شَكَّ أَنَّهُ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ظَهَرَ عَلَى يَدِ مَنْ لَا يَدْعِي النُّبُوَّةَ، وَلَيْسَ مُعْجَزَةً لِنَبِيِّ، لِأَنَّ النَّبِيَّ الْمَوْجُودَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ هُوَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مُعْجَزَةً لَهُ لَكَانَ عَالِمًا بِحَالِهِ، وَلَمْ يَشْتَبِهْ أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَقُلْ لِمَرْيَمَ: { أَنِّي لَكَ هَذَا } وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } (سورة آل عمران / ٣٨)، مُشْعِرًا بِأَنَّهُ لَمَّا سَأَلَهَا عَنْ أَمْرِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ - قِيلَ: أَنَّهُ كَانَ يَحْدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةً الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةً الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ - لَمَّا سَأَلَهَا عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الْعَادِيَّةِ، وَذَكَرَتْ لَهُ: أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، هُنَالِكَ طَمِعَ فِي انْخِرَاقِ الْعَادَةِ بِحُصُولِ الْوَلَدِ مِنَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِرِ الشَّيْخَةِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَأْتِسُّ مِنَ الْوَلَدِ بِسَبَبِ شَيْخُوخَتِهِ وَشَيْخُوخَةِ زَوْجَتِهِ وَعُقْمِهَا، فَلَوْ لَمْ يَعْتَقِدْ مَا رَأَاهُ فِي حَقِّ مَرْيَمَ مِنَ الْخَوَارِقِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ إِلَّا بِإِخْبَارِ مَرْيَمَ - لَوْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمَّا كَانَتْ رُؤْيَا تِلْكَ الْخَوَارِقِ فِي مَرْيَمَ سَبَبًا لَطَمَعِهِ بِوَلَادَةِ الْعَاقِرِ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ - وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ: ثَبَتَ أَنَّ تِلْكَ الْخَوَارِقَ مَا كَانَتْ مُعْجَزَةً لِمَرْيَمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَا لِنَبِيِّ غَيْرِهِ، لِغَدَمِ وَجُودِهِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّهَا كَرَامَةٌ لِمَرْيَمَ فَتَبَتِ الْمَطْلُوبُ { ٥٧٤ }.

كَمَا اسْتَدَلُّوا عَلَى وَقُوعِهَا بِقِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ { ٥٧٥ }، فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً سَبْعَةً مِنْ أَشْرَافِ الرُّومِ خَافُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنْ مَلِكِهِمْ فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَدَخَلُوا غَارًا فَلَبِثُوا فِيهِ بِلَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ظَهَرَ عَلَى يَدِ مَنْ لَمْ يَدْعِ النُّبُوَّةَ، وَلَا الرِّسَالَةَ.

وَكَذَلِكَ بِقِصَّةِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَقَدْ أَتَى بِعَرْشِ بَلْقَيْسَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ طَرَفُ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِ مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ فَرَأَى سُلَيْمَانُ الْعَرْشَ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ بِلَمَحَةِ طَرَفِ الْعَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ

٥٧٢ - فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا نَذِيرَةً مُحَرَّرَةً لِلْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ بَيْتِهِ، وَأَحْسَنَ نَشَأَتَهَا وَنَبَاتَهَا، وَقَرَنَهَا بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ الْعِلْمَ وَالْحَيَرَ وَالْدِّينَ.

وَجَعَلَ زَكَرِيَّا كَافِلًا لَهَا، إِثْمَامًا لِسَعَادَتِهَا، لِيَتَقَبَّسَ مِنْهُ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحَ. وَكُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا مَكَانَ مُصَلَّاهَا (الْمُخْرَبِ) وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا، فَكَانَ زَكَرِيَّا يَسْأَلُهَا مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الرِّزْقُ يَا مَرْيَمُ؟ فَتَرُدُّ عَلَيْهِ قَائِلَةً إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَرْزُقُ النَّاسَ جَمِيعًا بِتَسْخِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ رِزْقًا كَثِيرًا بِلَا حُدُودٍ؟

٥٧٣ - تَفْسِيرُ الْبَيْضاوي - (ج ١ / ص ٣٣٩)

٥٧٤ - تَفْسِيرُ الْبَيْضاوي وَحَاشِيَةُ الشَّيْخِ زَادَهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ ٣٧، ٣٨، ٣٣ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

٥٧٥ - سُورَةُ الْكَهْفِ مِنَ الْآيَةِ ٩ - إِلَى الْآيَةِ ٢٢ مِنَ السُّورَةِ.

قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} ٥٧٦ (٤٠) سورة النمل .

وَكَذَلِكَ بِمَا وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ مِنْ كَرَامَاتٍ فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا ، وَرَأْسَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى : سَارِيَّةَ ، فَبَيْنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ جَعَلَ يُنَادِي : يَا سَارِيَّةُ : الْجَبَلُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ فَسَأَلَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُزِمْنَا فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْنَا صَوْتًا يُنَادِي : يَا سَارِيَّةُ إِلَى الْجَبَلِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَسْتَدْنَا ظُهُورَنَا إِلَى الْجَبَلِ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ يَخْطُبُ عُمَرُ وَبَيْنَ مَكَانِ الْجَيْشِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ

٥٧٧

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى تَفَرَّقَا ، فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا . وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ حَمَادٌ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ كَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - ٥٧٨ .

وَوَفَّعَتْ لِلصَّحَابَةِ كَرَامَاتٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : « إِنْ صَاحَبَكُمْ تَعَسَلُهُ الْمَلَائِكَةُ يَعْنِي حَنْظَلَةُ فَاسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ » . فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ فَقَالَتْ : خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « لِذَلِكَ غَسَلْتُهُ الْمَلَائِكَةُ » . قَالَ يُوسُفُ فَحَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ عَامِرٍ قَالَ : قُتِلَ حَمَزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ حَنْظَلَةُ ابْنُ الرَّاهِبِ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ الَّذِي طَهَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ٥٧٩ .

وَلَا تَزَالُ تَقَعُ الْكَرَامَاتُ لِصُلَحَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَعَدَّ أَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيُعِينَهُمْ ، وَيُؤَيِّدَهُمْ ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : « .. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوْفَلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ . » ٥٨٠ .

٥٧٦ - فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِمَجَاعَتِهِ إِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَأْتُوهُ بِهِ بِأَسْرَعٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ (عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) إِنَّهُ مُسْتَعِدٌّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَطْرَفَ عَيْنُهُ وَدَعَا الرَّجُلُ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمَ ، فَمَثَلَ الْعَرْشُ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ فَلَمَّا رَآهُ سُلَيْمَانُ وَمَنْ حَوْلَهُ مُسْتَقِرًّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَالَ سُلَيْمَانُ : هَذَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ لِيَحْتَبِرَنِي رَبِّي أَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ أَمْ أَكْفُرُ بِهَا؟ وَمَنْ شَكَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ .

٥٧٧ - أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ (٢٤/٢٠) ، الْإِصَابَةُ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ - (ج ١ / ص ٤١٠) وَهُوَ صَحِيحٌ

٥٧٨ - صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٣٨٠٥)

٥٧٩ - السَّنَنِ الْكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ (ج ٤ / ص ١٥) (٧٠٦٢ و ٧٠٦٣) وَحُلِيِّ ٣٥٧/١ وَبَدَايَةِ ٢١/٤ وَنُبُوَةِ ٢٤٦/٣ وَهُوَ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ

٥٨٠ - صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٦٥٠٢)

وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ نُصْرَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَإِعَانَتِهِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ : يُنْزِلُ نَفْسَهُ مِنْ عَبْدِهِ مَنَزَلَةَ الْأَلَاتِ الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا <sup>٥٨١</sup> ، وَلِذَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ : " فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَبْطِشُ ، وَبِي يَمْشِي " <sup>٥٨٢</sup> ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِلَتُهُ بِاللَّهِ فَلَا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يُكْرِمَهُ بِظُهُورِ مَا لَا يُطِيقُهُ غَيْرُهُ عَلَى يَدَيْهِ تَكْرِيماً لَهُ .

وَأَنْكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ حُصُولَ مَا يَخْرِقُ الْعَادَةَ عَلَى يَدِ غَيْرِ نَبِيٍّ ، وَقَالُوا : إِنَّ الْخَوَارِقَ دَلَالَاتُ صِدْقِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَدَلِيلُ الثُّبُوتِ لَا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِ النَّبِيِّ ، وَلَئِنْهَا لَوْ ظَهَرَتْ بِأَيْدِي الْأَوْلِيَاءِ لَكَثُرَتْ بِكَثْرَتِهِمْ ، وَلَخَرَجَتْ عَنْ كَوْنِهَا خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، وَالْفَرَضُ أَنَّهَا كَذَلِكَ <sup>٥٨٣</sup> .

### الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْمُعْجَزَةِ :

- الْمُعْجَزَةُ اسْمٌ فَاعِلٍ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْعَجْزِ الْمُقَابِلِ لِلْمَقْدَرَةِ ، لِمَا فِيهَا مِنْ إِعْجَازِ الْخَصْمِ عِنْدَ التَّحْدِي ، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ .

وَهِيَ فِي الشَّرْعِ : مَا خَرَقَ الْعَادَةَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، إِذَا وَافَقَ دَعْوَى الرِّسَالَةِ وَقَارَنَهَا وَطَابَقَهَا ، عَلَى جِهَةِ التَّحْدِي ابْتِدَاءً ، بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى مِثْلِهَا وَلَا عَلَى مَا يُقَارِبُهَا <sup>٥٨٤</sup> . وَتَسْمِيَةُ دَلَائِلِ الثُّبُوتِ وَأَعْلَامِهَا " مُعْجَزَاتٍ " إِنَّمَا هُوَ اصْطِلَاحُ النَّظَارِ ، إِذْ لَمْ يَرِدْ هَذَا اللَّفْظُ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ ، وَالَّذِي فِيهِ لَفْظُ الْآيَةِ وَالْبَيِّنَةِ وَالْبُرْهَانِ <sup>٥٨٥</sup> .

### - أَمَّا وَجُوهُ التَّفْرِيقَةِ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْمُعْجَزَةِ فَهِيَ :

أَوَّلًا : أَنَّ الْمُعْجَزَةَ تَقْتَرِنُ بِالتَّحْدِي ، وَهُوَ طَلَبُ الْمُعَارَضَةِ وَالْمُقَابَلَةِ يُقَالُ تَحَدَّيْتُ فُلَانًا : إِذَا بَارَيْتَهُ فِي فِعْلٍ وَنَازَعْتَهُ لِلْعَلَبَةِ أَمَّا الْكَرَامَةُ فَلَا تَقْتَرِنُ بِذَلِكَ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مَا وَقَعَ مِنْهُ ﷺ بَعْدَ الثُّبُوتِ مِنْ مُعْجَزَاتٍ كَنَطَقِ الْحَصَى وَحَنِينِ الْجَذْعِ وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ مَقْرُونٌ بِالتَّحْدِي ، لِأَنَّ قَرَأَيْنِ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ نَاطِقَةً بِدَعْوَاهُ الثُّبُوتِ وَتَحْدِيهِ لِلْمُخَالَفِينَ وَإِظْهَارِهِ مَا يَقْتَعُهُمْ وَيَقْطَعُهُمْ ، فَكَانَ كُلُّ مَا ظَهَرَ مِنْهُ ﷺ يُسَمَّى آيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ ، وَلِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ اقْتِرَانِهَا بِالتَّحْدِي الْإِقْتِرَانُ بِالْقُوَّةِ أَوْ الْفِعْلِ <sup>٥٨٦</sup> .

<sup>٥٨١</sup> - فتح الباري ١١ / ٣٤١

<sup>٥٨٢</sup> - رواية : " فِي يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ ، وَيَبْطِشُ ، وَيَمْشِي " أوردته ابن حجر في الفتح ( ١١ / ٣٤٤ ) نقلاً عن الطوفي ولم يعزها إلى أي مصدر .

<sup>٥٨٣</sup> - حاشية شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم البيهقوري المسماة بتحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٨٠ وما بعدها .

<sup>٥٨٤</sup> - التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٦٦٥ ، والتعريفات للجرجاني ص ١١٥ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٩٧٥ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢ / ٢٩٠ .

<sup>٥٨٥</sup> - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٤ / ٦٧ .

<sup>٥٨٦</sup> - الفتاوى الحديشية لابن حجر الهيتمي ص ٣٠٨ .

ثَانِيًا : أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَأْمُورُونَ بِإِظْهَارِ مُعْجَزَاتِهِمْ ، لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَى مَعْرِفَةِ صِدْقِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ ، وَلَا يُعْرِفُ النَّبِيُّ إِلَّا بِمُعْجَزٍ . أَمَّا الْكَرَامَةُ فَلَا يَجِبُ عَلَى الْوَلِيِّ إِظْهَارُهَا ، بَلْ يَسْتُرُ كَرَامَتَهُ وَيُسِرُّهَا وَيَجْتَهِدُ عَلَى إِخْفَاءِ أَمْرِهِ .<sup>٥٨٧</sup>

ثَالِثًا : أَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ قَطْعِيَّةٌ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، بَيْنَمَا دَلَالََةُ الْكَرَامَةِ عَلَى الْوَلَايَةِ ظَنِّيَّةٌ ، وَلَا يَعْلَمُ مُظْهِرُهَا أَوْ مَنْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ أَنَّهُ وَلِيٌّ ، وَلَا غَيْرُهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ مَمْكُورًا بِهِ .<sup>٥٨٨</sup>

قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى : وَالِدَلَالَةُ عَلَيْهِ أَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْقَطْعِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمُوتُ إِلَّا مُؤْمِنًا ، فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ لَمْ يُمَكِّنَا أَنْ نَقْطَعَ عَلَى أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْوَلِيَّ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يُؤَافِي إِلَّا بِالْإِيمَانِ ، وَلَمَّا اتَّفَقَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَقْطَعَ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يُؤَافِي إِلَّا بِالْإِيمَانِ ، عَلِمَ أَنَّ الْفِعْلَ الْخَارِقَ لِلْعَادَةِ لَا يَدُلُّ عَلَى وَلَايَتِهِ .<sup>٥٨٩</sup>

وَيَتَفَرَّغُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ تَدُلُّ عَلَى عِصْمَةِ صَاحِبِهَا وَعَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ ، أَمَّا الْكَرَامَةُ فَلَا تَدُلُّ عَلَى عِصْمَةِ مَنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ ، وَلَا عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ ، وَلَا عَلَى وَلَايَتِهِ ، لِجَوَازِ سَلْبِهَا أَوْ أَنْ تَكُونَ اسْتِدْرَاجًا لَهُ .<sup>٥٩٠</sup>

رَابِعًا : أَنَّ الْكَرَامَةَ لَا يَجُوزُ بُلُوغُهَا مَبْلَغُ الْمُعْجِزَةِ فِي جِنْسِهَا وَعِظَمِهَا ، كَأَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَانْفِلَاقِ الْبَحْرِ وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً وَخُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ ، وَبِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْحَنَفِيِّينَ وَبَعْضُ الشَّافِعِيِّينَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبَيْنِ وَغَيْرِهِمْ : كُلُّ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ جَازَ أَنْ يَكُونَ كَرَامَةً لَوَلِيٍّ ، غَيْرَ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ تَقْتَرِنُ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ، وَالْكَرَامَةَ لَا تَقْتَرِنُ بِذَلِكَ ، بَلْ إِنْ الْوَلِيَّ لَوْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ ، لَا يَسْتَحِقُّ الْكَرَامَةَ بَلِ اللَّعْنَةُ وَالْإِهَانَةُ .<sup>٥٩١</sup>

#### خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ الْبُعْثَةِ :

- مِنْ جُمْلَةِ الْكَرَامَاتِ الْخَوَارِقُ الَّتِي وَقَعَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، كِإِظْلَالِ الْعَمَامِ وَشَقِّ الصِّدْرِ الْوَاقِعَيْنِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ الْبُعْثَةِ ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ بِمُعْجَزَاتٍ لِقُدُّمِهَا عَلَى التَّحَدِّيِّ وَدَعْوَى النُّبُوَّةِ ، بَلْ كَرَامَاتٍ ، وَتُسَمَّى " إِرْهَاصًا " أَيْ تَأْسِيسًا لِلنُّبُوَّةِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ جُمْهُورُ أئِمَّةِ الْأُصُولِ وَغَيْرِهِمْ .<sup>٥٩٢</sup>

كَرَامَةُ الْوَلِيِّ مُعْجِزَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

<sup>٥٨٧</sup> - لوامع الأنوار البهية ٢ / ٣٩٦ ، وبستان العارفين للنووي ص ١٦١ ، ١٦٥ .

<sup>٥٨٨</sup> - الفتاوى الحديثية ص ٣٠٥ ، وبستان العارفين ص ١٦١ .

<sup>٥٨٩</sup> - المعتمد لأبي يعلى ص ١٦٥ .

<sup>٥٩٠</sup> - مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٠٠ ، ولوامع الأنوار البهية ٢ / ٣٩٣ .

<sup>٥٩١</sup> - قطر الولي للشوكان ص ٢٥٨ ، ورد المختار ٣ / ٣٠٨ ، ومجموعة رسائل ابن عابدين ٢ / ٢٧٩ ، وبستان العارفين ص

١٦٦ ، ١٥٦ ، والفتاوى الحديثية ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، والخلي على جمع الجوامع وحاشية العطار ٢ / ٤٨١ ، ولوامع الأنوار البهية ٢ / ٣٩٦ .

<sup>٥٩٢</sup> - الفتاوى الحديثية ص ٣٠٧ ، بستان العارفين ص ١٥٧ ، ومجموعة رسائل ابن عابدين ٢ / ٢٧٨ ، ولوامع الأنوار البهية ٢ / ٣٩٢ .

- قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ : اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ خَارِقٍ ظَهَرَ عَلَى يَدِ أَحَدٍ مِنَ الْعَارِفِينَ فَهُوَ ذُو جِهَتَيْنِ : جِهَةٌ كَرَامَةٌ ، مِنْ حَيْثُ ظُهُورِهِ عَلَى يَدِ ذَلِكَ الْعَارِفِ . وَجِهَةٌ مُعْجَزَةٌ لِلرَّسُولِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الَّذِي ظَهَرَتْ هَذِهِ الْكَرَامَةُ عَلَى يَدِهِ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ بِتِلْكَ الْكَرَامَةِ إِلَّا تِلْكَ الْوَلِيَّةُ إِلَّا وَهُوَ مُحِقٌّ فِي دِيَانَتِهِ ، وَدِيَانَتُهُ هِيَ التَّصَدِيقُ وَالْإِقْرَارُ بِرِسَالَةِ ذَلِكَ الرَّسُولِ مَعَ الْإِطَاعَةِ لِأَوَامِرِهِ وَتَوَاهِيهِ ، حَتَّى لَوْ ادَّعَى هَذَا الْوَلِيُّ الْإِسْتِقْلَالَ بِنَفْسِهِ وَعَدَمَ الْمُتَابَعَةَ لَمْ يَكُنْ وَلِيًّا . ٥٩٣

### الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ :

- ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْخَارِقَ غَيْرَ الْمُفْتَرِ بِتَحْدِثِ النُّبُوَّةِ إِذَا ظَهَرَ عَلَى يَدِ عَبْدٍ صَالِحٍ ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُقُوقِ خَلْقِهِ فَهُوَ الْكَرَامَةُ . أَمَّا إِذَا ظَهَرَ عَلَى يَدِ ظَاهِرِ الْفِسْقِ مُطَابِقًا لِدَعْوَاهُ فَهُوَ " الْإِسْتِدْرَاجُ " وَقَدْ يُسَمَّى " سِحْرًا وَشَعْوَدَةً " .

وَإِنْ ظَهَرَ عَلَى يَدِ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ فَهُوَ " الْإِهَانَةُ " ، كَنُطْقِ الْجَمَادِ بِأَنَّهُ مُفْتَرٍ كَذَابٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ خَارِقَ الْعَادَةِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يَكُونُ مُوَافِقًا لِلدَّعْوَى ، بَلْ مُثَبِّتًا لِكُذِبِهَا . ٥٩٤  
وَأَسَاسُ ذَلِكَ أَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا يَكُونُ سَبَبُهَا إِلَّا الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى ، أَمَّا خَوَارِقُ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَسَبَبُهَا الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ . ٥٩٥

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : إِنَّ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ لَا تَدُلُّ عَلَى عِصْمَةِ صَاحِبِهَا ، وَلَا عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ ، لِأَنَّ بَعْضًا مِنْهَا قَدْ يَصْدُرُ عَنِ الْكُفَّارِ وَالسَّحَرَةِ بِمُؤَاخَاتِهِمْ لِلشَّيَاطِينِ ، كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَنَّهُ يَقُولُ لِلسَّمَاءِ : امْطِرِي فَمُطِرٌ ، وَلِلْأَرْضِ : أَنْبِئِي فَنُبِّئْتُ ، وَأَنَّهُ يَقْتُلُ وَاحِدًا ثُمَّ يُحْيِيهِ ، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ خَلْفَهُ كُنُوزُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . ٥٩٦

وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الدِّينِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ ، لَمْ تُثَبِّتْ لَهُ وَلَايَةٌ ، بَلْ وَلَا إِسْلَامٌ حَتَّى يُنْظَرَ وَقُوفُهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ . ٥٩٧

### قَوْلُ مَنْ ادَّعَى مَا لَا يُمَكِّنُ عَادَةً :

إِذَا ادَّعَى أَحَدٌ مَا لَا يُمَكِّنُ عَادَةً ، وَيُمْكِنُ بِالْكَرَامَةِ فَلَا يُقْبَلُ شَرْعًا وَهُوَ لَعُوٌّ ، كَأَنِّ ادَّعَى أَنَّهُ رَهْنٌ دَارِهِ بِالشَّامِ وَأَقْبَضَهُ إِيَّاهَا ، وَهُمَا بِمَكَّةَ لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُهُ ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ : وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِمَا يُمَكِّنُ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَكَذَا إِنْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ فِي الْمَغْرِبِ وَهُوَ بِالْمَشْرِقِ وَوَلَدَتْ

٥٩٣ - مجموعة رسائل ابن عابدين ٢ / ٢٧٩ ، وانظر مجموعة فتاوى ابن ابن تيمية ١١ / ٢٧٥ .

٥٩٤ - بستان العارفين ص ١٥٧ ، ولوامع الأنوار ٢ / ٢٩٠ ، وشرح العقيدة الطحاوية للميداني ص ١٣٩ ، والفتاوى الحديثية ص ٣٠٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٩٧٥ .

٥٩٥ - مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ٣٠٢ .

٥٩٦ - حديث الدجال أخرجه مسلم ( ٤ / ٢٢٥٢ - ٢٢٥٣ ط الحلي ) .

٥٩٧ - مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٠٠ و مجموع فتاوى ابن تيمية - ( ج ٢ / ص ٤٨٨ ) و مجموع فتاوى ابن تيمية - ( ج ٦ / ص

١٠٨ ) والفتاوى الكبرى - ( ج ١ / ص ٢٠٦ )

لِسِنَّةٍ أَشْهَرُ لَا يَلْحَقُهُ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهَا بِالشَّرْعِ ، وَإِنْ خَصَّ الشَّارِعُ شَخْصًا بِحُكْمٍ يَبْقَى الْحُكْمُ خَاصًّا بِهِ ، وَلَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ بِالْقِيَاسِ ، كَقَوْلِهِ ﷺ : مَنْ شَهِدَ لَهُ خُرَيْمَةٌ أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ فَحَسْبُهُ <sup>٥٩٨</sup> ، وَهَذِهِ مَكْرُمَةٌ خَاصَّةٌ بِخُرَيْمَةَ بَعْدَ شَهَادَتِهِ بِشَهَادَتَيْنِ ، فَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ كَرَامَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ <sup>٥٩٩</sup>

### حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات :

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق . وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكار شيء منه ردٌّ للنصوص ومصادمة للواقع وانحرافٌ كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين في هذا الباب . والله تعالى أعلم .

=====

<sup>٥٩٨</sup> - عَنْ خُرَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ابْتِغَاءً مِنْ سَوَاءِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيِّ فَرَسًا فَجَحَدَ فَشَهِدَ لَهُ خُرَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « مَا حَمَلَكَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَلَمْ تُكُنْ مَعَهُ ؟ » . قَالَ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ صَدَّقْتُكَ بِمَا قُلْتَ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ لَا تَقُولُ إِلَّا حَقًّا فَقَالَ مَنْ شَهِدَ لَهُ خُرَيْمَةٌ أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .

السنن الكبرى للبيهقي ( ج ١٠ / ص ١٤٦ ) ( ٢١٠٢١ ) والمستدرک للحاکم ( ٢١٨٨ ) وجمع ٣٢٠ / ٩ وتخ ٨٧ / ١ وكر ١٣٦ / ٥ وفتح ٥١٩ / ٨ وهو حديث صحيح

<sup>٥٩٩</sup> - تحفة المحتاج ٥ / ١٠٧ ، ومسلم الثبوت ٢ / ٣٢٧ .

## المبحث الخامس عشر الولي والولاية في الإسلام

### تعريف الولي والولاية :

الولاية : ضد العداوة . وأصل الولاية : المحبة والقرب . وأصل العداوة : البغض والبعد .  
والولاية في الاصطلاح : هي القرب من الله بطاعته .

والولي في الشرع : هو من اجتمع فيه وصفان : الإيمان والتقوى . قال تعالى : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (يونس : ٦٢ ، ٦٣) .

### مفهوم ولاية الله تعالى :

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ وِلَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى نَوْعَانِ : عَامَّةٌ ، وَخَاصَّةٌ :  
فَأَمَّا الْوِلَايَةُ الْعَامَّةُ فَهِيَ وِلَايَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ، لِلَّهِ تَقِيًّا ، كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلِيًّا . وَفِيهِ مِنْ  
الْوِلَايَةِ بِقَدْرِ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ .<sup>٦٠٠</sup>

يَذَلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } (٦٨) سورة آل عمران ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٢٥٧) سورة البقرة .

وَفِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْوِلَايَةِ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ : فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مَعَهُ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِقَدْرِ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ ، كَمَا مَعَهُ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ بِقَدْرِ فُجُورِهِ ، إِذِ الشَّخْصُ الْوَاحِدُ تَجْتَمِعُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلثَّوَابِ وَالسَّيِّئَاتُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلْعِقَابِ ، حَتَّى يُمَكِّنَ أَنْ يَثَابَ وَيُعَاقَبَ ، وَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ .<sup>٦٠١</sup>

وَأَمَّا الْوِلَايَةُ الْخَاصَّةُ فَهِيَ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ حُقُوقِهِ ، وَإِثَارُهُ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، حَتَّى تَصِيرَ مَرَاذِي اللَّهِ وَمَحَابُّهُ هِيَ هَمُّهُ وَمُتَعَلِّقُ خَوَاطِرِهِ ، يُصْبِحُ وَيُمْسِي وَهُمُّهُ مَرْضَاةُ رَبِّهِ وَإِنْ سَخِطَ الْخَلْقُ .<sup>٦٠٢</sup>

وَفِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْوِلَايَةِ يَقُولُ الشَّوْكَانِيُّ : الْوَلِيُّ فِي اللَّغَةِ : الْقَرِيبُ . وَالْمُرَادُ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ : خُلَصُ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّهُمْ قَرَّبُوا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ .<sup>٦٠٣</sup>

<sup>٦٠٠</sup> - بدائع الفوائد ٣ / ١٠٦ ، وانظر حاشية المدابغي على فتح المعين لابن حجر المكي ص ٢٦٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص ١٠٣ .

<sup>٦٠١</sup> - مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٨٨ ، والتحفة العراقية في أعمال القلوب ص ١٥ وما بعدها و مجموع فتاوى ابن تيمية - ( ج ٢ / ص ٣٤٥ )

<sup>٦٠٢</sup> - بدائع الفوائد ٣ / ١٠٧ .

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ تَعْرِيفَاتُ الْعُلَمَاءِ لِهَذِهِ الْوَلَايَةِ ، فَقَالَ الْغُنَيْمِيُّ الْمِيدَانِيُّ : الْأَوْلِيَاءُ جَمْعٌ وَلِيٌّ ، بِوَزْنِ فَعِيلٍ ( بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَفَتِيلٍ بِمَعْنَى مَقْتُولٍ ، أَوْ ( بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَعَلِيمٍ بِمَعْنَى عَالِمٍ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ : وَكَوْنُهُ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَرْجَحُ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمدَحُ إِلَّا عَلَى فِعْلٍ نَفْسِهِ ، وَقَدْ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . - فَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ الْوَلِيُّ مَنْ تَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِعَايَتَهُ وَحِفْظَهُ ، فَلَا يَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : { إِنْ وَلَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } ( ١٩٦ ) سورة الأعراف . - وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ الْوَلِيُّ مَنْ تَوَلَّى عِبَادَةَ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَهُوَ يَأْتِي بِهَا عَلَى التَّوَالِي ، آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَيَجْتَنِبُ إِلَى هَذَا مَا عَرَفَهُ بِهِ السَّعْدُ فِي " شَرْحِ الْعَقَائِدِ " حَيْثُ قَالَ : هُوَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ حَسَبَ مَا يُمَكِّنُ ، الْمُوَظَّبُ عَلَى الطَّاعَاتِ ، الْمُجْتَنِبُ لِلْمَعَاصِي ، الْمُعْرِضُ عَنِ الْإِنْتِهَاكِ بِالذَّلَاتِ وَالشَّهَوَاتِ ٦٠٤ .

وَكَذَا تَعْرِيفُ الْهَيْتَمِيِّ لِلأَوْلِيَاءِ بَأَنَّهُمْ : الْقَائِمُونَ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ ، بِجَمْعِهِمْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَسَلَامَتِهِمْ مِنَ الْهَفَوَاتِ وَالزَّلَلِ ٦٠٥ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ سَلَامَتَهُمْ مِنَ الْهَفَوَاتِ وَالزَّلَلِ لَا تَعْنِي الْعِصْمَةَ ، إِذْ لَا عِصْمَةَ إِلَّا لِلنَّبِيِّ ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ عَلَى مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ الْوَلِيَّ مِنْ تَمَادِيهِ فِي الزَّلَلِ وَالْخَطَأِ إِنْ وَقَعَ فِيهِمَا ، بِأَنْ يُلْهِمَهُ التَّوْبَةُ فَيَتُوبَ مِنْهُمَا ، وَإِلَّا فَهُمَا لَا يَقْدَحَانِ فِي وَلَايَتِهِ ٦٠٦ .

### الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَلِيِّ وَالنَّبِيِّ :

ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مِمَّا يَفْتَرِقُ الْوَلِيَّ عَنِ النَّبِيِّ فِيهِ : ٦٠٧

#### أ - الْعِصْمَةُ :

- فالأنبياء معصومون وجوباً ، وليس الأولياء كذلك ، فيجوزُ عليهم ما يجوزُ على سائرِ عبادِ الله المؤمنين من اقتِرَافِ الذُّنُوبِ . قَالَ الشُّوْكَانِيُّ : لَكِنَّهُمْ قَدْ صَارُوا إِلَى رُتْبَةٍ رَفِيعَةٍ وَمَنْزِلَةٍ عَلِيَّةٍ ، فَقَلَّ أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ مَا يُخَالِفُ الصَّوَابَ وَيُنَافِي الْحَقَّ ، وَإِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فَلَا يُخْرِجُهُمْ عَنْ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ ٦٠٨ .

٦٠٣ - فتح القدير ٤٣٦٢ .

٦٠٤ - شرح العقيدة الطحاوية للميداني ص ١٠٣ ، وانظر لوامع الأنوار ار البهية للسفاريني ٣٩٢٢ ، والمحلي على جمع الجوامع وحاشية العطار عليه ٤٨١٢ ، وتعريفات الجرجاني ص ١٣٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٥٢٨٢ ، وفتح الباري ٣٤٢١١ ، وبستان العارفين للنووي ص ١٧١ ، ومجموعة رسائل ابن عابدين ٢٧٧٢ ، وحاشية المدابغي على فتح المعين ص ٢٦٩ .

٦٠٥ - الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيتمي ص ٣٠١ .

٦٠٦ - مجموعة رسائل ابن عابدين ٢٧٧٢ .

٦٠٧ - مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠٨١١ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ولوامع الأنوار البهية ٣٠١٢ ، وقطر الولي للشوكان ص ٢٤٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الميداني ص ١٣٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٥٢٩/٢ .

٦٠٨ - قطر الولي ص ٢٤٨ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ : وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْوَلِيُّ مُحْفُوظًا ، فَلَا يُصِيرُ عَلَى الذُّنُوبِ ، وَإِنْ حَصَلَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ فِي أَوْقَاتٍ أَوْ زَلَّاتٌ ، فَلَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ فِي حَقِّهِمْ . ٦٠٩

#### ب - الْإِيمَانُ بِهِ وَوُجُوبُ الْإِتِّبَاعِ :

- الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَجِبُ لَهُمُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ ، بِخِلَافِ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا تَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ وَلَا الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ . قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : بَلْ يُعْرَضُ أَمْرُهُمْ وَخَبَرُهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَمَا وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَجِبَ قَبُولُهُ ، وَمَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مَرْدُودًا . ثُمَّ قَالَ : ذَلِكَ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَعْصُومٌ يُسَوِّغُ لَهُ أَوْ لِعَیْرِهِ اتِّبَاعَ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . ٦١٠

#### ج - الْوَحْيُ :

- الْأَنْبِيَاءُ مُكْرَمُونَ بِتَلْقَى الْوَحْيِ وَمُشَاهَدَةِ الْمَلَكِ ، وَلَيْسَ الْأَوْلِيَاءُ كَذَلِكَ . فَالْوَلِيُّ لَا يَسْعُهُ إِلَّا اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ، حَتَّى إِنَّ الْوَلِيَّ لَوْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ ، لَا وَلِيًّا لَهُ .

#### د ( وَجُوبُ تَبْلِيغِ الْوَحْيِ :

- الْأَنْبِيَاءُ مَأْمُورُونَ بِتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ وَسَائِرِ مَا يُوحَى إِلَيْهِمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ وَإِرْشَادِ الْأَنَامِ لِدِينِهِ ، وَلَيْسَ الْأَوْلِيَاءُ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَتَلَقَّوْنَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً بِوَاسِطَةِ الْوَحْيِ ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ الْأَنْبِيَاءَ .

#### هـ - الْأَمْنُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ :

- فَالْأَنْبِيَاءُ مَأْمُورُونَ عَنْ خَوْفِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ ، أَمَّا الْوَلِيُّ فَلَا يَعْلَمُ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ مَا دَامَ حَيًّا هَلْ سَيُخْتَمُ لَهُ بِالْمُؤَافَاةِ عَلَى الْإِيمَانِ ، أَمْ أَنَّهُ سَيَلْقَى اللَّهَ غَيْرَ ذَلِكَ .

#### و ( خَتْمُ النُّبُوَّةِ :

- فَالنُّبُوَّةُ مَخْتُومَةٌ مِنْ حَيْثُ الْإِنْبَاءُ وَالْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، أَمَّا الْوِلَايَةُ فَدَائِمَةٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

#### ز ( حُكْمُ السَّبِّ :

- أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ نَبِيًّا فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ ، إِلَّا إِذَا كَانَ سَبُّهُ مُخَالِفًا لِأَصْلِ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ ، مِثْلَ أَنْ يَتَّخِذَ ذَلِكَ السَّبَّ دِينًا ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِدِينٍ . ٦١١

#### فَضْلُ النَّبِيِّ عَلَى الْوَلِيِّ :

٦٠٩ - بستان العارفين ص ١٧٣ .

٦١٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٦١١ - مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٦٠ ، ومغني المحتاج ٤ / ١٣٥ .

- اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخَلَفُهَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ أَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . قَالَ الْقُشَيْرِيُّ : رُتَبَةُ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَبْلُغُ رُتَبَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْإِجْمَاعِ الْمُنْعَقِدِ عَلَى ذَلِكَ . ٦١٢

أَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْكَرَامِيَّةِ وَغَلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ جَوَازِ كَوْنِ الْوَلِيِّ أَفْضَلَ مِنَ النَّبِيِّ فَهُوَ بَاطِلٌ ، قَالَ الْغُنَيْمِيُّ الْمِيدَانِيُّ : هُوَ كُفْرٌ وَضَلَالٌ . ٦١٣

- أَمَّا أَفْضَلُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : أَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُمْ أَنْبِيَآؤُهُ ، وَأَفْضَلُ أَنْبِيَآئِهِ هُمْ الْمُرْسَلُونَ ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ هُمْ أُولُو الْعِزِّمِ : نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ ﷺ . وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ : نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . ٦١٤

ثُمَّ قَالَ : وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُمْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ، فَبَحَسَبَ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ وَلَايَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيْمَانًا وَتَقْوَى ، كَانَ أَكْمَلَ وَلَايَةً لِلَّهِ ، فَالْتَّاسُ مُتَفَاضِلُونَ فِي وَلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى . ٦١٥

#### مِعْيَارُ التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ

- نَبَّهَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُمَيِّزُونَ عَمَّنْ سِوَاهُمْ بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْخَوَارِقَ كَمَا تَقَعُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، فَقَدْ تَظْهَرُ عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ ، وَإِنَّمَا يُعْرِفُونَ وَيُمَيِّزُونَ بِصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ الَّتِي دَلَّ عَلَى خَبَرِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ . ٦١٦

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّوْكَانِيُّ : وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمَعْدُودِينَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، إِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ ، مُقِيمًا لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَارِكًا لِمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، مُسْتَكْثِرًا مِنْ طَاعَاتِهِ ، فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي لَمْ تُخَالِفِ الشَّرْعَ ، فَهِيَ مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُنْكِرَهَا .

وَمَنْ كَانَ بَعَكْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلَيْسَتْ وَلَايَتُهُ رَحْمَانِيَّةً ، بَلْ شَيْطَانِيَّةً ، وَخَوَارِقُهُ مِنْ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ . وَلَيْسَ هَذَا بَعَرِيبٍ وَلَا مُسْتَنَكِرٍ ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ مَخْدُومًا بِخَادِمٍ مِنَ الْجِنِّ أَوْ بِأَكْثَرٍ ، فَيَخْدُمُونَهُ فِي تَحْصِيلِ مَا يَشْتَهِيهِ وَرَبَّمَا كَانَ مُحَرَّمًا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ . وَالْمِعْيَارُ الَّذِي لَا يَزِيغُ ، وَالْمِيزَانُ الَّذِي لَا يَجُورُ هُوَ مِيزَانُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . فَمَنْ

٦١٢ - بستان العارفين ص ١٦٩ .

٦١٣ - شرح العقيدة الطحاوية للميداني الحنفي ص ١٣٩ .

٦١٤ - مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ١٦١ ، وانظر قطر الولي ص ٢٣٨ .

٦١٥ - مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ١٧٥ .

٦١٦ - مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠ / ٤٣١ ، ١١ / ٢١٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧١ .

كَانَ مُتَّبِعًا لَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا ، فَكَرَامَاتُهُ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِ رَحْمَانِيَّةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ بِهِمَا وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِمَا فَأَحْوَالُهُ شَيْطَانِيَّةٌ . ٦١٧

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ ضَابِطَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ مَا يَتَلَكَّسُ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ وَحَالٍ ، فَإِنْ كَانَ وَفَّقَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ فِي الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي فِي الْقُلُوبِ وَفِي الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي عَلَى الْحَوَارِحِ ، كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ مُعْرِضًا فِي ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ ، مُخَالِفًا لَهُمَا إِلَى غَيْرِهِ ، فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ .

ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ ، فَاكْشِفْهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : فِي صَلَاتِهِ ، وَمَحَبَّتِهِ لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا أَوْ نَفَرَتِهِ عَنْهُمْ ، وَدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَالْمُتَابَعَةِ وَتَحْكِيمِ السُّنَّةِ ، فَرَنُهِ بِذَلِكَ ، وَلَا تَرْنُهُ بِحَالٍ وَلَا كَشْفٍ وَلَا خَارِقٍ ، وَلَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ وَطَارَ فِي الْهَوَاءِ . ٦١٨

أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَلَى طَبَقَتَيْنِ :

سَابِقُونَ مُقْرَبُونَ وَأَصْحَابُ يَمِينٍ مُفْتَصِدُونَ ٦١٩

ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَآخِرِهَا وَفِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ ؛ وَالْمُطَفِّفِينَ وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ فِي الْوَاقِعَةِ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى فِي أَوَّلِهَا وَذَكَرَ الْقِيَامَةَ الصُّغْرَى فِي آخِرِهَا فَقَالَ فِي أَوَّلِهَا : { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) } [الواقعة/١-١٤] .

فَهَذَا تَقْسِيمُ النَّاسِ إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهَا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ السُّورَةِ : فَلَوْلَا أَيْ : فَهَلَّا { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ (٩٤) إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) } سورة الواقعة .

٦١٧ - قطر الولي للشوكاني ص ٢٧٢ .

٦١٨ - الروح لابن القيم ص ٣٥٩ .

٦١٩ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص ٢٥٨-٢٦١

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْآذَانِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَاجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) } الْآيَاتِ .

وَكَذَلِكَ ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ فَقَالَ : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيُّومِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكْذَبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) } .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ قَالُوا يُمَزَّجُ لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزْجًا وَيَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا وَهُوَ كَمَا قَالُوا ٦٢٠ . فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ : { يَشْرَبُ بِهَا } وَلَمْ يَقُلْ : يَشْرَبُ مِنْهَا لِأَنَّهُ ضَمَّنَ ذَلِكَ قَوْلَهُ يَشْرَبُ يَعْنِي يُرَوَى بِهَا فَإِنَّ الشَّارِبَ قَدْ يَشْرَبُ وَلَا يُرَوَى فَإِذَا قِيلَ يَشْرَبُونَ مِنْهَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى الرَّيِّ، فَإِذَا قِيلَ يَشْرَبُونَ بِهَا كَانَ الْمَعْنَى يَرَوُونَ بِهَا، فَالْمُقَرَّبُونَ يَرَوُونَ بِهَا فَلَا يَحْتَاجُونَ مَعَهَا إِلَى مَا دُونَهَا ؛ فَلِهَذَا يَشْرَبُونَ مِنْهَا صِرْفًا بِخِلَافِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَإِنَّهَا مُزِجَتْ لَهُمْ مَزْجًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ : { إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) } .

٦٢٠ - تفسير الطبري - (ج ٢٤ / ص ١٠٧) وتفسير الطبري - (ج ٢٤ / ص ٣٠١ و ٣٠٠) وتفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ٣٥٣) ومصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٤) (٣٤٠٨٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ : مَخْتُومٌ مَمْرُوجٌ خِتَامُهُ مِسْكٌ ، قَالَ : طَعْمُهُ وَرِجْهُ تَسْنِيمٌ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا وَيُمَزَّجُ لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ . وهو صحيح وبرقم (٣٤٠٨٦) عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا وَيُمَزَّجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ . صحيح

فَعِبَادُ اللَّهِ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي تِلْكَ السُّورَةِ، وَهَذَا لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ<sup>٦٢١</sup> فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ<sup>٦٢٢</sup>.

وَقَالَ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ<sup>٦٢٣</sup>.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ الصَّحِيحِ الَّذِي فِي السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ"<sup>٦٢٤</sup>.  
وَقَالَ: «الرَّحِمُ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»<sup>٦٢٥</sup>. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَوْعَيْنِ: مُقَرَّبُونَ وَأَصْحَابُ يَمِينٍ كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَلَ الْقِسْمَيْنِ فِي حَدِيثِ الْأَوْلِيَاءِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أُعْطِيتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»<sup>٦٢٦</sup>.

<sup>٦٢١</sup> - قلت: هذا القاعدة ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع عديدة مجموع الفتاوى - (ج ٢ / ص ٣٩٣) ومجموع الفتاوى أيضاً - (ج ٦ / ص ٤٨٢) ومجموع الفتاوى - (ج ٨ / ص ٣٣٨) ومجموع الفتاوى - (ج ١٠ / ص ٣٠٤) ومجموع الفتاوى - (ج ١٥ / ص ٢٧) وانظر مجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ١٩٢) ومجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ٢٠٠) ومجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ٢٧٦) وفتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ - (ج ٣ / ص ١٢٩) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٣٤٣١) رقم الفتوى ١٦١٥٨ الجزء من جنس العمل، والعفو أقرب للتقوى وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٥٤٢٢) رقم الفتوى ١٩٠٣١ الوعيد لا يلزم أن يقع وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٩ / ص ٢٢٥٧) رقم الفتوى ٦٢٧١٩ امرأة الزاني تصوير زانية من وجوه كثيرة والدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية - (ج ٨ / ص ١٧٤) ومجلة مجمع الفقه الإسلامي - (ج ٢ / ص ٢٣٩٤٧)

<sup>٦٢٢</sup> - صحيح مسلم (٧٠٢٨)

<sup>٦٢٣</sup> - سنن أبي داود (٤٩٤٣) وسنن الترمذی (٢٠٤٩) صحيح

<sup>٦٢٤</sup> - شعب الإيمان - (١٣ / ٤٠١) (١٠٥٣٧) ومسند أحمد مسند أحمد (١٧٠٢ و ٢٥٠٦٨) وسنن الترمذی (٢٠٤٩) صحيح

<sup>٦٢٥</sup> - مسند أحمد (٢٥٠٦٨) صحيح

<sup>٦٢٦</sup> - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٣ / ص ٣٤٦) (٦٦٢٢) وهذا لفظه البخاري (٦٥٠٢)

فَالْأَبْرَارُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ هُمْ الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالْفَرَائِضِ يَفْعَلُونَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَتْرَكُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكْلِفُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَنْدُوبَاتِ ؛ وَلَا الْكَفَّ عَنْ فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ .

وَأَمَّا السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ ، فَفَعَلُوا الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَاتِ وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ ، فَلَمَّا تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبَاتِهِمْ أَحَبَّهُمُ الرَّبُّ حُبًّا تَامًّا كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ } يَعْنِي الْحُبَّ الْمُطْلَقَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) } [الفاحة/٦، ٧] ، أَيَّ أَنْعَمَ عَلَيْهِمُ الْإِنْعَامَ الْمُطْلَقَ التَّامَّ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } (٦٩) سورة النساء ، فَهَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبُونَ صَارَتْ الْمُبَاحَاتُ فِي حَقِّهِمْ طَاعَاتٍ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عِبَادَاتٍ لِلَّهِ فَشَرِبُوا صِرْفًا كَمَا عَمِلُوا لَهُ صِرْفًا ، وَالْمُقْتَصِدُونَ كَانُوا فِي أَعْمَالِهِمْ مَا فَعَلُوهُ لِنَفْسِهِمْ فَلَا يُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ وَلَا يُثَابُونَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَشْرِبُوا صِرْفًا ؛ بَلْ مُزِجَ لَهُمْ مِنْ شَرَابِ الْمُقَرَّبِينَ بِحَسَبِ مَا مَزَجُوهُ فِي الدُّنْيَا .

وَنَظِيرُ هَذَا انْقِسَامُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى عَبْدٍ رَسُولٍ وَنَبِيِّ مَلِكٍ وَقَدْ خَيَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا وَيَبْنَى أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا<sup>٦٢٧</sup> ، فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ مِثْلُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَنَحْوِهِمَا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ الَّذِي { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ (٤٠) } [ص/٣٥-٤٠] ، أَيَّ أَعْطَى مَنْ شِئْتَ وَاحْرَمَ مَنْ شِئْتَ لَا حِسَابَ عَلَيْكَ ، فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيَتْرَكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَتَصَرَّفُ فِي الْوَلَايَةِ وَالْمَالِ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَخْتَارُ مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا الْعَبْدُ الرَّسُولُ فَلَا يُعْطَى أَحَدًا إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِ ، وَلَا يُعْطَى مَنْ يَشَاءُ وَيَحْرُمُ [ مَنْ يَشَاءُ بَلْ رُوي عَنْهُ ] أَنَّهُ قَالَ : « مَا أُعْطِيَكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ ، أَنَا قَاسِمٌ أَضْعُ حَيْثُ أُمِرْتُ »<sup>٦٢٨</sup> ، وَلِهَذَا يُضَيِّفُ اللَّهُ الْأَمْوَالَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (١) سورة الأنفال ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { مَا

<sup>٦٢٧</sup> - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَتَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمٍ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ : أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ أَفَمَلَكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا قَالَ جِبْرِيلُ : تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ . قَالَ : « بَلْ عَبْدًا رَسُولًا » . مسند أحمد (٧٣٥٩) صحيح

<sup>٦٢٨</sup> - صحيح البخاري (٣١١٧)

وَالْمَعْنَى لَا أَتَصَرَّفُ فِيكُمْ بِعِطَّةٍ وَلَا مَنَعٍ بَرَأِي ، وَقَوْلُهُ " إِنَّمَا أَنَا الْقَاسِمُ أَضْعُ حَيْثُ أُمِرْتُ " أَيَّ لَا أُعْطَى أَحَدًا وَلَا أَمْنَعُ أَحَدًا إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بَلْفَظٍ " إِنْ أَنَا إِلَّا خَازِنٌ " .

أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ { (٧) سورة الحشر، وَقَوْلُهُ تَعَالَى { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٤١) سورة الأنفال .

وَلِهَذَا كَانَ أَظْهَرُ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذِهِ الْأَمْوَالَ تُصْرَفُ فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِحَسَبِ اجْتِهَادٍ وَلِيَّ الْأَمْرِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، وَيُذَكَّرُ هَذَا رَوَايَةً عَنْ أَحْمَدَ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْخُمْسِ أَنَّهُ يُقَسَّمُ عَلَى خَمْسَةِ كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ فِي الْمَعْرُوفِ عَنْهُ وَقِيلَ: عَلَى ثَلَاثَةِ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ٦٢٩.

و " الْمَقْصُودُ هُنَا " أَنَّ الْعَبْدَ الرَّسُولَ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ، كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَفْضَلُ مِنْ يُوسُفَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا أَنَّ الْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَبْرَارِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُقَرَّبِينَ سَابِقِينَ، فَمَنْ أَدَّى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَفَعَلَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ مَا يُحِبُّهُ فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَفْعَلُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ وَيَقْصِدُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَا أُبِيحَ لَهُ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ أَوْلَئِكَ

أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مُقْتَصِدُونَ وَسَابِقُونَ ٦٣٠

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى " أَوْلِيَاءَهُ " الْمُقْتَصِدِينَ وَالسَّابِقِينَ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) { [فاطر/٣٢-٣٥].

لَكِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ الثَّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (٣٢) سورة فاطر .

٦٢٩ - اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْغَنِيمَةَ الَّتِي تُؤْخَذُ قَسْرًا مِنْ أَيْدِي الرُّومِ مَا عَدَا الْأَرْضِينَ أَنَّ خُمُسَهَا لِلْإِمَامِ، وَأَرْبَعَةٌ أَخْمَاسُهَا لِلَّذِينَ غَنِمُوهَا لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ( وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ) الْآيَةُ . وَاخْتَلَفُوا فِي الْخُمْسِ عَلَى أَرْبَعَةِ مَذَاهِبٍ مَشْهُورَةٍ : انْظُرْهَا فِي بَدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ وَنَهَايَةِ الْمُقْتَصِدِ - ( ج ١ / ص ٣٢٠ ) وَانْظُرِ الْمَوْسُوعَةَ الْفَقْهِيَّةَ الْكُوَيْتِيَّةَ - ( ج ٢٠ / ص ١٢ ) فَمَا

بعد

وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ بَعْدَ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِحِفَظِ الْقُرْآنِ ؛ بَلْ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَسَمَهُمْ إِلَى ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ وَمُقْتَصِدٍ وَسَابِقٍ ؛ بِخِلَافِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي الْوَاقِعَةِ وَالْمُطَفِّينَ وَالْإِنْفِطَارِ ، فَإِنَّهُ دَخَلَ فِيهَا جَمِيعُ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَاثِرُهُمْ وَمُؤْمِنُهُمْ ، وَهَذَا التَّقْسِيمُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فَ " الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ " أَصْحَابُ الذُّنُوبِ الْمُصِرُّونَ عَلَيْهَا وَمَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ أَيْ ذَنْبٍ كَانَ تَوْبَةً صَحِيحَةً لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ السَّابِقِينَ .  
و " الْمُقْتَصِدُ " الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ الْمُجْتَنِبُ لِلْمَحَارِمِ .

و " السَّابِقُ لِلْخَيْرَاتِ " هُوَ الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ وَالتَّوَابِلِ كَمَا فِي تِلْكَ الْآيَاتِ ، وَمَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ أَيْ ذَنْبٍ كَانَ تَوْبَةً صَحِيحَةً لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ السَّابِقِينَ وَالْمُقْتَصِدِينَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَحَنَاتٌ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرٌ الْعَامِلِينَ (١٣٦) } [آل عمران/١٣٣-١٣٦].

و " الْمُقْتَصِدُ " الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ الْمُجْتَنِبُ لِلْمَحَارِمِ ، وَ " السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ " هُوَ الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ وَالتَّوَابِلِ كَمَا فِي تِلْكَ الْآيَاتِ . وَقَوْلُهُ : { حَنَاتٌ عَذَنَ يَدْخُلُونَهَا } مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَمَّا دُخُولُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ النَّارَ ، فَهَذَا مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ السُّنَنُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ النَّارِ ، وَشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ ، وَإِخْرَاجُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَشَفَاعَةِ غَيْرِهِ . فَمَنْ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مُخْلَدُونَ فِي النَّارِ وَتَأْوُلُ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ السَّابِقِينَ هُمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا ، وَأَنَّ الْمُقْتَصِدَ أَوْ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ لَا يَدْخُلُهَا كَمَا تَأْوُلُهُ مِنَ الْمُعْتَرِلةِ فَهُوَ مُقَابِلٌ بِتَأْوِيلِ الْمُرْجَةِ الَّذِينَ لَا يَقْطَعُونَ بِدُخُولِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ النَّارَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ قَدْ يَدْخُلُ جَمِيعُهُمُ الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ عَذَابٍ ، وَكِلَاهُمَا مُخَالَفٌ لِلْسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلِإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأُئِمَّتِهَا . وَقَدْ دَلَّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ " الطَّائِفَتَيْنِ " قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) سورة النساء ، وَقَالَ تَعَالَى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١١٦) سورة النساء ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَهُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ التَّائِبُ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ الْمُعْتَرِلةِ ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَ يَغْفِرُهُ اللَّهُ لِمَنْ تَابَ ، وَمَا دُونَ الشَّرْكَ يَغْفِرُهُ اللَّهُ أَيْضًا لِلتَّائِبِ فَلَا تَعْلُقُ بِالْمَشِيعَةِ ؛ وَلِهَذَا لَمَّا

ذَكَرَ الْمَغْفِرَةَ لِلتَّائِبِينَ قَالَ تَعَالَى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٥٣) سورة الزمر.

فَهُنَا عَمَمَ الْمَغْفِرَةَ وَأَطْلَقَهَا فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِلْعَبْدِ أَيْ ذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ فَمَنْ تَابَ مِنَ الشَّرِّكَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ تَابَ مِنَ الْكِبَائِرِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَيُّ ذَنْبٍ تَابَ الْعَبْدُ مِنْهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ . فَفِي آيَةِ التَّوْبَةِ عَمَمَ وَأَطْلَقَ وَفِي تِلْكَ الْآيَةِ خَصَّصَ وَعَلَّقَ فَخَصَّ الشَّرِّكَ بِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ وَعَلَّقَ مَا سِوَاهُ عَلَى الْمَشِيعَةِ ، وَمِنْ الشَّرِّكَ التَّعْطِيلُ لِلْخَالِقِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلٍ مَنْ يَحْزِمُ بِالْمَغْفِرَةِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ . وَتَبَّهَ بِالشَّرِّكَ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَتَعْطِيلِ الْخَالِقِ أَوْ يَجُوزُ أَلَّا يُعَذَّبَ بِذَنْبٍ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ مَغْفُورًا لَهُ بِلَا تَوْبَةٍ وَلَا حَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ لَمْ يُعْلَقْ ذَلِكَ بِالْمَشِيعَةِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَغْفِرُ الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ فَبَطَلَ النَّفْيُ وَالْوَقْفُ الْعَامُّ .

### التفاضلُ في ولايةِ الله تعالى ٦٣١

لا يستوي في الإيمان من يسبحون الله بالغدو والآصال، ومن لا يذكرون الله إلا قليلاً. وبين من أنفق كلَّ ماله في تجهيز جيوش المسلمين، وبين من لم ينفق شيئاً قال تعالى : { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (١٠) سورة الحديد.

فالتفاضل يبعث على التسابق من العمل لنيل مزيد الثواب من الله، ولو كان الإيمان شيئاً واحداً في النسبة لاطمأن البليد، ولم يتحرك لطلب المزيد، إنه بتقدير استواء الإيمان والولاية لم يعد هناك ما يبعث النفوس على الاجتهاد ويحركها إلى فعل الخيرات وهذا من مثبطات العزائم.

قال تعالى: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (٢٥٣) سورة البقرة .

إذا كانت المفاضلة جائزة بين الرسل فهي بين الأولياء أجوز، قال تعالى: { انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } (٢١) سورة الإسراء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ .. » ٦٣٢ . فلم يقتض زيادة الخير في المؤمن الأول انعدامه في الثاني، وإنما نقصانه ((وَفِي كُلِّ

٦٣١ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان بتحقيقي ص ٢٧١

٦٣٢ - صحيح مسلم (٦٩٤٥)

خير))، وأولياء الله الذين شاهدوا التزليل ولازموا النبي ﷺ وهاجروا وجاهدوا معه بالمال والنفس أعظم ثواباً وإيماناً ممن جاؤا بعدهم. وأعظم في ولاية الله ممن تولى الله بعدهم. وكما أن الإيمان يزيد وينقص {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} (٤) سورة الفتح وقول النبي ﷺ: «الإيمان بضغ وسبعون شعبة» ٦٣٣. «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ» ٦٣٤.

فالولاية نظير ذلك، والناس متفاوتون فيها، بحسب الإيمان والعمل الصالح. فهي تزيد وتنقص كزيادة الإيمان ونقصانه وبزيادة الإيمان ونقصانه. ٦٣٥

" وهناك طبقة أخرى من الأولياء قد لا تتميز بكثرة نوافل لكنها تتقرب إلى الله بكثرة التعلم والتعليم ودعوة الخلق إلى الهدى واقتفاء الأثر والنهي عن المحدثات. فإن من كان داعياً غيره إلى الله هادياً للخلق أفضل من غيره من أولياء الله كما قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة. عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ - ﷺ - لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَحْنِثَهَا رِضًا لِمَطْلَبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَّانُ فِي حَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ» ٦٣٦.

قال ابن تيمية رحمه الله: ((فمن كان جاهلاً بما أمر الله به وما نهاه عنه لم يكن من أولياء الله، وإن كان فيه زهادة وعبادة لم يأمر الله بهما ورسوله، كالزهد والعبادة التي كانت في الخوارج والرهبان.)) ويضرب لذلك مثلاً بارعاً فيقول: ((كما أن من كان عالماً بأمر الله ونهيه ولم يكن عاملاً بذلك لم يكن من أولياء الله بل قد يكون فاسقاً فاجراً.)) (ويقال: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، أي جاهلاً بما أمره به ونهاه عنه) ٦٣٧.

ثم يوضح بعد ذلك أن من جمع بين العلم بما أمر الله به ونهى عنه وعمل بذلك فهو ولي الله حقاً وأن ((من لم يقرأ القرآن كله، لم يحسن أن يفتي الناس ويقضي بينهم)).

٦٣٣ - صحيح مسلم (١٦١)

٦٣٤ - سنن الترمذي (٢٨٠٢) وهو صحيح

٦٣٥ - انظر كتاب أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السلفي ص ١٥ فما بعدها

٦٣٦ - سنن أبي داود (٣٦٤٣) صحيح

٦٣٧ - العبارة مأثورة عن الرفاعي رحمه الله أراد بها الرد على بعض المتصوفة المستخفين بالعلم، كان يقول: عظموا شأن الفقهاء والعلماء... ما اخذ الله ولياً جاهلاً، الولي لا يكون جاهلاً في دينه (البرهان المؤيد ٥٧-٥٣ تحقيق صلاح عزام).

وهذه العبارة الأخيرة دالة على بعد نظره، فقد يفهم من العبارة السابقة نفي الولاية عن عوام الناس الذين يعلمون الدين بشكل أحمالي فجاءت العبارة الثانية مفصلة لما قد يلتبس.

"فأما الذي يراي بعمله الذي ليس بمشروع، فهذا بمنزلة الفاسق الذي ينتسب إلى العلم ويكون علمه من الكلام المخالف لكتاب الله وسنة رسوله، فكل من هذين الصنفين بعيد عن ولاية الله تعالى، بخلاف العالم الفاجر الذي يقول ما يوافق الكتاب والسنة، والعابد الجاهل الذي يقصد بعبادته الخير، فإن كلا من هذين مخالف لأولياء الله من وجه دون وجه، فقد يكون في الرجل بعض حصال أولياء الله دون بعض، وقد يكون فيما ذكر معذوراً بخطأ أو نسيان وقد لا يكون معذوراً اهـ<sup>٦٣٨</sup>

"وأما الذي أوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتركاكهما في الإيمان؛ فهذا أصل تجب معرفته.

وههنا "أصل آخر": وهو أنه ليس كل عمل أورث كُشُوفاً أو تَصَرُّفاً في الكون يكون أفضل من العمل الذي لا يورث كُشُوفاً وتَصَرُّفاً؛ فإن الكشف والتصرُّف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله وإلا كان من متاع الحياة الدنيا. وقد يحصل ذلك للكفار من المشركين وأهل الكتاب، وإن لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة؛ وأولئك أصحاب النار. ففضائل الأعمال ودرجاتها لا تُتلقى من مثل هذا؛ وإنما تُتلقى من دالة الكتاب والسنة؛ ولهذا كان كثير من الأعمال يحصل لصاحبه في الدنيا رئاسة ومال فأكرم الخلق عند الله ألقاهم. ومن عبد الله بغير علم فقد أفسد أكثر مما يصلح، إن حصل له كشف وتصرُّف؛ وإن اقتدى به خلق كثير من العامة".<sup>٦٣٩</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله<sup>٦٤٠</sup>:

"وإذا كان أولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون. والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والتفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك.

وأصل الإيمان والتقوى: الإيمان برسول الله وجماع ذلك: الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسله، وأصل الكفر والتفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة؛ فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة. قال الله تعالى: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (١٥) سورة الإسراء، وقال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

<sup>٦٣٨</sup> - مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية - (ج ٢ / ص ٢٢)

<sup>٦٣٩</sup> - مجموع الفتاوى - (ج ١٠ / ص ٧) و مجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ٣٩٦)

<sup>٦٤٠</sup> - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان بتحقيقي ص ٢٧١

وَأِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) { [النساء/١٦٣-١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: { تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) } [الملك/٨-١٠]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَوْجٌ أَقْرَأُوا بِآيَاتِهِمْ جَاءَهُمُ النَّذِيرُ فَكَذَّبُوهُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُلْقَى فِيهَا فَوْجٌ إِلَّا مَنْ كَذَّبَ النَّذِيرَ . وَقَالَ تَعَالَى فِي حِطَابِهِ لِإِبْلِيسَ { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } (٨٥) سورة ص .

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَمْلَأُهَا بِإِبْلِيسَ وَمَنْ أَتَّبَعَهُ ؛ فَإِذَا مُلِئَتْ بِهِمْ لَمْ يَدْخُلْهَا غَيْرُهُمْ . فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ تَبَعَ الشَّيْطَانَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَمْ يَتَّبِعِ الشَّيْطَانَ وَلَمْ يَكُنْ مُذْنِبًا، وَمَا تَقَدَّمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِالرُّسُلِ .

=====

## المبحث السادس عشر

### ثمرات الإيمان بالرسول

- ١- معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم السلام.
- ٢- بيان عظيم عناية الله تعالى بعباده حيث أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يبينون لهم آياته وشريعته ، ويشروهم بجزيل الثواب لمن آمن بهم، و يندرون من كفر بهم سوء العقاب.
- ٣- تحقيق الرغبات والترعات البشرية في معرفة ما لا يستطيع العقل البشري الوصول إليه بمجرده
- ٤- بيان إمكان بلوغ البشر درجات عالية في القرب من الله تعالى بالطاعة ، لأن المرسلين إليهم هم من جنسهم، قال الله تعالى أمرا رسوله ﷺ أن يبين ذلك للناس : (( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ {٦} فصلت)).
- ٥- محبة الرسل، والثناء والصلاة والسلام عليهم، والدعاء لهم على ما تحمّلوه من أذى أقوامهم، وما صبروا عليه من مشقات الدعوة، والإقتداء والتأسي بهم في ذلك، ومتابعتهم على فحشهم وسنتهم، وسيرتهم ودعوتهم إلى الله قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } {٢١} الأحزاب
- ٦- ونحبُّ بحبِّ رسول الله ﷺ آل بيته الأطهار، وأصحابه وأتباعه وأنصاره إلى يوم الدين، ونتولاهم ولا نبرأ من أحدٍ منهم، بل نبغضُ من يبغيضهم، وبغير الخير يذكركم، فلا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم عندنا دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ نتقربُ به إلى الله تعالى. قال تعالى : { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } {١٠٠} التوبة
- ونتميزُ عن أهل البدع بسلامة قلوبنا وألسنتنا لهم، ولا نغلُّ من أن ندعوَ بقوله تعالى: ( رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ) [الحشر: ١٠].
- ٧- ونُمسكُ عمّا شجرَ بين أصحابِ النبي عليه الصلاة والسلام، فهم في ذلك بين مجتهدٍ مصيبٍ ومجتهدٍ مخطئٍ، فلبعضهم أجرٌ وللبعضهم أجران، رضوان الله عليهم أجمعين .
- ٨- وهم مع ذلك ليسوا بمعصومين، ولكنهم كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام خيرُ القرون، والمُدد من أحدهم إذا تصدَّقَ به خيرٌ من مثل جبلٍ أحد ذهاباً من بعدهم. فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضى الله

عنهما - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ » ( أخرجه البخاري ) ٦٤١ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ » ( أخرجه البخاري ) ٦٤٢ .  
وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ - أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ « الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ » ( أخرجه مسلم ) ٦٤٣ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ( أخرجه الشيخان ) ٦٤٤ .

٩- ونحب أنصار الدين في كل زمانٍ إلى قيام الساعة، القريب منهم والبعيد، من عرفنا منهم ومن لم نعرف، ولا يضرهم ألا نعرفهم. ولا نبرأ من أحدٍ منهم أو نعاديه أو نعامله معاملة غير المسلمين، بل نتولاهم وندعو لهم وننصرهم ونجتهد أن نكون منهم. امثالاً لقول النبي ﷺ - « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » ( أخرجه البخاري ومسلم ) ٦٤٥ .

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » ( أخرجه مسلم ) ٦٤٦ .



٦٤١ - برقم ( ٢٦٥١ )

٦٤٢ - برقم ( ٢٦٥٢ )

٦٤٣ - برقم ( ٦٦٤١ ) وهذا الحديث متواتر

٦٤٤ - البخاري برقم ( ٣٦٧٣ ) ومسلم برقم ( ٦٦٥١ ) - التَّصْيِيفُ : النصف

٦٤٥ - البخاري برقم ( ١٣ ) ومسلم برقم ( ١٧٩ )

٦٤٦ - برقم ( ٦٧٥١ )

**الركن الخامس**  
**الإيمان بالقضاء والقدر**  
**المبحث الأول**  
**تعريف القضاء والقدر**

القضاء لغة : الحكم والفصل .

وشرعا : هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير .

والقدر : مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره .

والقدر في الشرع : هو ما قدره الله تعالى في الأزل ، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك والمقصود هنا : هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره، وأنه الفعّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تديره، ولا مَحيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خُط في اللوح المسطور، وأنه خالق أفعال العباد والطاعات والمعاصي، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم، وجعلهم مختارين لأفعالهم، غير مجبورين عليها، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم، والله خالقهم وخالق قدرتهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.<sup>٦٤٧</sup>

=====

---

<sup>٦٤٧</sup> - التوحيد للناشئة والمبتدئين - ( ١ / ٩٢ )

## المبحث الثاني

### الفرق بين القضاء والقدر

هناك فروق بينهما ذكرها العلماء، وذكروا أنه قد يجتمعان وقد يفترقان، فalcضاء يطلق على أمور، {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ..} (١٢) سورة فصلت، قُضي الأمر: فُرغ منه، له معان عدة، ولكن قد يجتمعان ويراد بالقضاء القدر، وقد يفترقان، قد ذكر هذا الطحاوي وابن عامر في القضاء، يرجع إليه. أمّا ما روي عَنْ سَلْمَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ »<sup>٦٤٨</sup>. معناه: أن الله تعالى يقدر، الدعاء مقدر، فالله تعالى يجعل المقدور له سبب، وسببه الدعاء. وكما جاء في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: لَا يُغْنِي حَدَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " <sup>٦٤٩</sup>

فالمنعنى أن الله تعالى قد يستجيب لدعاء الشخص، ويجعل الله الدعاء سببا في حصول المقدور، ويكون هذا مقدر في الأزل، مثل صلة الرحم، ثم قدر أن يعافي الله هذا العبد من مرضه بدعائه، فالله قَدَّر الدعاء وقَدَّر العافية، وجعل الدعاء سببا في العافية، فيكون القدر سببا، وهو من القدر الذي قدره الله. <sup>٦٥٠</sup>

ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير . وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء . قال ابن الأثير : " والمراد بالقدر : التقدير وبالقضاء : الخلق كقوله تعالى : [ فِقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ] أي خَلَقَهُنَّ .

فالقضاء والقدر أمران مُتلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه " <sup>٦٥١</sup> والقضاء والقدر إذا اجتماعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما معنى يخصه ، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر . ذكر ذلك بعض أهل العلم . <sup>٦٥٢</sup>

=====

<sup>٦٤٨</sup> - سنن الترمذى - المكثر - ( ٢٢٨٩ ) صحيح

<sup>٦٤٩</sup> - المستدرک للحاکم ( ١٨١٣ ) حسن

<sup>٦٥٠</sup> - شروح الطحاوية - ( ٢ / ٦٥ )

<sup>٦٥١</sup> - النهاية في غريب الأثر - ( ٤ / ١٢٥ ) ولسان العرب - ( ١٥ / ١٨٦ )

<sup>٦٥٢</sup> - أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - ( ١ / ٣٣٢ ) وانظر الدرر السنية كاملة - ( ٣ / ١٧٠ )

### المبحث الثالث

#### علم الله تعالى بما كان وبما سيكون

هو « الإقرار بأن الله - تعالى - علم كل شيء وكتب مقادير كل شيء، وكل شيء بإرادته ومشيئته وأنه خالق كل شيء. يخلق ما يشاء فعلاً لما يريد، ما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن، بيده ملكوت كل شيء، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير. يهدي من يشاء بفضل، ويضل من يشاء بعدله، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، خلق الخلق، وقدر أعمالهم وأرزاقهم وحياتهم وموتهم، قال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (١٠٢) سورة الأنعام، وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمُ الْعَذَابُ لَأَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣) سورة سبأ، وقال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦) سورة آل عمران، وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ} (٣١) سورة المدثر.

وعَنْ طَاوُسٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ - حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ - ». قَالَ سُفْيَانُ وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ « وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » (أخرجه الشيخان) ٦٥٣.

=====

## المبحث الرابع الأدلة على إثبات القدر

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقريره .  
فمن الكتاب قول الله تعالى : { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } (القمر : ٤٩) ، وقوله تعالى { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } (الأحزاب : ٣٨) ، وقوله تعالى : { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } (الفرقان : ٢) .

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها : « الإيمان بالقدر خيره وشره » وقدم تقدم الحديث ، وعن عليٍّ ، عن النبي ﷺ ، قال : لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ .<sup>٦٥٤</sup>

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ - يقول « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » .<sup>٦٥٥</sup>

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم ، عن طاووس اليماني ، قال : أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ : كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوْ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ .<sup>٦٥٦</sup>

قال الإمام النووي : (تَظَاهَرَتْ الْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ عَلَى إِبْتِثَاتِ قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) <sup>٦٥٧</sup> .

=====

<sup>٦٥٤</sup> - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٠٤) (١٧٨) صحيح

<sup>٦٥٥</sup> - صحيح مسلم- المكثر - (٦٩١٩)

<sup>٦٥٦</sup> - صحيح مسلم- المكثر - (٦٩٢٢) و صحيح ابن حبان - (١٤ / ١٨) (٦١٤٩) -الكيس : النشاط والخذق في الأمور

<sup>٦٥٧</sup> - شرح النووي على مسلم - (١ / ٧٠)

## المبحث الخامس الخير والشر مقدران

الخير والشر مقدران على العباد، قال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَهْؤُاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} (٧٨) سورة النساء، ولم يكلف الله العباد إلا ما يطيقون، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...} (٢٨٦) سورة البقرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله: أي لا حيلة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله سبحانه، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة: ٥١]. وقال تعالى: {إِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء: ٧٨] {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} [النساء: ٧٩] الآية.

فإن قيل: فكيف الجمع بين قوله: {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [النساء: ٧٨]، وبين قوله: {فَمِنْ نَفْسِكَ} ؟ [النساء: ٧٩]، قيل: قوله: {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} : الخصب والجذب، والنصر والهزيمة، [كلها من عند الله]، وقوله: {فَمِنْ نَفْسِكَ} : أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠]. يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه قرأ: {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} [النساء: ٧٩]، وأنا كتبتها عليك. والمراد بالحسنة هنا النعمة، وبالسيئة البلية، في أصح الأقوال، وقد قيل: الحسنة الطاعة، والسيئة المعصية. [و] قيل: الحسنة ما أصابه يوم بدر، والسيئة ما أصابه يوم أحد، والقول الأول شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة. وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: {فَمِنْ نَفْسِكَ} ، فإنهم يقولون: إن فعل العبد - حسنة كان أو سيئة - فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرقون؛ ولأنه قال تعالى: {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ، فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: "ما أصابك من حسنة" و"من سيئة"، [مثل قوله: "وإن تصبهم حسنة" و"إن تصبهم سيئة"]. وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى

الله، إذ هو أحسن بما من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي ، فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَكِنَّكَ وَسَّعَدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ وَتَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" ٦٥٨

قال الطحاوي :

" تَأَمَّلْنَا قَوْلَهُ ﷺ " وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ " فَوَجَدْنَاهُ مُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ وَالشَّرُّ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهِ إِلَيْكَ ؛ لِأَنَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ يَقْصِدُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَجَاءَ ثَوَابِهِ وَإِنْجَازَ مَا وَعَدَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ عَمِلَ شَرًّا فَلَيْسَ يَقْصِدُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ وَمِنَ الشَّرِّ فَمِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ: عَزَّ وَجَلَّ { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ { [النساء: ٧٨] أَيْ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيُسَرُّ أَهْلُ السَّعَادَةِ لِلْخَيْرِ فَيَعْمَلُونَهُ فَيُصِيبُهُمْ وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ ، وَيُسَرُّ أَهْلُ الشَّقَاءِ لِلشَّرِّ فَيَعْمَلُونَهُ فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ فِيمَا يَجُوزُ عَفْوُهُ عَنْ مِثْلِهِ، وَهُوَ مَا خَلَا الشَّرَّكَ بِهِ وَاللَّهُ نَسَأَلُهُ التَّوْفِيقَ . ٦٥٩

أي: فإنك لا تخلق شرا محضا، بل كل ما يخلقه فيه حكمة، هو باعتبارها خيرا، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق فالرب سبحانه وتعالى منزّه عنه. وهذا هو الشر الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٨]، {كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ} [النساء: ٧٨]، وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفرقان: ٢]، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن: ١٠] ، وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة، يكون شرا كلياً [عاماً]، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا أو مصلحة للعباد، كالطمر العام، وكإرسال رسول عام، وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذابا عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين، فإن هذا شر عام للناس، يضلهم، فيفسد دينهم ودنياهم وأخراهم، وليس هذا كالمملك الظالم والعدو، ولهذا قد يمكن الله كثيرا من الملوك الظالمين مدة لحكمة يراها، وأما المنتبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن

٦٥٨ - شرح مشكل الآثار - (٤ / ٢٢٢) (١٥٦٢) صحيح

٦٥٩ - شرح مشكل الآثار - (٤ / ٢٢٢) (١٥٦٣)

يهلكهم؛ لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وفي قوله: {فَمِنْ نَفْسِكَ} من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشرَّ كامنٌ فيها، لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساءوا إليه، فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيد بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٥-٧]. فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله بعض المفسرين: إنه قد هداه! فلماذا يسأل الهدى؟! وإن المراد التثبيت، أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه من تفاصيل الأمور، في كل يوم، وإلى أن يلهمه أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريدا للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتديا، ومحتاج إلى أن يجعله قادرا على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإن الجهول لنا من الحق أضعافُ المعلوم، وما لا نريد فعله تمواناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملة ولا نتهي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تثبيت، وهي آخر الرتب، وبعد ذلك كله هداية أخرى، وهي الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة؛ ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة، لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء. فيجب أن يعلم أن الله بفضل رحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر، فقد بين القرآن أن السيئات من النفس، وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كلها من الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يشكر سبحانه، وأن يستغفره العبد من ذنوبه، وألا يتوكل إلا عليه وحده، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، فأوجب ذلك توحيدُه، والتوكل عليه وحده، والشكر له وحده، والاستغفار من الذنوب.<sup>٦٦٠</sup>

=====

## المبحث السادس

### مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم . وهي :  
المرتبة الأولى : علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علماً .

فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . وقد دل على ذلك قوله تعالى : { لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً } (الطلاق : ١٢) .  
وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين »..<sup>٦٦١</sup>

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال سئل النبي - ﷺ - عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » .<sup>٦٦٢</sup>

وعن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله - ﷺ - . فذكر أحاديث منها وقال رسول الله - ﷺ - « مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تَنْتَجُونَ الْإِبِلَ فَهَلْ تَجِدُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجِدُونَهَا » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ صَغِيرًا قَالَ « اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ »..<sup>٦٦٣</sup>

المرتبة الثانية : كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة .

<sup>٦٦١</sup> - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٨٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٩٣٣) واللفظ له

<sup>٦٦٢</sup> - صحيح البخارى - المكثر - (٦٥٩٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٩٣٦)

<sup>٦٦٣</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٦٩٣١)

أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا . وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ لَا يُعْتَدُ بِهِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ هَذَا ، وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ لَعَلَّهُ نَهَاها عَنْ الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْقَطْعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهَا ذَلِيلٌ قَاطِعٌ ، كَمَا أَتَكَرَّ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي قَوْلِهِ : أَعْطِهُ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، قَالَ : أَوْ مُسْلِمًا الْحَدِيثِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا عَلِمَ قَالَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ : ( مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَتْلُغُوا الْجَنَّةَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ ) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ . قَالَ الْأَكْثَرُونَ : هُمْ فِي النَّارِ تَبَعًا لِلْآبَائِهِمْ . وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ فِيهِمْ . وَالثَّلَاثُ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ ، وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ : " وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ . وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا } وَلَا يَتَوَجَّهْ عَلَى الْمُؤَلَّدِ التَّكْلِيفُ وَيَلْزَمُهُ قَوْلُ الرَّسُولِ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . شرح النووي على مسلم - (٩ / ٩)

قال تعالى : { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } ( الحج : ٧٠ ) . وقال تعالى : { وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } ( يس : ١٢ ) .  
وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ » .<sup>٦٦٤</sup>  
وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فالأول تقدير عام لجميع المخلوقات وهو المكتوب في اللوح المحفوظ ، والثاني خاص مفصل للعام وهو ثلاثة تقادير :

#### ١ - التقدير العمري :

عند تخليق النطفة في الرحم ، ففي الصحيحين عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَنْبِثُ اللَّهُ مَلَكًا ، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ . ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .<sup>٦٦٥</sup> ..

قال البيهقي رحمه الله: " وفي الحديث دلالة على أن الاعتبار بما يُحْتَم عليه عمله، وإنه إنما يُحْتَم بما سبق كتابه، وفي ذلك كله دلالة على أن الله سبحانه وتعالى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ أَعْمَالَ عِبَادِهِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ مُكْتَسَبَةٌ لِلْعِبَادِ، وَمِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصفات: ٩٦] وَمَا يَعْمَلُهُ ابْنُ آدَمَ لَيْسَ هُوَ الصَّنَمُ، وَإِنَّمَا هُوَ حَرَكَاتُهُ وَاكْتِسَابَاتُهُ، وَقَدْ حَكَّمَ بِأَنَّهُ خَلَقَنَا وَخَلَقَ مَا نَعْمَلُهُ، وَهُوَ حَرَكَاتُنَا وَاكْتِسَابَاتُنَا، وَقَالَ: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [الرعد: ١٦] وَقَالَ: { خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا } وَأَفْعَالُ الْخَلْقِ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَتَنَاوَلُ ذَلِكَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لِأَنَّ صِفَاتِ ذَاتِهِ لَيْسَتْ بِأَعْيَارٍ لَهُ، فَلَا يَتَنَاوَلُهَا كَمَا لَا يَتَنَاوَلُ ذَاتَهُ، وَقَالَ: { هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ } [فاطر: ٣] كَمَا قَالَ: { مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ } [القصص: ٧١]، فَكَمَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كَذَلِكَ لَا خَالِقَ إِلَّا هُوَ، وَقَالَ: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

<sup>٦٦٤</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٩١٩ )

<sup>٦٦٥</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٢٠٨ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٨٩٣ )

والمُرَاد بهذا الحديث أَنَّ هَذَا قَدْ يَقَعُ فِي نَادِرٍ مِنَ النَّاسِ ، لَا أَنَّهُ غَالِبٌ فِيهِمْ ، ثُمَّ أَنَّهُ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ إِثْقَابَ النَّاسِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ فِي كَثْرَةٍ ، وَأَمَّا إِثْقَابُهُمْ مِنَ الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ فَبِغَايَةِ التَّدْوِيرِ ، وَنَهَايَةِ الْقَلَّةِ ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : { إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَغَلَبَتْ غَضَبِي } وَيَدْخُلُ فِي هَذَا مَنْ انْقَلَبَ إِلَى عَمَلِ النَّارِ بِكُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ، لَكِنْ يَخْتَلِفَانِ فِي التَّخْلِيدِ وَعَدَمِهِ ؛ فَالْكَافِرُ يُخْلَدُ فِي النَّارِ ، وَالْعَاصِي الَّذِي مَاتَ مُوحِّدًا لَا يُخْلَدُ فِيهَا كَمَا سَبَقَ تَقْرِيره .

وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر ، وأن التَّوْبَةَ تَهْدِمُ الذُّنُوبَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ حَكِيمٍ لَهُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْمَعَاصِي غَيْرَ الْكُفَرِ فِي الْمَشِيمَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . شرح النووي على مسلم - ( ٨ / ٤٨٩ )

ضَيْقًا حَرَجًا، كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ { [الأنعام: ١٢٥]، وَهَذِهِ آيَةٌ كَمَا هِيَ حُجَّةٌ فِي الْهِدَايَةِ، وَالْإِضْلَالِ فَهِيَ حُجَّةٌ فِي خَلْقِ الْهِدَايَةِ وَالضَّلَالِ لِأَنَّهُ قَالَ: " يَشْرَحُ " وَ " يَجْعَلُ "، وَكَذَلِكَ يُوجِبُ الْفِعْلُ وَالْخَلْقُ، وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، وَرَوَيْنَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " اَعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ " ٦٦٦

## ٢ - التقدير الحولي :

في ليلة القدر ، إذ يقدر فيها ما يكون في السنة من أمور ووقائع ، قال تعالى : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) [الدخان : ٣ ، ٤] أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به، وهذه الكتابة والفرقان ، الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم ، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه ، ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا وكل به كراما كاتبين يكتبون ويحفظون عليه أعماله ، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة ، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه. ٦٦٧

## ٣ - التقدير اليومي :

وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل وغير ذلك ، قال تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } ( الرحمن الآية : ٢٩ ) . فهو تعالى { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } يغني فقيرا ، ويجبر كسيرا ، ويعطي قوما ، ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويرفع ويخفض ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين ، فسبحان الكريم الوهاب ، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسموات ، وعم لطفه جميع الخلق في كل الآفات واللحظات ، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه ، وهذه الشئون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن ، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها ، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته ، وهي أحكامه الدينية التي هي الأمر والنهي ، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار ، حتى إذا تمت [هذه] الخليقة وأفناهم الله تعالى وأراد تعالى أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء ، ويريه من عدله وفضله وكثرة إحسانه ، ما به يعرفونه ويوحدونه ، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان إلى دار الحيوان. ٦٦٨

٦٦٦ - شعب الإيمان - ( ١ / ٣٦٣ )

٦٦٧ - تفسير السعدي - ( ١ / ٧٧١ )

٦٦٨ - تفسير السعدي - ( ١ / ٨٣٠ ) وأيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٤٨٠٩ )

### المرتبة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة .

فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه ، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد وهو على كل شيء قدير ، قال تعالى : { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } ( القصص الآية : ٦٨ ) ، وقال : { إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } ( هود الآية : ١٠٧ ) ، وقال : { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ( البقرة الآية : ٢٠ ) .

### ولكن الإرادة نوعان :

١ - إرادة كونية قدرية : وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث ، ولا يلزم منها المحبة والرضا ، كقوله تعالى : { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } ( الأنعام الآية : ١٢٥ ) .

٢ - إرادة دينية شرعية : تتضمن المحبة والرضا كما في قوله تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } ( البقرة الآية : ١٨٥ ) ، فإذا وقعت الطاعة فقد أَرَادَهَا الله إرادة كونية بمعنى قَدَرَهَا وشاءَهَا ، وأَرَادَهَا إرادة شرعية بمعنى أَنَّهُ يُحِبُّهَا ويرضاها ، وإذا وقعت المعصية فقد أَرَادَهَا سبحانه إرادة كونية ، وإلا فهو ييغضُّها ولا يرضاها .

### المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء .

فما سواه مخلوق ، والله خالقه وخالق فعله وحركته وسكونه ، لا خالق غيره ، ولا ربَّ سواه ، قال سبحانه : { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } ( الزمر الآية : ٦٢ ) .

يخبر تعالى عن عظيمته وكمالهِ ، الموجب لحسran من كفر به فقال : { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } هذه العبارة وما أشبهها ، مما هو كثير في القرآن ، تدلُّ على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة ، ففيها ردُّ على كل من قال بقدَم بعض المخلوقات ، كالفلاسفة القائلين بقدَم الأرض والسماوات ، وكالقائلين بقدَم الأرواح ، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل ، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه .

وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة ، لأنَّ الكلام صفة المتكلم ، والله تعالى بأسمائه وصفاته أولُّ ليس قبله شيء ، فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق ، من أعظم الجهل ، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته ، ولم يحدث له صفة من صفاته ، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات ، والشاهد من هذا ، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي ، وأنه على كل شيء وكيل ، والوكالة التامة لا بدَّ فيها من علم الوكيل ، بما كان وكيلا عليه ، وإحاطته بتفاصيله ، ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه ، ليتمكن من التصرف فيه ، ومن حفظ لما هو وكيل عليه ، ومن حكمة ، ومعرفة بوجوه التصرفات ، ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق ، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله ، فما نقص من ذلك ، فهو نقص فيها .

ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى متره عن كل نقص في صفة من صفاته، فأخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.<sup>٦٦٩</sup>

وقال عن نبيه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أنه قال لقومه : { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } ( الصافات الآية : ٩٦ ) .

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ صَانِعُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ " <sup>٦٧٠</sup> والعباد فاعلون حقيقة، ولهم قدرة وإرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، قال تعالى : { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } ( التكويد الآية : ٢٨ - ٢٩ ) فأثبت سبحانه لهم مشيئة، ولكنها لا تنفذ إلا أن يشاء الله .

ولأن للعباد قدرة ومشية كلّفوا، وأرسلت لهم الرسل، وأنزلت الكتب، وبهذا يحصل البيان وتقوم الحجة، وعلى أعمالهم يثابون ويعاقبون، ولهذا وجب على العبد الإيمان بقدر الله والامتثال لشرعه وسؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، كما ينبغي اتخاذ الأسباب لجلب ما ينفع ودفع ما يضر في سائر أمور الدنيا والآخرة، مع التوكل على الله، وسؤاله التوفيق والتيسير في تحقيق المرغوب، ودفع المكروه، وإذا نفعت الأسباب حمد الله وشكره، وإذا لم تنفع اطمأن لأنه بذل ما يقدر عليه، وصبر واحتسب الآخر وسأل الله العوض .

قال تعالى : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } ( البقرة الآية : ٢٨٦ ) .

وعن عبد الحميد مولى بني هاشم أن أمه حدثته وكانت تخدم بعض بنات النبي - ﷺ - أن بنت النبي - ﷺ - حدثتها أن النبي - ﷺ - كان يعلمها فيقول « قولي حين تُصْبِحِينَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهِنَّ حِينَ يُصْبِحُ حَفِظَ حَتَّى يُمَسِيَ وَمَنْ قَالَهِنَّ حِينَ يُمَسِّي حَفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ » ( أخرجه أبو داود ) <sup>٦٧١</sup> .

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، قال تعالى : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (١٢) سورة التغابن، وهو سبحانه يحب المتقين، قال تعالى : { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } (٧٦) سورة آل عمران، ويحب المحسنين، قال تعالى : { .. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (١٩٥) سورة البقرة، ويحب المقسطين، قال

<sup>٦٦٩</sup> - تفسير السعدي - ( ١ / ٧٢٨ )

<sup>٦٧٠</sup> - شعب الإيمان - ( ١ / ٣٦٤ ) ( ١٨٧ ) والصحيحة ( ١٦٧٣ ) وصحيح ( ١٧٧٧ ) صحيح

<sup>٦٧١</sup> - برقم ( ٥٠٧٧ ) وهو حسن فيه عبد الحميد مولى بني هاشم وثقه ابن حبان والذهبي في الكاشف ( ٣١٦٠ )

تعالى : { .. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٤٢) سورة المائدة ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } (٨) سورة البينة ، ولا يحب الكافرين ، قال تعالى : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } (٣٢) سورة آل عمران ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، قال تعالى : { ... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } (٩٦) سورة التوبة ، ولا يأمر بالفحشاء ، قال تعالى : { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٢٨) سورة الأعراف ، ولا يرضى لعباده الكفر ، قال تعالى : { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (٧) سورة الزمر ، ولا يحب الفساد قال تعالى : { .. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } (٢٠٥) سورة البقرة .

وكما أن المسببات من قدر الله الذي فرغ منه ، فكذلك أسبابها أيضاً من قدر الله الذي فرغ منه ، عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَنْكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ قَالَ « اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » . ثُمَّ قَرَأَ ( إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِئْنَى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) [الليل/٤-١١] ) أخرجه الشيخان (٦٧٢) .

وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » .<sup>٦٧٣</sup>  
 فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئاً منها لم يحقق الإيمان بالقدر .  
 والله تعالى أعلم .<sup>٦٧٤</sup>

=====

<sup>٦٧٢</sup> - البخارى برقم ( ٤٩٤٩ و ١٣٦٢ و ٤٩٤٥ و ٤٩٤٦ و ٤٩٤٧ و ٤٩٤٨ و ٦٢١٧ و ٦٦٠٥ و ٧٥٥٢ ) ومسلم

برقم ( ٦٩٠٣ )

<sup>٦٧٣</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٦٩٢ ) و انظر كتاب رسالة في أسس العقيدة - ( ١ / ١١٨ ) فما بعدها

<sup>٦٧٤</sup> - أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - ( ١ / ٣٣٧ )

## المبحث السابع غنى الله تعالى عن عباده

غَنَى اللهُ الْكَامِلِ عَنِ الْعِبَادِ ؛ حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِ كَمَا لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِي . وَغَنَاهُ تَعَالَى شَامِلٌ وَمُطْلَقٌ ، قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) } [فاطر : ١٥ - ١٧] .  
قال السعدي :

" يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه: فقراء في إيجادهم، فلولا إيجادهم إياهم، لم يوجدوا. فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعدادهم إياهم [بها]، لما استعدوا لأي عمل كان. فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنعم شيء. فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكار، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكربتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكار والشدائد. فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير. فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم. فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

{ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال.

ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه [الغني في حمده].

{ إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } { يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.

ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتكم بعد موتكم خلقا جديدا، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

{ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } أي: بممتنع، ولا معجز له.

ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله: { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد. <sup>٦٧٥</sup>

وقال الخطيب :

" وفي قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ » دعوة للناس أن يتجهوا بحاجاتهم إلى من يملك كل شيء ، ومن بيده الخير كله .. والناس جميعا في حاجة دائمة إلى من يعينهم ، ويقضى حوائجهم ، وهم يتوسلون إلى هذا بكثير من الوسائل ، ومنها عبادة الأصنام ، والملائكة والجن ، والملوك وأصحاب الجاه والسلطان ، ييغون بذلك الخير منهم .. وكلهم إنما يتناولون ما بين أيديهم من جاء ، أو سلطان ، أو مال — من عطاء الله .. إنهم فقراء إلى الله ..

إن حبس عنهم العطاء ، كانوا أفقر الفقراء ، وأضعف الضعفاء .. وإذن فالناس جميعا — غنيهم وفقيرهم — فقير إلى الله .. « كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » (٢٠ : الإسراء)

وقوله تعالى : « وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » حث للناس على الطلب من الله ، والرغب إليه فيما عنده .. فإنه سبحانه غني ، لا تنفذ خزائنه ، ولا تنقص بالعطاء أبدا .. « وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ » (٣٢ : النساء) فهو سبحانه يستجيب لمن سأل ، ويعطيه ما شاء من فضله .. وهو سبحانه « حميد » أي يحمد لعباده ما يلقون به عطاءه ، من حمد وشكر ، أيّا كان هذا العطاء ، قليلا أو كثيرا .. إنه فضل من فضل وإحسان من إحسانه .. وإن من لا يشكر على القليل لا يشكر على الكثير ..

قوله تعالى : « إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ » أي إن من فقركم إلى الله ، أيها الناس ، هو احتياجكم إليه في حفظ حياتكم .. فهو سبحانه الذي أوجدكم ، وهو سبحانه

<sup>٦٧٥</sup> - تفسير السعدي - (١ / ٦٨٧)

الذي يحفظ عليكم وجودكم ، كما يحفظ وجود الموجودات كلها : « إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ » (٤١ : فاطر)

وفي الآيتين تهديد للناس ، إذا هم لم يؤمنوا بالله ، ويحمدوا له ما هم فيه من فضله وإحسانه .. والله سبحانه وتعالى يقول : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » (٥٦ — ٥٨ الذاريات) .. فإذا لم يؤد الناس واجب الشكر لله ، ولم يقوموا على الوظيفة التي خلقهم الله لها ، لم يكونوا أهلاً ليشغلوا هذا المكان ، وكان أولى أن يشغله غيرهم ، ممن يعرف لهذا المكان قدره ، ويؤدي المطلوب منه فيه .. وفي هذا يقول الله تعالى : « وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ » (٣٨ : محمد) « وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ » أي ليس عسيراً على الله أن يستبدل خلقاً بخلق ، وعالمًا بعالم ، وكيف وهو الخالق لكل شئ  
٦٧٦ هـ ؟

وهو يفيد في طمأنينة القلب عند المؤمن في هذا الباب ، وأن الله تعالى ليس بحاجة إلى العباد حتى يجبرهم أو يعذبهم بغير ذنب يستحقون العقاب عليه قال تعالى : { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } (١٤٧) سورة النساء.

وعن أبي ذرٍّ عن النبي ﷺ - فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخِيرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخِيرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخِيرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » ( أخرجه مسلم ) ٦٧٧ .

إن الناس في حاجة إلى تذكيرهم بهذه الحقيقة في معرض دعوتهم إلى الهدى ، ومجاهدتهم ليخرجوا مما هم فيه من الظلمات إلى نور الله وهداه. في حاجة إلى تذكيرهم بأنهم هم الفقراء الخاويج إلى الله. وأن الله غني عنهم كل الغنى. وأنهم حين يدعون إلى الإيمان بالله وعبادته وحمده على آلائه فإن الله غني عن

٦٧٦ - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - ( ١١ / ٨٦٦ )

٦٧٧ - برقم ( ٦٧٣٧ )

عبادتهم وحمدتهم ، وهو الحمود بذاته. وأنهم لا يعجزون الله ولا يعززون عليه فهو إن شاء أن يذهب بهم ويأتي بخلق جديد من جنسهم أو من جنس آخر يخلفهم في الأرض. فإن ذلك عليه يسير .. الناس في حاجة إلى أن يذكروا بهذه الحقيقة ، لئلا يركبهم الغرور وهم يرون أن الله - جل وعلا - يعنى بهم ، ويرسل إليهم الرسل ويجاهد الرسل أن يردوهم عن الضلالة إلى الهدى ، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور. ويركبهم الغرور فيظنون أنهم شيء عظيم على الله! وأن هداهم وعبادتهم تزيد شيئاً في ملكه تعالى! والله هو الغني الحميد.

وإن الله سبحانه يمنح العباد من رعايته ، ويفيض عليهم من رحمته ، ويغمرهم بسابغ فضله - بإرسال رسله إليهم ، واحتمال هؤلاء الرسل ما يحتملون من إغراضهم وإيذائهم ، وثباتهم على الدعوة إلى الله بعد الإغراض والإيذاء .. إن الله سبحانه إنما يعامل عباده هكذا رحمة منه وفضلاً وكرماً ومناً. لأن هذه صفاته المتعلقة بذاته. لا لأن هؤلاء العباد يزيدون في ملكه شيئاً بهداهم ، أو ينقصون من ملكه شيئاً بعماهم. ولا لأن هؤلاء العباد مخلوقات نادرة عزيزة صعبة الإعادة أو الاستبدال ، فيغتر لهم ما يقع منهم لأنهم صنف لا يعاد ولا يستبدل.

وإن الإنسان ليدهش ويحار في فضل الله ومنه وكرمه ، حين يرى هذا الإنسان الصغير الضئيل الجاهل القاصر ، الضعيف العاجز ، ينال من عناية الله ورعايته كل هذا القدر الهائل! والإنسان ساكن صغير من سكان هذه الأرض. والأرض تابع صغير من توابع الشمس. والشمس نجم مما لا عد له ولا حصر من النجوم. والنجوم إن هي إلا نقط صغيرة - على ضخامتها الهائلة - متناثرة في فضاء الكون الذي لا يعلم الناس حدوده. وهذا الفضاء الذي تتناثر فيه تلك النجوم كالنقط التائهة إن هو إلا بعض خلق الله! ثم ينال الإنسان من الله كل هذه الرعاية .. ينشئه ، ويستخلفه في الأرض ، ويهبه كل أدوات الخلافة - سواء في تكوينه وتركيبه أو تسخير القوى والطاقات الكونية اللازمة له في خلافته - ويضل هذا المخلوق ويتبجح حتى ليشرك بربه أو ينكره. فيرسل الله إليه الرسل ، رسولا بعد رسول ، ويتزل على الرسل الكتب والخوارق. ويطرد فضل الله ويفيض حتى ليتزل في كتابه الأخير للبشر قصصاً يحدث بها الناس ، ويقص عليهم ما وقع لأسلافهم ، ويحدثهم عن ذوات أنفسهم ، ويكشف لهم عما فيها من قوى وطاقات ، ومن عجز وضعف ، بل إنه - سبحانه - ليحدث عن فلان وفلان بالذات ، فيقول لهذا : أنت فعلت وأنت تركت ، ويقول لذاك : هاك حلاً لمشكلتك ، وهاك خلاصاً من ضيقتك!

كل ذلك ، وهذا الإنسان هو الساكن الصغير من سكان هذه الأرض ، التابعة الصغيرة من توابع الشمس ، التائهة في هذا الوجود الكبير حتى ما تكاد تحس! والله - سبحانه - هو فاطر السماوات والأرض ، وخالق هذا الوجود بما فيه ومن فيه بكلمة. بمجرد توجه الإرادة. وهو قادر على أن يخلق مثله بكلمة وبمجرد توجه الإرادة ..

والناس خلقاء أن يدركوا هذه الحقيقة ليدركوا مدى فضل الله ورعايته ورحمته. وليستحيوا أن يستجيبوا للفضل الخالص والرعاية المجردة والرحمة الفائضة بالإعراض والجحود والنكران. فهي من هذه الناحية لمسة وجدانية موحية ، إلى جانب أنها حقيقة صادقة واقعة. والقرآن يلمس بالحقائق قلوب البشر لأن الحقيقة حين تجلى أفعل في النفس ولأنه هو الحق وبالحق نزل. فلا يتحدث إلا بالحق ، ولا يقنع إلا بالحق ، ولا يعرض إلا الحق ، ولا يشير بغير الحق .. ولمسة أخرى بحقيقة أخرى. حقيقة فردية التبعة ، والجزاء الفردي الذي لا يغني فيه أحد عن أحد شيئا. فما بالني - ﷺ - من حاجة إلى هدايتهم يحققها لنفسه ، فهو محاسب على عمله وحده ، كما أن كلا منهم محاسب على ما كسبت يداه ، يحمل حملة وحده ، لا يعينه أحد عليه.<sup>٦٧٨</sup>

=====

---

<sup>٦٧٨</sup> - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - ( ٥ / ٢٩٣٧ )

## المبحث الثامن آثار الإيمان بالقدر

وللقدر آثار كبيرة على الفرد وعلى المجتمع نجملها فيما يلي :

١. القدر من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله في هذه الحياة ، والإيمان بالقدر من أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعمل ويقدم على عظام الأمور بثبات وعزم ويقين .  
٢. ومن آثار الإيمان بالقدر أن يعرف الإنسان قدر نفسه ، فلا يتكبر ولا يبطر ولا يتعالى أبداً ؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور ، ومستقبل ما هو حادث ، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه تعالى دائماً . وهذا من أسرار خفاء المقدور . قال تعالى : { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٢٣) سورة الحديد.

٣. ومن آثار الإيمان بالقدر أنه يطرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول مكروه ، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة ، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر ، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) [الحديد/٢٢، ٢٣] .

وعن ابن الديلمى قال أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي . فَقَالَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ . قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ - قَالَ - ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ - قَالَ - ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - مِثْلَ ذَلِكَ . (أخرجه أبو داود) ٦٧٩ .

٤. الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات ، وتزرع الأحقاد بين المؤمنين ، وذلك مثل رذيلة الحسد ، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ؛ لأنه هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك ، وهو يعلم أنه حين يحسد غيره إنما يعترض على المقدور ، قال تعالى عن اليهود : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا } (٥٤) سورة النساء.

٦٧٩ - برقم ( ٤٧٠١ ) وهو صحيح = السباط : الجماعة من الناس

وهكذا فالمؤمن يسعى لعمل الخير ، ويحب للناس ما يوجب لنفسه ، فإن وصل إلى ما يصبو إليه حمد الله وشكره على نعمه ، وإن لم يصل إلى شيء من ذلك صبر ولم يجزع ، ولم يحقد على غيره ممن نال من الفضل ما لم ينله ؛ لأن الله هو الذي يقسم الأرزاق بين العباد قال تعالى : { أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (٣٢) سورة الزخرف.

٥. والإيمان بالقدر يبعث في القلوب الشجاعة على مواجهة الشدائد ، ويقوي فيها العزائم فتثبت في ساحات الجهاد ولا تخاف الموت ، لأنها توقن أن الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر لحظة واحدة . قال تعالى : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } {٣٤} الأعراف ، وقال تعالى ردا على المنافقين : { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) } {الأحزاب/١٥-١٧}

٦- الإيمان بالقدر من أكبر العوامل التي تكون سبباً في استقامة المسلم ، وخاصة في معاملته للآخرين ، فحين يقصر في حقه أحد أو يسيء إليه أو يرد إحسانه بالإساءة أو ينال من عرضه بغير حق تجده يعفو ويصفح ، لأنه يعلم أن ذلك مقدر ، وهذا إنما يحسن إذا كان في حق نفسه ، أما في حق الله فلا يجوز العفو ولا التعلل بالقدر ، لأن القدر إنما يحتج به في المصائب لا في المعاييب . ، كما في قصة مسطح رضي الله عنه عندما صدق أكاذيب المنافقين حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ولما أنزل الله تعالى براءتها من السماء » قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٢٢) سورة النور

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ التَّفَقَّةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا » (أخرجه البخاري ومسلم) ٦٨٠ .

٧. والإيمان بالقدر يغرس في نفس المؤمن حقائق الإيمان المتعددة ، فهو دائم الاستعانة بالله ، يعتمد على الله ويتوكل عليه مع فعل الأسباب ، وهو أيضاً دائم الافتقار إلى ربه - تعالى - يستمد منه العون على الثبات ، ويطلب منه المزيد ، وهو أيضاً كريم يحب الإحسان إلى الآخرين ، فتجده يعطف عليهم

٨. ومن آثار الإيمان بالقدر أن الداعي إلى الله يصدع بدعوته، ويجهر بها أمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في الله لومة لائم، يبين للناس حقيقة الإيمان، ويوضح لهم مقتضياته، ويكشف الباطل وزيفه ودُعائه وحماته، فعن عبادة بن الصامت قال: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرِهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيَنَّمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً. (أخرجه مسلم) ٦٨١

ويقول كلمة الحق أمام الظالمين، ويفضح ما هم فيه من كفر وظلم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ». أَوْ « أَمِيرٍ جَائِرٍ » (أخرجه أبو داود) ٦٨٢.

وإذا كان الأمر هكذا فكيف يبقى في نفس المؤمن الداعية ذرة من خوف وهو يؤمن بقضاء الله وقدره؟! فما قدر سيكون، وما لم يقدر لن يكون، وهذا كله مرجعه إلى الله وحده، والعباد لا يملكون من ذلك شيئا. فعن ابن عباس قال كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - - يَوْمًا فَقَالَ « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » (أخرجه الترمذي) ٦٨٣.

٨- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك، وهو مفرق الطريق بين التوحيد والشرك، فالمؤمن بالقدر يقر بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إله واحد، ومعبود واحد، ومن لم يؤمن هذا الإيمان، فإنه يجعل من دون الله آلهة وأربابا.

٩- وهو يفضي إلى الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء، لا تبطره النعمة، ولا تيئسه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات فمن الله، لا بذكائه وحسن تدبيره، وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ { (٥٣) سورة النحل، وإذا أصابه الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيسكب هذا الإيمان في قلب المؤمن الرضا والطمأنينة. قال تعالى عن معركة أحد { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُنَّ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

٦٨١ - برقم (٤٨٧٤)

٦٨٢ - برقم (٤٣٤٦) ومسنده أحمد برقم (١١٤٤٢) والمعجم الكبير للطبراني برقم (٨٠٠٧) وهو صحيح لغيره

٦٨٣ - برقم (٢٧٠٦) وهو صحيح

(١٥٢) إِذِ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْلَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) [آل عمران/١٥٢، ١٥٣] .

١٠- المؤمنُ بالقدر دائماً على حذر من أن يأتيه ما يضره، كما يخشى أن يُختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والحمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائمة للاستقامة، والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات، كما يبقى قلبُ العبد معلقاً بخالفه، يدعوهُ ويرجوهُ ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق كما يسأله الرشد والسداد. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (٦٩) سورة العنكبوت .

١١- إذا آمنَ المؤمنُ بالقدر فإنه يقبلُ على أمر الله، وإن قلَّت الرفقة، ويقبلُ على الجهاد في سبيله، وإن كان وحده. عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالٍ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتُ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ» - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ، وَرَبُّ النَّضْرِ إِنِّي أَحَدُ رِيحَها مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدُ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمَحٍ أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بِنَانَةَ. قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نَرَى أَوْ نَنْظُرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٣) سورة الأحزاب (أخرجه البخاري) ٦٨٤.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، جَاءَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَقَدْ تَحَنَّنَ وَلَبَسَ أَكْفَانَهُ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، وَأَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ. فَقُتِلَ، وَكَانَتْ لَهُ دِرْعٌ فَسُرِقَتْ، فَرَأَهُ رَجُلٌ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، فَقَالَ: إِنَّ دِرْعِي فِي قَدْرِ تَحْتَ الْكَائُونِ، فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَأَوْصَى بِوَصَايَا، فَطَلَبُوا الدِّرْعَ، فَوَجَدُوهَا، وَأَنْفَذُوا الْوَصَايَا" (أخرجه الحاكم في المستدرک) ٦٨٥.

١٢- الجِدُّ في العمل الذي يرضي الله، والتواضع والبعد عن التكبر، وزعم استقلال الأسباب في إيجاد المسببات، والرضا والاطمئنان والصبر والثبات، وعدم التسخُّط والقلق في الحياة، بخلاف من لم يؤمن بالقدر، فإنه يصاب بالكبرياء، ويزعم أن ما أتاه الله من ملكٍ وجاهٍ وغيره، إنما أوتيَهُ بعلمه المستقل عن الله وبعلمه وخبرته، فإذا أصيبَ في شيءٍ من ذلك قلق واضطربت حياته، وقد يصلُ به الأمر إلى إزهاق روحه لعدم صبره وشدة تسخطه، كما هو حاصلٌ كثيراً اليوم، وبخاصة في العالم الذي بلغ مبلغاً عظيماً من الرقي المادي.

٦٨٤ - برقم (٢٨٠٥)

٦٨٥ - برقم (٥٠٣٥) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم - (١ / ٤٦٤) (١٣٢٧) صحيح

قال تعالى عن قارون: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) } قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) [القصص/٧٦، ٧٨] .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال شهدنا مع رسول الله - ﷺ - فقال لرجل ممن يدعى الإسلام « هذا من أهل النار » . فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة فقيلاً يا رسول الله ، الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات . فقال النبي - ﷺ - « إلى النار » . قال فكاد بعض الناس أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمُتْ ، ولكن به جراحاً شديداً . فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه ، فأخبر النبي - ﷺ - بذلك فقال « الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى بالناس « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » (أخرجه البخاري ومسلم) ٦٨٦ .



## الركن السادس

### الإيمان باليوم الآخر

#### المبحث الأول

##### الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

ونؤمن بفتنة القبر، ونعيمه للمؤمنين، وبعذابه لمن كان له أهلاً، كما جاءت به الأخبار متواترة عن رسول الله ﷺ، قال تعالى آل فرعون: ( النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ) [غافر: ٤٦].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ - فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ « مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ ». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا. قَالَ « فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ ». قَالَ مَاتُوا فِي الْإِشْرَاقِ. فَقَالَ « إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِقُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ عَذَابِ النَّارِ فَقَالَ « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ. (أخرجه مسلم) <sup>٦٨٧</sup>

وفتنة القبر: هي سؤال منكر ونكير للعبد فيه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت:

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فِي حَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُوذٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « اسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بَيْضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ ثُمَّ يَحْيَى مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ آيَتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَعْقَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ - قَالَ - فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَيَأْخُذُهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةِ مِسْكِ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ - قَالَ - فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ -

يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ  
أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ  
فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا  
أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى - قَالَ - فَعَتَادُ رُوحِهِ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ  
فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ  
فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عَلِمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيَنَادِي  
مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبُسُودُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ -  
قَالَ - فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ - قَالَ - وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ  
حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ  
فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي  
وَمَالِي. قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ  
مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ  
رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ - قَالَ - فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ  
فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ  
حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ حَيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ  
بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ  
أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ. ثُمَّ  
قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ  
الْخِيَاطِ) « فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ». ثُمَّ  
قَرَأَ (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) «  
فَعَتَادُ رُوحِهِ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهُ لَا أَدْرِي.  
فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهُ  
هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ  
حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ  
الرَّيْحِ فَيَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ  
بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ ». (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ) ٦٨٨.

٦٨٨ - مسند أحمد برقم (١٩٠٣٨) وأبو داود برقم (٤٧٥٥) وتهذيب الآثار للطبري - (ج ٢ / ص ٢١٢) برقم (١٧١) ومصنف ابن أبي  
شعبة برقم (١٢٠٥٨) وهو حديث صحيح ، وأهم حديث في هذا الباب

وأحوالُ البرزخ من أمور الغيب التي يدركها الميتُ دون غيره، وهي لا تدركُ بالحسِّ في الحياة الدنيا،  
ولذلك فالإيمانُ بها مما يميزُ المؤمنَ بالغيب عن المكذب به.<sup>٦٨٩</sup>

=====

---

<sup>٦٨٩</sup> - انظر التفاصيل في كتابي (( الاستعداد للموت ))

## المبحث الثاني

### الإيمان بأشراط الساعة

#### المطلب الأول

#### أهمية الإيمان بالغيبات

علم الغيبات من الأمور التي استأثر الله تعالى بها ، واختص بها نفسه جل وعلا ، دون من سواه من ملك مقرب أو نبي مرسل ، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء وإذا شاء ، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث ، قال سبحانه وتعالى : { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ } (سورة هود ، الآية : ١٢٣) .

ومعلوم - من الدين بالضرورة - أن علم الغيب من خصائص الله وحده - كما سبق بيان ذلك - ولقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل علم الساعة غيبا من جملة علم الغيب الذي استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه لا نبيا مرسلا ، ولا ملكا مقربا ، وذلك ليبقى الناس من الساعة على حذر دائم ، وتوقع مستمر واستعداد كامل لاتخاذ الزاد المناسب لها ، فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل ، والإيمان بذلك من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر . والرسول عليهم الصلاة والسلام مع أنهم أفضل الخلق وأحبهم إلى الله عز وجل ، وقد حصهم الله بمزايا كثيرة وأكرمهم بمعجزات عديدة لم يدع أحد منهم علم الغيب ، بل جميعهم كانوا يتبرؤون من ذلك ، ويردون علم الغيب إلى الله سبحانه وتعالى ، فنوح عليه السلام قال لقومه : { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ } (سورة هود ، الآية : ٣١) .

ورسولنا محمد ﷺ وهو سيد الرسل والأنبياء أجمعين ، ينفي عن نفسه معرفة الغيب ، فقد قال الله في كتابه : { قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ } (سورة الأحقاف ، الآية : ٩) ، وقال تعالى : { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨) .

ولما كان اليوم الآخر من الأمور الغيبية ، أعان الله سبحانه وتعالى خلقه على الإيمان به بأشراط كثيرة ، ومن ذلك ربط هذا الغيب بالأمور المحسوسة ، فإن الغيب إذا ربط بالأمور المحسوسة سهل الإيمان به على الإنسان ، ومن هذه الأمور المحسوسة التي تعين على الإيمان باليوم الآخر ، أشراط الساعة . وأهمية معرفة هذه الأشراط والأمارات ، تظهر من أهمية الإيمان باليوم الآخر ، ولذلك فإن الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة ، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر ، والذي هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب .

والحديث عن أشراف الساعة مهم ، ولا سيما إذا ابتعد الناس عن تذكر الآخرة واشتغلوا بالدنيا وملذاتها ، فإن في أشراف الساعة المحسوسة التي تظهر ويراهها الناس بأعينهم كما أخبر النبي ﷺ ، ما يعيد الناس إلى ربهم ويوقظهم من غفلتهم .

يقول القرطبي - رحمه الله - : قال العلماء رحمهم الله تعالى : الحكمة في تقديم الأشراف ، ودلالة الناس عليها ، تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة ، كي لا يياغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم ، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراف الساعة ، قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا واستعدوا للساعة الموعود بها - والله أعلم<sup>٦٩٠</sup>

فالإيمان بأشراف الساعة جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان . والإيمان بالغيب هو أساس الإيمان كله ؛ لأن أركان الإيمان كلها من الأمور الغيبية ، وقد بين الله عز وجل في كتابه المبين أن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين المتقين فقال عز وجل : { الم } { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ( سورة البقرة، الآيات : ١ - ٥ ) .

-----

---

<sup>٦٩٠</sup> - أشراف الساعة - ( ١ / ٦ ) و التذكرة للقرطبي ( ٢ / ٧٣٢ ) .

## المطلب الثاني

### وجوب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ

رسالة الرسول ﷺ التي جاء بها من عند الله عز وجل أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده أجمعين ، والسعادة والفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة لمن أطاعه ﷺ واتبع هديه وسار على نهجه ، وحاجة البشر إلى هذه الشريعة التي جاء الرسول بها ﷺ أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب .

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن الرسول ﷺ : أرسله الله رحمة للعالمين ، وإماما للمتقين ، وحجة على الخلائق أجمعين ، أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته وتعزيه وتوقيره ومحبته ، والقيام بحقوقه ، وسد دون جنته الطرق ، فلن تفتح لأحد إلا من طريقه ، فشرح له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عمه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره <sup>٦٩١</sup> وقد أوجب الله سبحانه وتعالى على جميع الخلق ، طاعة الرسول ﷺ فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، وحذرهم من مخالفة أمره ، وجعل طاعته سبحانه وتعالى طاعة للرسول ﷺ ، ذلك أن التصديق الجازم بالرسول ﷺ يقتضي التسليم المطلق والتام لما جاء له ويستلزم طاعته فيما بلغه عن الله تعالى ، وهذا من أعظم لوازم محبته ﷺ والإيمان به ، وهو من مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ، وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن والسنة توجب طاعة الرسول ﷺ وتبين العلاقة بينها وبين طاعة الله تعالى ، وتحذر من معصيته ومخالفة أمره عليه الصلاة والسلام . ومن ذلك قوله تعالى : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (سورة آل عمران ، الآية ١٣٢) وقوله تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (سورة آل عمران ، الآية : ٣١) . وقال تعالى : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } (سورة آل عمران ، الآية : ٣٢) . وقال تعالى : { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا } (سورة النساء ، الآية : ١٤) .

فهذه النصوص وغيرها توجب طاعة الرسول ﷺ وامتنال ما جاء به ، وذلك بفعل ما أمر به وتجنب ما نهى عنه ، وتبين أن طاعة الرسول ﷺ هي مفتاح الجنة وسبيل النجاة ، فلا فلاح ولا سعادة ولا نجاة للعبد إلا بطاعة الرسول ﷺ ، فمن أطاعه فيما جاء به من الحق المبين ، فقد نجا وزحزح نفسه عن النار ، ومن أبى وتكبر وعصى ، ولم يتبع الرسول ﷺ فيما جاء به فقد خسر خسرانا مبينا ، وعرض نفسه لعذاب الله عز وجل ، فإنه ما من خير يوصل إلى الجنة إلا ودلنا عليه ، وما من شر يوصل إلى النار إلا وحذرنا منه عليه الصلاة والسلام . فيجب على كل مسلم طاعة النبي ﷺ واتباعه

<sup>٦٩١</sup> - زاد المعاد ( ١ / ٣٤ ، ٣٥ )

، واقتفاء أثره والسير على هديه ، وعدم مخالفة أمره ونهيه ، كما قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } (سورة النساء ، الآية : ٦٤) ، وقال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } . (سورة الأحزاب ، الآية : ٢١) ومن أصول الإيمان ولوازمه ، التصديق الجازم بكل ما أخبر به النبي ﷺ والتسليم بصحة كل ما أخبر به ، وبأنه بلغ الرسالة ؛ لأن ما جاء به وحي من الله تعالى ، كما قال تعالى : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ } { إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (سورة النجم ، الآية : ٣ - ٤) ..

-----

### المطلب الثالث

#### معنى الأشراف والعلامات لغة

الأشراف جمع شرط بالتحريك ، والشرط العلامة ، وأشراف الساعة أي علاماتها ، وأشراف الشيء أوائله ، ومنه شرط السلطان وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من مجموع جنده . قال الجوهري : " أشراف الساعة علاماتها وأسبابها التي دون معظمها وقيامها " ٦٩٢ .

وقال ابن الأثير " الأشراف : العلامات ، واحدها شرط بالتحريك ، وبه سميت شرط السلطان ؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها " ٦٩٣ .

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ } (١٨) سورة محمد : " أشرافها أي أماراتها وعلاماتها ، وقيل : أشراف الساعة أسبابها التي هي دون معظمها ، وفيه يقال للدون من الناس الشرط . . . إلى أن قال : وواحد الأشراف شرط ، وأصله الأعلام ، ومنه قيل الشرط ؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها ، ومنه الشرط في البيع وغيره " ٦٩٤ .

فتبين من هذا أن الأشراف في اللغة هي علامات الشيء المتقدمة عليه والدالة عليه ، ومما يدل على تسمية هذه الأشراف في السنة بالعلامات ما جاء في حديث جبريل المشهور عند ابن حبان عن يحيى بن يعمر قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن يعني لابن عمر : إن أقواماً يزعمون أن ليس قدر قال : هل عندنا منهم أحد ؟ قلت : لا ، قال : فأبلغهم عني إذا لقيتهم : إن ابن عمر يبرأ إلى الله منكم ، وأنتم برأء منه ، حدثنا عمر بن الخطاب ، قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ في أناس ، إذ جاء رجل ليس عليه سحناء سفر ، وليس من أهل البلد ، يتخطى حتى ورك ، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج وتعمّر ، وتغتسل من الجنابة ، وأن تيمم الوضوء ، وتصوم رمضان ، قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : نعم ، قال : صدقت . قال : يا محمد ، ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالجنة والنار والميزان ، وتؤمن بالبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : فإذا فعلت ذلك ، فأنا مؤمن ؟ قال : نعم ، قال : صدقت . قال : يا محمد ، ما الإحسان ؟ قال : الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه ، فإنك إن لا تراه ، فإنه يراك ، قال : فإذا فعلت هذا ، فأنا محسن ؟ قال : نعم ، قال : صدقت . قال : فمتى

٦٩٢ - الصحاح للجوهري ( ٣ / ١٣٦ )

٦٩٣ - النهاية في غريب الحديث ( ٢ / ٤٦٠ ) .

٦٩٤ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٦ / ٢٤٠ )

السَّاعَةُ ؟ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ نَبِّأُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا ، قَالَ : أَجَلٌ ، قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ الْعَالَةَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ ، وَكَانُوا مُلُوكًا ، قَالَ : مَا الْعَالَةُ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ ؟ قَالَ : الْعَرِيبُ ، قَالَ : وَإِذَا رَأَيْتَ الْأُمَّةَ تَلِدُ رَبَّتَهَا ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، قَالَ : صَدَقْتَ. ثُمَّ نَهَضَ فَوَلَّى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَلَيَّ بِالرَّجُلِ ، فَطَلَبْنَاهُ كُلَّ مَطْلَبٍ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَذَرُونَ مَنْ هَذَا ؟ هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ ، خُذُوا عَنْهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا شَبَّهَ عَلَيَّ مِنْذُ أَتَانِي قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ ، وَمَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى. ٦٩٥

والساعة : هي جزء من أجزاء الليل أو النهار وجمعها ساعات وساع ٦٩٦ .

والساعة : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها ، أو لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة ٦٩٧ .

وأشراط الساعة اصطلاحاً : هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها .

يقول الحليمي " أما انتهاء الحياة الأولى فإن لها مقدمات تسمى أشراط الساعة وهي أعلامها " ٦٩٨ .

ويقول البيهقي في تحديد المراد من الأشراف : " أي ما يتقدمها من العلامات الدالة على قرب حينها " ٦٩٩

-----

٦٩٥ - صحيح ابن حبان - ( ١ / ٣٩٧ ) ( ١٧٣ ) صحيح

٦٩٦ - المعجم الوسيط ( ١ / ٤٦٦ )

٦٩٧ - انظر : النهاية في غريب الحديث ( ٢ / ٤٢٢ )

٦٩٨ - المنهاج في شعب الإيمان ( ١ / ٢٢ )

٦٩٩ - البعث والنشور : ص ( ٦٩ )

## المطلب الرابع

### الأدلة من الكتاب والسنة على أشراط الساعة وعلاماتها

موعد قيام الساعة من الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه ، قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً } (سورة الأعراف ، الآية : ١٨٧) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أخفى الساعة عن الخلق ، فقد جعل لها عز وجل علامات تدل على قرب وقوعها ، ومن الآيات الدالة على ذكر الأشراف قوله تعالى : { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا } (سورة محمد ، الآية : ١٨)

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره عند هذه الآية : " فقد جاء أشرافها أي أمارات اقترابها كقوله تعالى : { هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى } { أَرَفَتِ الْآزِفَةَ } (سورة النجم ، الآية : ٥٦ ، ٥٧) ، وكقوله جلّت عظمتة : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } (سورة القمر ، الآية : ١) ، وكقوله سبحانه وتعالى : { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } (سورة النحل ، الآية : ١) ، وقوله جل وعلا : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ } (سورة الأنبياء ، الآية : ١) ، فبعثة رسول الله ﷺ من أشراف الساعة ؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجّة على العالمين ، وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشرافها ، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤت به نبي قبله . . . " ٧٠٠ .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الأدلة على بعض أشراف الساعة مثل : خروج يأجوج ومأجوج ، قال تعالى : { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } (٩٦) سورة الأنبياء ، ونزول عيسى ابن مريم قال تعالى : { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } (٦١) سورة الزخرف وقال تعالى : { وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } (١٥٩) سورة النساء ، وغيرها .

ووردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ فيها ذكر جملة من أشراف الساعة وعلاماتها ، ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، المشهور بحديث جبريل ، حيث سئل فيه ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ووقت الساعة ، وفيه قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : « . . . قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ » . قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا . قَالَ « أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » ٧٠١ .

٧٠٠ - تفسير ابن كثير ، ( ٤ / ١٥٩ )

٧٠١ - صحيح مسلم - المكثر - ( ١٠٢ )

وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ « اْعُدُّ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ، مَوْتِي ، ثُمَّ فَتَحُ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيُظَلُّ سَاحِطًا ، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَعْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » ٧٠٢ .

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتِيلَ فِتْنَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » ٧٠٣ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتِيلَ فِتْنَتَانِ عَظِيمَتَانِ ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَتَتَفَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ وَهُوَ الْقَتْلُ ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِضَ ، حَتَّى يُهَمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ . وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانُهُ . وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ - يَعْنِي - آمَنُوا أَجْمَعُونَ ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا ، فَلَا يَتْبَاعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْتَقِي فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا » ٧٠٤ .

٧٠٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٣١٧٦)

- موتان : يضم الميم وسكون الواو هو الموت كثير الوقوع - قعاص الغنم : القعاص بالضم : هو داء يصيب الدواب ، فيسيل من أنوفها شيئاً فتموت فجأة . - بنو الأصفر : هم الروم - الغاية : الراية ، سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وانظر : النهاية في غريب الحديث ( ٣ / ٤٠٤ ) ، وفتح الباري لابن حجر ( ٦ / ٢٧٨ ) .

٧٠٣ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - ( ٨ / ١٧٢ ) ( ١٧١٥٣ ) و صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٣٨ )

٧٠٤ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧١٢١ )

## المطلب الخامس

### بعض علامات الساعة الصغرى

للساعة علامات كبرى وصغرى ، أما العلامات الصغرى فكثيرة جدا أذكر بعضاً منها  
فمنها بعثة الرسول ﷺ ، فقد أخبر رسول الله ﷺ أن بعثته علامة من علامات الساعة ودليل على  
قرب قيامها ، حيث إنه ﷺ خاتم النبيين ولا نبي بعده .

وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة عنه عليه الصلاة والسلام .

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »<sup>٧٠٥</sup> .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » . يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ<sup>٧٠٦</sup> .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ  
غَضَبُهُ حَتَّى كَانَتْهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ » . وَيَقُولُ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » .  
وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى  
هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . ثُمَّ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ  
مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِيَ وَعَلَى »<sup>٧٠٧</sup> .

فهذه الأحاديث وغيرها مما هو في معناها تدل على أن بعثته ﷺ أول أشرار الساعة ، فهو خاتم  
النبيين وآخر المرسلين ولا نبي بعده ، وإنما يليه قيام الساعة ، كما يلي في الأصابع السبابة الوسطى ،  
كما ورد هذا التشبيه في الأحاديث الماضية .

ومنها انشقاق القمر ، قال الله تعالى : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا  
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } ( سورة القمر ، الآيتان : ١ - ٢ ) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره عند هذه الآية { وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } : " قد كان  
هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ، وهذا أمر  
متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات  
الباهرات " <sup>٧٠٨</sup> .

<sup>٧٠٥</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٥٠٤ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٩٣ )

<sup>٧٠٦</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٥٠٥ )

<sup>٧٠٧</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٢٠٤٢ )

<sup>٧٠٨</sup> - تفسير ابن كثير ( ٤ / ٢٣٥ ) .

وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى - : وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى : { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة ٧٠٩ .

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن القمر انشق في زمن النبي ﷺ ، منها عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِمِنَى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ فَكَانَتْ فِلْقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ وَفِلْقَةً دُونَهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « اسْهَدُوا » ٧١٠ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ ٧١١ .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : " انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها . قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة ، وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيه ؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره " ٧١٢ .

ووردت أحاديث عن النبي ﷺ تبين أن من علامات الساعة خروج نار من أرض الحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى ، فعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى » ٧١٣ .

قال النووي - رحمه الله - : " خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت نارا عظيمة جدا ، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان ، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة " ٧١٤ .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة - وكان شيخ المحدثين في زمانه وأستاذ المؤرخين في أوانه - " في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ ، وعرض أربعة أميال ، تسيل الصخر حتى يبقى مثل الأنك ، ثم يصير كالفتح الأسود ، وان ضوءها كان الناس يسировون عليه بالليل إلى تيماء وأما استمرت شهرا ، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعارا " ٧١٥ .

٧٠٩ - الحكم الجديدة بالإذاعة ( ١٩ ) .

٧١٠ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٢٥٠ )

٧١١ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٦٣٧ )

٧١٢ - إكمال المعلم بفوائد مسلم ( ٨ / ٣٣٣ ) .

٧١٣ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧١١٨ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٧٣ )

٧١٤ - شرح مسلم للنووي ( ١٨ / ٢٨ ) .

٧١٥ - النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ( ١ / ٢٦ ، ٢٧ ) .

وأما الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ في أحاديثه ، وأن أمته سوف تبلى بالكثير منها ، وأنها ترسل عليها إرسال القطر فهي من قبيل الاختبار والامتحان ؛ ليتبين حال الإنسان فيها من الخير والشر وتعلقه بها ، كما يوجد فيها بعض المعاني الأخرى المذكورة عند أهل اللغة من القتل والاختلاف والعذاب وتغيير الأحوال والأزمنة .

وقد دلت نصوص كثيرة صحيحة على أن من علامات الساعة كثرة المهرج ، وهو القتل واللفظ وظهور الفتن وانتشارها ونزولها في البلاد وكبر بلائها وهولها ، حتى يمسي المرء المسلم من شدة وقعها كافرا ، ويصبح مؤمنا ، ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا ، وتجيء الفتنة تلو الأخرى فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتظهر أخرى ، فيقول هذه هذه إلى أن يشاء الله ، فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ، وكلما طال الزمان بأهله وبعد بهم كانت الفتن أشد ومصائبها أعظم ، كما شهدت بذلك نصوص الشرع ، ودلت عليه الحوادث والوقائع ، فعن الزبير بن عدي قال أتينا أنس بن مالك فشكرونا إليه ما تلقى من الحجاج فقال « اصبروا ، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم » . سمعته من نبيكم - ﷺ ٧١٦

وعن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » . ٧١٧

وعن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال كنا مع رسول الله - ﷺ - في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خبائه ومنا من يتنصل ومنا من هو في حشره إذ نادى منادى رسول الله - ﷺ - الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله - ﷺ - فقال « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي . ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه . فمن أحب أن يخرح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » . فدنوت منه فقلت له أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله - ﷺ - فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذنأى ووعاه قلبي . فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا

٧١٦ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧٠٦٨ )

٧١٧ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٣٢٨ )

أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا قَالَ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطَعَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.<sup>٧١٨</sup>

وقد أرشد ﷺ المسلمين إلى ما يعصمهم من هذه الفتن والشُرور والآثام فأمرهم بالتعوذ بالله منها وبالابتعاد عنها مع المبادرة بالأعمال الصالحة والإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر ولزوم جماعة المسلمين .

فعن أبي إدريس الخولانيّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ « نَعَمْ » . قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ « نَعَمْ » ، وَفِيهِ دَخْنٌ » . قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ قَالَ « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدًى ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » . قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ « نَعَمْ » ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا . قَالَ « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِلِسَانِنَا » . قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » . قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعْصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ »<sup>٧١٩</sup> .

ومن أمارات الساعة وأشراتها خروج الدجالين الكذابين ، الذين يدعون النبوة ويشيرون الفتنة بأباطيلهم ، وقد أخبر النبي ﷺ أن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين فعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ».<sup>٧٢٠</sup>

ومن علامات الساعة التي ظهرت وأخبر بها الرسول ﷺ ولادة الأمة ولدا يكون له السيادة عليها ، وتفاجر الناس بالبنیان الشاهق ، وزخرفة البيوت بعد أن كانوا حفاة يعيشون في خيام الشعر ويرعون

<sup>٧١٨</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٤٨٨٢)

الجشر : إخراج الدواب للرعى = يرقق : يزين = ينتضل : يرمى بالسهم  
قوله : ( فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا إِنْ عَمَكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بِلِبَاطِلٍ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ... } إِلَى آخِرِهِ )

الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْكَلَامِ : أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي تَحْرِيمِ مُنَازَعَةِ الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ ، وَأَنَّ الثَّانِي يُقْتَلُ ، فَاعْتَقَدَ هَذَا الْقَائِلَ هَذَا الْوَصْفَ فِي مُعَاوِيَةَ لِمُنَازَعَتِهِ عَلَيْهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَكَانَتْ قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَةُ عَلِيٍّ فَرَأَى هَذَا أَنَّ نَفَقَةَ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَجْنَادِهِ وَأَتْبَاعِهِ فِي حَرْبٍ عَلَيْهِ وَمُنَازَعَتِهِ وَمُقَاتَلَتِهِ إِيَّاهُ ، مِنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ ، وَمِنْ قَتْلِ النَّفْسِ ، لِأَنَّهُ قَتَلَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَلَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ مَالًا فِي مُقَاتَلَتِهِ .

وفيه دليل لوجوب طاعة الْمُتَوَلِّينَ لِلْإِمَامَةِ بِالْقَهْرِ مِنْ غَيْرِ إِجْمَاعٍ وَلَا عَهْدٍ . شرح النووي على مسلم - (٦ / ٣١٨)

<sup>٧١٩</sup> - صحيح البخاري - المكثر - (٧٠٨٤)

<sup>٧٢٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٧٥٢٦)

الشيء والبعبير ، كما دل على ذلك الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وقد مر سابقاً ومضمون ما ذكر من أشراف الساعة في هذا الحديث أن تنقلب الموازين ، وتصبح الأمور في غير محلها اللائق بها ، كأن يصبح الولد سيداً ومولى لأمه ، ويحدث هذا عندما يتسع الإسلام ، ويكثر السراري ، ويتخذ الناس السراري ويكثر منهن الأولاد ، فيكون الرجل من أمته في معنى السيد لأمه ، إذا كانت مملوكة لأبيه ، وملك الأب راجع إلى الولد ، وكذلك ابنتها ؛ لأنها في الحسب كأبيها . وكذلك بالنسبة للحفاة العراة رعاء الشاء ، أهل الجهل والجفاء عندما تختل الموازين بكثرة الأموال بين أيديهم ، يصبحون هم رؤوس الناس فيتطاولون في البنيان ويتنافسون على وجه التفاخر والخيلاء ، في زخرفة العمارات وعدد أدوارها بعد أن كانوا أهل تنقل وترحال لا تستقر بهم دار .<sup>٧٢١</sup>

وأما تطاول الناس في البنيان فهو ظاهر وبين في هذا العصر حيث تسابق الناس إلى التباهي بالعمران والزخرفة بسبب كثرة الأموال حتى إن أهل البادية من أهل الفقر والحاجة أخذوا في بناء الأبنية ذوات الطوابق المتعددة وتنافسوا في ذلك ، وكل هذا قد وقع كما أخبر به رسولنا ﷺ الصادق المصدوق كما سبق ذلك في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا سَوْدَةُ وَكَانَتْ مُصَبِّةً كَانَ لَهَا خَمْسَةُ صَبِيَّاتٍ أَوْ سِتَّةٌ مِنْ بَعْلِ لَهَا مَاتَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي » . قَالَتْ وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ أَنْ لَا تَكُونَ أَحَبَّ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ وَلَكِنِّي أَكْرَمُكَ أَنْ يَضَعُوهُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةُ عِنْدَ رَأْسِكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً . قَالَ « فَهَلْ مَنَعَكَ مِنِّي شَيْءٌ غَيْرُ ذَلِكَ » . قَالَتْ لَا وَاللَّهِ . قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنْ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ صَالِحٍ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرٍ وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلِ بِذَاتِ يَدٍ » .

وَقَالَ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَجْلِسًا لَهُ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَاضِعًا كَفِّهِ عَلَى رُكْبَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي مَا الْإِسْلَامُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « الْإِسْلَامُ أَنْ تُسْلِمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ وَتَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . قَالَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ . قَالَ « إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَحَدِّثْنِي مَا الْإِيمَانُ قَالَ « الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَتُؤْمِنَ بِالْمَوْتِ وَبِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . قَالَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ قَالَ « إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتَ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي مَا الْإِحْسَانُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَحَدِّثْنِي مَتَى السَّاعَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « سُبْحَانَ اللَّهِ فِي خَمْسٍ مِنْ

<sup>٧٢١</sup> - انظر معالم السنن ( ٦٧ / ٧ ) وشرح صحيح مسلم النووي ( ١٥٨ / ١ ) وفتح الباري ( ١٢٢ / ١ ) .

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا هُوَ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِمَعَالِمِ لَهَا دُونَ ذَلِكَ ». قَالَ أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَحَدَّثَنِي . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا رَأَيْتَ الْأُمَّةَ وَلَدَتْ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّتَهَا وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبُنْيَانِ وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُعُوسَ النَّاسِ فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ قَالَ « الْعَرَبُ » . ٧٢٢

ومن علامات الساعة التي أخبر بها رسول الله ﷺ : قبض العلم وظهور الجهل ، فعَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَا قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرَجُ ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ » ٧٢٣ .  
وعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ ، وَيُظْهَرَ الزَّنا » ٧٢٤ .

وعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لِأَحَدَتَيْنِ كُنْتُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ وَيَكْثُرَ الزَّنا ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ ، وَيَقِلَّ الرَّجَالُ ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيَمُ الْوَاحِدُ » ٧٢٥ .

وعَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ ، وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ » . قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ قَالَ « الْقَتْلُ ، الْقَتْلُ » ٧٢٦ .

وقد ورد ما يدل على أن المراد برفع العلم وكثرة الجهل : موت العلماء فلا يبقى إلا الجهال الذين يتخذهم الناس رؤساء فيضلوا ويضلوا غيرهم ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » ٧٢٧ .

٧٢٢ - مسند أحمد - المكثر - { ٣١٩/١ } ( ٢٩٨٠ و ٢٩٨١ ) حسن وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح . - يصفون : يكون ويصبحون

٧٢٣ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧٠٦٣ ) - المخرج : القتل والفتن واضطراب الأمور

٧٢٤ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٨٠ )

٧٢٥ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٥٢٣١ )

٧٢٦ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٠٣٧ ) - المخرج : القتل والفتن واضطراب الأمور

٧٢٧ - صحيح البخارى - المكثر - ( ١٠٠ )

ومن أشرط الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ تكليم السباع الإنس ، وإخبار فخذ الرجل بما يحدث أهله بعده ، وكلام النعل والسوط لصاحبهما ، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال صلى رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح ، ثم أقبل على الناس ، فقال « بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرَبها فقالت إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث » . فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم . فقال « فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة ، فطلب حتى كانه استنفذها منه ، فقال له الذئب هذا استنفذتها مني فمن لها يوم السبع ، يوم لا راعي لها غيري » . فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم . قال « فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » . وما هما ثم . ٧٢٨

وعن أبي سعيد الخدري قال : عدا الذئب على شاة ، فأخذها فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأفقى الذئب على ذنبه ، قال : ألا تتقي الله ، تنزع مني رزقا ساقه الله إلي ، فقال : يا عجب ذئب مفع على ذنبه ، يكلمني كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ يشرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للراعي : أخبرهم فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : صدق والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذ بهما أحدث أهله بعده. ٧٢٩

ومن علامات الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ قطيعة الرحم وسوء الجوار وظهور الفساد والفحش ، ومن الأحاديث الدالة على ذلك : ما روي عن أبي سبرة قال كان عبيد الله بن زياد يسأل عن الحوض حوض محمد - ﷺ - وكان يكذب به بعد ما سأل أبا برة والبراء بن عازب وعائذ بن عمرو ورجلا آخر وكان يكذب به فقال أبو سبرة أنا أحدثك بحديث فيه شفاء هذا إن أباك بعث معي بمال إلى معاوية فلقيت عبد الله بن عمرو فحدثني بما سمع من رسول الله - ﷺ - وأملى علي فكتبت بيدي فلم أزد حرفاً ولم أنقص حرفاً حدثني أن رسول الله - ﷺ - قال « إن الله لا يحب الفحش - أو يبعض الفاحش - والمتفحش » . قال « ولا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة وحتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين » . وقال « ألا إن موعدكم حوضي عرضه وطوله واحد وهو كما بين أيلة ومكة وهو مسيرة شهر فيه مثل النجوم أباريق شرابه

٧٢٨ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٤٧١ )

٧٢٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - ( ٤ / ٢١١ ) ( ١١٧٩٢ ) ١١٨١٤ - صحيح

- أفعى : من الإقعاء ، تقول : أفعى الكلب : إذا جلس على أسته . - العذبة : هي طرف الشيء - الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

أَشَدُّ بَيَاضاً مِنْ الْفُضَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَباً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً .» فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَا سَمِعْتُ فِي الْحَوْضِ حَدِيثاً أَتَيْتَ مِنْ هَذَا. فَصَدَّقَ بِهِ وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ فَحَبَسَهَا عِنْدَهُ . ٧٣٠

ومن علامات الساعة وأماراتها التي أخبر بها الرسول ﷺ : كثرة الزلازل ، وظهور الخسف ، والقذف ، والمسح ، وقد دل على هذا الأحاديث الثابتة عنه ﷺ ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَتَقَارِبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَقْبِضُ » . ٧٣١

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ . قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ « نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الْخَبَثُ » . ٧٣٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ ، وَالْبُخْلُ ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ ، وَيَهْلِكَ الْوَعُولُ ، وَتَظْهَرَ التَّحَوُّتُ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَعُولُ وَالتَّحَوُّتُ ؟ قَالَ : الْوَعُولُ : وَجْهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ ، وَالتَّحَوُّتُ : الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ . ٧٣٣

ومنها تقارب الزمان ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالْحَبْرَةِ أَوْ الْخُوصَةِ . ٧٣٤

ومنها وجود طائفة من أمتهم ﷺ ثابتة على الحق مدافعة عنه بكل غال ونفيس حتى قيام الساعة، فعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - « لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » رواه البخاري ٧٣٥ .

٧٣٠ - مسند أحمد - المكثر - (٦٦٧٠) {١٦٣/٢} صحيح

٧٣١ - صحيح البخاري - المكثر - (١٠٣٦) أطرافه ٨٥ ، ١٤١٢ ، ٣٦٠٨ ، ٣٦٠٩ ، ٤٦٣٥ ، ٤٦٣٦ ، ٦٠٣٧ ، ٦٥٠٦ ،

٦٩٣٥ ، ٧٠٦١ ، ٧١١٥ ، ٧١٢١ - تحفة ١٣٧٤٨

٧٣٢ - سنن الترمذي - المكثر - (٢٣٤٤) صحيح لغيره

-الخسف : هو سُوْخُ الْأَرْضِ بِمَا عَلَيْهَا ، يُقَالُ : خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ خَسْفًا أَيْ غَابَ بِهِ فِيهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضَ سُورَةَ الْقَصَصِ ، الْآيَةُ : ٨١ - الْمَسْحُ : هُوَ تَحْوِيلُ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ أَقْبَحَ مِنْهَا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْأَحَادِيثِ ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ : قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : يَحْتَمِلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَمَا وَقَعَ لِلْأُمَّمِ السَّالِفَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُنَايَةً عَنْ تَبَدُّلِ أَخْلَاقِهِمْ ، قُلْتُ : وَالْأَوَّلُ أَلْيَقُ بِالسِّيَاقِ . فَتَحَ الْبَارِي : ( ١٠ / ٥٦ ) ، وَانْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ( ٣ / ٥٥ ) - الْقَذْفُ : هُوَ الرَّمْيُ بِالسَّهْمِ وَالْحَصَى وَالْكَلَامِ وَكُلِّ شَيْءٍ . لِسَانَ الْعَرَبِ ( ٩ / ٢٧٧ ) .

٧٣٣ - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢٥٨ ) ( ٦٨٤٤ ) حسن

٧٣٤ - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢٥٦ ) ( ٦٨٤٢ ) صحيح ، وَانْظُرْ كِتَابَ الْخُلَاصَةِ فِي أَحَادِيثِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ

٧٣٥ - صحيح البخاري ( ٧٣١١ ) وصحيح مسلم ( ٥٠٦٠ )

وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - قَالَ - فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - ﷺ - فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ » رواه مسلم. ٧٣٦.

وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » رواه مسلم ٧٣٧.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » رواه مسلم ٧٣٨.

وقال أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم ٧٣٩.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ هَانِئٍ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ » رواه مسلم ٧٤٠.

وعن يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ذَكَرَ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - لَمْ أَسْمَعْهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - عَلَى مَنبَرِهِ حَدِيثًا غَيْرُهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَلَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم ٧٤١.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، حَدَّثَنِي الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ - قَالَ شُعْبَةُ: يَعْنِي زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا هُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ. رواه أحمد ٧٤٢.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ هَانِئٍ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ ». فَقَامَ مَالِكُ

٧٣٦ - صحيح مسلم (٤١٢)

٧٣٧ - صحيح مسلم (٥٠٥٩)

٧٣٨ - صحيح مسلم (٥٠٦٢)

٧٣٩ - صحيح مسلم (٥٠٦٣)

٧٤٠ - صحيح مسلم (٥٠٦٤)

٧٤١ - صحيح مسلم (٥٠٦٥)

٧٤٢ - غاية المقصد في زوائد المسند ٢ - (ج ٢ / ص ٢٣٦) (٤٣٨١) ومسنده أحمد (١٧٣٤٤) صحيح لغيره

بْنُ يُخَامِرِ السَّكْسَكِيُّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَقُولُ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ وَرَفَعَ صَوْتَهُ هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَقُولُ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ. رواه أحمد<sup>٧٤٣</sup>.

وفي مسند أبي عوانة (٦٠٣٨) حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَرْثَدٍ الْعُذْرِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنَ جَابِرٍ (ح) وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، قَالَ الْوَلِيدُ: وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، وَقَالَ عَبَّاسٌ: أَوْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، لَفْظُ الْوَلِيدِ، وَقَالَ عَبَّاسٌ: أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، حَدَّثَنَا الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، بِمِثْلِهِ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ، فَقَامَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّامِ: قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذَا مَالِكٌ بْنُ يُخَامِرٍ وَبِهِ التَّسْمَةُ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا، يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ<sup>٧٤٤</sup>.

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَحْصَبِيِّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَبِي كَذَا قَالَ يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ وَإِنَّمَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْيَحْصَبِيُّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ». رواه أحمد<sup>٧٤٥</sup>.

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُمَّاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ ، هُمْ شَرُّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ : يَا عُقْبَةُ ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ عُقْبَةُ : هُوَ أَعْلَمُ ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : " لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَاهْرِبِينَ لِعَدُوِّهِمْ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ " ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَجَلٌ ، " ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسْهَا مَسُّ الْحَرِيرِ ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " . رواه مسلم<sup>٧٤٦</sup>.

<sup>٧٤٣</sup> - مسند أحمد (١٧٣٩٥) صحيح

<sup>٧٤٤</sup> - صحيح

<sup>٧٤٥</sup> - مسند أحمد (١٧٣٤٤) صحيح

<sup>٧٤٦</sup> - صحيح مسلم (٥٠٦٦)

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » رواه مسلم ٧٤٧.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ فَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. رواه أحمد ٧٤٨.

وَعَنْ كُرَيْبِ السَّحُولِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُرَّةُ الْبَهْزِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ، وَهُمْ كَالِإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَنَّ " الرَّمْلَةَ هِيَ الرَّبْوَةُ ، ذَلِكَ أَنَّهَا مُعَرَّبَةٌ وَمُشَرَّفَةٌ " رواه الطبراني ٧٤٩.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ الْخَيْلَ وَالْفِئَتِ السَّلَاحَ وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا قُلْتُ لَا قِتَالَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - « الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِنْ عَقَرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ وَالْخَيْلُ مَعْقُودَةٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » رواه أحمد ٧٥٠.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ». رواه أحمد ٧٥١.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالُ ». رواه أحمد ٧٥٢.

٧٤٧- صحيح مسلم (٥٠٦٧)

٧٤٨- غاية المقصد في زوائد المسند ٢ - (ج ٢ / ص ٢٣٧) (٤٣٨٤) ومسنند أحمد (٢٢٩٨٠) صحيح لغيره

٧٤٩- غاية المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ٢٥٠) (١٧١٣٩) و(١٦٥٣٤) صحيح لغيره

٧٥٠- مسند أحمد (١٧٤٢٨) صحيح

٧٥١- مسند أحمد (٢٠٣٨٤) صحيح

٧٥٢- مسند أحمد (٢٠٤٥٥) صحيح

## المطلب السادس أشراط الساعة الكبرى

### أولاً : خروج المهدي .

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى ظهور المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، يلي أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها ، وهو رجل يحكم بالإسلام ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً ، تنعم الأمة في عهده بالخيرات والنعم التي لم تنعم بمثلها قط ، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : في زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم<sup>٧٥٣</sup>

المهدي : لغة اسم مفعول من : هداه هدى وهديا وهداية ، والهدى : هو الرشاد والدلالة ، يقال : هداه الله للدين هدى ، وهديته الطريق ، وإلى الطريق هداية : أي عرفته<sup>٧٥٤</sup> .

وقال ابن الأثير : المهدي الذي هداه الله إلى الحق ، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة<sup>٧٥٥</sup> .

والمراد بالمهدي هنا : هو الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان ، ويؤيد الدين ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويكون من أهل بيته ﷺ ، ويخرج في زمنه عيسى عليه السلام ، والدجال .

وقد وردت في شأن المهدي أحاديث كثيرة ما بين صحاح وحسان وضعاف تنجبر وضعاف شديدة الضعف<sup>٧٥٦</sup> .

وهذه الأحاديث توضح وتخبر عن خروجه في الناس ، وذلك بعد ما يعم الأرض الظلم والفساد والطغيان ؛ فيأتي ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً .

وهو من سلالة النبي ﷺ ومن أبناء فاطمة - رضي الله عنها - وعلى خده شامة كأنها كوكب دري - اسم المهدي ( محمد ) ، واسم أبيه ( عبد الله ) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " لَا تَذْهَبُ الْآيَاتُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا "<sup>٧٥٧</sup>

<sup>٧٥٣</sup> - النهاية في الفتن والملاحم ( ١ / ٣١ )

<sup>٧٥٤</sup> - انظر : النهاية في غريب الحديث : ( ٥ / ٢٥٤ ) ، ولسان العرب ( ١٥ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ ) .

<sup>٧٥٥</sup> - النهاية في غريب الحديث ( ٥ / ٢٥٤ ) .

<sup>٧٥٦</sup> - صرح بنحوه ابن القيم في المنار المنيف ( ١٤٨ ) إذ قال : هذه الأحاديث أربعة أقسام : صحاح وحسان ، وغرائب ، وموضوعة ، وكذا قال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ص ( ٤٢ ) .

<sup>٧٥٧</sup> - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ ( ٨٤٨٣ ) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنِّي وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَفْتَحَ قُسْطَنْطِينَ وَالْدِّيْلَمَ.<sup>٧٥٨</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ». وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِي.<sup>٧٥٩</sup>

وأما نسبه : فالروايات الكثيرة تبين لنا أنه من ولد فاطمة البتول ، ابنة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام - رضي الله عنها - وعن أولادها الطاهرين ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « الْمَهْدِيُّ مِنْ عَتَرَتِي <sup>٧٦٠</sup> مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ » <sup>٧٦١</sup> .

وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ » <sup>٧٦٢</sup> .

فهذه الأخبار كلها تؤكد أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ ، من ولد فاطمة الزهراء ، وهذا ما عليه جماهير الأمة ، فلا يسوغ العدول عنه ولا الالتفات إلى غيره من الأحاديث الضعيفة والموضوعة . يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في المهدي : وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسيني رضي الله عنه <sup>٧٦٣</sup> .

- من صفات المهدي الواردة في السنة ما جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْمَهْدِيُّ مِنْ أَجَلِي الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ » <sup>٧٦٤</sup> .

ومن الأمور الدالة عليه ، أنه يخرج في زمان ساد فيه الجور والظلم ، فيقيم هو بأمر الله العدل والحق ، ويمنع الظلم والجور ، وينشر الله به لواء الخير على الأمة ، حيث يسقيه الله الغيث فتُمْطر السماء كثيرا لا تدخر شيئا من قطرها ، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخر عن الناس شيئا من نباتها ، وتكثر المواشي

<sup>٧٥٨</sup> - مسند البزار كاملا - ( ٢ / ٤٨١ ) ( ٩٠١٦ ) صحيح

<sup>٧٥٩</sup> - سنن الترمذي - المكثر - ( ٢٣٩٤ - ٢٣٩٦ ) قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وذكر الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في منهاج السنة ( ٤ / ٢١١ ) وأشار إلى صحته .

<sup>٧٦٠</sup> - قال الخطابي : العترة : ولد الرجل لصلبه ، ويكون العترة للأقرباء وبني العمومة ، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة : نحن عترة رسول الله ﷺ . معالم السنن ( ٤ / ٤٧٤ ) .

<sup>٧٦١</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٢٨٦ ) صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع ( ٢ / ١٤٠ )

<sup>٧٦٢</sup> - مسند أحمد - المكثر - ( ٦٥٥ ) ومسند البزار كاملا - ( ١ / ١٢٧ ) ( ٦٤٤ ) وسنن ابن ماجه - المكثر - ( ٤٢٢٣ ) حسن ومعنى يصلحه الله في ليلة : يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك ، النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ( ١ / ٥٥ ) .

<sup>٧٦٣</sup> - النهاية في الفتن والملاحم : ( ١ / ٣١ ) .

<sup>٧٦٤</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٢٨٧ ) صحيح

- ( أجلى الجبهة ) : الأجل : الخفيف الشعر ما بين التزعتين من الصدغين ، والذي انحسر الشعر عن جبهته : النهاية في غريب الحديث ( ١ / ٢٩٠ ) - ( أفنى الأنف ) : القنا في الأنف : طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه . النهاية في غريب الحديث ( ٤ / ١١٦ ) .

بسبب الخيرات ، ويفيض المال فيقسمه بين الناس بالسوية . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله العيش ، ويخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعا أو ثمانيا يعني حججا ٧٦٥

-مكان خروج المهدي وزمانه ومدة مكثه في الأرض، ليست هناك روايات صحيحة صريحة تدل على مكان خروجه ، أو الزمن الذي يخرج فيه ، ولكن استأنس أهل العلم في بيان ذلك من مفهوم بعض الروايات وإن لم تكن قطعية ، فعن ثوبان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يفتل عند كنزكم ثلاثة ، كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق ، فيقاتلونكم قتالا لم يفاتله قوم ، ثم ذكر شيئا ، فقال : إذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبوا على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي ٧٦٦

والصواب أنه من أهل المدينة المنورة ، ويفر إلى مكة المكرمة عند فتنة ، ثم يبايعه الناس ، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ - عن النبي ﷺ - قال « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخبيثة لمن لم يشهد غيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبهم ﷺ - ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » ٧٦٧ .

وعن أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال : " سيكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام

٧٦٥ - المستدرك للحاكم (٨٦٧٣) والصحيحة (٧١١ و ١٥٢٩) صحيح

٧٦٦ - المستدرك للحاكم (٨٤٣٥) وسنن ابن ماجه - المكثر - (٤٢٢٢) ومسند البزار كاملا - (٢ / ١٢٠) (٤١٦٣) صحيح

وأعله الألباني في ضعفه (٨٥) بأبي قلابة وأنه مدلس واسمه عبد الله بن زيد الجرمي

أقول : بعد الرجوع لترجمته في التهذيب لم أجد أحدا وصفه بالتدليس وإنما أرسل عن بعض الصحابة بل قال أبو حاتم : ولا يعرف له تدليس وزاد ابن حجر : وهذا مما يقوي من ذهب إلى اشتراط اللقاء في التدليس لا الاكتفاء بالمعاصرة .. التهذيب ٢٢٤/٥ - ٢٢٦ ووصفه بالتقريب (٣٣٣٣) : ثقة فاضل كثير الارسال

وفي الكاشف (٢٧٦٢) من أئمة التابعين وذكر أنه أرسل عن بعض الصحابة فقط وأعله الألباني بعله ثانية : وهي أن في آخر الحديث عبارة (خليفة الله المهدي) وأنها منكورة ونقل عن ابن تيمية كلاما طويلا بردها .

أقول : الخبر صح بما فلا يجوز ردها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كل الناس خلفاء الله تعالى في الأرض كما هو ظاهر نصوص القرآن فما وجه النكارة فيها ؟ انظر فتاوى معاصرة ١٧٣/٢ - ١٧٩ ط ٢ للقرضاوي

٧٦٧ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٢٨٨-٤٢٩٠) ومسند أحمد - المكثر - (٢٧٤٤٦) من طريقين أحدهما فيه مبهم والثاني عن أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم سلمة وهو موصول وله طريق آخر عند إسحاق فالحديث صحيح

وَيُعْتُ إِلَيْهِ بَعَثُ مَنْ أَهْلِ الشَّامِ فَيُخَسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ النَّاسُ أَتَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، أَخْوَالُهُ مِنْ كَلْبٍ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعَثًا فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ وَيَعْنُمُونَ غَنِيمَةً وَالْخَبِيَّةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ ، فَيَقْسِمُ بَيْنَهُمْ فَيُفْتَهُمْ وَيُقِيمُ فِيهِمْ سَنَةً نَبِيَّهُمْ وَيُلْقِي الْإِسْلَامَ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ <sup>٧٦٨</sup>

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَيَخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهِ ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، فَيُعْتُونَ إِلَيْهِ حَيْشًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ ، فَإِذَا بَلَغَ النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَابَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ ، وَيَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، أَخْوَالُهُ مِنْ كَلْبٍ ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ حَيْشًا ، فَيَهْزِمُونَهُمْ ، وَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ ، فَيَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَأْهُمُ ، وَيَعْمَلُ فِيهِمْ بِسَنَةِ نَبِيَّهُمْ ﷺ ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامَ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، يَمُكُثُ سَبْعَ سِنِينَ " <sup>٧٦٩</sup>

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " يُبَايِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَتَأْتِيهِ عَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ ، فَيَغْزَوُهُمْ حَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ ، ثُمَّ يَغْزَوُهُمْ رَجُلٌ مِنْ دَثَنًا عَفَّانُ قَالَ : حَدَّثَنَا عِمْرَانُ الْقُطَّانُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " يُبَايِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَتَأْتِيهِ عَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ ، فَيَغْزَوُهُمْ حَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ ، ثُمَّ يَغْزَوُهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ ، فَيَلْتَقُونَ فَيَهْزِمُهُمُ اللَّهُ ، فَالْخَائِبُ مَنْ خَابَ مِنْ غَنِيمَةِ كَلْبٍ " <sup>٧٧٠</sup>

وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - قَالَ - فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - ﷺ - فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَى صَلِّ لَنَا . فَيَقُولُ لَا . إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ . تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ » . <sup>٧٧١</sup>

<sup>٧٦٨</sup> - مسندُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَّه (١٧٥٦) عَنْ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ ، عَنْ صَاحِبِ لَهُ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، فِي رِوَايَةٍ عَنْ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مِثْلَ ذَلِكَ سَوَاءً ، قُلْتُ : وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ

<sup>٧٦٩</sup> - صَحِيحُ ابْنِ جِبَانَ (٦٨٨١) صَحِيحٌ

<sup>٧٧٠</sup> - تَارِيخُ الْمَدِينَةِ لِابْنِ شَبَّةَ (٦١٩) صَحِيحٌ

<sup>٧٧١</sup> - صَحِيحُ مُسْلِمٍ - الْمَكْتَر - (٤١٢)

وهناك رواية أوردتها ابن القيم - رحمه الله - في المنار المنيف حدد فيها اسم الأمير الذي يصلي إماماً وأنه المهدي بلفظ : « فيقول أميرهم المهدي : تعال صل بنا » . . . إلى آخر الحديث . ثم قال ابن القيم - رحمه الله - بعد أن أورد الحديث : وهذا إسناد جيد " المنار المنيف ص (١٤٨) قلت : ولكني لم أجدها بهذا اللفظ !!!

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ الْقُبَيْطَةِ قَالَ دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخَسَفُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَعُودُ عَائِذُ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ فَإِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ بَمَنْ كَانَ كَارِهَاً قَالَ « يُخَسَفُ بِهِ مَعَهُمْ وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَبِيِّهِ ». وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ هِيَ بَيِّدَاءُ الْمَدِينَةِ. ٧٧٢

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ بْنَ مُطْعِمٍ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي عَائِشَةُ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، خُسِفَ بِأُولِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَفِيهِمْ سِوَاهُمْ ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : يُخَسَفُ بِأُولِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، ثُمَّ يَبْعَثُونَ عَلَى نَبَاتِهِمْ. ٧٧٣

وَعَنْ ابْنِ الْقُبَيْطَةِ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ رَبِيعَةَ ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالُوا : يَا أُمُّ سَلَمَةَ ، أَلَا تُحَدِّثُنَا عَنِ الْخُسْفِ الَّذِي يُخَسَفُ بِالْقَوْمِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَعُودُ عَائِذُ بِالْبَيْتِ ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ ، قَالَتْ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَنْ كَانَ كَارِهَاً ؟ قَالَ : يُخَسَفُ مَعَهُمْ ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ : إِنَّهَا ، قَالَتْ بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَبَيِّدَاءُ الْمَدِينَةِ. ٧٧٤

وَعَنْ أُمِّيَّةَ بِنْتِ صَفْوَانَ سَمِعَتْ جَدَّهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ يَقُولُ أَخْبَرَنِي حَفْصَةُ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « لَيُؤْمَنَنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أُولَهُمْ آخِرَهُمْ ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ ». فَقَالَ رَجُلٌ أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ وَأَشْهَدُ عَلَى حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - ٧٧٥

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ عِثْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَنْامِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنْامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ. فَقَالَ « الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَوْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيِّدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ. قَالَ

٧٧٢ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٢١ )

يقول النووي - رحمه الله - قال العلماء : البيداء كل أرض ملساء لا شيء بها ، وبيداء المدينة : الشرف الذي قدام ذي الحليفة أي إلى جهة مكة . شرح صحيح مسلم للنووي ( ١٨ / ٥ ) .

٧٧٣ - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ١٥٥ ) ( ٦٧٥٥ ) صحيح

٧٧٤ - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ١٥٦ ) ( ٦٧٥٦ ) صحيح

٧٧٥ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٢٣ )

« نَعَمْ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَيْءٍ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ ».<sup>٧٧٦</sup>

ففي هذه الروايات الثلاث عن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - جميعا ، إشارة صريحة للعائد بالبيت وأنه من قريش ، وأنه يؤيد بنصر الله ، فيهلك الله أعداءه بالخسف وقد ورد أيضا في الأحاديث الصحيحة ذكر خليفة يكثر الخير في زمانه حتى إنه يحثو المال حثوا ولا يعده عددا ويعطيه للناس بدون عدد ، ولكن الروايات هنا أيضا لم تحدد اسم هذا الخليفة ، فعن أبي سعيدٍ وجابر بن عبد الله قالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يُعَدُّهُ ».<sup>٧٧٧</sup>

وعن أبي نضرة ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجَبِّيَ إِلَيْهِمْ قَفِيرٌ ، وَلَا دِرْهَمٌ ، قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ ، يُمْنَعُونَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجَبِّيَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ ، وَلَا مَدْيٌ ، قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ مِنْ قَبْلِ الرُّومِ يُمْنَعُونَ ذَاكَ ، قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ ، يَحْثُو الْمَالَ حَثْوًا ، لَا يُعَدُّهُ عَدًّا.

قَالَ الْجُرَيْرِيُّ : فَقُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ : وَأَبِي الْعَلَاءِ : أَتُرِيَانِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ فَقَالَا : لَا.<sup>٧٧٨</sup>  
وعن جابر ، أو أبي سعيدٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : " يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ لَا يُعَدُّهُ عَدًّا " <sup>٧٧٩</sup>

وعن جابر بن عبد الله ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثِيًا لَا يُعَدُّهُ عَدْدًا " قَالَ : فَقُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ : أَتُرِيَانِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ قَالَا : لَا " <sup>٧٨٠</sup>  
ومن مجمل الروايات السابقة يتبين لنا أن المهدي رجل صالح يخرج في آخر الزمان ، ويأوي إلى مكة هاربا من المدينة ، فيبايع بين الركن والمقام عند الكعبة المشرفة ، فيبعث إليه جيش لقتله فيخسف بهم ، وينصره الله ويؤيده فيحكم بالإسلام ، وينشر العدل بين الناس ، ويعم الرخاء والنعمة بزمانه ، ويلتقي

<sup>٧٧٦</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٢٦ )

- ( المستبصر ) : المستبين للشيء ، القاصد له عمدا ، يعني أنهم كانوا على بصيرة من ضالتهم : النهاية في غريب الحديث ( ١ / ١٣٢ ) - ( المجبور ) : أي المكره على الخروج دون إرادته . النهاية في غريب الحديث ( ١ / ٢٣٦ ) - ( مصادر شئ ) : أي يهلكون جميعهم ، ولكن مصادرهم عن الهلكة متفرقة ، فمنهم إلى الجنة ، ومنهم إلى النار على قدر أعمالهم ونياتهم : النهاية في غريب الحديث ( ٤ / ١٥ ) .

<sup>٧٧٧</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٠٢ )

<sup>٧٧٨</sup> - مسند أحمد (عالم الكتب) - ( ٥ / ٧١ ) (١٤٤٠٦) (١٤٤٥٩) - صحيح

<sup>٧٧٩</sup> - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ ( ٨٥٣٢ ) صحيح

<sup>٧٨٠</sup> - السُّنَنُ الْوَارِدَةُ فِي الْفِتَنِ لِلدَّانِي (٥٧٢) صحيح

مع نبي الله عيسى عليه السلام فيؤم الأمة وعيسى عليه السلام يصلي خلفه ، ويخرج معه ويساعده على قتل الدجال ، ويعيش سبعا أو تسع سنين ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون .

- لقد نص على تواتر الأحاديث في المهدي تواترا معنويا عدد من الأئمة والعلماء :

يقول الحافظ أبو الحسن الآبري : " وقد تواترت الأخبار واستفاضت وكثرت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ بخروجه ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلا ، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد<sup>٧٨١</sup> ، بأرض فلسطين ، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه " <sup>٧٨٢</sup>

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم " <sup>٧٨٣</sup>

ويقول الحافظ ابن كثير : " فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان ، وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض وترتجي ظهوره من سرداب في سامرا ، فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر . . . وأما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه في آخر الدهر ، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث " <sup>٧٨٤</sup>

ويقول العلامة محمد السفاريني في المهدي : " وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة ، حتى عد من معتقداتهم " ويقول أيضا : " وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب ، كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة " <sup>٧٨٥</sup>

ويقول العلامة محمد صديق خان بن حسن القنوجي في كتابه - الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة - : " الأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف روايتها كثيرة جدا تبلغ حد التواتر المعنوي ، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد " <sup>٧٨٦</sup>

---

<sup>٧٨١</sup> - لد : بالضم والتشديد ، بلدة معروفة في فلسطين ، قرية من بيت المقدس ، وهي التي يبأها يدرك عيسى عليه السلام الدجال فيقتله . معجم البلدان : ( ١٥ / ٥ )

<sup>٧٨٢</sup> - انظر كلامه هذا في تهذيب التهذيب : ( ٩ / ١٤٤ ) .

<sup>٧٨٣</sup> - منهاج السنة النبوية : ( ٤ / ٩٥ ) .

<sup>٧٨٤</sup> - النهاية في الفتن والملاحم : ( ١ / ٤٩ )

<sup>٧٨٥</sup> - لوامع الأنوار البهية : ( ٢ / ٨٤ ) .

<sup>٧٨٦</sup> - الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة : ١١٢ - ١١٣ والإشاعة في أشرار الساعة ( ٢٣٦ ) .

وقال العلامة الشوكاني : " الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا ، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك وشبهة ، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول ، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضا ، لها حكم الرفع ؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك <sup>٧٨٧</sup> " وقال العلامة محمد بن جعفر الكتاني : " والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجال وفي نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام <sup>٧٨٨</sup> " ويقول العلامة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي : " واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على إثره ، وأن عيسى عليه السلام يتزل من بعده فيقتل الدجال ، أو يتزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته .

وخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم : أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والبزار ، والحاكم ، والطبراني ، وأبو يعلى الموصلي ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل : علي ، وابن عباس ، وابن عمر ، وطلحة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي هريرة ، وأنس ، وأبي سعيد الخدري ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وثوبان ، وقرّة بن إياس ، وعلي الهلالي ، وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم <sup>٧٨٩</sup>

ويقول سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - ما ملخصه : " أمر المهدي معلوم ، والأحاديث فيه مستفيضة ، بل متواترة متعاضدة ، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها ، وتواترها تواتر معنوي ، لكثرة طرقها ، واختلاف مخرجها وصحابتها ورواتها وألفاظها ، فهي بحق تدلُّ على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق ، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسيني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمّة في آخر الزمان ، يخرج فيقيم العدل والحق ، ويمنع الظلم والجور ، وينشر الله به لواء الخير على الأمّة عدلا وهداية وتوفيقا وإرشادا للناس .

وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره ، وكما قال ابن القيم وغيره : فيها الصحيح ، وفيها الحسن ، وفيها الضعيف المنجبر ، وفيها أخبار موضوعة ، ويكفيها من ذلك ما استقام سنده ، سواء كان صحيحا لذاته أو لغيره ، وسواء كان حسنا لذاته أو لغيره ، وهكذا

<sup>٧٨٧</sup> - التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح . ورقة : ( ٤ ، ٥ ) .

<sup>٧٨٨</sup> - نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٧٤ .

<sup>٧٨٩</sup> - عون المعبود شرح سنن أبي داود ( ١١ / ٣٦١ ) .

الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضا ، فإنها حجة عند أهل العلم . . . . والحق أن جمهور أهل العلم - بل هو كالاتفاق - على ثبوت أمر المهدي ، وأنه حق ، وأنه سيخرج في آخر الزمان ، أما من شد عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك " ٧٩٠

هذا وقد ذكرت في كتاب لي عن المهدي منذ عشرين سنة حوالي خمسين حديثا صحيحا وحسنا فيه ، سوف أفرده بكتاب إن شاء الله .

#### - أقسام الناس في المهدي

انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط :

١ - أما المذهب الوسط : فهو معتقد أهل السنة والجماعة الذين يثبتون خروج المهدي على ما دلت عليه النصوص الثابتة التي ذكر فيها اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته وأنه خليفة راشد ومصلح يظهر في آخر الزمان يؤيده الله ويصلح به العباد والبلاد .

يقول الحافظ ابن القيم - رحمه الله - حينما تكلم عن أقسام الناس في المهدي عن معتقد أهل السنة والجماعة : " القول الثالث : أنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن علي ، يخرج في آخر الزمان ، وقد امتلأت الأرض جورا وظلما ، فيملؤها قسطا وعدلا ، وأكثر الأحاديث على هذا تدل ٧٩١

وقد سبق ذكر الأدلة التي تدل على خروجه وجملة من أقوال أهل العلم التي تبين معتقد أهل السنة والجماعة في المهدي .

٢ - وأما الطرف الأول : فهم الذين ينكرون خروج المهدي قديما وحديثا من الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم ، تمشيا مع مذهبهم الباطل في نفي الأمور الغيبية التي لا تدركها عقولهم ولا توافق أهواءهم ويقولون : إن المهدي أسطورة وخرافة دخلت على أهل السنة من جهة الشيعة ، ويقولون أيضا : إن الأحاديث الواردة فيه بعضها باطل والبعض الآخر متناقض .

وقد رد العلماء على هؤلاء وبينوا فساد قولهم ومخالفته لما ثبت في النصوص الصحيحة .

ومن أجمل الردود في هذا الباب ما كتبه فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد - حفظه الله - في رسالته : الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ، وما كتبه فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله بن حمد التويجري - رحمه الله - في كتابه الاحتجاج بالآثر على من أنكر المهدي المنتظر .

يقول الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر - حفظه الله - : " أما الجواب عن السؤال الثاني فهو أي لم أقف على تسمية أحد في الماضين أنكر أحاديث المهدي أو تردد فيها سوى رجلين اثنين ، أما

٧٩٠ - نقلا عن كتاب : الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله -

ص : ( ١٥٧ - ١٥٩ ) .

٧٩١ - المنار المنيف ص ( ١٤٨ ) .

أحدهما فهو أبو محمد بن الوليد البغدادي الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ، وقد مضى حكاية كلام شيخ الإسلام عنه وأنه قد اعتمد على حديث : « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » ، وقال ابن تيمية : وليس مما يعتمد عليه لضعفه ، انتهى ، وسبق في أثناء كلام الذين نقلت عنهم أنه لو صح هذا الحديث فالجمع بينه وبين أحاديث المهدي ممكن . ولم أقف على ترجمة لأبي محمد المذكور .

وأما الثاني : فهو عبد الرحمن بن خلدون المغربي المؤرخ المشهور ، وهو الذي اشتهر بين الناس عنه تضعيفه أحاديث المهدي ، وقد رجعت إلى كلامه في مقدمة تاريخه فظهر لي منه التردد لا الجزم بالإنكار ، وعلى كل حال فإنكارها أو التردد في التصديق بما دلت عليه شذوذ عن الحق ونكوب عن الجادة المطروقة ، وقد تعقبه الشيخ صديق حسن في كتابه الإذاعة حيث قال : " لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام ؛ لما تواتر من الأخبار في الباب واتفق عليه جمهور الأمة خلفا عن سلف إلا من لا يعتد بخلافه " وقال : " لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود والمنتظر المدلول عليه بالأدلة ، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر " انتهى<sup>٧٩٢</sup> .

ولعل المنكرين في عصرنا الحاضر للمهدي متأثرون بهذين الرجلين .

٣ - وأما الطرف الثالث : فهم من يغالي في أمر المهدي من الطوائف الضالة حتى ادعت كل طائفة منهم أن زعيمهم هو المهدي المنتظر ، وقد أشار الحافظ ابن القيم - رحمه الله - إلى هؤلاء بقوله : وأما الرافضة الإمامية فلهم قول رابع وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر ، من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن ، الحاضر في الأمصار ، الغائب عن الأبصار ، الذي يورث العصا ، ويختم الفضا ، دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا من أكثر من خمسمائة سنة ، فلم تره بعد ذلك عين ، ولم يحس فيه بخبر ولا أثر ، وهم ينتظرونه كل يوم !!

يقفون بالخليل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم : اخرج يا مولانا ، اخرج يا مولانا ، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان ، فهذا دأبهم ودأبه ، ولقد أحسن من قال :

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه بجهلكم ما آنا ؟

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عارا على بني آدم ، وضحكة يسخر منهم كل عاقل<sup>٧٩٣</sup>

قال الذهبي عن حديث : « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » ، وهو خير منكر أخرجه ابن ماجه .

<sup>٧٩٢</sup> - وانظر عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر ص ( ٢١٠ ، ٢١١ ) .

<sup>٧٩٣</sup> - المنار المنيف ص ( ١٥٢ ) .

وقال الحافظ الذهبي أيضا : " فأما حديث « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » فضعيف ، فلا يعارض هذا الأحاديث<sup>٧٩٤</sup>

فهذا الحديث الضعيف لا يعارض به الأحاديث الصحيحة الثابتة عن المصطفى ﷺ في شأن المهدي ، وعلى فرض صحة هذا الحديث فإنه كما قال الإمام القرطبي : يحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام : « ولا مهدي إلا عيسى » : أي لا مهدي كاملا معصوما إلا عيسى ، وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض<sup>٧٩٥</sup>

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية : ولو صح لم يكن فيه حجة ؛ لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله ﷺ وبين الساعة ، وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وحكمه بكتاب الله ، وقتله اليهود والنصارى ، ووضع الجزية ، وإهلاك أهل الملل في زمانه ، فيصح أن يقال : لا مهدي في الحقيقة سواه وإن كان غيره مهديا ، كما يقال : لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا ما وقى وجه صاحبه ، وكما يصح أن يقال : إنما المهدي عيسى ابن مريم ، يعني المهدي الكامل المعصوم<sup>٧٩٦</sup>

ويقول الحافظ ابن كثير : " وعند التأمل لا يتنافيان ، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حقا هو عيسى ابن مريم ، ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديا أيضا ، والله أعلم<sup>٧٩٧</sup>

=====

---

<sup>٧٩٤</sup> - ميزان الاعتدال ( ٣ / ٥٣٥ ) .

<sup>٧٩٥</sup> - التذكرة ( ٢ / ٧٢٣ ) .

<sup>٧٩٦</sup> - المنار المنيف ( ١٤٨ ) .

<sup>٧٩٧</sup> - النهاية في الفتن والملاحم : ( ١ / ٥٨ ) .

## ثانياً: فتنة المسيح الدجال .

لفظ الدجال على وزن فعال بفتح أوله والتشديد من الدجل وهو التغطية ، وأصل الدجل معناه : الخلط ، يقال : دجل إذا لبس وموه ، وجمع دجال : دجالون ، ودجاجلة .  
وسمي الدجال دجالاً ؛ لأنه يغطي الحق بباطله ، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم<sup>٧٩٨</sup>

المراد بالدجال هنا : الدجال الأكبر الذي يخرج قبيل قيام الساعة في زمن المهدي وعيسى عليه السلام .

وخروجه من الأشرار العظيمة المؤذنة بقيام الساعة ، وفتنته من أعظم الفتن والحن التي تمر على الناس ، ويسمى مسيحاً ؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً ، ولفظة المسيح تطلق على الصديق ، وهو عيسى عليه السلام ، وعلى الضليل الكذاب وهو الأعور الدجال<sup>٧٩٩</sup>  
قال القرطبي : " واختلف في لفظة المسيح لغة على ثلاثة وعشرين قولاً ، ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه مجمع البحرين ، وقال : لم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال<sup>٨٠٠</sup> " والمقصود بالمسيح هنا مسيح الضلالة الذي يفتن الناس بما يجري على يديه من الآيات ، كإنزال المطر وإحياء الأرض ، وما يظهر على يديه من عجائب وخوارق للعادات ، وأما مسيح الهدى فهو عيسى ابن مريم عليه السلام الذي سيأتي الكلام عليه .

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في ذكر خروج الدجال في آخر الزمان والتحذير منه ، حيث وصفه الرسول ﷺ لأمتة وصفاً دقيقاً لا يخفى على ذي بصيرة ، كما حذر منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله أمهم ووصفوه لهم أوصافاً ظاهرة .

وهذه بعض الأحاديث عنه ، فعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي النَّاسِ فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ « إِنَّنِي لَأُنْذِرُكُمْ هُ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرُهُ قَوْمَهُ ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ »<sup>٨٠١</sup> .

<sup>٧٩٨</sup> - انظر : النهاية في غريب الحديث : ( ٢ / ١٠٢ ) ، ولسان العرب ( ١١ / ٢٣٦ ) ، وفتح الباري لابن حجر ( ٢ / ٣١٨ )

<sup>٧٩٩</sup> - انظر : النهاية في غريب الحديث : ( ٤ / ٣٢٦ ) ، ولسان العرب ( ٢ / ٥٩٤ ) .

<sup>٨٠٠</sup> - التذكرة للقرطبي : ( ٢ / ٦٧٩ - ٦٨٣ ) .

<sup>٨٠١</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧١٢٧ ) أطرافه ٣٠٥٧ ، ٣٣٣٧ ، ٣٤٣٩ ، ٤٤٠٢ ، ٦١٧٥ ، ٧١٢٣ ، ٧٤٠٧ - تحفة

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ ».<sup>٨٠٢</sup>

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرِي النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ ، فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ ».<sup>٨٠٣</sup>

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَالِ ، فَكَانَ فِيهِمَا حَدِيثًا بِهِ أَنْ قَالَ « يَأْتِي الدَّجَالُ - وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ - بَعْضَ السَّبَاخِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ ، هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ ، الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَدِيثُهُ ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ ، هَلْ تَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ فَيَقُولُونَ لَا . فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ أَقْتُلْهُ فَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِ ».<sup>٨٠٤</sup>

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر ».<sup>٨٠٥</sup>

وَعَنِ الثَّوَالِيسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ « مَا شَأْنُكُمْ » . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ . فَقَالَ « غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِيهِ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَاجِيهِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَابْتُئُوا » . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ « أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ وَيَوْمٌ

<sup>٨٠٢</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٥٨ )

<sup>٨٠٣</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٤٣٩ ) أطرافه ٣٠٥٧ ، ٣٣٣٧ ، ٤٤٠٢ ، ٦١٧٥ ، ٧١٢٣ ، ٧١٢٧ ، ٧٤٠٧ - تحفة

٨٤٦٤ - الطافية : النائفة

<sup>٨٠٤</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ١٨٨٢ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٦٢ )

السباخ : بكسر المهملة جمع سيخة محركة ومسكنة ، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر ، النهاية في غريب الحديث ( ٣٣٣ / ٢ ) .

<sup>٨٠٥</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٤٨ )

قال الإمام النووي - رحمه الله - : والصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها ، وأما كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب ، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفنتته ، ولا امتناع في ذلك . شرح صحيح مسلم للنووي : ( ١٨ / ٦٠ ) .

كَجُمُعَةٍ وَسَائِرِ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتْهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ «لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ «كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرْضَوْنَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرَبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكَ. فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ التَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْعَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقَى دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاصْبَعًا كَفِيَّةً عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَينِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرٌ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِيَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ يَقْتُلُهُمْ فَحَرَّزُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءً. وَيُخْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٌ وَلَا وَبَرٌ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبَتِي ثَمَرَتَكَ وَرَدِّي بَرَكَتَكَ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَحْدَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهُمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»<sup>٨٠٦</sup>.

<sup>٨٠٦</sup> - صحيح مسلم- المكثر - (٧٥٦٠)

البخت : واحدتها البختية وهى الناقة طويلة العنق ذات السنامين =الحذب : الغليظ من الأرض فى ارتفاع =حرز : ضم =خلة : طريق =الذرى : جمع الذروة وهى أعلى الشئ والمراد السنام =الرسل : اللبن =يرغب : يدعو =الزلفة : المكان يحفر ليحبس فيه ماء السماء وقيل المرأة =الزهم : الريح المنتنة =الزهمة : الريح المنتنة =السارحة : الماشية =اليعاسيب : جمع يعسوب وهو ذكر النحل =عاث : أفسد =الفتام : الجماعة الكثيرة =الفخذ : حى الرجل إذا كان من أقرب عشيرته =الفرسى : جمع الفريس وهم القتلى =القحف : القشر =القطط : شديد جعودة شعر الرأس =يكن : يستر =اللقة : الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة =المحل : المحذب المقحط =المدر : القرى والأمصار واحدتها مدرة =ينسلون : يخرجون مسرعين =النغف : جمع النغفة وهو دود يوجد فى أنوف الإبل والغنم فتموت به

قال الخطابي - رحمه الله - : " هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده ، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده ، وأقدره على أشياء من مقدرات الله تعالى ، من إحياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا ، والخصب معه ، وجنته وناره ونهريه ، واتباع كنوز الأرض له ، وأمره السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيعته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج<sup>٨٠٧</sup> ، والجهمية<sup>٨٠٨</sup> وبعض المعتزلة<sup>٨٠٩</sup> ، وخلافا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ، ولكن الذي يدعي مخارق وخيالات لا حقائق لها . وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء ﷺ ، وهذا غلط من جميعهم ؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له ، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه ، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعا ع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه ؛ لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله . وأما أهل التوفيق فلا يغترون ولا يخدعون بما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذوبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله ، ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه : ما ازددت فيك إلا بصيرة<sup>٨١٠</sup>

---

في أقرب وقت = يتهارجون : يجامعون النساء بحضرة الناس = المهرودة : الحلة أو الشقة وقيل الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس والزعفران = الوبر : البيت المتخذ من صوف الإبل والمراد أهل البادية

<sup>٨٠٧</sup> - الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٣٧ هـ ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي - رضي الله عنهما - كما أجمعوا - عدا النجدة منهم - على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرا عليها ، وقد ورد في ذمهم والترغيب في قتالهم أحاديث صحيحة مرفوعة ، وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة ، ومن أسمائهم أيضا الحزورية . انظر : مقالات الإسلاميين ( ١ / ١٦٧ ) ، وتلبس إبليس ص ( ٩ ) ، والملل والنحل ( ١ / ١١٤ ) .

<sup>٨٠٨</sup> - الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الذي قال : بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات لها ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به ، وزعم أيضا أن الجنة والنار تبيدان وتغنيان . انظر : مقالات الإسلاميين ( ١ / ٣٣٨ ) ، الفرق بين الفرق ص ( ٢١١ ) ، والملل والنحل ( ١ / ٧٦ ) .

<sup>٨٠٩</sup> - المعتزلة : سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد - من رؤسائهم - مجلس الحسن البصري لقولهما بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، وقيل سموا معتزلة لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة ، ومن عقائدهم إنكار جميع صفات الله ، والقول بأن القرآن محدث ، وأن الله لا يرى في الآخرة ، وتصل فرقهم إلى حوالي عشرين فرقة ، انظر : مقالات الإسلاميين ( ١ / ٢٣٥ ) ، الفرق بين الفرق ص ( ١١ ) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ( ٤٩ ) .

<sup>٨١٠</sup> - شرح صحيح مسلم للنووي ( ١٨ / ٥٨ - ٥٩ ) .

وقد دلت الأحاديث علي أن المسيح الدجال يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ - قَالَ « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ ، يَحْرُسُونَهَا ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ »<sup>٨١١</sup>

وعن أنس ، عن النبي ﷺ ، قَالَ : الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ ، فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا ، فَلَا يَدْخُلُهَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاغُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.<sup>٨١٢</sup>

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " قوله: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال" هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور، وشذا ابن حزم فقال: المراد ألا يدخله بعته وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما ثبت في صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قدر السنة. قوله: "ثم ترجف المدينة" أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصا في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال. ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكره الماضي أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال، لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفرع من ذكره والخوف من عتوه، لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص. وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه أنها تنفي الخبث على هذه الحالة دون غيرها، وقد تقدم أن الصحيح في معناه أنه خاص بناس وبزمان، فلا مانع أن يكون هذا الزمان هو المراد، ولا يلزم من كونه مرادا نفي غيره. " <sup>٨١٣</sup>

وقد بين الرسول ﷺ مدة مكثه في الأرض بعد خروجه ، وأن قتله يكون على يد عيسى ابن مريم عليه السلام كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وقد سبق ذكره .

فظهور الدجال - أحسأه الله وأخزاه - وشدة فتنته وهوله وبلاء الناس به ، وبما يجري على يديه من علامات الساعة العظيمة وأشراتها الجسيمة ، وقد سبق إيراد الأحاديث النبوية في شأنه والخبر عنه وبيان وصفه ونعته والتحذير منه ، وكان النبي ﷺ يستعيز في صلاته وغيرها من فتنة الدجال وشره وأمر أمته بذلك .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ».<sup>٨١٤</sup>

<sup>٨١١</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ١٨٨١ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٧٧ )

<sup>٨١٢</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢١٥ ) ( ٦٨٠٤ ) صحيح

<sup>٨١٣</sup> - فتح الباري ( ٤ / ٩٦ ) .

<sup>٨١٤</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ١٣٥٢ )

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَعْرَمِ». قَالَتْ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَعْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»<sup>٨١٥</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ «قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»<sup>٨١٦</sup>.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ - وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ - فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ كَذَا كَانَ يَقُولُ الْحَرِيرِيُّ - فَقَالَ «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا.

قَالَ «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ». قَالَ مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ. فَقَالَ «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ فَقَالَ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.<sup>٨١٧</sup>

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَجَارَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ ، وَإِذَا أَقْبَرُ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، فَقَالَ : مَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ قَالَ : مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سُبُلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، قُلْنَا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قُلْنَا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ

<sup>٨١٥</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ١٣٥٣ )

<sup>٨١٦</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ١٣٦١ )

<sup>٨١٧</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٧٣٩٢ )

الْقَبْرِ قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قُلْنَا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ، قُلْنَا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ<sup>٨١٨</sup>

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ثَلَاثًا ، قُلْنَا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قُلْنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَمَا بَطَنَ ، قُلْنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ، قُلْنَا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ<sup>٨١٩</sup>

وقد أرشد رسول الله ﷺ المؤمنين إلى ما يعصمهم من فتنة المسيح الدجال فعن أبي الدرداء أن النبي - ﷺ - قَالَ « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ »<sup>٨٢٠</sup>.

وَعَنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَكَذَا قَالَ هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ قَتَادَةَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ « مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ ». وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ « مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ »<sup>٨٢١</sup>.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ »<sup>٨٢٢</sup>.

وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمَنْ قَرَأَ الْكَهْفَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ حَفِظَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَإِذَا أَدْرَكَ الدَّجَالُ لَمْ يَضُرَّهُ وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَنْ قَرَأَ يُسَ غُفِرَ لَهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا وَهُوَ جَائِعٌ شَبِعَ، وَمَنْ قَرَأَهَا وَهُوَ ضَالٌّ هُدِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا وَلَهُ ضَالَّةٌ وَجَدَهَا، وَمَنْ قَرَأَهَا عِنْدَ طَعَامٍ خَافَ قَلْبُهُ كَفَاهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا عِنْدَ مَيِّتٍ هُوَنَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا عِنْدَ امْرَأَةٍ عُسِرَ عَلَيْهَا وَلَدَهَا يُسَّرَ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَرَأَهَا فَكَانَتْهَا قَرَأَ الْقُرْآنَ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، وَلِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبٌ، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يُسَ " <sup>٨٢٣</sup>

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ<sup>٨٢٤</sup>.

<sup>٨١٨</sup> - الآحاد والمثاني - ( ٣ / ٥٥٥ ) ( ٢٠٥٧ ) صحيح

<sup>٨١٩</sup> - مصنف ابن أبي شيبة - ( ١٠ / ١٨٥ ) ( ٢٩٧٣١ ) صحيح

<sup>٨٢٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ١٩١٩ )

<sup>٨٢١</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٣٢٥ ) صحيح

<sup>٨٢٢</sup> - سنن الترمذي - المكثر - ( ٣١٢٧ ) صحيح

<sup>٨٢٣</sup> - شعب الإيمان - ( ٤ / ٩٨ ) ( ٢٢٣٩ ) صحيح مرسل

<sup>٨٢٤</sup> - صحيح ابن حبان - ( ٣ / ٦٥ ) ( ٧٨٥ ) صحيح

قال المناوي مبينا سبب العصمة : " وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب ، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال فلا يفتن ، أو لأن من تدبر هذه الآيات وتأمل معناها حذر فأمّن منه أو هذه خصوصية أودعت في السورة " ٨٢٥

فسورة الكهف لها شأن عظيم وفيها من العجائب والآيات الباهرات التي من تدبرها عصم من فتنة الدجال ، وقد ورد الحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، قال : إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين " ٨٢٦ وعن أبي سعيد الخدري ، قال : " من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق " ٨٢٧

عن أبي سعيد الخدري ، قال : " من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فأدرك الدجال لم يسقط عليه ، - أو قال : لم يضره - ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء له نورا من حيث كان بينه وبين مكة " ٨٢٨

فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءة هذه السورة وحفظها وخاصة في يوم الجمعة .

وأما الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن صراحة ، فقد أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بقوله : اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر ، وعظم الفتنة به ، وتحذير الأنبياء منه ، والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة ، وأجيب بأجوبة :

أحدها : أنه ذكر في قوله تعالى : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا } ( سورة الأنعام ، الآية : ١٥٨ ) ، فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه : « ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها » .

الثاني : قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى ابن مريم في قوله تعالى : { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } ( سورة النساء ، الآية : ١٥٩ ) ، وفي قوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ } ( سورة الزخرف ، الآية : ٦١ ) ، وصح أنه الذي يقتل الدجال فاكتفي بذكر أحد الضدين عن الآخر ، ولكونه يلقب المسيح كعيسى ، لكن الدجال مسيح الضلالة وعيسى مسيح الهدى .

الثالث : أنه ترك ذكره احتقارا ، وتعقب بذكر يأجوج ومأجوج وليست الفتنة بهم بدون الفتنة بالدجال والذي قبله ، وتعقب بأن السؤال باق وهو ما الحكمة في ترك التنصيص عليه ؟ وأجاب شيخنا الإمام البلقيني بأنه اعتبر كل من ذكر في القرآن من المفسدين فوجد كل من ذكر إنما هم ممن

٨٢٥ - فيض القدير : ( ٦ / ١١٨ ) .

٨٢٦ - المستدرک للحاكم ( ٣٣٩٢ ) صحيح

٨٢٧ - شعب الإيمان - ( ٤ / ٨٦ ) ( ٢٢٢٠ ) صحيح

٨٢٨ - شعب الإيمان - ( ٤ / ٤٣٦ ) ( ٢٧٧٦ ) صحيح

مضى وانقضى أمره ، وأما من لم يجئ بعد فلم يذكر منهم أحدا ، انتهى . وهذا ينتقض بياجوج ومأجوج .

وقد وقع في تفسير البغوي<sup>٨٢٩</sup> : أن الدجال مذكور في القرآن في قوله تعالى : { لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } ( سورة غافر ، الآية : ٥٧ ) ، وأن المراد بالناس هنا الدجال ، من إطلاق الكل على البعض ، وهذا إن ثبت أحسن الأجوبة فيكون من جملة ما تكفل النبي ﷺ ببيانه والعلم عند الله تعالى<sup>٨٣٠</sup>

ومما سبق يتضح لنا أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى الثابتة ، ومن الأخبار المتواترة التي يجب الإيمان بها ، وفي ما مضى من الأدلة رد على من أنكر خروج الدجال بالكلية من الخوارج والجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن سار على نهجهم قديما وحديثا ، أو قال إن ما يأتي به الدجال خيالات لا حقيقة لها ، فكل هؤلاء قد ردوا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في معرض رده على هؤلاء : " وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماء نار وناره ماء بارد ، وإنما ذلك في رأي العين ، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم ، والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق<sup>٨٣١</sup> موه لا حقيقة لما يبيد للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء " <sup>٨٣٢</sup> .

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه ، كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم والأرض فتنبث لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سمانا ، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجذب والقحط والعلّة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيغاسيب النحل ، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان ، فيضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، يكفر المرتابون ، ويزداد الذين آمنوا إيمانا ، وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث « هو أهون على الله من ذلك » .

أي هو أقل من أن يكون معه ما يضل به عباده المؤمنين ، وما ذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم ، وإن كان معه من الخوارق ، وبين عينيه مكتوب كافر كتابة ظاهرة ، وقد حقق ذلك

<sup>٨٢٩</sup> - تفسير البغوي : ( ٤ / ١٠١ )

<sup>٨٣٠</sup> - فتح الباري ( ١٣ / ٩١ ، ٩٢ ) .

<sup>٨٣١</sup> - المخرق : المشعوز .

<sup>٨٣٢</sup> - أشراط الساعة - ( ١ / ١٣٩ ) وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة - ( ٣ / ٨٩ ) والنهاية في الفتن والملاحم موافق للمطبوع - ( ١ / ٨٣ )

الشارع في خبره بقوله : ك - ف - ر . وقد دل ذلك على أنها كتابة حسية لا معنوية ، كما يقوله بعض الناس ، وعينه الواحدة عوراء شنيعة المنظر ناتئة ، وهو معنى قوله : « كأنها عنبه طافية » أي طافية على وجه الماء ، ومن روى ذلك طافئة فمعناه : لا ضوء فيها . وفي الحديث الآخر : « كأنها نخامة على حائط مجصص » أي بشعة الشكل ، وقد ورد في بعض الأحاديث أن عينه اليمنى عوراء رحا<sup>٨٣٣</sup> اليسرى ، فيما أن تكون إحدى الروايتين غير محفوظة ، أو أن العور حاصل في كل من العينين ، ويكون معنى العور النقص والعيب .

ويقوي هذا الجواب : مارواه الطبراني عن ابن عباسٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الدَّجَالُ جَعْدٌ هِجَانٌ أَقْمَرُ، كَانَ رَأْسُهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ، مَطْمُوسٌ عَيْنُهُ الْيُسْرَى وَالْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبٌ طَافِيَةٌ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُطَيْنٍ، فَأَمَّا هَلَكُ الْهَلَكِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ.<sup>٨٣٤</sup>

، وكذلك رواه سفيان الثوري عن سماك بنحوه ، لكن قد جاء في الحديث المتقدم : « وعينه الأخرى كأنها كوكب دري » ، وعلى هذا فتكون الرواية الواحدة غلطا ، ويحتمل أن يكون المراد أن العين الواحدة عوراء في نفسها ، والأخرى عوراء باعتبار انبrazها ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب  
٨٣٥

=====

<sup>٨٣٣</sup> - «رحا اليسرى» أي مثلها ، كأن عينيه في التماثل حجرا الرحا.

<sup>٨٣٤</sup> - المعجم الكبير للطبراني - ( ٩ / ٤٧١ ) ( ١١٥٤٧ و ١١٥٤٨ ) والصحيحة ( ١١٩٣ ) صحيح

<sup>٨٣٥</sup> - النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير : ( ١ / ١٦٤ - ١٦٦ ) .

ثالثاً : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام .

من أمارات الساعة العظام وأشراتها الكبار نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان من السماء ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنه يتزل قبل قيام الساعة فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويحكم بالقسط ويقضي بشريعة النبي ﷺ ، ويحيي من شأها ما تركه الناس ، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن .

والكلام على عيسى عليه السلام يتضمن عدة مسائل :

المسألة الأولى : الأدلة على نزوله من الكتاب والسنة :

ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات تدل على نزول عيسى عليه السلام :

الآية الأولى : قوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ } (سورة الزخرف ، الآية : ٦١) . أي أن نزول عيسى عليه السلام قبل القيامة علامة على قرب الساعة ، ويدل على هذا : القراءة الأخرى ( وإنه لعلم للساعة ) بفتح العين واللام ، أي خروجه علم من أعلام الساعة وشرط من شروطها وأماره على قرب قيامها .

فَعَنْ أَبِي يَحْيَى ، مَوْلَى ابْنِ عُقَيْلٍ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ ، فَمَا أَذْرِي أَعْلَمَهَا النَّاسُ ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا ، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا ، فَيَسْأَلُوا عَنْهَا ؟ ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا ، فَلَمَّا قَامَ ، تَلَاوَمْنَا أَنْ لَا نَكُونَ سَأَلْنَاهُ عَنْهَا ، فَقُلْتُ : أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ غَدًا ، فَلَمَّا رَاحَ الْغَدُ ، قُلْتُ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، ذَكَرْتَ أَمْسٍ أَنَّ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ ، لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ ، فَلَا تَذْرِي أَعْلَمَهَا النَّاسُ ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا ، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا ؟ فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْهَا ، وَعَنِ اللَّاتِي قَرَأْتَ قَبْلَهَا . قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا ، فَلَيْتَ كُنْتَ صَادِقًا ، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } ، قَالَ : قُلْتُ : مَا يَصِدُّونَ ؟ قَالَ : يَضِجُّونَ ، { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ } ، قَالَ : هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .<sup>٨٣٦</sup>

الآية الثانية : قوله تعالى : { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } ( سورة محمد ، الآية : ٤ ) .

<sup>٨٣٦</sup> -مسند أحمد (عالم الكتب) - ( ١ / ٨٠٧ ) ( ٢٩١٨ ) ٢٩٢٠ - وقال أحمد شاكر - رحمه الله - : إسناده صحيح ، وفي مستدرک الحاكم ( ٢ / ٢٥٤ ) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

قال البغوي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : معنى الآية : " أئخذوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام ، ويكون الدين كله لله ، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال ، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام " <sup>٨٣٧</sup>

والآية الثالثة : قوله تعالى : { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } ( سورة النساء ، الآية : ١٥٩ ) .

قرر كثير من المفسرين أن الضميرين في ( به ) ، و ( موته ) لعيسى ابن مريم عليه السلام <sup>٨٣٨</sup> وقد روى ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أبي مالك - رحمه الله - في قوله تعالى : { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } قال : " ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به " <sup>٨٣٩</sup>

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : " ولا شك أن هذا هو الصحيح ؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم ، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، فأخبر الله أنه رفعه إليه ، وأنه باق حي ، وأنه سيزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً ، فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، يعني : لا يقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم " <sup>٨٤٠</sup>

وأما الأدلة من السنة المطهرة على نزوله فهي كثيرة جداً فعن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة - رضى الله عنه - يقول قال رسول الله - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ » . <sup>٨٤١</sup>

وعن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ

<sup>٨٣٧</sup> - تفسير البغوي ( ٤ / ١٧٩ )

<sup>٨٣٨</sup> - انظر : تفسير الطبري ( ٦ / ٢١ ) ، وتفسير البغوي ( ١ / ٤٩٧ ) ، وتفسير ابن كثير ( ١ / ٥٧٧ ) .

<sup>٨٣٩</sup> - تفسير ابن جرير الطبري . ( ٦ / ١٨ ) .

<sup>٨٤٠</sup> - تفسير ابن كثير : ( ١ / ٥١٤ ) .

<sup>٨٤١</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٢٢٢٢ ) - المقسط : العادل

الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَقْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ ( وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا )<sup>٨٤٢</sup> .

وعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - قَالَ - فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - ﷺ - فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا . فَيَقُولُ لَا . إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ . تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ »<sup>٨٤٣</sup> .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَاعْرِفُوهُ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَنْزِعُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَّةٌ ، وَإِنَّهُ يَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ ، وَيُفِضُ الْمَالَ ، وَيَضَعُ الْحَزِيَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَهْلِكُ فِي زَمَانِهِ الْمَلِكَ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ الْمَسِيحَ الضَّالَّ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، وَيُلْقِي اللَّهُ الْأَمْنَةَ حَتَّى يَرَعَى الْأَسَدُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالْتَمِرُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ مَعَ الْحَيَّاتِ ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .<sup>٨٤٤</sup> إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - معلقا على أحاديث نزول عيسى عليه السلام : " فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود ، وعثمان بن أبي العاص ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنهم ، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه ، وأنه بالشام ، بل بدمشق عند المنارة الشرقية ، وأن ذلك يكون عند الإقامة لصلاة الصبح . . . فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين ، وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك ، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان ، حيث تتزاح عللهم ، وترتفع شبههم من أنفسهم ، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه ، ولهذا قال تعالى : { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } ( سورة النساء ، الآية : ١٥٩ ) . وهذه الآية كقوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ } ( سورة الزخرف ، الآية : ٦١ ) وقرأ " لَعَلَّمَ بالتحريك ، أي

<sup>٨٤٢</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٤٤٨ )

<sup>٨٤٣</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٤١٢ )

<sup>٨٤٤</sup> - صحيح ابن حبان - ( ٢٢٥ / ١٥ ) ( ٦٨١٤ ) صحيح وقال أحمد شاكر : حديث صحيح ، عمدة التفسير ( ٤ / ٣٦ ) ، وأبو داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ( ٤ / ٤٩٨ ) ، والحاكم ( ٢ / ٥٩٥ ) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال ابن كثير - رحمه الله - في النهاية في الفتن والملاحم ( ١ / ١٨٨ ) : وهذا إسناد جيد قوي

- العلات : جمع علة ، والعلة هي الضرة ، والمراد : الإخوة من أمهات مختلفة وأبؤهم واحد ، والمراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة : النهاية في غريب الحديث . ( ٣ / ٢٩١ ) . - المصبران : تنبيه مصبر ، والمصبر من الثياب الذي فحه صفرة خفيفة . النهاية لابن الأثير . ( ٤ / ٣٣٦ ) .

أمانة ودليل على اقتراب الساعة ، وذلك لأنه يتزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله ببركة دعائه " ٨٤٥

وقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام علما من أعلام الساعة ، ولم يخالف في ذلك إلا من شذ من لا يلتفت إليه ولا يعتد بخلافه ، قال السفاريني - رحمه الله - : " أجمعت الأمة على نزوله ، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ، ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه يتزل ويحكم بهذه الشريعة الحمديدية ، وليس يتزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وإن كانت قائمة به وهو متصف بها " ٨٤٦

- صفات عيسى عليه السلام

أخبرنا الرسول ﷺ عن صفات عيسى عليه السلام فجاء في الروايات أنه رجل مربع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير ، جعد أحمر اللون ، عريض الصدر ، أقرب الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى فَأَدْمٌ جَسِيمٌ سَبَطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ » ٨٤٧ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ فَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجَزِيَّةَ وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَّى فَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ » ٨٤٨ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ : رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ، وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجَزِيَّةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ

٨٤٥ تفسير ابن كثير ( ١ / ٥١٩ ، ٥٢٠ ) .

٨٤٦ - انظر : الشريعة للأجوري ص ( ٣٨١ ) . والشرح والإبانة ( ٢٤١ ) ، وشرح العقيدة الطحاوية : ( ٥٠٥ ) . ولوامع الأنوار البهية : ( ١ / ٩٤ - ٩٥ ) .

٨٤٧ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٤٣٨ )

٨٤٨ - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٣٢٦ ) صحيح

الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْعَنَمِ ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَّانُ بِالْحَيَّاتِ ، لَا تَضُرُّهُمُ ، فَيَمُوتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ .<sup>٨٤٩</sup>

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَعَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةَ بْنِ خَلِيفَةَ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَعَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً بَنُ مَسْعُودٍ ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا أَنَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةَ<sup>٨٥٠</sup>

- يَتَزَلُّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ وَاضِعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنَحَةٍ مَلَكِينَ ، وَعَلَيْهِ مَهْرُودَتَانِ ، وَيَكُونُ هَذَا مَعَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَيْثُ اصْطَلَفَ الْمُسْلِمُونَ لِلصَّلَاةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِمَامُهُمْ - وَالْغَالِبُ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ كَمَا سَبَقَ - لِلصَّلَاةِ بِهِمْ ، فَعِنْدَمَا يَعْلَمُ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَأَخَّرُ وَيَطْلُبُ مَنْ عِيسَى أَنْ يَتَقَدَّمَ لِيُؤْمِمَهُمْ فَيَأْبَى ، فَيَصْلِي بِهِمُ الْمَهْدِيُّ ، فَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « . . . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرٌ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابٍ لَدِّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ . . »<sup>٨٥١</sup> .

وَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ ، قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا ، وَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ الْغَدَاةَ ، فَخَفَضْتَ وَرَفَعْتَ ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ مِنَ النَّخْلِ ، قَالَ : إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ ، فَأَنَا حَاجِيحُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ ، فَكُلُّ أَمْرٍ حَاجِيحُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ لِحْيَتُهُ ، قَائِمَةٌ كَأَنَّهُ شَبِيهُ الْعُزَّى بْنِ قُطَنِ ، فَمَنْ رَأَاهُ مِنْكُمْ ، فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَاهُ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا ، وَعَاثَ شِمَالًا ، يَا عِبَادَ اللَّهِ ، اثْبُتُوا ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : أَرْبَعِينَ يَوْمًا ،

<sup>٨٤٩</sup> - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٤٦٨) (٩٢٧٠) ٩٢٥٩ - صحيح

<sup>٨٥٠</sup> - مسند أبي عوانة (٢٦٢ و ٢٦٣) صحيح

<sup>٨٥١</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٧٥٦٠)

يَوْمَ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمَ كَشْهَرٍ ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرِ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي كَسَنَةٍ يَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : لَا ، أَقْدَرُوا لَهُ قَدْرَهُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ ، قَالَ : فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فْتَنْبِتُ ، وَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دَرًّا ، وَأَسْبَعُهُ ضُرُوعًا ، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَتَتَّبِعُهُ أَمْوَالُهُمْ ، وَيُصْبِحُونَ مُمَجِّلِينَ مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَمُرُّ بِالْخَرْبَةِ ، فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ ، فَيَنْطَلِقُ وَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِبِ النَّحْلُ ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُسْلِمًا شَابًّا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ، فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ ، قَطْعَ رَمِيَةِ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ ، فَيَقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ وَيَضْحَكُ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ فِي مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ ، يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ ، فَيَقْتُلُهُ اللَّهُ ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيُّ اللَّهِ قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسُحُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيُحَدِّثُهُمْ عَنْ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا عِيسَى ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يُدَانُ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ ، حِرْزُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَيَمُرُّ أَوْلَهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيقِ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ ، فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا مَاءٌ مَرَّةً ، فَيَحْضَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ يَوْمَئِذٍ ، خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّغَفَّ فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ لَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا وَقَدْ مَلَأَهُ اللَّهُ بِزَهْمِهِمْ ، وَتَنَنَّهُمْ ، وَدِمَائِهِمْ ، وَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ ، وَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٌ وَلَا وَبَرٌ ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْأَرْضِ : أَنْبِئِي ثَمْرَكَ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا ، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسُلِ حَتَّى إِنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي لِفَنَامٍ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ تَكْفِي الْقَبِيلَةَ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ تَكْفِي الْفَخْدَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً تَأْخُذُ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، وَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ كَمَا تَهَارَجُ الْحُمُرُ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ<sup>٨٥٢</sup>

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : " الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، وقد رأيت في بعض الكتب أنه يتزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق ، ففعل هذا هو

المحفوظ ، وتكون الرواية فيتزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم ، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي ، وهذا هو الأنسب والأليق ؛ لأنه يتزل وقد أقيمت الصلاة <sup>٨٥٣</sup>

ويقول الحافظ ابن رجب - رحمه الله - : " وبالشام يتزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان ، وهو المبشر بمحمد ﷺ ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلي خلف إمام المسلمين ويقول : إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض <sup>٨٥٤</sup>

- وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام إذا نزل : ففي بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين ، وفي الروايات الأخرى أنه يمكث أربعين عاما ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ، فعن الثُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمٍ بْنَ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ تَقُولُ إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ - أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا إِنَّمَا قُلْتُ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرِّقُ الْبَيْتَ وَيَكُونُ وَيَكُونُ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّتُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَنْبِئُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَيْنَ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكُّتُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قَبْلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ». قَالَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « فَيَنْبِئُ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِيفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ أَلَا تَسْتَحْيُونَ فَيَقُولُونَ فَمَا تَأْمُرُنَا فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا - قَالَ - وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ - قَالَ - فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ - تُعْمَانُ الشَّكُّ - فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ. وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ - قَالَ - ثُمَّ يُقَالُ أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارَ فَيُقَالُ مِنْ كَمْ فَيُقَالُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ - قَالَ - فَذَاكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ». <sup>٨٥٥</sup>

وعن الثُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمٍ بْنَ مَسْعُودٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَكُمْ بِشَيْءٍ

<sup>٨٥٣</sup> - النهاية في الفن والملاحم : ( ١ / ١٩٢ ) .

<sup>٨٥٤</sup> - لطائف المعارف ص ( ٩٠ ) .

<sup>٨٥٥</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٦٨ ) - الليت : صفحة العنق وهما ليتان والمعنى أمال صفحة عنقه

، إِنَّمَا قُلْتُ لَكُمْ تَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا ، فَكَانَ تَحْرِيقُ النَّبِيِّ وَقَالَ شُعْبَةُ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي ، فَيَمُكُّهُمْ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ ، لَا أَذْرِي يَوْمًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا ، فَيَعِثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ كَأَنَّهُ عُرُوهُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، فَيَطْلُبُهُ فِيهِلْكُهُ ، ثُمَّ يَمُكُّ أَنْاسٌ بَعْدَهُ سِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ كَانَ أَحَدُكُمْ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَيَنْفَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ ، وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْأَوْتَانِ ، فَيَعْبُدُونَهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ أَرْزَاقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَهُ ، فَيَصْعَقُ ، ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صَعِقَ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ ، أَوْ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الظِّلُّ ، أَوْ الطَّلُّ الثُّغْمَانُ الشَّكَّ ، فَتَنْبُتُ أَجْسَادُهُمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ قَالَ : هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ ، إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارَ ، فَيُقَالُ : كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ ، تَسْعِمِيَّةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ ، فَيَوْمَئِذٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ، وَيَوْمَئِذٍ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ .. ٨٥٦

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ رُوحَ اللَّهِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ نَازِلٌ فِيكُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ فَيَذُقُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ ، وَيَضَعُ الْحَزِيَّةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ حَتَّى تَرَعَى الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذَّنَابُ ، مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ مَعَ الْحَيَّاتِ ، لَا تَضُرُّهُمْ ، فَيَمُكُّ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ " ٨٥٧

وقد جمع الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بين الروایتين فقال : " هكذا وقع في الحديث : أنه يمكث أربعين سنة ، وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سبع سنين ، فهذا مع هذا مشكل ، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله ، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء ، وكان عمره إذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور ، والله أعلم ٨٥٨

وقد عارض السفاريني هذا الجمع فقال بعد أن ذكره بدون عزو : وهذا - والله أعلم - ليس بشيء لما مر من حديث عائشة أم المؤمنين ، قالت : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ ؟

٨٥٦ - المستدرک للحاکم (٨٦٥٤) صحيح

٨٥٧ - المستدرک للحاکم (٤١٦٣) صحيح

٨٥٨ - النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٩٣) .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ ، قَالَ : فَلَا تَبْكِي فَإِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا حَيٌّ أَكْفِيكُمْوهُ ، وَإِنْ أُمْتُ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مَعَهُ يَهُودُ أَصْبَهَانَ ، <sup>٨٥٩</sup> فَيَسِيرُ حَتَّى يَنْزِلَ بِضَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابَ ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا ، فَيَنْطَلِقُ حَتَّى يَأْتِيَ لُدَّ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا. » ، ثم حكى عن البيهقي أنه اعتمد رواية " أربعين " ، كما نقل عن السيوطي أنه ذهب إلى ترجيحها ؛ لأن زيادة الثقة يحتج بها ، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم ، ولأنه مثبت والمثبت مقدم <sup>٨٦٠</sup>

ولعل الراجح أن يقال : إن رواية " أربعين سنة " هي المعتمدة ؛ لأنها رواية الأكثر ، كما أشار إلى ذلك السفاريني ، ولعل هذه السنين تمر كأنها سبع سنين ، ويستأنس لذلك بما رواه عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ } ( سورة الزخرف ، الآية : ٦١ ) . قال : خروج عيسى ، يمكث في الأرض أربعين سنة ، وتكون تلك الأربعون كأربع سنين ، يحج ويعتمر . والله أعلم . <sup>٨٦١</sup>

= سبق ذكر بعض الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام ، وهي تدل دلالة واضحة على ثبوت نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، ولا حجة لمن ردها أو قال : إنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة أو أن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها ؛ لأنه إذا ثبت الحديث وجب الإيمان به وتصديق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ولا يجوز لنا ردُّ قوله لكونه حديث آحاد ؛ لأن هذه حجة واهية ؛ لأن حديث الآحاد إذا صح - واحتفت به القرائن - وجب تصديق ما فيه ، وإذا قلنا إن حديث الآحاد ليس بحجة ، فإننا نردُّ كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ ، ويكون ما قاله عليه الصلاة والسلام عبثا لا معنى له ، كيف والعلماء قد نصُّوا على تواتر الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام .

قَالَ عَبْدُوسُ بْنُ مَالِكٍ الْعَطَّارُ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ : " أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا : التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ ، وَتَرْكُ الْبِدْعِ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ ، وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ ، وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ ، وَهِيَ دَلَالُ الْقُرْآنِ ، وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ ، وَلَا تُضَرَّبُ لَهَا الْأَمْثَالُ ، وَلَا تُدْرَكُ بِالْعُقُولِ وَلَا الْأَهْوَاءِ ، إِنَّمَا هِيَ الْإِتِّبَاعُ وَتَرْكُ الْهَوَى ، وَمِنْ السُّنَّةِ اللَّازِمَةُ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً لَمْ يَقْلُهَا وَيُؤْمِنُ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا : الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

<sup>٨٥٩</sup> - مصنف ابن أبي شيبة - ( ١٥ / ١٣٤ ) ( ٣٨٦٢٩ ) صحيح

<sup>٨٦٠</sup> - لوامع الأنوار البهية ( ٢ / ٩٩ ) .

<sup>٨٦١</sup> - انظر : الدر المنثور : ( ٦ / ٢٠ )

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَالتَّصَدِيقُ بِالْأَحَادِيثِ فِيهِ ، وَالْإِيمَانُ بِهَا لَا يُقَالُ لِمَ وَلَا كَيْفَ ، إِنَّمَا هُوَ التَّصَدِيقُ بِهَا  
وَالْإِيمَانُ بِهَا ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَ الْحَدِيثِ وَيَبْلُغُهُ عَقْلُهُ فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحْكِمَ لَهُ ، فَعَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ  
وَالْتَّسْلِيمَ لَهُ ، مِثْلُ حَدِيثِ الصَّادِقِ وَالْمُصَدِّقِ ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْقَدَرِ ، وَمِثْلُ أَحَادِيثِ الرُّوْيَةِ كُلِّهَا  
، وَإِنْ نَبَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهَا الْمُسْتَمِعُ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهَا ، وَأَنْ لَا يَرُدَّ مِنْهَا جُزْءًا  
وَاحِدًا وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَأْثُورَاتِ عَنِ الثَّقَاتِ ، لَا يُخَاصِمُ أَحَدًا وَلَا يُنَازِرُهُ وَلَا يَتَعَلَّمُ الْجَدَلَ ،  
فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي الْقَدَرِ وَالرُّوْيَةِ وَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكْرُوهٌ مِنْهُيٌّ عَنْهُ ، وَلَا يَكُونُ صَاحِبُهُ إِنْ  
أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى يَدَعَ الْجَدَلَ وَيُسَلِّمَ وَيُؤْمِنَ بِالْأَثَارِ ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ  
بِمَخْلُوقٍ ، وَلَا تَضَعُفُ أَنْ تَقُولَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ ، وَإِيَّاكَ  
وَمُنَازَرَةً مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِهِ ، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ : " لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ لَيْسَ  
بِمَخْلُوقٍ " ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ . وَالْإِيمَانُ بِالرُّوْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ  
ﷺ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ ، وَأَنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحِيحٌ ،  
رَوَاهُ قَتَادَةُ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَرَوَاهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،  
وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَنَا عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بَدْعٌ ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَلَا نُنَازِرُ فِيهِ أَحَدًا . وَالْإِيمَانُ  
بِالْمِيزَانِ كَمَا جَاءَ : يُوزَنُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " فَلَا يُوزَنُ حَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كَمَا جَاءَ  
فِي الْأَثَرِ . وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ رَدِّ ذَلِكَ ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ . وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ . وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ ، وَأَنَّ  
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، أَنَيْتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ  
السَّمَاءِ ، عَلَى مَا صَحَّحَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ . وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي  
قُبُورِهَا ، وَتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، وَمَنْ رَبُّهُ ، وَمَنْ نَبِيُّهُ ، وَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ وَكَيْفَ أَرَادَ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ . وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ  
بَعْدَمَا احْتَرَفُوا وَصَارُوا فَحَمًا ، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ ، كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ  
وَكَمَا شَاءَ ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ ، وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ خَارِجٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ  
كَافِرٌ ، وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِيَابِ  
لُدٍّ . وَالْإِيمَانُ قَوْلُ وَعَمَلُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ : " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا " .  
وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَرَكَهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ ، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ ،  
وَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ قَتْلَهُ . وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ  
عَفَّانَ ، تُقَدَّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ  
الثَّلَاثَةِ أَصْحَابُ الشُّورَى الْخَمْسُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ،

وَسَعَدَ ، كُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ وَكُلُّهُمْ إِمَامٌ . وَنَذَهَبُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ : كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيًّا ، وَأَصْحَابَهُ مُتَوَفِّرُونَ : أَبُو بَكْرٌ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ نَسَكْتُ . ثُمَّ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِ الشُّوْرَى أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَدْرِ الْهَجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا . ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ ، كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً أَوْ رَأَاهُ ، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، لَهُ مِنَ الصُّحْبَةِ عَلَى قَدْرِ مَا صَحِبَهُ ، وَكَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً ، فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ ، وَلَوْ لَقُوا اللَّهَ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ مِنْهُ وَمَنْ رَأَاهُ بَعِينَهُ وَآمَنَ بِهِ وَلَوْ سَاعَةً أَفْضَلُ بِصُحْبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَوْ عَمِلُوا كُلَّ أَعْمَالِ الْخَيْرِ . وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْإِمَّةِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَرَضُوا بِهِ . وَمَنْ غَلِبَهُمُ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَالْغَزْوُ مَاضٍ مَعَ الْأُمَرَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لَا يُتْرَكُ . وَقِسْمَةُ الْفَيْءِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ إِلَى الْإِمَّةِ مَاضٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا يُنَازِعَهُمْ ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ حَائِزَةٌ وَنَافِذَةٌ ، مَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ أَجْزَأَتْ عَنْهُ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُ وَخَلَفَ مَنْ وَلَّى جَائِزَةٌ تَامَّةٌ رَكَعَتَيْنِ ، مَنْ أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ، تَارِكٌ لِلْآثَارِ ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ ، لَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلِ الْجُمُعَةِ شَيْءٌ إِذَا لَمْ يَرَ الصَّلَاةَ خَلْفَ الْإِمَّةِ مَنْ كَانُوا بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ ، فَالسُّنَّةُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَهُمْ رَكَعَتَيْنِ ، مَنْ أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ، وَتَدِينُ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ ، وَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِنْ ذَلِكَ شَكٌّ . وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ بِالرِّضَا أَوْ بِالْغَلْبَةِ فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةُ جَاهِلِيَّةٍ . وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ . وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالْخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَيَدْفَعَ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَوْ تَرَكَوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ وَلَا يَتَّبِعَ آثَارَهُمْ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْإِمَامِ أَوْ وَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ ، وَيَنْوِي بِجَهْدِهِ أَنْ لَا يَقْتُلَ أَحَدًا ، فَإِنْ أَتَى عَلَيْهِ فِي دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْمَعْرَكَةِ فَأَبْعَدَ اللَّهُ الْمَقْتُولَ ، وَإِنْ قَتَلَ هَذَا فِي تِلْكَ الْحَالِ وَهُوَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ رَجَوْتُ لَهُ الشَّهَادَةَ ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ وَجَمِيعِ الْآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا ، أَمْرٌ بِقِتَالِهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِقِتَالِهِ وَلَا اتِّبَاعِهِ ، وَلَا يُجْهَزُ عَلَيْهِ إِنْ صُرِعَ أَوْ كَانَ حَرِيحًا ، وَإِنْ أَخَذَهُ أُسِيرًا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ وَلَا يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَلَكِنْ يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ فَيَحْكُمُ فِيهِ . وَلَا يَشْهَدُ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ يَرْجُو لِلصَّالِحِ ، وَيَخَافُ عَلَيْهِ ، وَيَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُذْنِبِ ، وَيَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ . وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ تَائِبًا غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتُوبُ عَلَيْهِ وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ . وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ كَمَا جَاءَ

الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِيراً غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ اسْتَوْجَبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ . وَمَنْ لَقِيَهُ كَافِراً عَذْبُهُ وَلَمْ يَعْفِرْ لَهُ . وَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَا وَقَدْ أُحْصِنَ إِذَا اعْتَرَفَ أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ رَجَمَتِ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ . وَمَنْ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدِيثٍ كَانَ مِنْهُ أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِيَهُ كَانَ مُبْتَدِعًا حَتَّى يَتَرَحَّمَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ، وَيَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا . وَالنِّفَاقُ هُوَ الْكُفْرُ ، أَنْ يَكْفُرَ بِاللَّهِ وَيَعْبُدَ غَيْرَهُ ، وَيُظْهِرَ الْإِسْلَامَ فِي الْعَلَانِيَةِ مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ " هَذَا عَلَى التَّغْلِيظِ ، نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ وَلَا نُفَسِّرُهَا . وَقَوْلُهُ : " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ضَلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " ، وَمِثْلُ : " إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " ، وَمِثْلُ : " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " ، وَمِثْلُ : " مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا " ، وَمِثْلُ : " كُفْرٌ بِاللَّهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ ، وَإِنْ دَقَّ " . وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وَحُفِظَ فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ تَفْسِيرُهَا ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِيهِ وَلَا يُجَادَلُ فِيهِ وَلَا يُفَسَّرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ إِلَّا بِمِثْلِ مَا جَاءَتْ ، وَلَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقِّ مِنْهَا . وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ ، قَدْ خُلِقَتَا كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا ، وَرَأَيْتُ الْكَوْثَرَ ، وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ لِأَهْلِهَا كَذَا ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ كَذَا ، وَرَأَيْتُ كَذَا " فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقَا فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أَحْسَبُهُ يُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ . وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُوَحِّدًا يُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ ، وَلَا تُتْرَكُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لِدُخُولِ أَذْنَبِهِ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ <sup>٨٦٢</sup>

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في سرده لعقيدة أهل الحديث والسنة " الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى يقتله ، ثم قال في آخر كلامه : وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول : وإليه نذهب " <sup>٨٦٣</sup>

وقال ابن جرير الطبري بعد ذكره الخلاف في معنى وفاة عيسى عليه السلام ، " تفسير وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا ، قول من قال : "معنى ذلك : إني قابضك من الأرض ورافعك إلي" ، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : يتزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها ، اختلفت الرواية في مبلغها ، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه .... " <sup>٨٦٤</sup>

<sup>٨٦٢</sup> - شَرْحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ( ٢٨١ ) وطبقات الحنابلة ( ١ / ٢٤١ - ٢٤٣ ) .

<sup>٨٦٣</sup> - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ( ١ / ٣٤٥ ) .

<sup>٨٦٤</sup> - تفسير الطبري ٣ / ٢٩١ والطبري - مؤسسة الرسالة - ( ٦ / ٤٥٨ )

وقال ابن كثير " تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بتزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا " ٨٦٥

وقال صديق حسن خان "والأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة ، ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثا ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر ، منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال . . ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر ، وتنضم إلى ذلك أيضا الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع ؛ إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك ، ثم ساقها وقال : جميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع " ٨٦٦

وقال الغماري : " وقد ثبت القول بتزول عيسى عليه السلام عن غير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على ممر الزمان إلى وقتنا هذا ، وقال : تواتر هذا تواترا لا شك فيه بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء كالقاديانية ومن نخا نحوهم ؛ لأنه نقل بطريق جمع عن جمع حتى استقر في كتب السنة التي وصلت إلينا تواترا بتلقي جيل عن جيل " ٨٦٧

وقال صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود : " تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى ابن مريم ﷺ من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة ، وهذا هو مذهب أهل السنة " ٨٦٨

وقال الشيخ أحمد شاكر : " نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك . . . وهذا معلوم من الدين بالضرورة لا يؤمن من أنكره " ٨٦٩

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : " اعلم أن أحاديث الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام متواترة ، يجب الإيمان بها ، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد ، فإنهم جهال بهذا العلم ، وليس فيهم من تتبع طرقها ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره ، ومن المؤسف حقا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لا سيما والأمر دين وعقيدة " ٨٧٠

الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره

ذكر بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره ، ومن أقوالهم في ذلك :

٨٦٥ - تفسير ابن كثير ٧ / ٢٢٣ .

٨٦٦ - الإذاعة ص ١٦٠ .

٨٦٧ - عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام ص ١٢

٨٦٨ - عون المعبود ١١ / ٤٥٧ .

٨٦٩ - من حاشية تفسير الطبري ٦ / ٤٦٠ تخريج الشيخ أحمد محمد شاكر ، وتحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة دار المعارف مصر .

٨٧٠ - انظر : حاشية العقيدة الطحاوية تخريج الألباني ص ٥٦٥ .

١ - الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام ، فبين الله تعالى كذبهم ، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال ، ورجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره<sup>٨٧١</sup>

٢ - أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (٢٩) سورة الفتح، فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى يتزل آخر الزمان مجددا لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام ، فتوافق خروج الدجال فيقتله

٣ - أن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض ؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها ، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام<sup>٨٧٢</sup>

٤ - أنه يتزل مكذبا للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ، ويهلك الله الملل كلها في زمنه - داخل دار الإسلام- إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

٥ - أن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ « أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتِ ، أُمَّهُانَهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ »<sup>٨٧٣</sup> .

كما في قوله تعالى : { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } ( سورة الصف ، الآية : ٦ ) ، وَعَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةِ الْفَزَارِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدٌ فِي طَبِئَتِهِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ : دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشَارَةُ عِيسَى ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ<sup>٨٧٤</sup> .

وعن أبي أمامة ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا كَانَ أَوَّلَ بَدْءِ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ<sup>٨٧٥</sup> .

= الأمور التي تكون في زمن عيسى عليه السلام

## ١ - قتل المسيح الدجال :

<sup>٨٧١</sup> - فتح الباري ٦ / ٤٩٣ .

<sup>٨٧٢</sup> - التذكرة للقرطبي ( ٢ / ٧٩٤ )

<sup>٨٧٣</sup> - ت صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٤٤٣ )

<sup>٨٧٤</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٤ / ٣١٤ ) ( ٦٤٠٤ ) صحيح

<sup>٨٧٥</sup> - مسند أحمد ( عالم الكتب ) - ( ٧ / ٤٢٠ ) ( ٢٢٢٦١ ) ( ٢٢٦١٦ ) - صحيح

سبق ذكر أن نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام يتزل والمسلمون في حال إعداد أنفسهم لحرب الدجال ، وعلمنا أن الصلاة تقام في ذلك الوقت ، فيصلي عيسى ابن مريم عليه السلام خلف الرجل الصالح ، وعند ما يعلم الدجال بتزول عيسى عليه السلام يهرب ، فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس فيدركه وقد حاصر عصابة من المسلمين ، فيأمرهم عيسى عليه السلام بفتح الباب فيفعلون ويكون وراءه الدجال فينطلق هاربا ، فيلحقه نبي الله عليه السلام فيدركه عند باب لد الشرقي فيقضي عليه وعلى من معه من يهود .

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَكَانَ أَكْثَرَ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ الدَّجَالِ وَحَذَرَنَاهُ فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ « إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَدَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالَ وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَإِنْ يَخْرُجُ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجٌ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ حَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَيَعِثُ يَمِينًا وَيَعِثُ شِمَالًا. يَا عِبَادَ اللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَاتَّبِعُوا فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِلَّا هَذَا نَبِيٌّ قَبْلِي إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي ثُمَّ يُثْنِي فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنْ رَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارًا فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ فَمَنْ ابْتَلَى بِنَارِهِ فَلَيْسَتْغَتْ بِاللَّهِ وَلَيَقْرَأُ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمًّا أَتَشْهَدُ أَنَّي رَبُّكَ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيَتِمَّتْ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولَانِ يَا بَنِيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ. وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرُهَا بِالْمِنْشَارِ حَتَّى يُلْقَى شِقَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي. فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنْتَ الدَّجَالُ وَاللَّهُ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ ». قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّائِفِيُّ حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَافِيُّ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ». قَالَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَاللَّهُ مَا كُنَّا نَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ. قَالَ الْمُحَارِبِيُّ ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ « وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فْتُمْطِرَ وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَكْذِبُونَهُ فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَصَدَّقُونَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فْتُمْطِرَ وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيَهُمْ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمُهُ وَأَمَدُهُ حَوَاصِرَ وَأَدْرَهُ ضُرُوعًا وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطْنُهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقَبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظَّرِيبِ الْأَحْمَرِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ

إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ فَتَنَفَى الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفَى الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ». فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكَ بِنْتُ أَبِي الْعُكْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَ « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ وَجُلُھُمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْفَقْهَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمَ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ. فَيُصَلِّي بِهِمُ إِمَامُهُمْ فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ افْتَحُوا الْبَابَ. فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلَّى وَسَاجٍ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ فِيهِمْ اللَّهُ الْيَهُودَ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةً - إِلَّا الْعَرَفَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ - إِلَّا قَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمِ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً السَّنَةُ كَنَصْفِ السَّنَةِ وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرِّةِ يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا الْآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ ». فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقِصَارِ قَالَ « تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الطَّوَالِ ثُمَّ صَلُّوا ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمْتِي حَكَمًا عَدْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا يَدْفُ الصَّلِيبَ وَيَذْبَحُ الْخَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْحِزْبَةَ وَيَتْرِكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ وَتُرْفَعُ الشَّحَنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَتُنَزَعُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ وَتُنْفِرُ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا وَيَكُونُ الذَّبُّ فِي الْعَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السَّلْمِ كَمَا يُمَلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَتُسَلِّبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بَعْدَ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيَشْبِعُهُمْ وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَانَةِ فَتَشْبِعُهُمْ وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالْذَّرِيهَمَاتِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُرْحِصُ الْفَرَسَ قَالَ « لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا ». قِيلَ لَهُ فَمَا يُعْلَى الثَّوْرَ قَالَ « تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا وَإِنْ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثُلُثَ نَبَاتِهَا ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسَ ثُلُثَى مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثُلُثَى نَبَاتِهَا ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسَ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ نَبَاتَهَا كُلَّهُ فَلَا تُنْبِتُ خَضِرَاءَ فَلَا تَبْقَى ذَاتٌ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ». قِيلَ فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قَالَ « التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَى الطَّعَامِ ».<sup>٨٧٦</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ ، أَوْ بِدَابِقٍ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، هُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافَوْا ، قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نَقَاتِلَهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيَقَاتِلُونَهُمْ ، فَيَنْهَزُهُمْ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، ثُمَّ يُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ وَهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَيَفْتَتِحُ ثُلُثٌ فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْسِمُونَ الْعَنَائِمَ ، قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ - يَعْنِي الدَّجَالَ - فَبَيْنَمَا هُمْ يُعْدُّونَ لِلْقِتَالِ ، وَيُسَوُّونَ الصُّفُوفَ ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ يَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ ، وَلَوْ تَرَكَوهُ لَذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنَّهُ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، فَيَرِيهِمْ دَمَهُ بِحَرَّتِهِ. <sup>٨٧٧</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نَقَاتِلَهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيَقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزُهُمْ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَتِحُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْسِمُونَ الْعَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعْدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرَّتِهِ <sup>٨٧٨</sup>. »

وهكذا يكون أول عمل يقوم به نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء هو مواجهة الدجال والقضاء عليه وعلى من يتبعه من يهود .

## ٢ - هلاك يأجوج ومأجوج :

إن خروج قوم يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى ، وسيأتي الكلام على هذه العلامة ، والمراد هنا بيان أن عيسى عليه السلام بعد أن يقضي على الدجال وفتنته ، يفسد هؤلاء القوم في الأرض فسادا كبيرا ، فيتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيهلكهم شر هلكة ،

الحمة : السم = خلة : طريق = ترجف : تتزلزل وتضطرب = السبخة : الأرض المالحة = الساج : جمع الساجة وهو نوع من الأكسية الخضراء أو السوداء = الصلت : الجرد من غمده = الظريب : تصغير ظرب وهو الجبل الصغير = يعيث : يفسد = الفأثور : الطست = النقب : الطريق بين جبلين

<sup>٨٧٧</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢٢٤ ) ( ٦٨١٣ ) صحيح

<sup>٨٧٨</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٦٠ )

ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد ، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في الكلام على يأجوج ومأجوج .

### ٣ - القضاء على كل الشرائع والحكم بالإسلام :

عيسى عليه السلام عندما يتزل من السماء يكون تابعا لشرع الإسلام ، فيحكم بكتاب الله عز وجل ، وبسنة نبينا محمد ﷺ ، وبذلك يقضي على كل الشرائع التي تحكم الناس سوى الإسلام ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، فإن شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها ، وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء ، قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ

ومن أجل هذا فهو يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام ، أو القتل . يقول القرطبي - رحمه الله - : " ذهب قوم إلى أنه بتزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم ، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها . . . . . وبقوله تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (٤٠) سورة الأحزاب ، وعن فِرَاتِ الْقَزَازِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ قَالَ قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْتُرُونَ . قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بَبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ » <sup>٨٧٩</sup> .

وعن سعد بن أبي وقاص قال خلف رسول الله ﷺ - علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » <sup>٨٨٠</sup>

وعن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " <sup>٨٨١</sup> .

يريد آخر الأنبياء وخاتمهم ، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى يتزل نبيا بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ ، بل إذا أنزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر النبي ﷺ حو عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، أن عمر أراه فقال : إنا نسمع أحاديث من اليهود تُعجبنا

<sup>٨٧٩</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٤٥٥ ) و صحيح مسلم - المكثر - ( ٤٨٧٩ )

<sup>٨٨٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٧١ )

<sup>٨٨١</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٥٣٢ )

أَفَتَرَى أَن نَكُتِبَ بَعْضَهَا ؟ فَقَالَ : " أَمَتَهُوْ كُونْ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكْتَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً ، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي " ،<sup>٨٨٢</sup>

. فعيسى عليه السلام إنما يتزل مقررًا لهذه الشريعة مجددًا لها ؛ إذ هي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل<sup>٨٨٣</sup>

٤ - رفع الشحناء والتباغض من بين الناس ، وانتشار الأمن والرخاء بين الخلق .  
من الأمور التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أنها تحدث في زمن عيسى عليه السلام : أن الشحناء والتباغض والتحاسد ترفع من بين الناس حيث تجتمع كلمة الجميع على الإسلام ، وتعم البركة ، وتكثر الخيرات ، حيث تنبت الأرض نبتها ، ولا يرغب في اقتناء المال لكثرتة ، ويترع الله في ذلك الوقت سم كل ذي سم حتى يلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم ، وترعى الشاة مع الذئب فلا يضرها ، فتملأ الأرض أمانًا وسلمًا ، وينعدم القتال بين البشر فترخص الخيل لعدم القتال ، وترتفع أسعار الثور ؛ لأن الأرض تحرث كلها .

فَعَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِي ، قَاضِي حِمَصَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ، يَقُولُ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَرَفَعَ فِيهِ وَخَفَضَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَسَأَلَنَاهُ فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ الْعَدَاةَ فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَقَالَ : غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُ مِنِّي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِيحُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُؤُ حَاجِيحُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابٌ قَطَطٌ ، عَيْنُهُ طَافِيَّةٌ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، يَا عِبَادَ اللَّهِ اثْبُتُوا . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لَبِثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : أَرْبَعِينَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي هُوَ كَسَنَةٌ أَيْكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ يَمُرُّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ ، فَتَرْوِحُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُكُمْ سَارِحَتُهُمْ وَهِيَ أَطْوَلُ مَا كَانَتْ ذُرَى ، وَأَمَدُهُ خَوَاصِرَ ، وَأَسْبَعُهُ ضُرُوعًا ، وَيَمُرُّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُصْبِحُونَ مُمَجِلِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْءٌ ، فَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكَ فَتَنْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبٍ ، وَيَمُرُّ بِرَجُلٍ فَيَقْتُلُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْعَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ إِلَيْهِ يَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ ، فَيَبْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيٍّ دِمَشْقَ بَيْنَ بَهْرُورَتَيْنِ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا يَدَهُ بَيْنَ أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ ، فَيَنْبَعُهُ فَيَقْتُلُهُ

<sup>٨٨٢</sup> - شعب الإيمان - ( ١ / ٣٤٧ ) ( ١٧٥ ) حسن

<sup>٨٨٣</sup> - التذكرة للقرطبي ( ٢ / ٧٩٢ )

عِنْدَ بَابِ الشَّرْقِيِّ ، قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَوْحَى إِلَى عِيسَى أَنْ قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا مِنْ عِبَادِي لَا يَدَانِ لَكَ بِقَتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } . فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَيَهْبِطُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ مَلَأَهُ مِنْ زَهْنِهِمْ زَهْمِهِمْ ، فَيَرْغَبُ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَائِرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، وَيُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتٌ وَلَا مَدْرٌ وَلَا وَبَرٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالرَّلْفَةِ ، وَيُقَالُ لِلْأَرْضِ : انْبِيتِي ثَمَرَتَكَ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ . قَالَ : فَيَوْمَئِذٍ يَأْكُلُ النَّفَرُ مِنَ الرُّمَانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيَبَارِكُ فِي الرُّسُلِ حَتَّى إِنَّ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ تَكْفِي الْفَحْدَ ، وَالشَّاةَ مِنَ الْغَنَمِ تَكْفِي أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً تَأْخُذُ تَحْتَ آبَاتِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رَوْحَ كُلِّ مُسْلِمٍ ، أَوْ قَالَ مُؤْمِنٍ ، فَتَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الْحُمْرِ وَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ

٨٨٤١١

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ نُفَيْرٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ، يَقُولُ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ . قَالَ : وَنَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ النَّيْسَابُورِيُّ ، نَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، نَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ ، وَيَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالُوا : نَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ نُفَيْرٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ، يَقُولُ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا ، فَقَالَ : " مَا شَأْنُكُمْ ؟ " . فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ . فَقَالَ : " غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُّوا حَاجِجُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . إِنَّهُ شَابٌ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُطَنِ ، فَمَنْ رَأَاهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الْعِرَاقِ ، وَالشَّامِ ، فَعَاثَ يَمِينًا ، وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَابْتَئُوا " . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَنُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ ، قَالَ : " أَرْبَعُونَ يَوْمًا : يَوْمُ كَسَنَةِ ، وَيَوْمُ كَشَهْرِ ، وَيَوْمُ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ " . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ كَسَنَةُ أَيْكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ ، قَالَ : " لَا ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ " . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ ، قَالَ : " كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ

أَنْ تُمَطَّرَ فْتُمَطَّرُ ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذَرًّا ، وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيَعِثُ أَمْوَالَهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكَ ، فَيَنْطَلِقُ يَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كِيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ يَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْفِيٍّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَئِينَ ، فَإِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ أَنْ يَجِدَ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ عِنْدَ بَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَأْتِي نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمَسَحُ وَجُوهَهُمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى إِلَيْهِ : يَا عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَأْجُوجَ ، وَمَأْجُوجَ وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ : مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ . فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا . فَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةٌ مَاءٌ . وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمَئِذٍ خَيْرًا لِأَحَدِهِمْ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمُ التَّغَفَّ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَّتُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٌ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِئِي ثَمْرَكَ وَدُرِّي بَرَكَتِكَ . فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَامَةِ فَتَشْبِعُهُمْ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا وَيُبَارِكُ اللَّهُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ تَكْفِي الْفَنَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ تَكْفِي الْقَبِيلَةَ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْعَنَمِ تَكْفِي الْفَخْدَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِجَالًا طَيِّبَةً تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ فَيَتَهَارَجُونَ كَمَا يَتَهَارَجُ الْحُمْرُ فَلَعَلَّيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " . زَادَ عَلَيَّ بْنُ حُجْرٍ بَعْدَ قَوْلِهِ : " كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةٌ مَاءٌ ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْنَ إِلَى جَبَلِ الْخَمْرِ وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بُشَابَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا " .<sup>٨٨٥</sup>

<sup>٨٨٥</sup> - الْإِيمَانُ لِابْنِ مَنْدَةَ (١٠٥٤) صحيح

(١) الغداة : الصباح وما بين الفجر وطلوع الشمس (٢) طائفة النخل : مكان زرع النخل (٣) الحجيج : المجالد والمخاصم والمناقش بالحجة والبرهان (٤) القطط : الشديد الجعودة ، وقيل : الحسن الجعودة ، والأول أكثر (٥) عاث : أسرع في الفساد (٦) عاث : أفسد وأتلف (٧) اللبث : الإبطاء والتأخير والانتظار والإقامة (٨) الغيث : المطر الخاص بالخير (٩) استدبرته : جاءت عَقْبَهُ (١٠) السَّرْحُ والسَّارْحُ والسَّارْحَةُ سواء : هي الماشية (١١) أسبغ : أكمل وأتم (١٢) ضروعا : جمع ضرع ، وهو الثدي وذلك كناية عن كثرة اللبن (١٣) أمده خواصر : كناية عن امتلائها وكثرة شيعها (١٤) أحبل : أجذب ، المراد أصابهم القحط والجذب (١٥) يعاسيب

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ حَظَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَكَانَ أَكْثَرُ حُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ الدَّجَالِ وَحَدَّثَنَا فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ « إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالِ وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَإِنْ يَخْرُجُ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجٌ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ حَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِراقِ فَيَعِثُ يَمِينًا وَيَعِثُ شِمَالًا. يَا عِبَادَ اللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَاتَّبِعُوا فَإِنِّي سَأَصِفُكُمْ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِلَّا هَذَا نَبِيٌّ قَبْلِي إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي ثُمَّ يَتَنَبَّأُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنْ رَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارًا فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ فَمَنْ ابْتَلَى بِنَارِهِ فَلَيْسَتْغَتْ بِاللَّهِ وَلَيَقْرَأُ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمًّا أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولَانِ يَا بَنِيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ. وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرُهَا بِالْمِنْشَارِ حَتَّى يُلْقَى شِقَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ ثُمَّ يَزْعُمُ أَنْ لَهُ رَبًّا غَيْرِي. فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنْتَ الدَّجَالُ وَاللَّهُ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ ». قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِيسِيُّ فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَافِيُّ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ». قَالَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَاللَّهُ مَا كُنَّا نَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ. قَالَ الْمُحَارِبِيُّ ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ « وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فْتُمْطِرَ وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَكْذِبُونَهُ فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَصْدُقُونَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فْتُمْطِرَ وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيَهُمْ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمُهُ وَأَمَدُهُ خَوَاصِرُ وَأَدْرَهُ ضُرُوعًا وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطْئُهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقَبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ

النحل : جماعات النحل (١٦) الجزلة : القطعة (١٧) مهرودين : أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران (١٨) طأطأ : خفض (١٩) تحدر : نزل وتساقط وتقطر (٢٠) الجمان : اللؤلؤ ، والمراد العرق (٢١) الطرف : النظر (٢٢) حرز : ضم عبادي إلى الطور واجعله لهم حصنا (٢٣) سورة : الأنبياء آية رقم : ٩٦ (٢٤) النعف : دود يكون في أنوف الإبل والغنم (٢٥) الرُّهْمَةُ : الريح المنتنة والمراد أن الأرض تنبت من حيفهم (٢٦) المدر : الطين اللزج المتماسك ، وما يصنع منه مثل اللبن والبيوت وهو بخلاف وبر الخيام (٢٧) السور : صوف الإبل والأرانب ونحوهما والمقصود أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم منهم (٢٨) الزلفة بالتحريك ، وجمعها زلف : مصانع الماء ، وتُجمع على المزالف وقيل الزلفة هي المرأة أو الروضة (٢٩) العصابة : الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين (٣٠) القحف : القشر (٣١) اللقحة : ذات اللبن من النوق وغيرها (٣٢) الفقام : الجماعة ولا واحد له من لفظه (٣٣) الأباط : جمع إبط وهو باطن الذراع والكف

الظَّرِيبِ الْأَحْمَرِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبْحَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَيَدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْخَلَاصِ». فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكَ بِنْتُ أَبِي الْعُكْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَ « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ وَجُلُومُهُمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْفَقْهَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمَ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ. فَيُصَلِّي بِهِمُ إِمَامُهُمْ فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ افْتَحُوا الْبَابَ. فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلَّى وَسَاجٍ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ فَيَهْرِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةً - إِلَّا الْعَرَفَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ - إِلَّا قَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمِ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً السَّنَةُ كَنَصْفِ السَّنَةِ وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرِّةِ يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا إِلَّا الْآخِرَ حَتَّى يُمَسِّيَ». فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقِصَارِ قَالَ « تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الطَّوَالِ ثُمَّ صَلُّوا». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمْتِي حَكَمًا عَدْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَذْبَحُ الْخَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْحَزِيَّةَ وَيَتْرِكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ وَتُرْفَعُ الشَّحَنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَتُنَزَعُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ وَتُنْفِرُ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا وَيَكُونُ الذُّبُّ فِي الْعَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السَّلَامِ كَمَا يُمَلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَتُسَلِّبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيَشْبِعُهُمْ وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتَشْبِعُهُمْ وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالْدَّرِيهِمَاتِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُرْحِصُ الْفَرَسَ قَالَ « لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا». قِيلَ لَهُ فَمَا يُعْلَى الثَّوْرَ قَالَ « تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا وَإِنْ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلثَ مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثُلثَ نَبَاتِهَا ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسَ ثُلثَى مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثُلثَى نَبَاتِهَا ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ

نَبَاتُهَا كُلُّهُ فَلَا تُنْبِتُ حَضْرَاءَ فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ». قِيلَ فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قَالَ «التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَى الطَّعَامِ».<sup>٨٨٦</sup> وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَيُنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَيَتْرَكَنَّ الْقِلَاصَ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَيَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ.<sup>٨٨٧</sup>

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : ومعناه أن يزهد الناس فيها ، ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب القيامة ، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب وهي شبيهة بمعنى قول الله عز وجل : { وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ } (سورة التكاوير، آية : ٤ ) . ومعنى لا يسعى عليها : لا يعتني بها<sup>٨٨٨</sup>

= موت عيسى عليه السلام ودفنه ، لم يرد عن الشارع نص يبين لنا مكان موت عيسى عليه السلام ، ولكن ذكر بعض العلماء أنه يموت عليه السلام في المدينة النبوية ، وقيل إنه يدفن مع رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما .

قال القرطبي - رحمه الله - : " واختلف حيث يدفن فقيل : بالأرض المقدسة ذكره الحلبي ، وقيل : يدفن مع النبي ﷺ على ما ذكرناه من الأخبار"<sup>٨٨٩</sup>

=====

<sup>٨٨٦</sup> - سنن ابن ماجه- المكثر - ( ٤٢١٥ ) وصحيح الجامع (٧٨٧٥) صحيح لغيره

الحمة : السم -خلة : طريق -ترجف : تنزل وتضطرب -السبخة : الأرض المالحة -الساج : جمع الساجة وهو نوع من الأكسية - لخنضراء أو السوداء -الصلت : المجرد من غمده -الظريب : تصغير ظرب وهو الجبل الصغير -يعيث : يفسد -الفائور : الطست -النقب : الطريق بين جبلين

<sup>٨٨٧</sup> - صحيح مسلم- المكثر - ( ٤٠٨ ) وصحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢٢٧ ) (٦٨١٦)- القلاص : جمع قلوص وهي الشابة من الإبل

<sup>٨٨٨</sup> - شرح صحيح مسلم للنووي ( ٢ / ١٩٢ ) .

<sup>٨٨٩</sup> - التذكرة ( ٢ / ٧٩٤ ) ، وانظر لوامع الأنوار البهية ( ٢ / ١١٣ ) . وأشرط الساعة - ( ١ / ١٧٢ )

## رابعاً: خروج يأجوج ومأجوج .

من علامات الساعة الكبرى التي أخبر بها الرسول ﷺ خروج يأجوج ومأجوج ، والكلام على هذه العلامة يتضمن المسائل التالية :

### المسألة الأولى : أصل يأجوج ومأجوج ونسبهم

اختلف في اشتقاق الكلمتين :

ف قيل : هما اسمان أعجميان منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وعلى هذا فليس لهما اشتقاق ؛ لأن الأعجمية لا تشتق من العربية .

وقيل : بل هما عربيان ، واختلف في اشتقاقهما ، ف قيل : من أحيج النار وهو التهاجم ، وقيل : من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة ، وقيل : من الأج وهو سرعة العدو ، وقيل : من الأجة بالتشديد وهي الاختلاط والاضطراب .

وعند جمهور القراء : ياجوج وماجوج بدون همز ، وأما قراءة عاصم فهي بالهمزة الساكنة فيهما<sup>٨٩٠</sup> والخلاصة من هذا : أن جميع ما ذكر في اشتقاقهما مناسب لحالهم ، ويؤيد الاشتقاق من ماج قوله تعالى : { وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ } (سورة الكهف ، الآية : ٩٩) . وذلك حين يخرجون من السد<sup>٨٩١</sup>

وقد اختلف في نسبهم ، ف قيل : إهم من ذرية آدم ، والذي رجحه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أنهم قبيلتان من ولد يافث بن نوح<sup>٨٩٢</sup>

فهما من ولد آدم وحواء ، ويؤيد ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ - « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ . يَقُولُ لَبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ . قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعَثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ - تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَتَشِيبُ الْوَلِيدُ ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) » . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي حَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي حَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ « ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ « شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . فَكَبَّرْنَا .

<sup>٨٩٠</sup> - انظر : لسان العرب ( ٢ / ٢٠٧ ) ، التذكرة للقرطبي ص ( ٨١٥ ) ، فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ١٠٦ ) ، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ( ٢ / ١١٣ ) .

<sup>٨٩١</sup> - الإضاءة لأشراط الساعة للبرزنجي ص ٣٢٤ .

قلت أصبح السد الذي يمنعهم من الخروج هم معنوي لا مادياً

<sup>٨٩٢</sup> - فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ١٠٦ ) .

قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ ( تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) وَقَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ .<sup>٨٩٣</sup>

المسألة الثانية : الأدلة على خروجهم من القرآن والسنة

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا } { قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } { قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } { أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا } { فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } { قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } ( سورة الكهف ، الآيات ٩٣ - ٩٨ ) .

وقوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } { وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ } ( سورة الأنبياء ، الآيتان : ٩٦ ، ٩٧ ) .

فدلالة الآيتين على كون خروجهم من أشرار الساعة : أن فيهما التصريح بأنه إذا فتحت يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فإن ذلك دليل على اقتراب الوعد الحق والمراد به يوم القيامة<sup>٨٩٤</sup>

فقوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ } حتى " فيه متعلقة بما قبل الآية ، أي كل قرية أهلكت تبقى في الهلاك حتى قيام الساعة ، أو تبقى في عدم الرجعة إلى الدنيا ، أو إلى التوبة حتى قيام الساعة ، وهذه الأقوال مُفرعة على معنى الآية السابقة<sup>٨٩٥</sup>

وهي قوله تعالى : { وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } ( سورة الأنبياء ، آية : ٩٥ ) .  
وقيل : إن "حتى" متعلقة بقوله تعالى : { وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ } ( سورة الأنبياء ، آية : ٩٣ ) أي استمر الخلاف بين الأمم حتى قيام الساعة<sup>٨٩٦</sup>

وقوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ } ، المراد إذا فتح الردم عن هاتين القبيلتين العظيمتين وتمكنوا من الخروج ، فيخرجون من كل حدب وهو المرتفع من الأرض<sup>٨٩٧</sup> يسرعون في المشي إلى الفساد .

وأما الأدلة من السنة على خروجهم فهي كثيرة :

<sup>٨٩٣</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٧٤١ )

<sup>٨٩٤</sup> - انظر : تفسير ابن كثير ( ٣ / ١٨٧ ) .

<sup>٨٩٥</sup> - انظر : تفسير أبي السعود ( ٣ / ٥٣٥ ) وتفسير الألوسي ( ١٧ / ٩٢ ) .

<sup>٨٩٦</sup> - انظر : البحر المحيط ( ٦ / ٣٣٩ ) وقد نسب القول به إلى ابن عطية ، وانظر أيضا تفسير الألوسي ( ١٧ / ٩٢ ) .

<sup>٨٩٧</sup> - انظر : تفسير الطبري : ( ١٧ / ٧٢ - ٧٣ ) ، والقرطبي ( ١١ / ٣٤١ ) ، وانظر المفردات للراغب ص ١١٠ ، وتفسير ابن كثير ( ٣ / ١٨٧ ) .

فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَلُ اللَّعْرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذِهِ » . وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا . قَالَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ « نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْخُبْتُ » .

٨٩٨

ومنها : حديث النّوأس بن سمعان رضي الله عنه الذي تقدم ذكره كثيرا ، وفيه : « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنْنَى قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءً . وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبِيرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكَ وَرَدِّي بَرَكَتَكَ. » ٨٩٩

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ « مَا تَذَاكُرُونَ » . قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قَالَ « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ » . فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالْدَّجَالَ وَالذَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَتُرُوقَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - ﷺ - وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ . (أخرجهم مسلم) ٩٠٠ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَذَاكُرُوا السَّاعَةَ ، فَبَدَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْهَا ، فَسَأَلُوا مُوسَى فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ ، فَدَّوْا الْحَدِيثَ إِلَى عِيسَى ، فَقَالَ : عَهْدَ اللَّهِ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجَبَّتْهَا ، فَأَمَّا وَجَبَّتْهَا فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ فَذَكَرَ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ فَأَهْبَطُ فَأَقْتُلُهُ ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرَبُوهُ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ ، فَيَجْرُونَ إِلَيَّ فَأَدْعُو اللَّهَ فَيَمِيتُهُمْ ، فَتَجُوزِي الْأَرْضُ مِنْ رِيحِهِمْ ، فَيَجْرُونَ إِلَيَّ ، فَأَدْعُو اللَّهَ ، فَيُرْسِلُ

٨٩٨ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٣٤٦ ) و صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤١٦ )

٨٩٩ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٦٠ )

٩٠٠ - برقم ( ٧٤٦٧ )

السَّمَاءَ بِالمَاءِ فَتَحْمِلُ أَجْسَادَهُمْ فَتَقْذِفُهَا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُمدُّ الْأَرْضُ مَدًّا أَدِيمًا ، ثُمَّ يُعْهَدُ إِلَيَّ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ، أَنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الْمَتَمِّ ، لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجُوهُمْ بَوْلَادَتِهَا ، قَالَ الْعَوَّامُ : فَوَجَدْتُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ } . ٩٠١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَذَكَّرُوا السَّاعَةَ مَتَى هِيَ فَبَدَّأُوا فَسَأَلُوهُ عَنْهَا ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ فَرَدُّوا الْحَدِيثَ إِلَى عِيسَى ﷺ ، فَقَالَ : عَهْدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجِبَتِهَا فَأَمَّا وَجِبَتُهَا فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : فَذَكَرَ خُرُوجَ الدَّجَالِ ، فَأَهْبَطُ فَأَقْتُلُهُ ، قَالَ : ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ وَلَا بِشَيْءٍ إِلَّا أَسْفَدُوهُ ، فَيَنْحَازُونَ إِلَيَّ فَأَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِالمَاءِ فَيَحْمِلُ أَجْسَادَهُمْ فَيَقْذِفُهَا فِي الْبَحْرِ " ٩٠٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَقِيتُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَذَكَّرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ ، وَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا ، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : لَا عِلْمَ لِي بِهَا ، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى عِيسَى ؛ قَالَ عِيسَى : أَمَّا قِيَامُ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَلَكِنَّ رَبِّي قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ دُونَ وَقْتِهَا ، عَهْدٌ إِلَيَّ أَنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ ، وَأَنَّهُ مُهْبِطِي إِلَيْهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ ، فَإِذَا رَأَنِي أَهْلَكُهُ اللَّهُ ، قَالَ : فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا كَافِرٌ فَأَقْتُلْهُ ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَكَلُوهُ ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ ، فَيَشْكُونَهُمْ ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُمِيتُهُمْ حَتَّى تَجُوزَ الْأَرْضُ مِنْ تَيْنٍ رِيحِهِمْ ، فَيَنْزِلُ الْمَطَرُ ، فَيَجْرُ أَجْسَادُهُمْ ، فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ يَنْسَفُ الْجِبَالُ حَتَّى تَكُونَ الْأَرْضُ كَالْأَدِيمِ ، فَعَهْدُ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنْهُمْ كَالْحَامِلِ الْمَتَمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجُوهُمْ بَوْلَادَتِهَا ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا " .

وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ اتَّقَى هُوَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَتَذَكَّرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ . فَذَكَرَ نَحْوَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ ، وَزَادَ فِيهِ : قَالَ الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ : فَوَجَدْتُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ } فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا { [ الْأَنْبِيَاءُ / ٩٦ : ٩٧ ] وَقَالَ : { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }

٩٠١ - مصنف ابن أبي شيبة - ( ٢١ / ٢٣٣ ) ( ٣٨٦٨٠ ) حسن

٩٠٢ - السُّنَنِ الْوَارِدَةُ فِي الْفَتَنِ لِلدَّانِي ( ٦٧٣ ) حسن

يَقُولُ : وَكَانَ وَعْدَ رَبِّي الَّذِي وَعَدَ خَلْقَهُ فِي ذِكِّ هَذَا الرَّدْمِ ، وَخُرُوجِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى النَّاسِ ، وَعَيْثُهُمْ فِيهِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَعْدِهِ حَقًّا ، لِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَلَا يَقَعُ غَيْرُ مَا وَعَدَ أَنَّهُ كَائِنٌ.<sup>٩٠٣</sup>

وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) فَيَعْتَشُونَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَابِسًا، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ، فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا انْحَازَ إِلَى حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَّغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يَهْزُ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخَضَّبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَيَبْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَالنَّعْفِ، فَتَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى، لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ الْعَدُوُّ، قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ، قَدْ وَطَّنَهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَتَرَلُّ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشَرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لِحُومِهِمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا شَكَرْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْ قَطًّا".<sup>٩٠٤</sup>

إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على خروجهم وأنه يجب الإيمان بها وتصديقها .

قال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله - : " ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وضح به النقل فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه وما جهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج . . . إلى أن قال : ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله ويخرج يأجوج ومأجوج . . . " <sup>٩٠٥</sup>

وقال القاضي عياض : " الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج : هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها ؛ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة ، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد على قتالهم من كثرتهم ، وأنهم يحصرون نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدجال ، فيدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنعف - وهو دود في رقابهم - فيؤذون الأرض والمؤمنين بنتنهم ، فيدعو عيسى وأصحابه ربه فيرسل الله طيرا فتحملهم حيث شاء الله " <sup>٩٠٦</sup>

<sup>٩٠٣</sup> - تفسير الطبري - ( ١٨ / ٦٥ ) ( ١٧٦١١ و ١٧٦١٢ ) حسن

<sup>٩٠٤</sup> - تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - ( ١٨ / ١٠٩ ) وهو حديث حسن

<sup>٩٠٥</sup> - إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة - ( ١ / ٦ ) ولعة الاعتقاد لابن قدامة ص ( ٣٠ )

<sup>٩٠٦</sup> - إكمال المعلم ( ٦ / ١١٥ ، ١١٦ ) .

وقال السفاريني - رحمه الله - : " إن خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ، ولم يحله عقل فوجب اعتقاده " ٩٠٧

### المسألة الثالثة : السد ويأجوج ومأجوج

بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم . وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذا السد ، فقال تعالى : { قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } { قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } ( سورة الكهف ، الآيتان : ٩٤ ، ٩٥ ) . هذا ما ورد في القرآن على بناء هذا السد .

أما مكانه : ففي جهة المشرق لقوله تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ } (سورة الكهف ، الآية : ٩٠) . ٩٠٨

وعلى كل حال فإن من واجب المسلم أن يؤمن بوجود قبيلين اسمهما المعربان يأجوج ومأجوج وبأنهما خلق عجيب من خلق الله من بني آدم وبأنهما يخرجان في آخر الزمان من كل حذب لأن ذلك مما ورد في القرآن بصراحة وقطعية ، ومما ورد عنه تفصيل في أحاديث وردت في كتب الأحاديث الصحيحة أيضا ولو لم تدرك أمرهم العقول العادية ، مع الوقوف عند ما وقف عنده القرآن ، والثابت من الأحاديث النبوية ومع الإيمان بأنه لا بد من أن يكون لذكرهم بالأسلوب الذي ذكروا به حكمة. ٩٠٩

لذا فإن البحث في تحديد مكان السد لا يهم كثيرا ؛ ولا يحصل بعدم معرفته خلل في الاعتقاد ؛ لأن المقصود بيان أن ما أخبرنا الله تعالى به ، وما جاء في الأحاديث الصحيحة من أن سد يأجوج ومأجوج موجود إلى أن يأتي الوقت المحدد لذلك هذا السد - سواء أكان مادًّا أم معنويًا - وخروج يأجوج ومأجوج ، وذلك عند دنو الساعة بهما في قوله عز وجل : { قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } { وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا } (سورة الكهف ، الآيتان : ٩٨ ، ٩٩) ، كل ذلك : حقيقة يجب التصديق به .

وأما قول من قال بأنه ما زال موجودا بعد وجود كل وسائل الاتصال وكشف الفضاء ، وأنه هو الذي يمنعهم من الخروج استنادا لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي السِّدِّ ، قَالَ : يَحْفَرُونَهُ كُلُّ يَوْمٍ ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَخْرِقُونَهُ ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا ، قَالَ :

٩٠٧ - لوامع الأنوار ( ٢ / ١١٦ ) .

٩٠٨ - انظر : تفسير ابن كثير ( ٥ / ١٩٥ ) .

٩٠٩ - التفسير الحديث لدروزة - موافق للمطبوع - ( ٥ / ١٠٦ )

فَيُعِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَأَشَدَّ مَا كَانَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا مُدَّتَّهُمْ ، وَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ :  
ارْجِعُوا فَسْتَخْرِقُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاسْتَشْنَى ، قَالَ : فَيَرْجِعُونَ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ ،  
فَيَخْرِقُونَهُ وَيَخْرِجُونَ عَلَى النَّاسِ ، فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاهَ ، وَيَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُمْ ، فَيَرْمُونَ سِهَامَهُمْ فِي السَّمَاءِ ،  
فَيَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالْدَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَغَلَبْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ قُوَّةً وَعُلُوءًا ، قَالَ :  
فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَائِهِمْ ، قَالَ : فَيَهْلِكُهُمْ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنْ  
دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمُنُ وَتَبْطُرُ ، وَتَشْكُرُ شُكْرًا ، وَتَسْكُرُ سُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ<sup>٩١٠</sup>

وقال ابن كثير في تفسيره :

" وهذا إسناد قوي، ولكن في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من  
نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته. ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار: أنهم قبل خروجهم يأتونه  
فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون: غداً نفتحه. فيأتون من الغد وقد عاد كما كان،  
فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك، ويصبحون وهو كما كان، فيلحسونه  
ويقولون: غداً نفتحه. ويلهمون أن يقولوا: "إن شاء الله"، فيصبحون وهو كما فارقه، فيفتحونه.  
وهذا مُتَّجِه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب. فإنه كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة،  
فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه، والله أعلم.

ويؤكد ما قلناه -من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه، ومن نكارة هذا المرفوع- ما روي  
عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ  
حَدَّثَتْهَا عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعَا يَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَلُ  
لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجٌ مِثْلُ هَذَا » . وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالْيَمَنِ  
تَلِيهَا ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُلِكُمْ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ « نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ »<sup>٩١١</sup> .

هذا حديث صحيح، اتفق البخاري ومسلم على إخراجه..<sup>٩١٢</sup>

وقال أستاذنا الشيخ شعيب حفظه الله :

<sup>٩١٠</sup> - المستدرك للحاكم (٨٥٠١) ، حم ٥١٠/٢ وكثير ١٩٣/٥ وبداية ١١٢/٢ وفتح ١٠٦/١٣ ومجمع ٦/٨ ومطالب (٤٦٠٠)  
ومنحة (٢٧٨٦) وطب ٣٦٦/١١ والطبري ١٨/١٦ وهـ (٤٠٨٠) والصحيحة (١٧٣٥) وصحيح الجامع (١٧٣٥) وصححه ابن  
حيان والترمذي والحاكم والذهبي والألباني

يقال : شكرت الشاة بالكسر تشكر شكرًا بالتحريك إذ سمنت وامتلأ ضرعها لبنًا ، والمعنى : أن دواب الأرض تسمن وتمتلئ شحما .  
النهاية في غريب الحديث ( ٢ / ٤٩٤ ) -السكر يفتح السين والكاف : الخمر ، ويطلق السكر على الغضب والامتلاء . انظر : النهاية  
في غريب الحديث ( ٢ / ٣٨٣ ) .

<sup>٩١١</sup> - أخرجه الشيخان وغيرهما انظر تخريجه مفصلاً في المسند الجامع - ( ١٩ / ٢٥٩ ) ( ١٥٩٤٤ )

<sup>٩١٢</sup> - وانظر تفسير ابن كثير - دار طيبة - ( ٥ / ١٩٨ )

"قلت: ومما يؤيد ما قاله ابن كثير أن الوهم من بعض الرواة ما رواه مسلم بن الحجاج في كتابه "التميز"<sup>٩١٣</sup>: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا مروان الدمشقي، عن الليث بن سعد، حدثني بكير بن الأشج، قال: قال لنا بسر بن سعيد: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ، وذكره ابن كثير في "البداية"<sup>٩١٤</sup> عن مسلم، وقال بإثره: وفي رواية: يجعل ما قاله كعب الأحبار عن رسول الله ﷺ، وما قاله رسول الله عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا من الحديث.<sup>٩١٥</sup>

أقول: ما رجحه ابن كثير هو الراجح، لأنه إذا بدئ بنقبة منذ عهد النبي ﷺ، فقد انتهى أمره منذ زمان، كسد مادي يمنع هؤلاء الناس من الخروج والاتصال بمن سواهم من الشعوب والأمم الأخرى - والأغلب أنهم أهل الصين وكوريا ومنشوريا بني الأصفر -

فالسد اليوم قد اندثر، ولم يعد مانعاً من خروجهم، إنما الذي يمنعهم هو السد المعنوي وكل ذلك يسمى سداً، إلى أن يأذن الله بذلك، وهم بشر مثلنا تماماً. وقد نسجت حولهم خرافات وأباطيل في كتب السنة ينبغي الحذر منها.

وأما الزعم أنهم موجودون خلف السد وأنه السد ما زال موجوداً يمنعهم من الخروج، وذلك لأننا لم نكتشف كثيراً من أجزاء الأرض، فهو فيما أرى نقض لكلام النبي ﷺ المتفق على صحته من أنهم بدؤوا بنقبة منذ عهده.<sup>٩١٦</sup>

#### المسألة الرابعة: هلاك يأجوج ومأجوج وطيب العيش وبركته بعد موته

بعد طغيان يأجوج ومأجوج وإفسادهم وعتوهم في الأرض وإهلاكهم للحرث والنسل، يتضرع نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام وأصحابه إلى الله سبحانه وتعالى، ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء والحن التي لم يجدوا بأنفسهم حيلة ولا قوة لدفعها، فيستجيب الله لهم، فيسلط الله عليهم الدود الصغير فيهلكهم فيصبحون موتى موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً، فتمتلئ الأرض من ننتهم، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه ثانية إلى الله عز وجل فيرسل

<sup>٩١٣</sup> - "التميز" ص ١٢٨

<sup>٩١٤</sup> - "البداية" ١٠٩/٨،

<sup>٩١٥</sup> - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٢٤٣) وانظر: "تاريخ ابن عساكر" ٢/٢١١، و"سير أعلام النبلاء" ٦٠٦/٢، وقد وهم الشيخ ناصر الدين الألباني في تصحيح هذا الحديث ورده على ابن كثير.

<sup>٩١٦</sup> - انظر: أشراط الساعة - (١ / ١٨٥) و إتحاف الجماعة (٢ / ٢٩٧)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢١٤). فقد تكلموا بكلام كثير حول هذا الموضوع، ليس فيه كبير فائدة فيما أرى.

طيرا تحملهم وتطرحهم في البحر ، ثم يرسل مطرا تغسل آثارهم ، ثم يأمر الله الأرض لتدبر بركتها وتنبث ثمارها ، فيعم الرخاء ، وتطرح البركة فيعيش عيسى ابن مريم وأصحابه في عيش رغيد .

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل الذي مر ذكره فيما سبق أن الرسول ﷺ قال فيه : « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ ، فَحَرَّزُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّغَفَّ فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبِيرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَنُّهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ ، فَتَحْلِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا ، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ ، حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفَتَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ . »

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } ، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، وَيَشْرَبُونَ مِياهَ الْأَرْضِ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ بَيْسًا ، حَتَّى إِنْ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ فَيَقُولُ : قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ ، أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ ، قَدْ فَرَعْنَا مِنْهُمْ ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يَهْزُ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا ، لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، كَنَعَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ . قَالَ : فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظْنَاهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَيَنْزِلُ ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَلَا أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ . فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ ، وَحُصُونِهِمْ ،

وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعِيٌّ إِلَّا لُحُومُهُمْ ، فَتَشْكُرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكُرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ  
النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ. ٩١٧

=====

---

<sup>٩١٧</sup> - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ١٩٣) (١١٧٣١) ١١٧٥٤ - والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٤٥) (٤ / ٤٨٩) وقال :  
هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . صحيح

#### خامسا: طلوع الشمس من مغربها .

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء قال الله تعالى : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ } (سورة الأنعام ، آية : ١٥٨ ) .

قال ابن جرير الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في الآية : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ذلك حين تطلع الشمس من مغربها »<sup>٩١٨</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا ، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ »<sup>٩١٩</sup> وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ ، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بَلْبِنٍ لِفَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيْطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقَى فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتُهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا » .<sup>٩٢٠</sup>

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » .<sup>٩٢١</sup>

وعَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ فَقُلْتُ : ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَفْعَلُ .. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ . - قَالَ : فَمَا بَرِحَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى حَدَّثَنِي : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ أَبَا مَسِيرَةَ عَرْضِهِ سَبْعُونَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ ، لَا يُعْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا } .<sup>٩٢٢</sup>

وعَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَصْلَعُ ؟ فَقُلْتُ : ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ حَاكٌ ، أَوْ

<sup>٩١٨</sup> - تفسير ابن جرير الطبري ( ٨ / ١٠٣ ) .

<sup>٩١٩</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٦٣٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ١٤١٣ )

<sup>٩٢٠</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٥٠٦ ) أطرافه ٨٥ ، ١٠٣٦ ، ١٤١٢ ، ٣٦٠٨ ، ٣٦٠٩ ، ٤٦٣٥ ، ٤٦٣٦ ، ٦٠٣٧ ،

٦٩٣٥ ، ٧٠٦١ ، ٧١١٥ ، ٧١٢١ - تحفة ١٣٧٤٩

<sup>٩٢١</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧١٦٥ )

<sup>٩٢٢</sup> - مسند أحمد (عالم الكتب) - ( ٦ / ٢٠٤ ) ( ١٨١٠٠ ) ( ١٨٢٧٧ - ١٨٢٧٨ - ١٨٢٧٩ ) صحيح

حَالٍ، فِي نَفْسِي الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَهَلْ حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَوْ مُسَافِرِينَ "أَمَرْنَا أَنْ لَا نَخْلَعَ خِفَافَنَا ثَلَاثًا إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ: غَائِطٍ، وَبَوْلٍ، وَنَوْمٍ".

قُلْتُ: فَهَلْ حَفِظْتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْهَوَى شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كَذَا وَكَذَا، فَتَادَاهُ رَجُلٌ فِي أُخْرِيَاتِ الْقَوْمِ، بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٌّ أَعْرَابِيٌّ، جَلَفَ جَافٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَهْ، فَإِنَّكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ هَذَا، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَحْوِ مَنْ صَوْتِهِ، فَقَالَ: "هَؤُلَاءِ"، قَالَ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ".

قَالَ فَمَا بَرَحَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى حَدَّثَنِي: "أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَسِيرُهُ عَرْضُهُ سَبْعُونَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ"، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا" [الأنعام: ١٥٨].<sup>٩٢٣</sup>

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسَ الْعَمَلُ".<sup>٩٢٥</sup>

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْهَجْرَةَ خَصَلَتَانِ. إِحْدَاهُمَا أَنْ يَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَأَنْ يَهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلُ".

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "الْهَجْرَةُ خَصَلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلُ".<sup>٩٢٦</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ

<sup>٩٢٣</sup> - المعجم الكبير للطبراني - (٥٦ / ٧) (٧٢١٩ - ٧٢٢١) صحيح

<sup>٩٢٤</sup> - شرح مشكل الآثار - (٤٧ / ٧) (٢٦٣٥) صحيح

<sup>٩٢٥</sup> - تفسير الطبري - (٤٠٢ / ١٠) (١١٠٦٠) صحيح

<sup>٩٢٦</sup> - شعب الإيمان - (٣٨٠ / ٩) (٦٨٢٠) صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٣ / ٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال ابن كثير في النهاية الفتن والملاحم (٢٢١ / ١). وهذا إسناده جيد قوي. وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢ / ٣٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٦٩ / ١). والكبير (٣٨١ / ١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٠ / ٥)، رواه أحمد والطبراني والبزار... ورجال أحمد ثقات.

وَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بَلْبِنٍ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقَى فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا » . ٩٢٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْتَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالِدَّجَالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ » . ٩٢٨

وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها فقال : " قال العلماء : وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها ؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفرع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس ، وتفتُر كلُّ قوة من قوى البدن ، فيصيرُ الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم ، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت " ٩٢٩

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا » . ٩٣٠

وَعَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، قَالَ : جَلَسَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ ، فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنِ الْآيَاتِ ، أَنَّ أَوَّلَهَا خُرُوجًا الدَّجَالُ . فَأَنْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، فَحَدَّثُوهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : لَمْ يَقُلْ مَرْوَانُ شَيْئًا ، قَدْ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ أَنْسَهُ ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ : " إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، أَوْ خُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى ، أَيُّهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيبًا " . ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ : أَظُنُّ أَوَّلَهُمَا خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا كَلَّمَا غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنْتْ فِي الرَّجُوعِ ، فَيُؤْذَنُ لَهَا فِي الرَّجُوعِ ، حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِلَّهِ أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا فَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنْتْ فِي الرَّجُوعِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَتَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَا يَرُدُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ ، وَعَرَفَتْ أَنْ لَوْ أَذِنَ لَهَا لَمْ تُدْرِكِ الْمَشْرِقَ ، قَالَتْ : مَا أَبْعَدَ الْمَشْرِقَ رَبِّ مَنْ لِي بِالنَّاسِ ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْأُفُقُ كَأَنَّهُ طُوقٌ اسْتَأْذَنْتُ فِي الرَّجُوعِ ، فَقِيلَ لَهَا : اطْلُعِي مِنْ مَكَانِكَ ! فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا . ثُمَّ قَرَأَ : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا } . ٩٣١

٩٢٧ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٦٥٠٦ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٤١٣ )

٩٢٨ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٤١٧ )

٩٢٩ - التذكرة للقرطبي ( ٢ / ٧٥٣ ، ٧٩٤ ) .

٩٣٠ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٧٠ )

٩٣١ - تفسير الطبري - ( ١٠ / ٤٠٢ ) ( ١١٠٦١ ) صحيح

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض ، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي ، وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب " ٩٣٢

قال البرزنجي في الإشاعة : وهذا جمع حسن - رحمه الله - ٩٣٣  
وعن أبي ذرٍّ أن النبي ﷺ - قال يوماً « أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ». ٩٣٤

وذكر أبو سليمان الخطابي رحمه الله في قوله : وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا أَنْ أَهْلَ التَّفْسِيرِ وَأَصْحَابَ الْمَعَانِي قَالُوا فِيهِ قَوْلَيْنِ ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، أَيْ : لِأَجَلٍ أَجَلٍ لَهَا ، وَقَدَرٍ قَدَرٍ لَهَا ، يَعْنِي انْقِطَاعَ مُدَّةِ بَقَاءِ الْعَالَمِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مُسْتَقَرُّهَا غَايَةُ مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ فِي صُعُودِهَا وَارْتِفَاعِهَا لِأَطْوَلِ يَوْمٍ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِي التَّزْوِيلِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الشِّتَاءِ لِأَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ " مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ " فَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ لَهَا اسْتِقْرَارٌ مَا تَحْتَ الْعَرْشِ مِنْ حَيْثُ لَا تُدْرِكُهُ وَلَا تُشَاهِدُهُ ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ غَيْبٍ فَلَا تُكَذِّبُ بِهِ وَلَا تُكَيِّفُهُ ، لِأَنَّ عَلِمَنَا لَا يُحِيطُ بِهِ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : أَنْ عَلِمَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فِي كِتَابٍ كُتِبَ فِيهِ مَبَادِيُ أُمُورِ الْعَالَمِ وَنَهَائِيَّاتُهَا ، وَالْوَقْتُ الَّذِي تَنْتَهِي إِلَيْهِ مُدَّتُهَا ، فَيَنْقَطِعُ دَوْرَانِ الشَّمْسِ وَتَسْتَقِرُّ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَبْطُلُ فِعْلُهَا ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ، الَّذِي بَيْنَ فِيهِ أَحْوَالُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ وَآجَالُهُمْ وَمَالَ أُمُورِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ .

قال الشيخ أبو سليمان : وفي هذا - يعني الحديث الأول - إخبارٌ عن سُجُودِ الشَّمْسِ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَ مُحَاذَاتِهَا الْعَرْشَ فِي مَسِيرِهَا ، وَالْخَبَرُ عَنْ سُجُودِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ ، وَلَيْسَ فِي سُجُودِهَا لِربِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ مَا يَعُوقُهَا عَنِ الدُّأْبِ فِي

٩٣٢ - فتح الباري ( ١١ / ٣٥٣ ) .

٩٣٣ - الإشاعة لأشراط الساعة ص ( ٣٥٠ ) .

٩٣٤ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٤١٨ )

سِيرَهَا وَالتَّصَرُّفَ لِمَا سُخِّرَتْ لَهُ . قَالَ : فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُخَالَفٍ لِمَا جَاءَ فِي هَذَا الْخَبَرِ مِنْ أَنَّ الشَّمْسَ تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، لِأَنَّ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ نِهَايَةُ مُدْرِكِ الْبَصَرِ إِثْبَاطَ حَالِ الْغُرُوبِ ، وَمَصِيرُهَا تَحْتَ الْعَرْشِ لِلْسُّجُودِ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ غُرُوبِهَا فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظُ الْخَبَرِ ، فَلَيْسَ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ وَلَيْسَ . مَعْنَى قَوْلِهِ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ أَنَّهَا تَسْقُطُ فِي تِلْكَ الْعَيْنِ فَتَغْمُرُهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنِ الْعَايَةِ الَّتِي بَلَغَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي مَسِيرِهِ حَتَّى لَمْ يَجِدْ وَرَاءَهَا مَسْلَكًا فَوَجَدَ الشَّمْسَ تَدُلُّ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَوْقَ هَذِهِ الْعَيْنِ ، أَوْ عَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْعَيْنِ ، وَكَذَلِكَ يَتَرَأَى غُرُوبُ الشَّمْسِ لِمَنْ كَانَ فِي الْبَحْرِ وَهُوَ لَا يَرَى السَّاحِلَ ، يَرَى الشَّمْسَ كَأَنَّهَا تَغِيبُ فِي الْبَحْرِ ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحَقِيقَةِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْبَحْرِ ، وَفِي هَهُنَا بِمَعْنَى فَوْقَ ، أَوْ بِمَعْنَى عَلَى ، وَخُرُوفُ الصِّفَاتِ تُبَدِّلُ بَعْضُهَا مَكَانَ بَعْضٍ<sup>٩٣٥</sup>

وفي فتاوى الشبكة الإسلامية :

" من المعلوم بدلالة المشاهدة علما قطعيا لا شبهة فيه أن الشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن مكان إلا ظهرت في مكان آخر، وهذا لا ينافي سجودها تحت العرش، كما أن سجودها لا يعوقها عن الدأب في مسيرها والتصرف لما سُخِّرَتْ له، لأن الشمس خاضعة لمشيئة الله مثل كل المخلوقات، فتكون في دوراتها خاضعة في جميع أحوالها ساجدة تحت العرش. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة، أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين. وقال الحافظ ابن حجر في موضع آخر: قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقرارا لا نحيط به نحن.. وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دوراتها في سيرها . اهـ.

وقال الشيخ رشيد رضا : الشمس يصدق عليها أنها ساجدة تحت العرش بالمعنى الذي أثبت القرآن فيه سجود كل شيء لله عز وجل من الكواكب والشجر والنبات وغير ذلك، وذكرنا توجيهها آخر لسجودها وهو أنه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها لمشيئة الله تعالى . اهـ.<sup>٩٣٦</sup>

=====

<sup>٩٣٥</sup> - الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ لِلْبَيْهَقِيِّ (٨٠٤ و ٨٠٥)

<sup>٩٣٦</sup> - انظر : الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي - ( ١ / ١٣٢ ) ( ١٩٠ ) وسئل نفع الله به : إذا غابت الشمس أين تذهب ؟ وفتاوى الأزهر - ( ٧ / ٣٨٢ ) - سجود الشمس تحت العرش وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - ( ٩ / ٩٤١ ) رقم الفتوى ٦١١٠٠ سجود الشمس ونزول الله جل جلاله تاريخ الفتوى : ٠٥ ربيع الأول ١٤٢٦

## سادساً : خروج الدابة .

من أشراط الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس وتسميهم مؤمنا وكافرا ، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى .

والكلام على هذه العلامة يشتمل على المسائل التالية :

المسألة الأولى : الأدلة على خروجها من الكتاب والسنة

قال تعالى : { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ } ( سورة النمل ، آية : ٨٢ ) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن معنى تكلمهم : تجرحهم ، بمعنى تكتب على جبين الكافر كافرا ، وعلى جبين المؤمن مؤمنا . وروي عنه أيضا بمعنى تخاطبهم .

قال الحافظ ابن كثير : " هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق . يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك " ٩٣٧

وقال الألوسي : " أي تكلمهم بأنهم لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من حملتها تلك الآيات " ٩٣٨

فمنها عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي ﷺ - قَالَ « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ فَيَقُولُ اشْتَرَيْتَهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ » . وَقَالَ يُونُسُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ « ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ » ٩٣٩ .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ - قَالَ « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدَّجَالُ وَالدُّخَانُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَأَمْرُ الْعَامَّةِ وَخَوِصَّةُ أَحَدِكُمْ » . ٩٤٠

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قَالَ أطلع النبي ﷺ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ « مَا تَذَكَّرُونَ » . قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قَالَ « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ » . فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - ﷺ - وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ

٩٣٧ - انظر : تفسير ابن كثير ( ٣ / ٣٥١ )

٩٣٨ - جلاء العينين ص ( ٢٧ ، ٢٨ ) و انظر : روح المعاني ( ٦ / ٣١٤ ) .

٩٣٩ - مسند أحمد - المكثر - ( ٢٢٩٦٨ ) والصحيحة ( ٣٢٢ ) وصحيح الجامع ( ٢٩٢٧ ) صحيح

الخرطوم : جمع خرطوم وهو الأنف وقيل مقدم الأنف وقيل ما ضم الرجل عليه الخنكين - المخطم : المخطم الذي به الخطام وهو خط يكوى من الأنف إلى أحد الخدين - يغمرون : يعلون ويغطون ويستغرقون

٩٤٠ - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٨٥ )

« خويصة أحدكم » أي : الواقعة التي تخص أحدكم ، يريد حادثة الموت التي تخص كل إنسان ، وهي تصغير خاصة ، وصغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب . النهاية في غريب الحديث ( ٢ / ٣٧ ) .

خُسُوفٍ خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ  
تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.<sup>٩٤١</sup>

وَعَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حَدِيثَهُ بِنِ أَسِيدٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ  
« مَا تَذْكُرُونَ ». قُلْنَا السَّاعَةَ. قَالَ « إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ  
وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ  
وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُورَةٍ عَدَنَ تَرْحَلُ النَّاسَ ». <sup>٩٤٢</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَى  
وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَرِيْبًا » <sup>٩٤٣</sup>.

#### المسألة الثانية : صفة الدابة <sup>٩٤٤</sup>

اختلف العلماء في صفة الدابة إلى عدة أقوال كثيرة ، ولا يوجد قول يؤيده الوحي المعصوم ، قال  
الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - : " والآية صريحة بالقول العربي أنها ( دابة ) ، ومعنى الدابة في لغة  
العرب معروف واضح ، لا يحتاج إلى تأويل ، وقد بين الحديث بعض فعلها ، ووردت أحاديث كثيرة  
في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآتية ، وأنها تخرج آخر الزمان ، ووردت آثار أخرى في صفتها لم  
تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه ، فلا علينا أن ندعها .

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين إلى الإسلام ، الذين فشا فيهم المنكر من القول ، والباطل من  
الرأي ، الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم  
معلموهم وقدوتهم من ملحدي أوربا الوثنيين الإباحيين ، المتحللين من كل خلق ودين ، فهولاء لا  
يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به ، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكارا صريحا ، فيجمعون ويحاورون  
ويداورون ، ثم يتأولون فيخرجون الكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب ، يجعلونه  
أشبه بالرموز ، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون ! .

بل إن بعضهم لينقل التأويل عن رجل هندي معروف أنه من طائفة تنتسب للإسلام ، وهي له عدو  
مبين ، وعبيد لأعدائه المستعمرين !!

<sup>٩٤١</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٦٧ )

<sup>٩٤٢</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٦٨ )

<sup>٩٤٣</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٧٠ )

<sup>٩٤٤</sup> - انظر تفسير القرطبي ( ١٣ / ٢٣٦ ) ، والتذكرة له ( ٢ / ٨١٨ ) وشرح النووي لمسلم ( ١٨ / ٧٨ ) ، وفتح القدير للشوكاني

( ٤ / ١٥١ ) .

فانظر إليهم أني يترددون ويصرفون ؟ وأي نار يقتحمون ؟ ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنون " اهـ ٩٤٥ .

فالواجب على كل مؤمن بالإيمان بأن الله سبحانه وتعالى سيخرج للناس دابة مخالفة لما يعتاده الناس تكلمهم وتختتم على الكافر بالكفر وعلى المؤمن بالإيمان ، وهذا من الإيمان بالغيب الذي مدح الله به المؤمنين .

يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - : " وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة ، كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة ، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها ، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول على الناس ، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين وحجة على المعاندين " ٩٤٦

المسألة الثالثة : مكان خروج الدابة

اختلف العلماء في مكان خروج الدابة إلى عدة أقوال :

القول الأول : أنها تخرج من جبل الصفا أو من المسجد الحرام بمكة المكرمة .

قال القرطبي : " واختلف من أي موضع تخرج ، فقال عبد الله بن عمر : تخرج من جبل الصفا بمكة ، يتصدع فتخرج منه ، وقال عبد الله بن عمرو نحوه ، قال : لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت " ٩٤٧

ومما يدل على خروجها من أعظم المساجد ، ما أخرجه الطبراني في الأوسط عن حذيفة بن أسيد - أراه رفعه - قال : " تخرج الدابة من أعظم المساجد ، فبينما هم إذ دبت الأرض ، فبينما هم كذلك إذ تصدعت " . قال ابن عيينة : تخرج حين يسري الإمام من جمع ، وإثما جعل سابق الحاج ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج . رواه الطبراني في الأوسط . ٩٤٨

قال محمد صديق حسن خان : وهو المشهور ٩٤٩

القول الثاني : أن لها خرجات ، الأولى من أقصى البادية ، ثم تختفي ، ثم تخرج من بعض أودية تهامة ، ويصدق عليها أنه من وراء مكة ، وفي المرة الأخيرة تخرج من مكة . وهذا القول الأخير هو الذي يجمع بين الأقوال في خروجها .

٩٤٥ - انظر : مسند الإمام أحمد بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ( ١٥ / ٨٢ ) .

٩٤٦ - تفسير ابن سعدي ( ٥ / ٦٠٣ ) .

٩٤٧ - تفسير القرطبي ( ١٣ / ٢٦٣ ) .

٩٤٨ - المعجم الأوسط للطبراني - ( ١٦٩٥ ) صحيح

٩٤٩ - الإذاعة ( ١٣٩ )

يقول السخاوي - رحمه الله - " وتخرج كما في بعض المرفوعات أو الموقوفات ثلاث خرجات من الدهر ، فمرة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ، يعني مكة ، ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج مرة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ، يعني مكة ، " ٩٥٠

ويقول محمد صديق حسن خان بعد ذكره للأقوال في خروج الدابة : ويجمع بين هذه الأقوال بما جاء في الأحاديث المرفوعة والموقوفة كما قال السخاوي وغيره من أنها تخرج ثلاث خرجات ، ثم ذكر كلام السخاوي السابق . ٩٥١

#### المسألة الرابعة : عمل الدابة

عمل هذه الدابة كما جاءت به الأحاديث أنها تسم الناس المؤمن والكافر ، حتى إنه جاء في بعض الروايات : فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه ، ويشترك الناس في الأقوال ويصطحبون في الأمصار ، يعرف المؤمن الكافر وبالعكس .

قال ابن كثير : وعن ابن عباس : تكلمهم ، تخرجهم ، يعني تكتب على جبين الكافر كافر ، وعلى جبين المؤمن مؤمن ، ومنه تخاطبهم ، وتخرجهم ، وهذا القول ينتظم من مذهبي وهو قوي حسن جامع ، والله تعالى أعلم ٩٥٢

ويتلخص عمل الدابة في الأمور التالية :

- ١ - أنها دابة تكلم الناس .
  - ٢ - أنها تسم المؤمن بعلامة وتجلو وجهه حتى ينير .
  - ٣ - أنها تسم الكافر بعلامة قيل : هي خطم الأنف .
- قال ابن الأثير : يعني تصيبه فتجعل له أثرا مثل أثر الخطام ٩٥٣

=====

---

٩٥٠ - القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة للسخاوي ص ( ٤٠ ) .

٩٥١ - الإذاعة ( ١٣٩ ) .

٩٥٢ - النهاية في الفتن والملاحم ( ١ / ٢٠٨ ) .

٩٥٣ - النهاية في غريب الحديث ( ٢ / ٥٠ ) ، وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ( ١ / ٤٢٦ ، ٤٢٧ )

## سابعاً: الدخان الذي يكون في آخر الزمان

من علامات الساعة وأشراتها العظمى ظهور دخان قبل قيام الساعة . والكلام على هذه العلامة يتضمن المسائل التالية :

المسألة الأولى : الأدلة من الكتاب والسنة

قال تعالى : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } { يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ } { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ } ( سورة الدخان ، الآيات : ١٠ - ١٣ ) .

أما الأدلة من السنة على هذا الأمر فهي كثيرة :

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ « مَا تَذَكَّرُونَ » . قَالُوا نَذَكَّرُ السَّاعَةَ . قَالَ « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ » . فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - ﷺ - وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ .<sup>٩٥٤</sup>

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَيِّئًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الدَّجَالَ أَوْ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةً أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَةِ » .<sup>٩٥٥</sup>

وعن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا: الدُّخَانُ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالزُّكْمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْتَفِخَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ، وَالثَّانِيَةُ الدَّابَّةُ، وَالثَّلَاثَةُ الدَّجَالُ".<sup>٩٥٦</sup>

المسألة الثانية : اختلاف العلماء حول المراد بالدخان ومتى يحدث ؟

لقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في المراد بالدخان الوارد في الآية والأحاديث المتقدمة على قولين :

١ - فذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان ، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتبعه جماعة من السلف ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله<sup>٩٥٧</sup>

<sup>٩٥٤</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٦٧ )

<sup>٩٥٥</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٥٨٤ )

<sup>٩٥٦</sup> - تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - ( ١٨ / ٢٢ ) ضعيف ، وهذا إسناد جيد تفسير ابن كثير - دار طيبة - ( ٧ / ٢٤٩ ) وذكر ابن حجر رواية الطبري عن أبي مالك وابن عمر وقال : ( إسنادهما ضعيف أيضا ، لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلا ) . فتح الباري ( ٨ / ٤٣٦ ) .

<sup>٩٥٧</sup> - انظر : تفسير الطبري ( ٢٥ / ١١٣ ، ١١٤ ) ، وتفسير البغوي ( ٤ / ١٤٩ - ١٥٠ ) ، وتفسير القرطبي ( ١٦ / ١٣١ ) ، وتفسير ابن كثير ( ٤ / ١٢٤ - ١٢٥ ) .

وقد استدلل هؤلاء بما جاء عن مسروق قال كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقْصُ وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ مَنْ عِلْمٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ - ﷺ - (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا فَقَالَ «اللَّهُمَّ سَبْعَ كَسْبَعٍ يُوسُفَ». قَالَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ - قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) إِلَى قَوْلِهِ (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ). قَالَ أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ) فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ وَالْبَطْشَةُ وَاللَّزَامُ وَآيَةُ الرُّومِ.<sup>٩٥٨</sup> وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَاللَّزَامُ ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا )<sup>٩٥٩</sup>

٢ - وذهب كثير من العلماء سلفا وخلفا إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد ، وسيقع قرب يوم القيامة ، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم وغيرهم ، وكثير من التابعين .

وقد رجح الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذا ، مستدلا بالأحاديث التي سبق ذكرها عند الاستدلال على هذه الآية ( آية الدخان ) ، وبغيرها من الأحاديث ، وأيضا بما أخرجه ابن جرير عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت.<sup>٩٦٠</sup>

<sup>٩٥٨</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٢٤٤ )

حصت : استأصلت - هذا دعاء من النبي ﷺ على كفار مكة بأن يبعث الله عليهم سبع سنين مجدية كالتى في زمن يوسف عليه السلام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن .

<sup>٩٥٩</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٧٦٧ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٢٤٦ )

اللزام : هو ما جاء في قوله تعالى : « فقد كذبتهم فسوف يكون لازما » سورة الفرقان ، الآية ٧٧ . أي يكون عذابا لازما نتيجة تكذيبهم ، وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر . انظر : تفسير البغوي ( ٣ / ٣٨٠ ) ، وتفسير ابن كثير ( ٣ / ٣٣٠ ) ، وشرح صحيح مسلم للنووي : ( ١٧ / ١٤٣ ) - وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ » سورة الروم ، الآيات ( ١ - ٣ ) - وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ » سورة الدخان ، الآية : ١٦ - وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » سورة القمر ، الآية : ١ .

<sup>٩٦٠</sup> - تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - ( ٢٢ / ١٧ ) والمستدرک للحاکم ( ٨٤١٩ ) وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ١٢٥ ) صحيح .

قال ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره لهذا الأثر : " وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما خبر وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } أي بين واضح ، يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا قوله تعالى : { يَعْشَى النَّاسَ } ، وقوله تعالى : { هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا " ٩٦١

٣ - وقد ذهب بعض العلماء<sup>٩٦٢</sup> إلى الجمع بين هذه الآثار بأن قالوا هما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان ، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان ، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة .

قال القرطبي - رحمه الله - : قال مجاهد : كان ابن مسعود يقول : " هما دخانان قد مضى أحدهما ، والذي بقي يملا ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة ، وأما الكافر فتثقب مسامعه " ٩٦٣

وقال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - : " وبعد ، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ، ويكون مجلا فيما يستأنف بعد بأخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك ، لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن ، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود ، فكلا الخبرين اللذين روى عن رسول الله ﷺ صحيح . " ٩٦٤

وقال النووي رحمه الله تعالى : ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار " ٩٦٥

وقال الطحاوي في مشكل الآثار : بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ : { يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } [الدخان : ١٠]

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَذَكَرَ : { يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } [الدخان : ١٠] فَقَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَصَابَ النَّاسَ دُخَانٌ يَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُتَفَقِّينَ وَأَبْصَارِهِمْ وَيَأْخُذُ

٩٦١ - تفسير ابن كثير ( ٤ / ١٢٥ - ١٤٠ ) ، وانظر : النهاية في الفتن والملاحم له ( ١ / ١٧٢ ) بتحقيق د / طه زيني .

٩٦٢ - انظر : التذكرة القرطبي ( ٦٥٥ ) ، وشرح صحيح مسلم ( ١٨ / ٢٧ ) .

٩٦٣ - التذكرة ( ٦٥٥ ) .

٩٦٤ - تفسير الطبري ( ٢٥ / ١١٤ - ١١٥ ) . وتفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - ( ٢٢ / ١٩ )

٩٦٥ - شرح صحيح مسلم للنووي ( ١٨ / ٢٨ ) .

الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، وَهُوَ مُتَكِيٌّ فَجَلَسَ غَضَبًا ثُمَّ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ عَنْ مَا لَا يَعْلَمُ، قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } [ص: ٨٦]، وَسَأَحَدْتُكُمْ عَنْ ذَلِكَ إِنَّ قُرَيْشًا اسْتَعْصَتْ وَنَفَرَتْ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ { ارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ عَضَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْمَيِّتَةَ وَالْعِظَامَ وَحَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ فَقَالُوا: { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ } [الدخان: ١٢] ثُمَّ قَرَأَ: { إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } [الدخان: ١٥] فَكُشِفَ عَنْهُمْ فَعَادُوا فِي كُفْرِهِمْ: { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ } [الدخان: ١٦]، فَعَادُوا فِي كُفْرِهِمْ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ وَلَوْ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَكْشِفْ عَنْهُمْ "

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ: فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبَعَ يُوسُفُ "

فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الدُّخَانَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي قَدْ مَضَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قَوْلِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الدُّخَانُ، وَالْقَمَرُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ الْكُبْرَى وَاللِّزَامُ " وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ وَزَادَ: { فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا } [الفرقان: ٧٧].

فَقَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذَا وَقَدْ رَوَيْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا الْبَابِ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ مِنْ مَا يُوجِبُ أَنَّ الدُّخَانَ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ وَأَنَّهُ كَانَتْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ وَمَا قَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ مَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوِ الْقِيَامَةَ " وَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا فِي الْحَدِيثِ غَيْرَ هَذَا فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ الدُّخَانَ الْمَذْكُورَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ غَيْرُ الدُّخَانِ الْمَذْكُورِ فِي حَدِيثِي حُذَيْفَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ: { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } [الدخان: ٩]، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } [الدخان: ١٠] أَيُّ عِقُوبَةٍ لَهُمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّكِّ وَاللَّعِبِ، وَمُحَالٌ أَنْ تَكُونَ هَاتَانِ الْعُقُوبَتَانِ لِغَيْرِهِمْ، أَوْ يُؤْتَى بِهِمَا بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَسَلَامَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ . فَقَالَ هَذَا الْقَائِلُ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } [الدخان: ١٠] وَالَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي حَدِيثِهِ لَيْسَ هُوَ دُخَانًا حَقِيقِيًّا، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَوَهَّمُهُ أَنَّهُ دُخَانٌ وَلَيْسَ بِدُخَانٍ، وَفِيهَا أَنْ إِثْبَانَهُ يَكُونُ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الْجُوعِ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ وَأَصَابَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَنْ

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ دُخَانًا فَكَانَ جَوَائِنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ سُمِّيَ دُخَانًا عَلَى الْمَجَازِ ؛ لِتَوَهُمِ قُرَيْشٍ أَنَّهُ دُخَانٌ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْجَهْدِ الَّذِي بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ كَمَثَلِ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الدَّجَالِ " أَنَّهُ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَنْبُتُ " فِي حَدِيثِ التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ مُطْلَقًا هَكَذَا، وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَذَلِكَ وَفِيهِ " وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ " وَفِيهِ: " وَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ " فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي حَدِيثِ التَّوَّاسِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ سِحْرِ الدَّجَالِ لَا مِنْ حَقِيقَةٍ لَهُ وَسَنَذْكُرُ هَذَا فِيمَا بَعْدُ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا فِيمَا رُوِيَ فِي الدَّجَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَحْتَمِلُ ذَلِكَ مَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَرَاهُ مِمَّا تَرَاهُ دُخَانًا جَزَأً أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ دُخَانٌ عَلَى الْمَجَازِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } [الدخان: ١٠] فَهُوَ مَا رُوِيَ فِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِمَّا قَدْ ذَكَرَ فِي أَحَادِيثِهِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا عَنْهُ، وَوُجَّهَ بَأَنَّ الْإِضَافَةَ إِلَى السَّمَاءِ إِنَّمَا كَانَتْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَحِلُّ بِالنَّاسِ مِنْ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ تُضَافُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ } [السجدة: ٥]، فَأَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي تَكُونُ فِي الْأَرْضِ مُدَبَّرَةٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَيْهَا فَمَثَلُ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ تَدْبِيرِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّبَبِ الَّذِي عَاقَبَ بِهِ قُرَيْشًا لِكُفْرِهِا وَعُتُوْهَا عَاقِبَهَا بِهِ حَتَّى رَأَتْ مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ دُخَانًا وَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ، فَأَمَّا مَا فِي حَدِيثِي خُذِيفَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ ذِكْرِ الدُّخَانِ فَهُوَ عَلَى دُخَانٍ حَقِيقِيٍّ مِمَّا يَكُونُ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرَ عَوَاقِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ<sup>٩٦٦</sup>

ولا شك أن الجمع هو أفضل الطرق ولا منافاة بين الرأيين حينئذ - والله تعالى أعلم ، ورد العلم إليه أسلم .

=====

### ثامناً : الخسوفات الثلاثة

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمان الخسوفات الثلاثة ، وقد دلت على هذا ، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم<sup>٩٦٧</sup>

وعن سليمان بن يسار ، قال : سمعت أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : سيكون بعدي خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، فقالت : يا رسول الله ، يخسف بالأرض وفيهم الصالحون ؟ ، فقال لها رسول الله ﷺ : إذا كان أكثر أهلها الخبث.<sup>٩٦٨</sup>

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشراف الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان ، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي وفي أماكن متعددة ؛ لأن هذه من أشراف الساعة الصغرى ، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " وقد وجد الخسف في مواضع ، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد ، كأن يكون أعظم منه مكانا أو قدرا<sup>٩٦٩</sup> "

=====

<sup>٩٦٧</sup> - شرح السنة للبيهقي - ( ٧ / ٤٤ ) ( ٤٢٥٠ ) وقال : هذا حديث صحيح ، قلت : هو في مسلم

<sup>٩٦٨</sup> - المعجم الكبير للطبراني - ( ١٧ / ١٠٥ ) ( ١٩٠٨١ ) صحيح

<sup>٩٦٩</sup> - فتح الباري ( ١٣ / ٨٤ ) .

## تاسعاً : النار التي تحشر الناس

آخر الآيات الكبرى والعلامات العظمى لأشراط الساعة وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم ، والكلام عليها في عدة مسائل :

المسألة الأولى : الأدلة على خروجها

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن من قعدة عدن ، وجاءت روايات أخرى بأنها تخرج من بحر حضرموت ، ومن الأحاديث التي تبين ذلك :

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ أَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ « مَا تَذَكَّرُونَ » . قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قَالَ « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ » . فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالْجَحَالَ وَالْدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - ﷺ - وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ .<sup>٩٧٠</sup>

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ » . قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَاذَا تَأْمُرُنَا قَالَ « عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ » .<sup>٩٧١</sup>

وعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - الْمَدِينَةَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، { قَالَ مَا } أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخَوَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلُ » . قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَلِكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ . وَأَمَّا الشَّيْبَةُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَأْوُهُ كَانَ الشَّيْبَةُ لَهُ ، وَإِذَا سَبَقَ مَأْوُهَا كَانَ الشَّيْبَةُ لَهَا » . قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُ ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهِتُونِي عِنْدَكَ ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ » . قَالُوا أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْبَرْنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ » . قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا . وَوَقَعُوا فِيهِ .<sup>٩٧٢</sup>

المسألة الثانية : الجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها

<sup>٩٧٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٤٦٧ )

<sup>٩٧١</sup> - مسند أحمد - المكثر - ( ٥٥٠٢ ) صحيح وقد صححه الألباني . انظر : صحيح الجامع ( ٣ / ٢٠٣ )

<sup>٩٧٢</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٣٢٩ ) أطرافه ٣٩١١ ، ٣٩٣٨ ، ٤٤٨٠ تحفة ٧٦٤ ، ٥٣٢٨ أ - ٤ / ١٦١

الجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراطها بأن يقال : إن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة ، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا ، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة ، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا ٩٧٣

أما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن ، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فيجاب عن ذلك بأجوبة :

١ - أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها ، والمراد بقوله ﷺ : « تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب .

٢ - أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولا ، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق ، وأما جعل الغاية المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى أهل المشرق مغرب .

٣ - يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار ، وكان ابتداءها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة الغرب ، كما شوهد ذلك مرارا في عهد التتر والمغول وغيرهم ، وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية ، والله أعلم ٩٧٤

### المسألة الثالثة : مكان الحشر

المكان الذي يكون الحشر إليه في آخر الزمان هو الشام كما صحت بذلك الأحاديث الكثيرة منها : عن بَهْزَ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ تَأْمُرُنِي ؟ خِرْلِي ، قَالَ : فَتَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا ، وَتُجْرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ هَا هُنَا ، وَنَحَا بِيَدِهِ ٩٧٥

وعن بَهْزَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي قَالَ « هَا هُنَا » . وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ قَالَ « إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَتُجْرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ » . ٩٧٦

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ ، وَالْمَنْشَرِ . ٩٧٧

٩٧٣ - انظر : فتح الباري ( ١٣ / ٨٦ ) .

٩٧٤ - انظر : فتح الباري ( ١٣ / ٨٦ ) .

٩٧٥ - المستدرك للحاكم ( ٨٦٨٦ ) صحيح

٩٧٦ - مسند أحمد - المكثر - ( ٢٠٥٦٤ ) صحيح

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "مَنْ شَكَّ فِي أَنَّ أَوَّلَ الْمَحْشَرِ هَا هُنَا، يَعْنِي الشَّامَ، لَيَتْلُ هَذِهِ الْآيَةَ: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ"، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اخْرُجُوا"، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: "إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ"<sup>٩٧٨</sup>

وقال حذيفة بن أسيد صاحب النبي ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي ظِلِّ غُرْفَةٍ، فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ الْغُرْفَةِ، فَقَالَ: مَا تَحَدَّثُونَ؟ قُلْنَا: نَتَحَدَّثُ عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالْدَّجَالُ، وَالْدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَيَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تُحِيطُ بِالنَّاسِ لَا يَتَخَلَّفُهَا أَحَدٌ تَسُوفُهُمْ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، فَيُقِيمُ حَتَّى يَقْضُوا حَوَائِجَهُمْ، ثُمَّ تَحْرُكُ بِهِمْ فَتَرْحَلُهُمْ"، قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ رُومَانَ أَوْ رَكُوبَةٌ يُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بَبْصَرَى".<sup>٩٧٩</sup>

والسبب في كون الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام، وقد دعا النبي ﷺ للشام بالبركة عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا. قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا. قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ.<sup>٩٨٠</sup>

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الشام والترغيب في سكنها لا مجال لذكرها هنا، وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يكون بالشام وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال، وهناك يقتله المسيح عليه السلام بباب لد، هذا بالإضافة إلى أن أرض الشام مهبط الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ.<sup>٩٨١</sup>

#### المسألة الرابعة: زمان الحشر

وأما عن زمن الحشر: فقد اختلف أهل العلم فيه، فذهب بعض العلماء كالبيهقي والغزالي وغيرهما إلى أن هذا الحشر ليس في الدنيا وإنما هو في الآخرة عند الخروج من القبور.<sup>٩٨٢</sup> وذهب جماهير العلماء<sup>٩٨٣</sup> إلى أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة حيث يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف الصورة الواردة في حشر الناس إلى

<sup>٩٧٧</sup> - مسند البزار كاملاً - (٢ / ٩١) (٣٩٦٥) وابن عساکر ١/١٧٤ و١٨٠ و١٧٨ من طرق صحيح

<sup>٩٧٨</sup> - تفسير ابن أبي حاتم - (١٢ / ٢٩٧) وتفسير ابن كثير - دار طيبة - (٨ / ٥٩) وفتح الباري (١١ / ٣٨٠) صحيح

<sup>٩٧٩</sup> - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٢٨٤) (٢٩٦١) صحيح

<sup>٩٨٠</sup> - صحيح البخاري - المكثر - (١٠٣٧)

<sup>٩٨١</sup> - للحافظ الربيعي كتاب قيم بهذا الشأن سماه (فضائل الشام) جمع فيه الأحاديث الواردة في فضل الشام، وقد شرحه العلامة القاسمي، وطبع بتحقيق وتخريج العلامة الشيخ الألباني بالمكتب الإسلامي فليراجع.

<sup>٩٨٢</sup> - انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١ / ٤٤٢) وفتح الباري (١١ / ٣٨٧).

الشام حيث جاء في وصف حشر الدنيا ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَيَحْشَرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا »<sup>٩٨٤</sup> .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن المراد به حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة الحشر بأرض الشام ، وقد ورد في هذا الحديث وغيره الركوب والأكل والنوم وإماتة النار من يتخلف ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت ولا ظهر يركب ويشتري ولا أكل ولا لبس في عرصات القيامة ، وأيضا : فإن حشر الآخرة قد جاءت به الأحاديث تبين بأن الناس مؤمنهم وكافرهم يحشرون حفاة عراة لا عاهات فيهم ، ففي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - حَظِييًّا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرُلًا ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي . فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ( وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) قَالَ فَيُقَالُ لِي إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ » . وَفِي حَدِيثٍ وَكَيْعٍ وَمُعَاذٍ « فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ »<sup>٩٨٥</sup> .

فمن أين للذين يبعثون بعد الموت حفاة عراة حدائق يدفعونها في الشوارف ، أو أبعرة يركبها من يساق من الموقف إلى الجنة ، إن هذا في غاية البعد<sup>٩٨٦</sup>

وبهذا يتبين أن الحشر الوارد في الأحاديث السابقة إنما يكون في الدنيا قبل يوم القيامة ، أما حشر يوم القيامة فقد بينه حديث ابن عباس السابق ، فمن ذهب إلى خلاف ذلك فقد أخطأ وجانب الحق والصواب - والله أعلم .

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - : " فأما شرار الخلق فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهرا حتى تجمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة " <sup>٩٨٧</sup>

<sup>٩٨٣</sup> - شرح مسلم للنووي ( ١٧ / ١٩٤ - ١٩٥ ) وفتح الباري ( ١١ / ٣٨٧ ) .

<sup>٩٨٤</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ٦٥٢٢ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٣٨١ )

<sup>٩٨٥</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٧٣٨٠ ) - الغرل : جمع أغرل وهو الذي لم يجتنت

<sup>٩٨٦</sup> - انظر : النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ( ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ ) ، وفتح الباري لابن حجر ( ١١ / ٣٨٤ ) .

<sup>٩٨٧</sup> - لطائف المعارف لابن رجب ( ٩٠ ) .

وقد سبق التنبيه إلى أن هذه النار غير النار التي خرجت في المدينة والتي تعد من الأشرار الصغرى ،  
والله أعلم .<sup>٩٨٨</sup>

=====

---

<sup>٩٨٨</sup> - انظر كتاب أشرار الساعة - ( ١ / ٢٢٩ )

## المبحث الثالث

### الإيمان بالبعث بعد الموت

أما اليوم الآخر : فالمراد باليوم الآخر : هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء .  
وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم .

#### المطب الأول

#### مفهوم الإيمان باليوم الآخر

هو الاعتقاد الجازم بصحة إخبار الله تعالى وإخبار رسله عليهم الصلاة والسلام بفناء هذه الدنيا ، وما يسبق ذلك من أمارات وما يقع في اليوم الآخر من أهوال واختلاف أحوال ، كذلك التصديق بالأخبار الواردة عن الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب ، وما يجري فيها من الأمور العظام ، كبعث الخلائق وحشرهم ومحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم الاختيارية التي قاموا بها في الحياة الدنيا .

-----

## المطب الثاني ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر

### ١. الإيمان بالبعث :

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، قال تعالى : { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {٤٨} { مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ } {٤٩} { فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ } {٥٠} { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ } {٥١} { قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } {٥٢} { إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } {٥٣} { فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } {٥٤} { (سورة يس ) ، وقال تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } {٦٨} { وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } {٦٩} { وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ } {٧٠} { (سورة الزمر) .

فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غرلاً، قال الله تعالى : { ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ } (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) [المؤمنون/١٥-١٧] ، { وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَرَأَ ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) . (أخرجه أحمد ) ٩٨٩ .

### ٢. الإيمان بالحساب والجزاء:

فكل إنسان يحاسب على عمله في الدنيا ، ثم يوفى حسابه قال الله تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } {٤٧} سورة الأنبياء. وقال تعالى : { وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتِيَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } {٧١} { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ } {٧٢} { وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } {٧٣} { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } {٧٤} { (سورة الزمر) .

### ٣. ونؤمن بحوض نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في عرصات القيامة

٩٨٩ - برقم (١٩٧٨) وابن حبان برقم (٧٤٤٢ و ٧٤٤٥) وهو صحيح = الغرل : جمع أغرل وهو الذى لم يختتن

وأن ماءه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وآنيته بعدد نجوم السماء، وطوله شهر، وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنِّيْتهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ مَأْوُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ». (أخرجه مسلم) ٩٩٠ .

٤. وأن أصنافاً من أمة محمد عليه الصلاة والسلام سيُدادون عنه، ويمنعون من ورودِهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَتَى الْمَقْبِرَةَ فَقَالَ « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ». قَالُوا أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ ». فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُّ أَتَادِبُهُمْ أَلَا هَلَمْ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا » (أخرجه مسلم) ٩٩١ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ مَرَّ عَلَى شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، لِيَرِدَنَّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي . فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي » (أخرجه البخاري) ٩٩٢ .

٥. وفي ذلك اليوم تدنو فيه الشمس من رؤوس العباد، حتى يكون عرقُ الناس على قدرِ أعمالهم ، فعن المقدادِ بنِ الأسودِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ». « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامَا ». قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. (أخرجه مسلم) ٩٩٣ .

٦. ونؤمنُ بالصَّراطِ المنصوبِ على متنِ جهنمِ

٩٩٠ - برقم (٦١٢٩) وحديثه متواتر

٩٩١ - برقم (٦٠٧) - بهم : جمع بهم وهو الأسود وقيل الذي لا يخالط لونه لون سواه =الدهم : جمع أدهم وهو الأسود

٩٩٢ - برقم (٦٥٨٣)

٩٩٣ - برقم (٧٣٨٥) -حقويه : خاصرتيه

وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمرُّ عليه الناسُ على قدرِ أعمالِهِمْ، فمنهم مَنْ يمرُّ كلمحِ البصر، ومنهم مَنْ يمرُّ كالبرق، ومنهم مَنْ يمرُّ كالريح، ومنهم مَنْ يمرُّ كالفرسِ الجوادِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كركابِ الإبل، ومنهم مَنْ يعدو عدواً، ومنهم مَنْ يمشي مشياً، ومنهم مَنْ يزحفُ زحفاً، ومنهم مَنْ يُخطفُ خطفاً ويُلقَى في جهنم، فإنَّ على الجسرِ كلاليبَ تحطفُ الناسَ بأعمالِهِمْ، فمن مرَّ على الصراطِ دخل الجنةَ ونجا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « . . وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ، فَتَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، مِنْهُمْ الْمُبَاقِ ، بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُ ، ثُمَّ يَنْجُو » ( أخرجه البخاري ومسلم )<sup>٩٩٤</sup>.

فإذا عبروا عليه، وقفوا عند قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هذبوا ونُقوا، أذن لهم في دخول الجنة. عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيٍّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا » ( أخرجه البخاري )<sup>٩٩٥</sup>.

وأول من يستفتح باب الجنة محمدٌ عليه الصلاة والسلام، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ ». ( أخرجه مسلم )<sup>٩٩٦</sup>، وَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ». ( أخرجه مسلم )<sup>٩٩٧</sup>، وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَيِّدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِيَانَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا وَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى ». ( أخرجه مسلم )<sup>٩٩٨</sup>.

٧. وَنُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنِيَانِ

<sup>٩٩٤</sup> - البخاري برقم (٦٥٧٣) ومسلم برقم (٤٦٩)

<sup>٩٩٥</sup> - برقم (٦٥٣٥)

<sup>٩٩٦</sup> - برقم (٥٠٥)

<sup>٩٩٧</sup> - برقم (٥٠٧)

<sup>٩٩٨</sup> - برقم (٢٠١٧)

وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَهْمَا أَهْلًا فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فإِلَى الْجَنَّةِ بِفَضْلِهِ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فإِلَى النَّارِ بَعْدِلِهِ. قَالَ تَعَالَى :  
{ قُلْ أَوْثِقُوا خَيْبَرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) } [آل عمران/١٥]

وقال تعالى : { أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ  
أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) } [آل عمران/١٣٦]

وقال تعالى : { لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ  
اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) } [آل عمران/١٩٨]

وقال تعالى : { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) } [النساء/١٣]

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) } [النساء/٥٧]

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا وَعِنْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) } [النساء/١٢٢]

وقال تعالى : { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) } [المائدة/١١٩]

وقال تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ  
رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ (١٠٨) } [هود/١٠٨].....

وأما في خلود أهل فقد قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (١٦٢) }  
[البقرة/١٦١-١٦٢]

وقال تعالى : { وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ  
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا  
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) } [آل عمران/٨٥-٨٨]

وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ  
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) } [النساء/١٦٨، ١٦٩]

وقال تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ  
الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ  
اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) } [الأنعام/١٢٨]

وقال تعالى : { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) } [التوبة/٦٧، ٦٨]

وقال تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) } [هود/١٠٦، ١٠٧]

وقال تعالى : { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِعِزَّتِ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) } [النحل/٢٨، ٢٩]

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) } [الأحزاب/٦٤-٦٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجَبْرِيلَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ». قَالَ : « فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ : يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ : يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ». (أخرجه أبو داود) <sup>٩٩</sup>، وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَائِشَةُ خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ». (أخرجه أحمد) <sup>١٠٠٠</sup> .

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ). فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يُسْأَلُ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءَ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءَ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَمِ الْوَعْدُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ يَمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

<sup>٩٩</sup> - برقم (٤٧٤٦) وهو صحيح

<sup>١٠٠٠</sup> - برقم (٢٤٨٦١) وهو صحيح

فَيُدْخِلُهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النَّارَ» (أخرجه مالك في الموطأ) ١٠٠١.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ، يُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْمَرَدَّ إِلَى اللَّهِ، إِلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَإِقَامَةٌ وَلَا ظَنٌّ ١٠٠٢

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: قَامَ فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَالَ: "يَا بَنِي أَوْدٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تَعْلَمُونَ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، وَإِقَامَةٌ لَا ظَنٌّ فِيهِ، وَخُلُودٌ لَا مَوْتَ فِي أَجْسَادٍ لَا تَمُوتُ" ١٠٠٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَزَهَدْنَا فِي الدُّنْيَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ فَانْسَنَّا أَهْلِيَنَا، وَشَمَمْنَا أَوْلَادَنَا أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ كَي يُذْنِبُوا فَيَغْفِرَ لَهُمْ"

قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ؟ قَالَ: "مِنَ الْمَاءِ"، قُلْتُ: الْجَنَّةُ مَا بَنَاؤُهَا؟ قَالَ: "لَبَنَةٌ مِنْ فِصَّةٍ وَلَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الرَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنَعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ"

ثُمَّ قَالَ: "ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْعَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ" ١٠٠٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ. وَلِأَهْلِ النَّارِ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ» ١٠٠٥.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ جِئَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُدْبِحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ فَازْدَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ» ١٠٠٦.

وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: "يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ، قَالَ: فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِئُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ،

١٠٠١ - برقم (١٦٢٧) وهو صحيح

١٠٠٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ١٠٣) (١٦٧٨٨) صحيح لغيره

١٠٠٣ - المستدرک للحاکم (٢٨١) صحيح

١٠٠٤ - سنن الترمذی (٢٧١٧) صحيح لغيره

١٠٠٥ - صحيح البخاری (٦٥٤٥)

١٠٠٦ - مسند أحمد (٦١٣٦) صحيح

فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِئُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وأشار بيده في الدنيا". ١٠٠٧

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في هذه الآية (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) قال: "يُنَادَى: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرِئُونَ، فَيَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُنَادَى: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرِئُونَ فَيَنْظُرُونَ، فَيَقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا قَالَ: فَيَجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيَقَالُ: هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيَذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ"، قَالَ: ثُمَّ قرأ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ)". ١٠٠٨

وقال ابن عباس، في قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ قَالَ: يُصَوِّرُ اللَّهُ الْمَوْتَ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيَذْبَحُ، قَالَ: فَيَنَاسُ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْمَوْتِ، فَلَا يَرْجُوهُ، فَتَأْخُذُهُمُ الْحَسْرَةُ مِنْ أَجْلِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَفِيهَا أَيْضًا الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وَيَأْمَنُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَوْتَ، فَلَا يَخْشَوْنَهُ، وَأَمِنُوا الْمَوْتَ، وَهُوَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، لِأَنَّهُمْ يُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّةِ"، ١٠٠٩

#### ٨. والجنة دار النعيم التي أعدّها الله تعالى للمؤمنين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فيها من أنواع النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَوَاجٍ مُتَبَوِّئَةٍ (١٦) } [الغاشية/٨-١٧]، وقال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) [المطففين/٢٢-٢٨] }، وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ». (أخرجه البخاري ومسلم) ١٠١٠.

#### ٩. وأما النار فهي دار العذاب التي أعدّها الله تعالى أصلاً للكافرين.

١٠٠٧ - تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٠١) صحيح

١٠٠٨ - تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٠٢) صحيح

١٠٠٩ - تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٠٢) (٢١٦٥٠) حسن لغيره

١٠١٠ - البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٧٣١٠)

قال تعالى: ( وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: { إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَأْبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) } [النبا/٢١-٣٠].

وأهل النار خالدون فيها أبداً ، قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ } (٣٦) سورة فاطر ، وقال تعالى: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) [الزخرف/٧٤-٧٨] } ، وقال تعالى: { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حديدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) [الحج/١٩-٢٣] } .

وقال تعالى: { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَا كِيلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) [الواقعة/٥١-٥٦] } .

ويدخلها عصاة المسلمين، ولكنها ليست دارهم التي أعدت لهم، ولذلك إذا دخلوها لم يخلدوا فيها، بل يعذبون بقدر ذنوبهم ثم مصيرهم إلى الجنة التي هي دار المؤمنين.

١٠. ونؤمن بالشفاعة التي أذن الله تعالى بها لنبيه محمد ﷺ

فله في القيامة عدة شفاعات:

-أما الأولى: فشفاعته في أهل الموقف كي يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام عن الشفاعة حتى تنتهي إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. عن أنس بن مالك قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - ﷺ - قَالَ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ -

ﷺ - فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا. فَاسْتَأْذِنْ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخْبِرُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ يَا رَبُّ أُمْتِي أُمْتِي. فَيَقَالُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ.

فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ آخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلِّ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقَالُ أَنْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرَدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ آخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلِّ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ أَنْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». قَالَ «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ ثُمَّ آخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَسَلِّ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَتَذُنُّ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». (أخرجہ البخاري ومسلم) ١١١. وهي التي عنها القرآن الكريم بقوله تعالى : {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} (٧٩) سورة الإسراء

-وأما الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ وَهَلْ أَخْرَجَكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ - قَالَ - فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ااعْمِدُوا إِلَى مُوسَى - ﷺ - الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى - ﷺ - فَيَقُولُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى - ﷺ - لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ حَبَّتَي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوْلَكُمُ كَالْبَرْقِ». قَالَ قُلْتُ يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي أَيْ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ قَالَ «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرِ وَشَدَّ الرَّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا - قَالَ - وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنْ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا. (أخرجہ مسلم) ١١٢

- وأما الثالثة : فهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين؛ كما في شفاعته لعمه أبي طالب، فيكون في ضحضاح من نار؛ فعن العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه - أنه قال للنبي ﷺ - : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَعْضَبُ لَكَ. قَالَ : «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا

١١١ - البخاري برقم (٧٥١٠) ومسلم برقم (٥٠٠)

١١٢ - برقم (٥٠٣) - تزلف : تقرب - مكدوس : المدفوع من ورائه

لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (أخرجه الشيخان) ١٠١٣ . لأن الله أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ونبينا ﷺ أخبر أن شفاعته لأهل التوحيد خاصة. فشفاعته لعمه أبي طالب خاصة به وخاصة لأبي طالب، وهذه الشفاعات الثلاث خاصة له عليه الصلاة والسلام .

- وأما الرابعة : فشفاعته فيمن استحق النار من الموحدين أن يخرج منها، أو لا يدخلها أصلاً ، وهذا النوع له ﷺ، ولسائر النبيين والصديقين والشهداء ونحوهم ممن أذن الله لهم، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ» (أخرجه البخاري) ١٠١٤ . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». (أخرجه أبو داود) ١٠١٥ .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها لثبوت أدلتها وأنها لا تحقق إلا بشرطين: الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} الآية (٢٥٥) البقرة ، وقوله تعالى: {مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} الآية (٣) من سورة يونس. الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له كما قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} الآية (٢٨) الأنبياء ويجمع الشرطين قوله تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} الآية (٢٦) النجم.

#### ١٤- ويخرجُ الله تعالى من النار أقواماً بغير شفاعَةٍ، بفضلِهِ سبحانه ورحمته

، فعن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ بُرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ». (أخرجه البخاري ومسلم) ١٠١٦ .

وعن أبي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ نَجِئُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ - قَالَ - فَتَدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ فَيَقُولُونَ نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ - قَالَ - فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ - نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو

١٠١٣ - البخارى برقم ( ٣٨٨٣ ) ومسلم برقم ( ٥٣١ ) -الضحاح : ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار

١٠١٤ - برقم ( ٦٥٦٦ )

١٠١٥ - برقم ( ٤٧٤١ ) والترمذي برقم ( ٢٦٢٢ ) وهو صحيح مشهور ، وانظر شرح العقيدة الواسطية - ( ج ١ / ص ٢٨٧ )

والتنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيقة - ( ج ١ / ص ٧٦ )

١٠١٦ - برقم ( ٤٤ ) ومسلم برقم ( ٤٩٩ )

الْمُؤْمِنُونَ فَتَنُجُوا أَوَّلَ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ كَأَصْوَابٍ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يُرْشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَافُهُ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهَا مَعَهَا. (أخرجہ مسلم) ١٠١٧ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَحَدَّثْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَحَدَّثْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يُقَالُ ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ». (أخرجہ البخاري ومسلم) ١٠١٨ .

#### ١٥- ويبقى في الجنة فضل فينشئ الله له أقواماً فيدخلهم الجنة

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَنْفَقِي فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْشِئُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا يَعْزِي خَلْقًا حَتَّى يَمْلَأَهَا ». (أخرجہ أحمد) ١٠١٩ .

#### ١٦- ونؤمنُ بروية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وفي الجنة

كما قال تعالى: { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) [القيامة/ ٢٢، ٢٣] } ، وكما تواترت الأخبارُ بذلك عن رسول الله ﷺ بأنَّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَنَسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ « هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا أَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ

١٠١٧ - برقم ( ٤٨٩ ) = الحسك : جمع حسكة وهى الشوكة الصلبة = الزمرة : الجماعة من الناس

١٠١٨ - برقم ( ٦٥٧١ ) ومسلم برقم ( ٤٧٩ ) - الكبو : الحبو - النواخذ : جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس

١٠١٩ - برقم ( ١٢٨٧٧ ) وهو صحيح- وهو في البخاري برقم ( ٤٨٥٠ ) ومسلم برقم ( ٧٣٥٤ ) ضمن حديث عن أبي هريرة

كَلاَّيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبْنِي رِيحُهَا وَأُحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ. فَيَقُولُ لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرَّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيَلْكَ ابْنُ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو. فَيَقُولُ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتَكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. فَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهُ فَيَقْرُبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. ثُمَّ يَقُولُ أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيَلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُّخُولِ فِيهَا فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ تَمَنَّ مِنْ كَذَا. فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ تَمَنَّ مِنْ كَذَا. فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً» ( أخرجه البخاري) ١٠٢٠ .

=====

١٠٢٠ - برقم ( ٦٥٧٣ ) ومسلم برقم ( ٤٦٩ ) = الذكاء : لُحِبَّ النَّارِ وَاشْتَغَلَاها = تضارون : لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر  
= قشبي : سمي وأهلكني = امتحشوا : احترقت جلودهم حتى ظهرت العظام

## المبحث الرابع

### حقائق هامة عن البعث والنشور

### المطب الأول

### البعث ضرورة شرعية وعقلية

أولاً: إن الله خلق الخلق لغاية محددة في الدنيا إلى أجلٍ مسمى ، فإذا كان كذلك، فإن الحياة الدنيا لا يمكن أن تكون آخر المطاف، حتى يعلم الله المصلح من المفسد، ويجازي كلا بعمله ، قال الله تعالى : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (١١٥) سورة المؤمنون.

ثانياً: اتفاق الرسالات السماوية جميعاً على أن الناس سوف يموتون ويبعثون ليوم يجازون فيه على أعمالهم. بل وحتى الأديان الأرضية تقوم على حقيقة البعث والجزاء.

ثالثاً: شعور كل الناس قديماً وحديثاً بوجود حياة أخرى يلقي فيها الإنسان جزءاً عمله الذي قام به في هذه الدنيا من خير أو شر. وهذه الغريزة الموجودة في نفس الإنسان هي التي تجعله يعرف الخير بالجملة ويجب فعله، ويعرف الشر كذلك ويكره فعله وفاعله. فهذا الشعور ينبعث من إحساس الإنسان بوجود حياة أخرى يجازى فيها على عمله، ويستحيل أن يتفق شعور الناس قاطبةً على ذلك، ثم يكون منطلق ذلك ونهايته وهم وخيال.

رابعاً: نشاهد في حياتنا الدنيا ظالمين بقوا على حالهم حتى الموت، ومظلومين كذلك حتى آخر حياتهم ، فإذا كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف، فهل يكون ذلك عدلاً وحكمةً! ! .

كما أننا نشاهد في الأرض كفاراً ومؤمنين، وكل منهم يظل على حاله حتى مماته - مع اختلاف أعمالهم في الحياة الدنيا - فهل من العدل أن يسوى بينهم بأن يكون الموت هو ختام الرواية ولا شيء بعده! ! .

قال الله تعالى : {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (٢٨) سورة ص، وقال تعالى : {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (٢١) سورة الجاثية .

=====

## المطب الثاني إمكان البعث

لقد تضافرت الأدلة على إمكان البعث، وهي من القوة بحيث يعجز عاقل عن إنكاره، لأن قضية البعث متقررة في النفوس . ومن الأدلة على ذلك:

١ - الأخبار السابقة من الله تعالى عن الرسل الكرام ، فقد اتفقت جميع الرسالات على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق بعد موتهم وأنه تعالى فاعل ذلك لا محالة. قال الله تعالى : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (٧) سورة التغابن، وقال الله تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } (٨٧) سورة النساء

٢ - أن القادر على فعل الشيء ابتداء و إيجاداه من العدم لا يعجزه أن يعيد ذلك الشيء بعد عدمه. فالله تعالى هو فاطر السماوات والأرض ومن فيهن ابتداء أ فيعجزه أن يفني ذلك ثم يعيده! !  
لذا قال الله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (٢٧) سورة الروم ، وقال تعالى : { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (١٠٤) سورة الأنبياء .

٣ - إن الأرض تكون هامة لا حياة فيها، فيزل الله تعالى الماء فتتمو وتخضر. فالقادر على إحيائها قادر على إحياء الموتى. قال الله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٣٩) سورة فصلت ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) [يس/٧٧-٨٣] .

=====

## المبحث الخامس

### ثمرات الإيمان باليوم الآخر

#### المطلب الأول

#### الثمرات عامة

لما كان الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصحُ إيمانُ مسلمٍ بدونها. ولما لذلك الإيمان من أثرٍ في حياة المسلم وطاعته لأوامر الله (عزَّ و جلَّ) واجتنابِ نواهيه، ولما لـه من أثرٍ في صلاح القلوب وصلاح الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ولما في نسيان ذلك اليوم العظيم والغفلة عنه من خطرٍ على حياة الناس ومصيرهم.. فلا غرابة إذن أن يردَّ ذكرُ هذا اليوم كثيراً في القرآن الكريم ، حتى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحاته.

وإذا كان الكتابُ والسنةُ قد اهتمتا غاية الاهتمام بتفاصيل ذلك اليوم المشهود، وبأحوال هذا النبأ العظيم؛ فإنه من الحمق والجهل ألا نهتمَّ بما اهتمَّ به الوحيان.

إنَّ أعظمَ قضيةٍ يجبُ أن ينشغلَ بها كلُّ واحد منا هي: قضية وجوده وحياته والغاية منها، وقضية مستقبله ومصيره وشقائه وسعادته، فلا يجوزُ أن يتقدم ذلك شيءٌ مهما كان، فكلُّ أمرٍ دونه حينئذٍ، وكلُّ خطبٍ سواه حقيرٌ. وهل هناك أعظمُ وأدحُ من أن يخسرَ الإنسانُ حياته وأهله، ويخسرَ مع ذلك سعادته وسعادتهم، فماذا يبقى بعد ذلك؟ قال تعالى: {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (١٥) سورة الزمر . وقال تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ} (٤٥) سورة الشورى .

وأهمية هذا الموضوع تتجلى فيما يلي:

١ - انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان وما صحب ذلك من مكر الليل والنهار بأساليب جديدة ودعايات خبيثة تزين الدنيا في أعين الناس وتصددهم عن الآخرة، ومع ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ - من الإيمان والتقوى، فقد كان يحذرهم من الاغترار بالدنيا وضرورة الاستعداد للآخرة، مع أن الدنيا لم تفتح عليهم مثل اليوم، فلا شك ولا ريب أننا أحوجُ منهم بكثير إلى أن نتذكر الآخرة وندكر بعضنا بعضاً، بعظمة شأنها وأهمية الاستعداد لها.

٢ - ركون كثير من الناس للدنيا، ولقد ترتب على ذلك أن قست القلوب، وتحجرت الأعين، وهجر كتابُ الله (عز وجل)، وإذا قرأ أحدنا القرآن قرأه بقلب لاهٍ، فأنتى لمثل ذلك القلب أن يخشع لذكر

الله؟ وأتني لعينيه أن تدمع خوفاً من الله، وقد انعكس ذلك على الصلاة، فقلل الخاشعون والمطمئنون فيها.. والله المستعان.

٣- لما في تذكّر ذلك اليوم ومشاهدته العظيمة من حث على العمل الصالح، والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات، بل ما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواء الواجب منها والمسنون إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها، يقول تعالى في وصف عباده الصالحين: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (٣٧) سورة النور، وقال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِذَا الْأَلْبَابُ} (٩) سورة الزمر.

٤- لما ظهر في عصرنا اليوم من المشكلات المعقدة والأمراض المزمنة، التي نشأت عنها الأمراض النفسية المتنوعة من القلق والاكتئاب، اللذين يؤديان غالباً إلى حياة يائسة، ومن أسباب ذلك: البعد عن الله تعالى، وعن تذكّر اليوم الآخر.

٥- لما تميز به زماننا اليوم من كثرة المظالم في بعض المجتمعات واعتداء الناس بعضهم على بعض، من أكل لأموال غيرهم بدون وجه حق، وكذلك النيل من الأعراض، والحسد والتباغض، والفرقة والاختلاف، وبخاصة بين بعض الدعاة وطلبة العلم، ولا شك أنه لا شيء مثل تذكّر اليوم الآخر، وتذكّر الوقوف بين يدي الله (عز وجل) علاجاً لتلك الأمراض.

٦- ولما كان الركون إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة من أعظم الأسباب في وهن النفوس وضعفها كان لا بد من التذكير المستمر بذلك اليوم، وما فيه من نعيم أو حليم، لأن في هذا التذكير أكبر الأثر في نشاط الهمم وعدم الاستسلام للوهن واليأس رجاء ثواب الله (عز وجل) وما أعدّه للمجاهدين في سبيله الداعين إليه.

٧- ولما قل في برامج الدعوة والتربية الاعتناء بهذه الجانب العظيم من التربية مما له الأثر الكبير في الاستقامة على الجادة، والدعوة إلى الله على بصيرة، ولكن نرى من بعض المهتمين بالدعوة من يستهين بهذا الجانب العظيم حتى صار بعضهم يقلل من أثر التذكرة بالآخرة بقوله: إن هذا الأمر يغلب عليه الوعظ أو هذا مقال عاطفي وعظي... إلخ.. مع أن التأمل لكتاب الله (سبحانه) وسنة رسوله ﷺ - يرى بجلاء جانب الوعظ بارزاً بالربط بين الدنيا والآخرة والثواب والعقاب.. نسأل الله أن يهدينا جميعاً، وأن يوفقنا للاقتداء بالسنة والسير على نهجها.

الآثار المرجوة لليقين باليوم الآخر:

إن في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لآثاراً واضحة وثمراً طيبة، لا بد أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه، وفي حياته كلها، ولكن هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضم إليه الصبر ومجاهدة

الشهوات والعوائق، لأن الواحد منا — مع يقينه باليوم الآخر وأهواله — يرى في حياته أن ثمراتِ هذا اليقين ضعيفةٌ، فلا بد إذن من سببٍ لهذا الأمر.

=====

## المطلب الثاني

### الثمرات الخاصة للإيمان باليوم الآخر

وهناك ثمرات كثيرة للإيمان باليوم الآخر ومنها :

#### ١- الإخلاصُ لله (عز وجل) والمتابعةُ للرسول ﷺ:

إنَّ الموقنَ بقاء الله (عز وجل) يوم الفزع الأكبر، لا تلقاهُ إلا حريصاً على أعماله، خائفاً من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، حيث إنَّ الشرك الأكبر يحبطُ جميع الأعمال، فتصير هباءً منثوراً، والشرك الأصغر يحبطُ العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسيير الرياء، والعُجب، والمنّ، وطلب الجاه والشرف في الدنيا، فكلما كان العبدُ موقناً بقاء ربه كان منه الحرصُ الشديد على ألا تضيعَ منه أعماله الصالحة في موقف القيامة، يومَ أن يكون في أشدِّ الأوقات حاجةً إليها؛ ولذلك فهو يجاهدُ نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله (تعالى) لعلَّ الله (عز وجل) أن ينفعه بها، كما أن اليقينَ بالرجوع إلى الله (عز وجل) يجعلُ العبد في أعماله كلها متبعاً للرسول - ﷺ - غير مبتدع ولا مبدل؛ لأنَّ الله (عز وجل) لا يقبلُ من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً، قال (تعالى): - ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) [الكهف: ١١٠].

#### ٢- الحذرُ من الدنيا والزهدُ فيها والصبرُ على شدائدِها وطمأنينةُ القلب وسلامته:

إذا أكثرَ العبدُ ذكر الآخرة، وكانت منه دائماً على بالٍ، فإنَّ الزهدَ في الدنيا والحذرَ منها ومن فتنها سيحلان في القلب، وحينئذٍ لا يكثرُ بزهرتها، ولا يحزن على فواتها، ولا يمدنَّ عينيه إلى ما متَّع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها، قال تعالى : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (١٣١) سورة طه ، وهذه الثمرةُ يتولد عنها بدورها ثمارٌ أخرى مباركةٌ طيبةٌ منها: القناعة، وسلامةُ القلب من الحرص والحسد والغل والشحناء؛ لأنَّ الذي يعيشُ بتفكيره في الآخرة وأنبيائها العظيمة لا تهمُّه الدنيا الضيقةُ المحدودة، مع ملاحظة أن إيمانَ المسلم باليوم الآخر وزهده في الدنيا لا يعني انقطاعه عنها وعدم ابتغاء الرزق في أكنافيها؛ يقول (تعالى): {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (٧٧) سورة القصص كما يتولدُ أيضاً من هذا الشعور، الراحةُ النفسية والسعادةُ القلبية، وقوةُ الاحتمال والصبرُ على الشدائد والابتلاءات، ذلك للرجاء فيما عند الله (عز وجل) من الأجر والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعةٌ ولها أجلٌ، فهو ينتظرُ الفرجَ ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلى الله (عز وجل)، قال (تعالى): {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا { (١٠٤) سورة النساء ، وما إن يفقد القلب هذه المعاني حتى يخيم عليه الهمُّ والتعاسة، ومن هنا ينشأ القلقُ والانزعاجُ والضييقُ والحزنُ، أما ذاك الذي عرف الدنيا على حقيقتها، وامتلاً قلبه بهم الآخرة وأنبائها، فإن نفسه لا تذهبُ على الدنيا حسراتٍ، ولا تنقطعُ نفسه لهثاً في طلبها، ولا يأكلُ قلبه الغلُّ والحسدُ والتنافسُ فيها، ولا يقلُّ صبره ولا يجزعُ قلبه عند المحنِ والشدائد، ومهما حُرِمَ في هذه الدنيا الفانية ، فهو يعلمُ أنَّ اللهَ (عز وجل) في ذلك الحكمةَ البالغةَ، وهو يرجو الأجرَ يوم القيامة، قال (تعالى): { وَكَلِمَاتُ اللَّهِ تَكُونُ لِنَاسٍ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتَنَّهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِيُثْبِتَنَّهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) } [الزخرف/٣٣-٣٥].

### ٣- التزوُّدُ بالأعمال الصالحة وأنواع القربات ، واجتنابُ المعاصي والمبادرةُ بالتوبة والاستغفار:

فهو راجٍ خائفٌ، والسايرُ على الطريق إذا خافَ أسرع السير مخافة الفوات. عن بُكَيْرِ بْنِ فَيْرُوزَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ خَافَ أَذْلَجَ وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » (أخرجه الترمذي) ١٠٢١.

وهو (سبحانه) كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوفَ لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوفَ النافع ما اقترنَ به العمل، قال (تعالى): ((إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)) [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيِّ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) قَالَتْ عَائِشَةُ أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ قَالَ « لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ » (أخرجه الترمذي) ١٠٢٢.

واللهُ سبحانه وصفَ أهلَ السعادة بالإحسانِ مع الخوفِ، ووصفَ الأشقياءَ بالإساءة مع الأمن ١٠٢٣. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) } [المؤمنون/٥٧-٦١]،

١٠٢١ - برقم (٢٦٣٨) وهو صحيح = أدلج : سار ليلاً

١٠٢٢ - برقم (٣٤٧٥) وهو صحيح

١٠٢٣ - الجواب الكافي، ص ٥٧، ٥٨.

وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [البقرة: ٢١٨].

#### ٤- الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله:

إنهما من أفضل القربات والأعمال الصالحة، وأثرهما عظيم في إنقاذ الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [فصلت: ٣٣]

وفي الجهاد أيضاً: حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفيه أيضاً: حقيقة الإخلاص؛ فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية.. وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)} [التوبة/١١١-١١٢].

"و في الحديث عن الجهاد في سبيل الله عز وجل، ومحاربة الفساد وتعبيد الناس لرب العالمين أكبر رد على الذين يرون أن التعلق باليوم الآخر والاستعداد له يعني اعتزال الناس، وترك الدنيا لأهلها، والاشتغال بالنفس وعبوبها، وترك الحياة يأسن فيها أهلها. قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (٣٢) سورة الأعراف

فما يستيقن أحد من لقاء الله في الآخرة؛ وهو يعي حقيقة هذا الدين، ثم يعيش في هذه الحياة سلبياً أو متخلفاً أو راضياً بالشر والفساد. إنما يزاوُل المسلم هذه الحياة الدنيا، وهو يشعر أنه أكبر منها وأعلى، ويستمتع بطيباتها أو يزهّد فيها وهو يعلم أنها حلال في الدنيا خالصة له يوم القيامة، ويكافح الشر والفساد والظلم محتملاً الأذى والتضحية حتى الشهادة، وهو إنما يقدّم لنفسه في الآخرة، إنه يعلم من دينه أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن ليس هنالك طريقاً للآخرة لا يمرّ بالدنيا، وأن الدنيا صغيرة زهيدة، ولكنها من نعمة الله التي يجتاز منها إلى نعمة الله الكبرى" ١٠٢٤

#### ٥- اجتناب الظلم بشئى صورته:

١٠٢٤ - انظر اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٦.

نظراً لكثرة الظلم والشحناء بين المسلمين في عصرنا الحاضر، وأنه لا شيء يمنع النفس من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض: كاليقين بالرجوع إلى الله عز وجل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف المظلوم من ظلمه، فإذا تذكر العبد هذا الموقف العصيب الرهيب، وأنه لا يضيع عند الله شيء، كما قال تعالى: {وَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (٤٧) سورة الأنبياء، وقوله تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا} (١١١) سورة طه، إذا تذكر هذه المواقف واتعظ بهذه الآيات، وأيقن بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق، والحذر من ظلمهم في دم أو مال أو عرض، خاصة وأن حقوق العباد مبنية على المشاحة والحرص على استيفاء الحق من الخصم، وبالذات في يوم الهول الأعظم الذي يتمنى العبد فيه أن يكون له مظلمة عند أمه وأبيه وصاحبه وبنيه، فضلاً عن غيرهم من الأبعد، ومعلوم أن التقاضي هنالك ليس بالدينار والدرهم، ولكن بالحسنات والسيئات. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَّظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (أخرجه البخاري) ١٠٢٥. وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (أخرجه مسلم) ١٠٢٦.

وقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) [الزمر/٣٠، ٣١].

## ٦- حصول الأمن والاستقرار والألفة بين الناس بالحكم بشريعة الله:

إن مجتمعاً يسود بين أهله الإيمان بالله عز وجل واليقين بالآخرة والجزاء والحساب، لا شك أنه مجتمع تسوده المحبة ويعمه السلام؛ لأن تعظيم الله سبحانه سيجعل هذه النفوس لا ترضى بغير شرع الله عز وجل بديلاً، ولا تقبل الاستسلام إلا لحكمه، وهذا بدوره سيضيفي الأمن والأمان على مثل هذه المجتمعات، لأن أهلها يخافون الله ويخافون يوم الفصل والجزاء، فلا تحاكم إلا لشرع الله، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة: فلا خيانة ولا غش ولا ظلم، ولا يعني هذا أنه لا يوجد في المجتمعات

١٠٢٥ - برقم (٢٤٤٩)

١٠٢٦ - برقم (٦٧٤٤)

المسلمة من يظلم أو يخون أو يغش، فهذا لم يسلم منه عصر النبوة ولا الخلافة الراشدة، لكن هذه المعاصي تبقى فردية، يؤدّب أفرادها بحكم الله عز وجل وحدوده، إذا لم يردعهم وازع الدين والخوف من الله، والحالات الفردية تلك ليست عامة، قال تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (٨٢) سورة الأنعام ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) } [البقرة/٢٠٨، ٢٠٩] ..

إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان . بهذا الوصف المحبب إليهم ، والذي يميزهم ويفردهم ، ويصلهم بالله الذي يدعوهم . . دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة . .

- وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله ، في ذوات أنفسهم ، وفي الصغير والكبير من أمرهم . أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور ، ومن نية أو عمل ، ومن رغبة أو رهبة ، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه .

- استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية . الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد؛ وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير ، في الدنيا والآخرة سواء .

- وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا؛ ليخلصوا ويتجردوا؛ وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريد الله بهم ، وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم ، في غير ما تلجج ولا تردد ولا تلفت .

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام . عالم كله ثقة واطمئنان ، وكله رضى واستقرار . لا حيرة ولا قلق ، ولا شرود ولا ضلال . سلام مع النفس والضمير . سلام مع العقل والمنطق . سلام مع الناس والأحياء . سلام مع الوجود كله ومع كل موجود . سلام يرف في حنايا السريرة . و سلام يظلل الحياة والمجتمع . سلام في الأرض وسلام في السماء .

وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصويره لله ربه ، ونصاعة هذا التصور وبساطته . .

- إنه إله واحد . يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه؛ فلا تتفرق به السبل ، ولا تتعدد به القبل؛ ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك - كما كان في الوثنية والجاهلية - إنما هو إله واحد يتجه إليه في ثقة وفي طمأنينة وفي نصاعة وفي وضوح .

- وهو إله قوي قادر عزيز قاهر . . فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقنة الوحيدة في هذا الوجود . وقد أمن كل قوة زائفة واطمأن واستراح . ولم يعد يخاف أحداً أو يخاف شيئاً ، وهو يعبد الله القوي القادر العزيز القاهر . ولم يعد يخشى فوت شيء . ولا يطمع في غير من يقدر على الحرمان والعطاء .

- وهو إله عادل حكيم ، فقوته وقدرته ضمان من الظلم ، وضمان من الهوى ، وضمان من البخس .  
وليس كآلهة الوثنية والجاهلية ذوات التروات والشهوات . ومن ثم يأوي المسلم من إلهه إلى ركن شديد ، ينال فيه العدل والرعاية والأمان .

-وهو رب رحيم ودود . منعم وهاب . غافر الذنب وقابل التوب . يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . فالمسلم في كنفه آمن أنس ، سالم غانم ، مرحوم إذا ضعف ، مغفور له متى تاب ، وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام؛ فيجد في كل صفة ما يؤنس قلبه ، وما يطمئن روحه ، وما يضمن معه الحماية والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة والاستقرار والسلام

- كذلك يفيض السلام على قلب المسلم من صحة تصور العلاقة بين العبد والرب ، وبين الخالق والكون . وبين الكون والإنسان . . فالله خلق هذا الكون بالحق؛ وخلق كل شيء فيه بقدر وحكمة . وهذا الإنسان مخلوق قصداً ، وغير متروك سدى ، ومهيأ له كل الظروف الكونية المناسبة لوجوده ، ومستخر له ما في الأرض جميعاً . وهو كريم على الله ، وهو خليفته في أرضه . والله معينه على هذه الخلافة . والكون من حوله صديقٌ مأنوس ، تتجاوب روحه مع روحه ، حين يتجه كلاهما إلى الله ربه . وهو مدعو إلى هذا المهرجان الإلهي المقام في السماوات والأرض لیتملاه ويأنس به . وهو مدعو للتعاطف مع كل شيء ومع كل حي في هذا الوجود الكبير ، الذي يعج بالأصدقاء المدعوين مثله إلى ذلك المهرجان! والذي يؤلفون كلهم هذا المهرجان!

- والعقيدة التي تقف صاحبها أمام النبتة الصغيرة ، وهي توحى إليه أن له أجراً حين يرويها من عطش ، وحين يعينها على النماء ، وحين يزيل من طريقها العقبات . . هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة . عقيدة تسكب في روحه السلام؛ وتطلقه يعانق الوجود كله ويعانق كل موجود؛ ويشيع من حوله الأمن والرفق ، والحب والسلام .

- والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه؛ ونفي القلق والسخط والقنوط . .

إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض؛ والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة . .  
إن الحساب الختامي هناك؛ والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب . فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه . ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس ، فسوف يوفاه بميزان الله . ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد ، فالعدل لا بد واقع . وما الله يريد ظلماً للعباد .

-والاعتقاد بالآخرة حاجزٌ كذلك دون الصراع المخنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات . بلا تخرج ولا حياء فهناك الآخرة فيها عطاء ، وفيها غناء ، وفيها عوض عما يفوت . وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة؛ وأن يخلع التجميل على حركات

المتسابقين؛ وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود!

ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله . . من شأنها - ولا شك - أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضيء . ترفع شعوره وضميره ، وترفع نشاطه وعمله ، وتنظف وسائله وأدواته . فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله؛ وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه؛ وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج الله فيها . فأولى به ألا يغدر ولا يفجر؛ وأولى به ألا يغش ولا يخدع؛ وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر؛ وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة .

وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل ، وألا يعتسف الطريق ، وألا يركب الصعب من الأمور . فهو بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود الطاقة . .

ومن شأن هذا كله ألا تثور في نفسه المخاوف والمطامع ، وألا يستبد به القلق في أية مرحلة من مراحل الطريق . فهو يعبد في كل خطوة؛ وهو يحقق غاية وجوده في كل خطوة ، وهو يرتقي صعوداً إلى الله في كل نشاط وفي كل مجال .

وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر الله ، في طاعة الله ، لتحقيق إرادة الله . . وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار؛ والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقوبات والمشاق؛ وبلا قنوط من عون الله ومدده؛ وبلا خوف من ضلال القصد أو ضياع الجزاء . . ومن ثم يحس بالسلام في روحه حتى وهو يقاتل أعداء الله وأعداءه . فهو إنما يقاتل الله ، وفي سبيل الله ، وإعلاء كلمة الله؛ ولا يقاتل لجاه أو مغنم أو نزوة أو عرض ما من أعراض هذه الحياة .

كذلك شعوره بأنه يمضي على سنة الله مع هذا الكون كله . قانونه قانونه ، ووجهته وجهته . فلا صدام ولا خصام ، ولا تبديد للجهد ولا بعثرة للطاقة . وقوى الكون كله تتجمع إلى قوته ، وتهتدي بالنور الذي يهتدي به ، وتتجه إلى الله وهو معها يتجه إلى الله

- والتكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة . لا تتجاوز الطاقة؛ ولا تتجاهل طبيعة الإنسان وتركيبه؛ ولا تهمل طاقة واحدة من طاقاته لا تطلقها للعمل والبناء والنماء؛ ولا تنسى حاجة واحدة من حاجات تكوينه الجسماني والروحي لا تلبيها في سر وفي سماعة وفي رخاء . . ومن ثم لا يحار ولا يقلق في مواجهة تكاليفه . يحمل منها ما يطيق حمله ، ويمضي في الطريق إلى الله في طمأنينة وروح وسلام

- والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني ، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة ، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال . . كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام .

هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق . هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره . ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب ، تختلف درجة صفائه ، ولكنه

يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر ، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية!

- هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة - آصرة العقيدة - حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان ، واللغات والألوان ، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان . هذا المجتمع الذي يسمع الله يقول له : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (١٠) سورة الحجرات ، والذي يرى صورته في قول النبي الكريم ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » أخرجه مسلم برقم (٦٧٥١).

هذا المجتمع الذي من آدابه قوله تعالى : { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً } (٨٦) [النساء/٨٦] وقوله تعالى : { وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (١٨) سورة لقمان ، { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (٣٤) سورة فصلت ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) [الحجرات/١١-١٢] }

هذا المجتمع الذي من ضماناته : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } (٦) سورة الحجرات ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا } وقول الرسول ﷺ - « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ » أخرجه مسلم برقم (٦٧٠٦) ..

- ثم هذا المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة؛ ولا يتجح فيه الإغراء ، ولا تروج فيه الفتنة ، ولا ينتشر فيه التبرج ، ولا تتلفت فيه الأعين على العورات ، ولا ترف في الشهوات على الحرمات ، ولا ينطلق فيه سعار الجنس وعرامة اللحم والدم كما تنطلق في المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً . .

- هذا المجتمع الذي تحكمه التوجيهات الربانية الكثيرة ، والذي يسمع الله - سبحانه - يقول : {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (١٩) سورة النور ، {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٢) سورة النور ، {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (٤) سورة النور ، {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْمَانِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَيْمَانِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) [النور/٣٠، ٣١]

والذي يخاطب فيه نساء النبي ﷺ - أظهر نساء الأرض في أظهر بيت في أظهر بيئة في أظهر زمان : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (٣٣) [الأحزاب/٣٢، ٣٣]

- وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها ، ويأمن الزوج على زوجته ، ويأمن الأولياء على حرماهم وأعراضهم ، ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم . حيث لا تقع العيون على المفاتن ، ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم . فإما الخيانة المتبادلة حينذاك وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب . .

بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن ، ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان!  
- وأخيراً إنه ذلك المجتمع الذي يكفل لكل قادر عملاً ورزقاً ولكل عاجز ضماناً للعيش الكريم ، ولكل راغب في العفة والحصانة زوجة صالحة ، والذي يعتبر أهل كل حي مسؤولين مسؤولية جنائية لو مات فيهم جائع؛ حتى ليرى بعض فقهاء الإسلام تغريمهم بالدية.

- والمجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماهم وأموالهم بحكم التشريع ، بعد كفالتها بالتوجيه الرباني المطاع . فلا يؤخذ واحد فيه بالظنة ، ولا يتسور على أحد بيته ، ولا يتجسس على أحد فيه متجسس ، ولا يذهب فيه دم هدرًا والقصاص حاضر؛ ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أو نهباً والحدود حاضرة .

- المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون . كما يقوم على المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة الله لا بإرادة حاكم ، و لا هوى حاشية ولا قرابة كبير .

وفي النهاية المجتمع الوحيد بين سائر المجتمعات البشرية ، الذي لا يخضع البشر فيه للبشر . إنما يخضعون حاكمين ومحكومين لله ولشريعته؛ وينفذون حاكمين ومحكومين حكم الله وشريعته . فيقف الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ، في طمأنينة وفي ثقة وفي يقين . .

- هذه كلها بعض معاني السلم الذي تشير إليه الآية وتدعو الذين آمنوا للدخول فيه كافة . ليسلموا أنفسهم كلها لله؛ فلا يعود لهم منها شيء ، ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ؛ إنما تعود كلها لله في طوعية وفي انقياد وفي تسليم . .

-ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان ، في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام ، أو التي عرفتته ثم تنكرت له ، وارتدت إلى الجاهلية ، تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان . . هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري ، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلفة الموازين .

وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو « السويد » حيث ينحصر الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام . وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقداً والعلاج المجاني في المستشفيات . وحيث التعليم في جميع مراحلها بالجان ، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين وحيث تقدم الدولة حوالى ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت . . وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب . . ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان بالله؟

إنه شعب مهدد بالانقراض ، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق التزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات؛ ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة . والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب . . ثم الانتحار . . والحال كهذا في أمريكا . . والحال أشنع من هذا في روسيا . .

إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة . فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة ، ولينعموا فيه بالأمن والظل والراحة والقرار : {يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ { (٢٠٨) سورة البقرة. ١٠٢٧

أما عندما يقلُّ الوازعُ الدينيُّ والخوفُ من الآخرة، ويكونُ التحاكمُ إلى أهواءِ البشرِ وحكمهم فهذا هو البلاءُ العظيمُ والفسادُ الكبيرُ: حيثُ تداسُ القيمُ والحرماتُ، ويأكلُ القويُّ الضعيفَ، وبالتالي: لا يأمنُ الناسُ على أديانهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم، وكفى بذلك سبباً في عدمِ الأمنِ والاستقرارِ، وانتشارِ الخوفِ، واختلالِ حياةِ الناسِ.

#### ٧- تقصير الأمل وحفظ الوقت:

إنَّ من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد: طولُ الأمل، والأمانُ الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلةٍ شديدة عن الآخرة، واغترارٍ بزينة الحياة الدنيا، وتضييعِ ساعات العمر النفيسة في اللهوِّ وراءها حتى يأتي الأجلُ الذي يقطع هذه الآمال، وتذهبُ النفس حسراتٍ على ما فرطت في عمرها، وأضاعَتْ من أوقاتها. ولكنَّ اليقين بالرجوع إلى الله عز وجل، والتذكر الدائم لقصر الحياة الدنيا وأبدية الآخرة وبقائها، هو العلاجُ الناجعُ لطول الأملِ وضياحِ الأوقات. وَ قَالَ عَلِيٌّ: إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ، عَنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً، وَإِنَّ الْآخِرَةَ مُقْبِلَةٌ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ، وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ، وَلَا عَمَلَ. "أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠٢٨

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الْأَمَلِ » (أخرجه البخاري) ١٠٢٩ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" (أخرجه الحاكم) ١٠٣٠ .

#### ٨- سلامة التفكير وانضباط الموازين وسمو الأخلاق:

لا يستوي من يؤمن بالله واليوم الآخر ويوقنُ بيوم الحساب والجزاء ولا يغفل عنه، ومَن لا يؤمنُ بالآخرة، أو يؤمن بها ولكنَّه في لهوٍ وغفلةٍ عنها، لا يستويان أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، أما

١٠٢٧ - في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ١٨٣-١٨٦)

١٠٢٨ - برقم (٣٤٤٨٩) وفيه راو مبهم

١٠٢٩ - برقم (٦٤٢٠)

١٠٣٠ - برقم (٧٨٤٦) وهو صحيح

في الآخرة فيوضحه قوله تعالى : { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ } (٢٠) سورة الحشر .

وأما في الحياة الدنيا فلا يلتقي أبداً من يعلم أن له غاية عظيمة في هذا الحياة، وأن مرده إلى الله عز وجل في يوم الجزاء والحساب والنشور، مع من لا يعلم من هذه الحياة الدنيا إلا ظاهرها، وأنها كل شيء عنده، وهو عن الآخرة من الغافلين. قال تعالى : { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (١٩) سورة الرعد ، وقال تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبِرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) [آل عمران/١٩٠-١٩٤] .

إنهما لا يلتقيان في التفكير، ولا في الميزان الذي توزن به الأشياء والأحداث، ولا في الأحكام، وبالتالي: فبقدر ما تسمو أخلاق الأول وتعلو همته لسمو منهجه وميزانه بقدر ما تسفل وترذل أخلاق الآخر لسفالة تصوره وفساد ميزانه. قال تعالى في وصف أهل الدنيا: { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } (٧) سورة الروم.

#### ٩- الفوز برضا الله سبحانه وجنته، والنجاة من سخطه والنار:

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، قال تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) [آل عمران: ١٨٥].

إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس : حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة ، محدودة بأجل؛ ثم تأتي نهايتها حتماً . . يموت الصالحون يموت الطالحون . يموت المجاهدون ويموت القاعدون . يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستدلون للعبيد . يموت الشجعان الذين يأبون الضيم ، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن . . يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية ، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص . الكل يموت . . { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } . . كل نفس تذوق هذه الجرعة ، وتفارق هذه الحياة . . لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع . إنما الفارق في شيء آخر ؛ الفارق في قيمة أخرى . الفارق في المصير الأخير : { وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ } . .

هذه هي القيمة التي يكون فيها الافتراق . وهذا هو المصير الذي يفترق فيه فلان عن فلان . القيمة الباقية التي تستحق السعي والكد . والمصير المخوف الذي يستحق أن يحسب له ألف حساب : { فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ } . . . ولفظ { زحرح } بذاته يصور معناه بجرسه ، ويرسم هيئته ، ويلقي ظله ! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها ، ويدخل في مجالها ! فهو في حاجة إلى من يزحرحه قليلاً قليلاً ليخلصه من جاذبيتها المنهومة ! فمن أمكن أن يزحرح عن مجالها ، ويستنقذ من جاذبيتها ، ويدخل الجنة . . فقد فاز . . ١٠٣١

١٠ - تقوية الدافع الداخلي للعمل الصالح ، واستشعار قيمة الحياة ، وأنها ابتلاء للآخرة ومزرعة لها .

#### ١١ - تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا

حتى يعلم أن ثوابه الأعظم إنما هو في الآخرة ، وأن كل ما يصيبه من بلاء في الدنيا فيصبر عليه فإنه يضاعف حسناته في الآخرة. فعن عائشة - رضى الله عنها - زوج النبي - ﷺ - قالت قال رسول الله - ﷺ - « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا » (أخرجه البخاري) ١٠٣٢ . وعن عطاء بن أبي رباح قال قال لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى . قال هذه المرأة السوداء أتت النبي - ﷺ - فقالت إني أصرع ، وإني أتكشفت فادع الله لي . قال « إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكَ » . فقالت أصربر . فقالت إني أتكشفت فادع الله أن لا أتكشفت ، فدعا لها " (أخرجه البخاري) ١٠٣٣ . وقال تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَنَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) [آل عمران/١٤٦-١٤٨] } . وعن عثمان بن عفان ، قال : « لقيت رسول الله ﷺ بالبطحاء ، فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، فمر بعمار ، وأبي عمار ، وأم عمار ، وهم يعذبون فقال : « صبرا آل ياسر ، فإن مصريركم إلى الجنة » ( أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ) ١٠٣٤ .

#### ١٢ - ازدياد الخوف والخشية من الله تعالى

١٠٣١ - في ظلال القرآن - ( ج ٢ / ص ٢٢ )

١٠٣٢ - برقم ( ٥٦٤٠ )

١٠٣٣ - برقم ( ٥٦٥٢ )

١٠٣٤ - برقم ( ٦٠٥٦ ) وهو حديث حسن

والرجاء في ثوابه الذي أعده لعباده المتقين ، وذلك بالعمل بمقتضى أوامره واجتناب نواهيه والالتزام بشرعه.. عن بُكَيْرِ بْنِ فَيْرُوزٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ خَافَ أَذْلَجَ وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » (أخرجه الترمذي) ١٠٣٥ . و عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ خَافَ أَذْلَجَ ، وَمَنْ أَذْلَجَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ " (أخرجه الحاكم في المستدرک) ١٠٣٦ .

### ١٣ - الإيمان بالآخرة صمام الأمان لهذا الإنسان في هذه الدار

، فهو الذي يمنعه من الفساد والإلحاد، ومن لم يؤمن بالآخرة لا يرتدع عن قبيح ولا منكر، قال تعالى : { وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّرَاطِ لَنَا كَبُونَ } (٧٤) سورة المؤمنون .

١٤ - الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته، خوفاً من عقاب ذلك اليوم. قال تعالى : { ... إِنْهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (٩٠) سورة الأنبياء .

### ١٥ - اليقين بالآخرة يؤدي للهداية والفلاح :

قال تعالى : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) [البقرة/٢-٥] } .

فاليقين بالآخرة هو مفرق الطريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة ، ومن يعيش في الوجود المديد الرحيب. بين من يشعر أن حياته على الأرض هي كل ما له في هذا الوجود ، ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء ، وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك ، وراء هذا الحيز الصغير المحدود ١٠٣٧ .

واليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب البشري ، وتطهيره إلى ما عند الله ، واستعلائه على أوهام الأرض ١٠٣٨ ، وترفعه على متاع الحياة الدنيا؛ ومراقبة الله في السر والعلن وفي الدقيق والجليل؛

١٠٣٥ - برقم (٢٦٣٨) وصحيح الجامع (٦٢٢٢) وهو صحيح = أدلج : سار ليلا

١٠٣٦ - برقم (٧٨٥٢) وهو صحيح = الدجة : السير في أول الليل والمراد التشمير والجد في الطاعة = الراجفة : النفخة الأولى في

الصور ، والتي تميت الخلائق = الرادفة : النفخة الثانية في الصور يوم القيامة

١٠٣٧ - في ظلال القرآن - ( ج ١ / ص ١٢ )

١٠٣٨ - الأوهاق جمع وهق : وهو الحبل المغار يُرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان - تاج العروس - ( ج ١ / ص ٦٦٢١ )

والوصول إلى درجة الإحسان التي سئل عنها رسول الله ﷺ فقال : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ١٠٣٩ .

وهؤلاء المحسنون هم الذين يكون الكتاب لهم هدىً ورحمةً؛ لأنهم بما في قلوبهم من تفتحٍ وشفافيةٍ يجدون في صحبة هذا الكتاب راحةً وطمأنينةً؛ ويتصلون بما في طبيعته من هدى ونور ، ويدركون مراميهِ وأهدافهِ الحكيمة ، وتصطلح نفوسهم عليه ، وتحسُّ بالتوافق والتناسق ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق .

وإنَّ هذا القرآن ليعطي كلَّ قلبٍ بمقدار ما في هذا القلب من حساسيةٍ وتفتحٍ وإشراقٍ؛ وبقدر ما يقبلُ عليه في حبٍّ وتطلعٍ وإعزازٍ . إنه كائنٌ حيٌّ يعاطفُ القلوبَ الصديقةَ ، ويجاوبُ المشاعرَ المتوجهةَ إليه بالرفقةِ والحنين!

{ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٥) سورة البقرة. ومن هُدي فقد أفلح ، فهو سائرٌ على النور ، واصلٌ إلى الغاية ، ناجٍ من الضلال في الدنيا ، ومن عواقب الضلال في الآخرة؛ وهو مطمئنٌ في رحلته على هذا الكوكب تتناسق خطاهُ مع دورة الأفلاك ونواميس الوجود؛ فيحسُّ بالأنس والراحة والتجاوب مع كلِّ كائنٍ في الوجود ١٠٤٠ .

#### ١٦- الذين آمنوا بالله واليوم الآخر لَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) } [البقرة/٦٢] ، وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) } [المائدة/٦٩]

فهؤلاء لا يخافون على مستقبلهم ، فقد ضمنه لهم من خلقهم ، ولا يحزنون على نعمة أو لعاعة تفوتهم في هذه الدار ، رجاء ما عند الله تعالى من ثوابٍ عظيمٍ ادخره لهم . قال تعالى : { وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } (١٣١) سورة طه

١٧- الإيمان بالله واليوم الآخر ، مع الأخذ بلوازمهما يجعل البلاد آمنةً من غضبِ الله ومقتله ، ويرزقها من الطيبات :

١٠٣٩ - أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)

١٠٤٠ - في ظلال القرآن - (ج ٦ / ص ٣)

قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) } [البقرة/١٢٦]

ومفهوم الآية المخالف ، أن من لم يكن كذلك ، سيعيش في قلق وخوف ورعب ، وسيحرمه الله تعالى خيرات كثيرة ، بسبب عدم إيمانه بالله واليوم الآخر مع العذاب الشديد ، والمصير المحتوم الذي ينتظره يوم القيامة ، كما قال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) [النبا/٢٧-٣٠] } .

#### ١٨- الإيمان بالله واليوم الآخر هو منبع كل خير ، وسبب كل بر :

قال تعالى : { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) [البقرة/١٧٧] } .

قال الإمام الرازي رحمه الله : " إن الإنسان لا يمكنه أن ينفق محبوبه إلا إذا توسلَ بإنفاق ذلك المحبوب إلى وجدان محبوب أشرف من الأول ، فعلى هذا الإنسان لا يمكنه أن ينفق الدنيا في الدنيا إلا إذا تيقن سعادة الآخرة ، ولا يمكنه أن يعترف بسعادة الآخرة إلا إذا أقر بوجود الصانع العالم القادر ، وأقر بأنه يجب عليه الانقياد لتكليفه وأوامره ونواهيهِ ، فإذا تأملت علمت أن الإنسان لا يمكنه إنفاق الدنيا في الدنيا إلا إذا كان مستجمعاً لجميع الخصال الحمودة في الدنيا " ١٠٤١ .

#### ١٩- الإيمان بالله واليوم الآخر ، هو الذي يجعل الإنسان يحافظ على الأمانة :

قال تعالى : { وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٢٢٨) سورة البقرة ، فالمطلقة لا تكتم ما في رحمها خوفاً من الله تعالى ، وخوفاً من لقائه

#### ٢٠- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل الإنسان ينتصر على نفسه وهواه :

قال تعالى : { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمُ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (٢٣٢) سورة البقرة . عَنِ الْحَسَنِ ( فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ) قَالَ حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ قَالَ زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا ، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا ، فَقُلْتُ

١٠٤١ - تفسير الرازي - ( ج ٤ / ص ٢٩٦ )

لَهُ زَوْجَتِكَ وَفَرَشَتِكَ وَأَكْرَمَتِكَ ، فَطَلَّقَتْهَا ، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا ، لَا وَاللَّهِ لَا تُعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا ، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ( فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ) فَقُلْتُ الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ . (أخرجه البخاري) ١٠٤٢ . و في رواية عَنِ الْحَسَنِ حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ كَانَتْ لِي أُخْتُ تُخْطَبُ إِلَيَّ فَأَتَانِي ابْنُ عَمٍّ لِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا لَهُ رَجْعَةٌ ثُمَّ تَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَلَمَّا خُطِبْتُ إِلَيَّ أَتَانِي يَخْطُبُهَا فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَا أَنْكِحُهَا أَبَدًا . قَالَ فَجِئْتُ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) الْآيَةَ . قَالَ فَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ. (أخرجه أبو داود) ١٠٤٣ .

## ٢٢- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ الْمَرْءَ مِنَ الرِّيَاءِ :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) } [البقرة/٢٦٤] ، وقال تعالى : { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) } [النساء/٣٨، ٣٩] .

## ٢٣- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَرُدُّ كُلَّ مَا تَنَازَعْنَا فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) } [النساء/٥٩]

فمن لم يردَّ المتنازع فيه إلى الله تعالى ( كتابه ) وإلى رسوله ﷺ ( سنته ) فليس مؤمنا بالله واليوم الآخر على الحقيقة ، وإن ادعى ما ادعى !!

## ٢٤- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْمَرْءَ رَاسِخًا فِي الْعِلْمِ :

قال تعالى : { لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) } [النساء/١٦٢]

## ٢٥- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْمَرْءَ يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَيَحَافِظُ عَلَيْهَا :

١٠٤٢ - برقم (٥١٣٠)

١٠٤٣ - برقم (٢٠٨٩) وهو صحيح

قال تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) [التوبة/١٨] } .

## ٢٦- الإيمان بالله و باليوم الآخر هو الذي يثبت المؤمنين في القتال ، فلا يفرون ، ولا يستأذنون :

قال تعالى : { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) } إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) } [التوبة/٤٤ ، ٤٥] . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) نَسَخْتَهَا الَّتِي فِي الثَّوْرِ ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) أخرجه البيهقي في السنن<sup>١٠٤٤</sup> .

فالذين يؤمنون بالله ، ويعتقدون بيوم الجزاء ، لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد؛ ولا يتلكنون في تلبية داعي النفرة في سبيل الله بالأموال والأرواح؛ بل يسارعون إليها خفافاً وثقلاً كما أمرهم الله ، طاعةً لأمره ، و يقيناً بلقائه ، وثقةً بجزائه ، وابتغاءً لرضاه . وإنهم ليتطوعون تطوعاً فلا يحتاجون إلى من يستحثهم ، فضلاً عن الإذن لهم . إنما يستأذن أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلكنون ويتلمسون المعاذير ، لعل عائقاً من العوائق يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف العقيدة التي يتظاهرون بها ، وهم يرتابون فيها ويترددون .

إن الطريق إلى الله واضحة مستقيمة ، فما يتردد ويتلکأ إلا الذي لا يعرف الطريق ، أو الذي يعرفها ويتكبرها اتقاءً لمتاعب الطريق!<sup>١٠٤٥</sup>

## ٢٧- الإيمان بالله و باليوم الآخر هو الذي يجعل المرء ينتفع بالموعظة :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) } فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

<sup>١٠٤٤</sup> - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٩ / ص ١٧٣) برقم (١٩٠٥٣) وهو صحيح

<sup>١٠٤٥</sup> - في ظلال القرآن - ( ج ٤ / ص ٣٥ )

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) [الطلاق/١-٤] {

٢٨- الإيمان بالله و باليوم الآخر هو الذي يجعل المرء لا تأخذه رافقة في دين الله :

قال تعالى : { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) [النور/٢] {

٢٩- الإيمان بالله و باليوم الآخر هو الذي يجعل المرء يؤاذه من حاد الله ورسوله :

قال تعالى : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) [المجادلة/٢٢] { .

٣٠- الإيمان بالله و باليوم الآخر هو الذي يجعل المرء يعترف بجريمته ، ويطلب تطهيره منها :

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ « وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ ». قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ ». قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « فِيمَ أَطَهَّرُكَ ». فَقَالَ مِنَ الزَّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَبِ جُنُونٍ ». فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ « أَشْرَبَ خَمْرًا ». فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَّهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمَرٍ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَزْنَيْتَ ». فَقَالَ نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلُ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ وَقَائِلُ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلُ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ - قَالَ - فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ « اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ ». قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ. - قَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْ سِعَتْهُمْ ». قَالَ ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ « وَيْحَكَ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ». فَقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَنِي مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ. قَالَ « وَمَا ذَاكَ ». قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزَّنَا. فَقَالَ « أَنْتِ ». قَالَتْ نَعَمْ. فَقَالَ لَهَا « حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكَ ». قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَاتَى النَّبِيُّ ﷺ - فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ الْغَامِدِيَّةُ. فَقَالَ

« إِذَا لَا تَرْجُمَهَا وَنَدَعَ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ ». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَى رِضَاعِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. قَالَ فَرَجَمَهَا. (أخرجه مسلم) ١٠٤٦ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ - قَالَ - فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ - شَيْئًا فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ فَاتَّبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ - رَجُلًا دَعَاهُ وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ قَالَ « بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةٌ » (أخرجه مسلم) ١٠٤٧ .



---

١٠٤٦ - برقم ( ٤٥٢٧ )

١٠٤٧ - برقم ( ٧١٨٠ ) وهناك أحاديث عديدة في هذا الباب -عالمج : داعب

## الباب السابع

### أهمُّ خصائص العقيدة الإسلامية

١- إنَّ أولى خصائص هذه العقيدة أنها ربانيةٌ من عند الله  
وأما لم تتغيَّر ولم تتبدَّل، وهذا يطمئنُّ النفس أنها خيرٌ لأنفسنا، وأنَّ السعادةَ تكمنُ في تنفيذها، وأنَّ  
الشقاءَ يترتبُ على تركها:

أ. فالخيرُ والبركةُ والسعادةُ ووفرةُ الإنتاجِ كُلُّها من بركاتِ تطبيقِ الشريعةِ المبنية على هذه العقيدة: قال  
تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا  
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } . (الأعراف: ٩٦). وقال تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا  
يَعْمَلُونَ } . (المائدة: ٦٦)

ب. وما دامت ربانيةٌ من الله عز وجل فإنها مبرأةٌ من النقص، سالمةٌ من العيب، بعيدةٌ عن الحيف  
والظلم، لأنَّ الله له المثل الأعلى في السماوات والأرضِ ، قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ  
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٩٠) سورة النحل  
. وقال تعالى : { ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .. }  
(٣) سورة المائدة

ج. - ومادامت ربانيةٌ فهي التي تشبعُ جوعَ الفطرةِ للعبادةِ لا يسدُّها إلا منهاجُ الله، ولا تملأها النظمُ  
الفلسفيةُ، ولا السلطانُ السياسيُّ، ولا الثراءُ الماديُّ. قال تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ  
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة  
الروم

وهذه الجوعُ الفطريةُ للجوعِ إلى قوةٍ عليا تبرزُ باديةً للعيان أمام الأعاصيرِ والكوارثِ والحننِ، فهذا ( ستالين )  
الذي كان يقولُ: ( لا إلهَ والحياةُ مادةٌ، والدينُ علقَةٌ تمتصُّ دماءَ الشعوبِ ) يضعفُ أمامَ هولِ  
الحربِ العالميةِ الثانيةِ، فإذا به يُخرجُ القساوسةَ من السجنِ حتى يدعونَ له بالنصرِ، ومرةً ثانيةً أمامَ شدةِ  
المرضِ يرسلُ وراءَ القسيسِ حتى يصليَ له ويستغفرَ.

د. ومادامت ربانيةٌ فالناسُ أمامها سواءٌ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوى، فاللهُ خالقُ الناسِ  
أجمعينَ فكلُّهم عبيدُه، وهو لا يفضلُ لوناً على لونٍ، الأبيضَ على الأسود - كما هو الحالُ في القانونِ  
الأمريكي - عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالْتَّقْوَى أَبْلَغْتُ » (أخرجه أحمد) ١٠٤٨.

ولا يفضل الرجال على النساء من باب قوله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (النحل: ٩٧)، وليس من باب قوله تعالى: { الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. } (٣٤) سورة النساء، فتأمل الفرق.. ولا يحاييهم سبحانه -لأن الرجل والمرأة كلهم خلقه- ولا يفضل طبقة على طبقة كالأشراف على العبيد، ولا يفضل جنساً على جنس، كتفضيل العرق الآري والجنس الأبيض على غيره (وألمانيا فوق الجميع)، ولذا فهي العقيدة الوحيدة التي تنصف الناس وتعادل بينهم، والناس يقفون فيها على قدم المساواة حاكمهم ومحكومهم سواء. قال تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } . (الأنعام: ١١٥)

## ٢- ومن خصائص هذه العقيدة أنها ثابتة:

قال تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (١٨) سورة الجاثية .

وثبتت العقيدة ناتجة عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوَا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضُ " (أخرجه الحاكم في المستدرک) ١٠٤٩.

والإنسان يتحرك ويتطور وينمو، ولكن داخل إطار العقيدة الثابت الذي يتسع لحركة الإنسان ونموه، وإذا خرج الإنسان من الإطار الثابت فإنه يسبح كالنجم الذي يفلت من مداره، ويسير إلى نهايته التي تؤدي إلى اصطدامه بكوكب آخر، فيتحطم ويحطم معه غيره.

ولا بد من شيء ثابت يرجع الناس إليه، حتى يطمئنوا ويستريحوا، ويكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها، أما الذين يقولون بأن كل شيء متطور في الحياة حتى السدين والأحلاق والنظم، فهذا يؤدي إلى فوضى كبيرة، فلا نعرف الحكم على أي شيء، ولأضرب مثلاً: الزنا مثلاً ثابتة حرمتها وبشاعته في الرسالات التي نزلت من عند الله، فلا يختلف في هذه القضية اثنان. فإذا كان المقياس الذي حكمنا به على الزنا أنه قبيح ثابت، فإن الزنا يبقى بشعاً، ويستقر في ذهن الأجيال أن هذا الحكم ثابت لا يتغير، فتتربى قلوبهم على كراهية الزنا واحتقاره.

١٠٤٨ - برقم (٢٤٢٠٤) وهو صحيح

١٠٤٩ - برقم (٣١٩) وهو صحيح

أما إذا كان القانون والدِّينُ غيرَ ثابتين، وكانا متطورين، فإنه يعني أنَّ الزنا كانَ بشعاً في فترةٍ من الفترات، ولكنَّ الزنا الآنَ في عرفِ الذين يقولونَ بتطورِ الأخلاقِ - مثلُ ( فرويد ) - ضرورةٌ بيولوجيةٌ لا بدَّ منها.

وكذلك سترُ العوراتِ وتغطيةُ اللحمِ باللباسِ - خاصةً من قبلِ النساءِ - كانَ أمراً طبيعياً وثابتاً في الأخلاقِ والأديانِ، وبقِيَ ثابتاً إلى يومِ الدينِ، أمَّا في الأخلاقِ المتطورةِ فلقد كانَ سترُ العورةِ مستحسنًا في عصرٍ من العصورِ، ثم جاءَ القرنُ العشرينُ ورأى أنَّ سترَ العورةِ شيءٌ مستقبِحٌ، وأصبحَ أصحابُه ينادونَ بكشفِ العورةِ في أجهزةِ إعلامهم وأبواقهم التي تفوحُ منها رائحةُ الحبثِ والكيدِ والعدوِّ بهذا الكائنِ الإنسانيِّ الذي يريدونَ تحطيْمَه.

وثباتُ العقيدةِ يضعُ ميزاناً ثابتاً يقيسُ الناسُ، فالميزانُ واحدٌ، الكيلو في هذا الميزانِ تساوي (١٠٠٠) غم، فإذا جئنا وزنُ شخصاً فإننا نضعُه في هذا الميزانِ الواحدِ ، ونضعُ مقابلهُ كيلواتٍ حتى نعرفَ وزنه، وهنا يكونُ الحكمُ صحيحاً على وزنِ جميعِ الناسِ، لأنَّ الوزنَ واحدٌ والعيارَ واحدٌ، فإذا جاءَ قومٌ وغيرُوا الميزانَ، وقالوا عن الكيلو إنها قنطارٌ، فإنَّ الشخصَ الذي يزنُ سبعينَ كيلو غراماً في الميزانِ الأولِ هو نفسه يزنُ سبعينَ قنطاراً في الميزانِ الثاني، والشخصُ هو الشخصُ.

وعندما يختلفُ الميزانُ لا يمكنُ أن يكونَ الحكمُ صحيحاً ، ولذا فإنَّ الرجلَ عندَ الناسِ يكونُ مبالغاً مطاعاً محترماً لأنه ثَقِيلٌ في ميزانهم، ولكنَّ عندما نضعُه في ميزانِ اللهِ الثابتِ فإنه قد لا يزنُ شيئاً ، فمثلاً الوليدُ بنُ المغيرةِ كانتَ قريشٌ تعتبرُه زعيماً وتقول: { لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيتَيْنِ عَظِيمٍ } . (الزخرف: ٣١)

ولكنَّ اللهَ تعالى يقولُ عنه وعن أمثاله: وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُنُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) [القلم/١٠-١٥] ، ويقول: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } . (الأنفال: ٥٥).

فقريشٌ لا تقطعُ أمراً إلا بعدَ استشارتِه واستنصاحه، واللهُ يسميه دابةً، والمؤمنونَ يعتبرونه دابةً، بل أقلُّ منَ الدابةِ: قال تعالى عنه وعن أمثاله: { أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ } . (الأعراف: ١٧٩)، وقال تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } (٢٢) سورة الأنفال .

وثباتُ العقيدةِ يجعلُها أصلاً يرجعُ الناسُ إليه حاكمُهم ومحكومُهم على السواء، والناسُ يستريحونَ ويسعدونَ، لأنَّ الحاكمَ لا يستطيعُ أن يظلمَ الناسَ، ويقولُ قبل أن يظلمَهم: غيرتُ القانونَ، ولا يستطيعُ المحكومونَ أن يقولوا للحاكم: نحن لا نعرفُ القانونَ لأنه جديدٌ.

ولكنه إذا كانَ ثابتاً، فإنَّ الناسَ يتربونَ منذُ نعومةِ أظفارهم على معرفته، ويكونُ النظامُ حيّاً في نفوسهم، ويعيشُ في حُسْنِهِمْ. فلا يستطيعُ الحاكمُ في الدِّينِ الربانيُّ أن يدعي أنَّ الظروفَ طارئةٌ، ولا أن

يقول: أحكامٌ عسكريةٌ يوقفُ بها تطبيقَ دينِ الله، وتحتَ هذه الأسماءِ ووراءَ هذه الشعاراتِ تسفكُ الدماءُ، وتُداسُ الكرامةُ، وتنتهكُ الحرمَةُ، وهذا هو شأنُ جميعِ الأنظمةِ الوضعيةِ الأرضيةِ، أو بتعبيرٍ أدقَّ (الأديانِ الأرضيةِ) التي اخترعها البشرُ من عندِ أنفسهم، وأبرزُ ما تكونُ هذه الظاهرةُ في الأنظمةِ العسكريةِ والانقلاباتِ الثوريةِ، ففي كلِّ انقلابٍ قانونٌ جديدٌ، وفي كلِّ مرةٍ تُنصبُ المشانقُ وتعلَّقُ على أعوادٍ في الأسواقِ، ودعكُ عنِ التحقيقاتِ معِ النساءِ في الظلامِ، والناسِ الذين يدفنونَ أحياءً، أو يوضعونَ في براميلِ النيتريكِ، حتى يذوبوا ثم يطالبُ أهلهمَ بهم لأنهم فرُّوا من السجن!! وفي كلِّ مرةٍ يغيَّرُ فيها النظامُ تفقدُ البلدُ أعزَّ أبنائها، وأقدرَ كفاءاتها، وأعلى طاقاتها، وأثمنَ ما لديها، وهمُ العيناتُ من الشبابِ والمفكرينَ والقادةِ وغيرهم.

وثباتُ العقيدةِ الربانيةِ يجعلُ الناسَ جميعاً تحتَ ظلِّ الدستورِ والحكمِ، وليسَ هنالك حاكمٌ فوقَ القانونِ ومحكومٌ تحتَ القانونِ، ونظامٌ يسري على الحاكمِ، ونظامٌ يسري على المحكومِ.

فالله - سبحانه وتعالى - هو الذي... { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (الأنبياء: ٢٣) أمَّا الخليفةُ والأميرُ والحاكمُ فهمُ جميعاً خلقُ الله، ويعبدونَ اللهَ بتنفيذِ هذا القانونِ الربانيِّ، فما داموا منَ خلقِ الله فهمُ عبيدٌ، وليسوا آلهةً لا يُسألونَ.

### ٣- ومن خصائصِ هذه العقيدةِ واضحة:

فالعقيدةُ الإسلاميةُ عقيدةٌ واضحةٌ لا غموضَ فيها ولا تعقيدٌ، فهي تتلخصُ في أنَّ لهذه المخلوقاتِ إلهاً واحداً مستحقاً للعبادةِ هو الله تعالى، الذي خلقَ الكونَ البديعَ المنسَّقَ، وقَدَّرَ كلَّ شيءٍ فيه تقديراً، وأنَّ هذا الإلهَ ليسَ له شريكٌ ولا شبيهةٌ ولا صاحبةٌ ولا ولدٌ.

فهذا الوضوحُ يناسبُ العقلَ السليمَ، لأنَّ العقلَ - دائماً - يطلبُ الترابطَ والوحدةَ عندَ التنوعِ والكثرةِ، ويريدُ أنْ يرجعَ الأشياءَ المختلفةَ إلى سببٍ واحدٍ. وكما أنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ واضحةٌ، فهي كذلك لا تدعوا إلى الاتباعِ الأعمى، بل على العكسِ فإنها تدعوا إلى التبصُّرِ والتعقُّلِ، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١٠٨) سورة يوسف، ولأنَّ العقيدةَ مما تحارُّ العقولُ المجردةُ فيها، ولا تصلُ إلى إدراكِها إلا منَ طريقِ الشارعِ الحكيمِ، فقد رجَعَ كثيرٌ من الفلاسفةِ وأهلِ الكلامِ من المسلمينَ عن مناهجهم العقليةِ المجردةِ إلى منهجِ الكتابِ والسنةِ، ومن هؤلاءِ الفخرُ الرازيُّ - وهو من كبارِ الفلاسفةِ المسلمينَ - إذ يقولُ بعد عمرٍ طويلٍ في البحثِ العقليِّ:

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ ... وَغَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالٌ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ : قِيلَ وَقَالُوا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَرَأَوْا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا ... رِجَالٌ ، فَرَأَوْا وَالْجِبَالَ جِبَالٌ  
لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَليلاً ، وَلَا تُرْوِي غَليلاً ، وَرَأَيْتُ  
أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ ، أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } ١٠٠٠ ، { إِلَيْهِ يَصْعَدُ  
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } ١٠٠١ ، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } ١٠٠٢ ، { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً } ١٠٠٣ ،  
ثُمَّ قَالَ : " وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي " ١٠٠٤ .

#### ٤ - فطرية العقيدة الإسلامية:

إِنَّ الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لَيْسَتْ غَرِيبَةً عَنِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَلَا مُنَاقِضَةً لَهَا ، بَلْ هِيَ عَلَى وَفَاقٍ تَامٍّ وَانْسِجَامٍ  
كَامِلٍ مَعَهَا . وَلَيْسَ هَذَا بِالْأَمْرِ الْغَرِيبِ ، إِذْ إِنَّ خَالِقَ الْإِنْسَانِ الْعَلِيمَ بِحَالِهِ هُوَ الَّذِي شَرَعَ لَهُ مِنَ السَّيِّئِ  
مَا يَنَاسِبُ فِطْرَتَهُ الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٣٠) سُورَةُ الرُّومِ ،  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (١٤) سُورَةُ الْمَلِكِ ، وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ عَلَى  
مُوَافَقَةِ الْفِطْرَةِ لِلْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْإِحْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، فَمَا أَنْ يَصَابَ الْإِنْسَانُ بِضُرٍّ تَعَجُّزُ  
أَمَامَهُ الْقُوَى الْمَادِيَّةُ إِلَّا وَيُلْجَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ ، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ ، قَالَ  
تَعَالَى : { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرَّتْ بِهِمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا  
بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الدِّينَ لَعْنُ أَنْجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (٢٢) سُورَةُ يُونُسَ ، بَلْ حَتَّى الْفُطْلُ الصَّغِيرُ ، فَإِنَّهُ  
لَوْ تُرِكَ عَلَى حَالِهِ دُونَ أَنْ يُوَثَّرَ عَلَيْهِ وَالِدَاهُ أَوْ الْبَيْتُ مِنْ حَوْلِهِ لَنَشَأَ مَعْتَقِدًا بِاللَّهِ تَعَالَى رَبًّا وَإِلَهًا لَا يَعْبُدُ  
سِوَاهُ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ،  
فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ » (أَخْرَجَهُ  
الْشَيْخَانِ) ١٠٠٥ .

#### ٥ - عقيدة توقيفية مبرهنة:

تَتَمَيَّزُ الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِأَنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ ، فَلَا تَجَاوِزُ فِيهَا لِلنُّصُوصِ الْمَثْبُتَةِ لَهَا ، كَمَا إِنَّهَا عَقِيدَةٌ مَبْرَهَنَةٌ تَقُومُ  
عَلَى الْحُجَّةِ وَالْدَلِيلِ ، وَلَا تَكْتَفِي فِي تَقْرِيرِ قَضَايَاهَا بِالْخَبَرِ الْمُؤَكَّدِ وَالْإِلْزَامِ الصَّارِمِ ، بَلْ تَحْتَرِّمُ الْعُقُولَ

١٠٠٠ - سُورَةُ طه آيَةُ ٥ .

١٠٠١ - سُورَةُ فَاطِرٍ آيَةُ ١٠ .

١٠٠٢ - سُورَةُ الشُّورَى آيَةُ ١١ .

١٠٠٣ - سُورَةُ طه آيَةُ ١١٠ .

١٠٠٤ - شَرْحُ الطَّحَاوِيِّ فِي الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ - (ج ١ / ص ٤٨٢) وَمَنْهَاجُ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ - (ج ٥ / ص ١٩٠) وَدَرَّةُ التَّعَارُضِ - (ج ١

/ ص ٨٩) وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ - (ج ٢١ / ص ٥٠١)

١٠٠٥ - الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ (١٣٨٥) وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٦٩٢٦) = جَدْعَاءُ : مَقْطُوعَةُ الْأَطْرَافِ = الْجَمْعَاءُ : مَكْتَمَلَةُ الْأَعْضَاءِ

والمبادئ التي يقوم عليها الدين كله، ذلك أنها لا تثبت في جميع جزئياتها ووكلياتها إلا بدليل من الكتاب أو السنة. بل إن أتباعها منهيون عن الخوض في مسائلها إلا عن علم وبرهان، قال تعالى : {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (٣٦) سورة الإسراء ، وقال تعالى : {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١١٥) سورة التوبة ، كما أن القرآن الكريم حين يدعو الناس إلى الإيمان بمفردات العقيدة يقيم على ذلك الأدلة الواضحة من آيات الأنفس والآفاق، فلا يدعوهم إلى التقليد الأعمى أو الإتياع على غير هدى، بل إنه يأمرهم أن يطلبوا البرهان والدليل قال تعالى : {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (١١١) سورة البقرة ، ويترتب على البرهنة والتوقيفية ما يلي:

- ١- تحديد مصادر العقيدة بالكتاب والسنة الصحيحة.
- ب- الالتزام بالفاظ الكتاب والسنة المعبر بها عن الحقائق العقدية.
- ت- استعمال تلك الألفاظ فيما سيقت لأجله.
- ث- عدم تحميل تلك الألفاظ ما لا تحمل من المعاني.
- ج- السكوت عن ما سكت عنه الكتاب والسنة، وذلك بتفويض علمه إلى الله تعالى وحده.
- ح- أن نقدّم دلالة الكتاب والسنة على ما سواهما من عقل أو حس أو ذوق أو غير ذلك من وسائل المعرفة.

ومن أمثلة الدلائل التي ساقها الله عز وجل في القرآن الكريم القائمة على البراهين ما يلي:

\* - الدليل العقلي قال تعالى : {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (٣٥) سورة الطور.

\* - الدليل من الأنفس قال تعالى : {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (٢١) سورة الذاريات

\* - الدليل من الآفاق قال تعالى : {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠)}

[الرحمن/١٩، ٢٠] .

## ٦- عقيدة ثابتة ودائمة:

لما كانت العقيدة الإسلامية تقوم على الدليل والبرهان، لزم أن تكون عقيدة ثابتة ودائمة، قال الله تعالى :

{ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ .. } (٦٤) سورة يونس .

فهذه عقيدة ثابتة ومحددة، لا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التحريف ولا التبديل. فليس لحاكم أو مجمع من المجالس العلمية أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية ليس لأولئك جميعاً ولا لغيرهم أن يضيفوا إليها شيئاً أو يحذفوا منها شيئاً، وكل إضافة أو تحوير مردود على صاحبه كائناً من كان بقول النبي ﷺ: «

مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>١٠٥٦</sup> . أي مردودٌ عليه. وقد هدّد القرآن الكريم العلماءَ خاصةً من أن تميلَ بهم الأهواءُ والأطماعُ أو الإغراءاتُ الماديةُ فيزيدوا أو ينقصوا شيئاً من الدينِ قال الله تعالى : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } (٧٩) سورة البقرة ، وعلى هذا فكلُّ البدع والأساطيرِ والخرافاتِ التي دُستْ في بعضِ كتبِ المسلمين، أو أُشيعتْ بين عامتهم باطلةٌ مردودةٌ لا يقرُّها القرآنُ ولا تؤخذُ حجةً عليه، وإنما الحجةُ فيما ثبتَ من نصوصه فقط. كما قال الله تعالى : {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (١٦٥) سورة النساء .

ولقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام ؛ من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وغيرهم ، فما إن يعتقد هؤلاء أن عظمها قد وهن ، وأن جذوتها قد خبت ، وناورها قد انطفأت ، حتى تعود جذعة ناصعة نقية ؛ فهي ثابتة إلى قيام الساعة ، محفوظة بحفظ الله — تعالى — تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ؛ ورعياً بعد رعييل ، لم يتطرق إليها التحريف ، أو الزيادة ، أو النقصان ، أو التبديل .

كيف لا والله — عز وجل — هو الذي تكفل بحفظها ، وبقائها ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه ؟ قال — تعالى — : ( إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) [الحجر : ٩] .

#### ٧- إنما عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط:

إنَّ العقيدة الإسلامية وسطٌ بين الذين ينكرون كلَّ ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسُّهم، وبين الذين يثبتون للعالم أكثرَ من إله، والذين يحلُّون روحَ الإله في الملوك والحكام، بل وفي بعض الحيوانات والنباتات والجمادات؟! .

فقد رفضت العقيدة الإسلامية الإنكارَ الملحد، كما رفضت التعددَ الجاهلَ والإشراكَ الغافل، وأثبتت للعالم إلهاً واحداً لا شريك له. كما أنها وسطٌ في الصفات الواجبة لله تعالى، فلم تسلك سبيلَ الغلوِّ في التجريد فتجعل صفات الإله صوراً ذهنيةً مجردةً عن معنًى قائم بذات لا توحى بخوفٍ ولا رجاء، كما فعلت الفلسفة اليونانية، ولم تسلك كذلك سبيلَ التشبيهِ والتمثيلِ والتجسيم كما فعلت بعضُ العقائد حيث جعلت الإله كأنه أحدُ المخلوقين يلحقه ما يلحقهم من نقص وعيوب. فالعقيدة الإسلامية تتره الله تعالى إجمالاً عن مشاهمة المخلوقين بقواعد مثل قوله تعالى : {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (١١) سورة الشورى ، وقوله تعالى : {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (٤) سورة الإخلاص ،

<sup>١٠٥٦</sup> - أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (٤٥٨٩)

وقوله تعالى : { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } (٦٥) سورة مريم .

ومع هذا تصفه بصفات إيجابية فعالة تبعث الخوف والرجاء في نفوس العباد كما في قوله تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } (٢٥٥) سورة البقرة .

ثم إنَّها وسط بين التسليم الساذج والتقليد الأعمى في العقائد، وبين الغلو والتوغل بالعقل لإدراك كل شيء حتى الألوهية. فهي تنهى عن التقليد الأعمى، حيث عاب الله على القائلين { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ } (٢٢) سورة الزخرف ، وتنهى عن التوغل بالعقل لإدراك كيفية صفات الرب عز وجل فقال تعالى : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } (١١٠) سورة طه ، وقال تعالى : { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (٣٦) سورة الإسراء ، وتدعوهم إلى التوسط والأخذ بالمدرجات كوسائل قال تعالى : { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) [الذاريات/٢٠] ، [٢١] } .

#### ٨- أنها تقوم على التسليم لله — تعالى — ولرسوله — ﷺ :

وذلك لأنها غيب ، والغيب يقوم على التسليم ، فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها ، كما في قوله — تعالى — : ( ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ) [البقرة : ٢ ، ٣] .

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب ، ولا تستقل بمعرفة الشرائع ؛ لعجزها وقصورها ؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر ، وبصره كليل ، وقوته محدودة — فكذلك عقله ، فتعين الإيمان بالغيب والتسليم لله — عز وجل — .

#### ٩- اتصال سندها بالرسول ﷺ والتابعين وأئمة الدين قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً :

وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها ؛ فلا يوجد — بحمد الله — أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة — ليس له أصل أو مستند من الكتاب والسنة ، أو عن السلف الصالح ، بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة .

#### ١٠- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس :

فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقاً ، كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ فالحق لا يضطرب ، ولا يتناقض ، ولا يلبس .

بل يشبه بعضه بعضاً ، ويصدق بعضه بعضاً ( وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) [النساء : ٨٢] .

#### ١١- أنها قد تأتي بالخير ، ولكن لا تأتي بالخال :

ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول ، وما قد تحار فيه الأفهام ، كسائر أمور الغيب ؛ من عذاب القبر ونعيمه ، والصراط ، والحوض ، والجنة والنار ، وكيفية صفات الله — عز وجل — .  
فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور ، وكيفياتها ، ولكنها لا تحيلها بل تسلم لذلك ، وتنقاد ، وتذعن ؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المتزل ، الذي لا ينطق عن الهوى .

#### ١٢- العموم والشمول والصلاح :

فهي عامة ، شاملة ، صالحة لكل زمان ومكان ، وحال ، وأمة . بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها .

#### ١٣- أنها سبب للنصر والظهور والتمكين :

فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة ، فهم الظاهرون ، وهم الناجون ، وهم المنصورون ، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » ١٠٥٧ .

فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله ، ومن تركها خذله الله .

وقد عَلمَ ذلك كلُّ من قرأ التاريخ ، فمتى حاد المسلمون عن دينهم — حاق بهم ما حاق ، كما حدث لهم في الأندلس وغيرها .

#### ١٤- أنها ترفع قدر أهلها :

فمن اعتقدها ، وزاد علماً بها ، وعملاً بمقتضاها ، ودعوة للناس إليها — أعلا الله قدره ، ورفع له ذكره ، ونشر بين الناس فضله ، فرداً كان أو جماعة ؛ ذلك أن العقيدة الصحيحة هي أفضل ما اكتسبته القلوب ، وخير ما أدركته العقول ؛ فهي تثمر المعارف النافعة ، والأخلاق العالية .

#### ١٥- العقيدة الإسلامية عقيدة الألفة والاجتماع :

فما اتحد المسلمون ، وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصار والأمصار — إلا بتمسكهم بعقيدتهم ، وأخذهم بها ، وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها .

قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران : ١٠٣]

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللَّهِ ، أَيْ بِعَهْدِهِ وَدِينِهِ وَذِمَّتِهِ وَقُرْآنِهِ ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالاجْتِمَاعِ ، وَبَيْنَهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ إِذْ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَآخَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْمُسْتَحْكِمَةِ ، وَالْفُرْقَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، فَقَدْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ شَفِيرِ النَّارِ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَاقْتِتَالِهِمْ ، فَهَذَا هُمُ اللَّهُ وَأَنْقَذَهُمْ .

وَكَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ رَبُّهُمْ ، فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، مَا يُضْمِرُهُ لَهُمُ الْيَهُودُ مِنْ شَرٍّ وَخِدَاعٍ وَغِشٍّ ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي حَالِ جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَفُرْقَةٍ وَاقْتِتَالٍ ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بِفَضْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ وَحْدَةٍ وَإِحْوَءٍ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ سَائِرَ حُجَجِهِ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَى رَسُولِهِ ، لِيُعِدَّهُمْ لِلْإِهْتِدَاءِ الدَّائِمِ ، حَتَّى لَا يَعُودُوا إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْإِقْتِتَالِ .<sup>١٠٥٨</sup>

#### ١٦ - أَمَّا تَحْمِي مَعْتَنِقِهَا مِنَ التَّخْبِطِ وَالْفَوْضَى وَالضِّيَاعِ :

فالمنهج واحد ، والمبدأ واضح ثابت لا يتغير ، فيسلم معتنقها من اتباع الهوى ، ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء ، والمحبة والبغضاء ، بل تعطيه معياراً دقيقاً لا يخطئ أبداً ، فيسلم من التشتت والتشرد والضِّياع ، فيعرف من يوالي ، ويعرف من يعادي ، ويعرف ما له وما عليه .

قال تعالى : { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران : ١٠١] } وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ ، وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنِ الْعُيِّ وَالضَّلَالِ ، وَيُوصِلُهُ إِلَى الْهُدَايَةِ وَالرَّشَادِ ، وَطَرِيقِ السَّادِ .

#### ١٧ - أَمَّا تَمْنَح مَعْتَنِقِهَا الرِّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ :

فلا قلق في النفس ، ولا اضطراب في الفكر ؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه — عز وجل — فيرضى به رباً مديراً ، وحاكماً مشرعاً ، فيطمئن قلبه بقدره ، وينشرح صدره لحكمه ، ويستتير فكره بمعرفته .

قال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) } [الفتح : ٤ - ٦]

لقد كَانَ مِنْ شُرُوطِ صَلَاحِ الْحُدُودِيَّةِ شَرْطَانِ تَرَكَا أَثْرًا فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ :

١ - أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ عَامَهُمْ ذَاكَ ، وَأَنْ يَأْتُوا مُعْتَرِينَ فِي الْعَامِ ، الَّذِي يَلِيهِ .

<sup>١٠٥٨</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٣٩٦ )

٢- أَنْ يَرُدَّ الْمُسْلِمُونَ مَنْ جَاءَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مُسْلِمًا إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَأَنْ لَا تَرُدَّ قُرَيْشٌ مَنْ جَاءَهَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ مُرْتَدًّا عَنِ الْإِسْلَامِ .

وَوَظَنَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ غِبْنًا لِلْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى إِنْ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِنَحْرِ الْهَدْيِ ، وَبِحَلْقِ شُعُورِهِمْ ، لَمْ يَمْتَثِلُوا لِأَمْرِهِ فِي بَادئِ الْأَمْرِ ، فَقَدْ تَأَرَتْ فِي نُفُوسِهِمُ الْحَمِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ ، وَلِيَزْدَادُوا يَقِينًا فِي دِينِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَ الْكَوْنِ ، فَيَجْعَلُ جَمَاعَةً مِنْ جُنْدِهِ يُقَاتِلُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ ، وَيَجْعَلُ غَيْرَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ جُنْدًا مِنَ السَّمَاءِ يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَعُ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

وَإِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ نِعْمَةَ اللَّهِ ، وَيَشْكُرُوهَا فَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لِيَبْقَوْا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا ، وَلِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ ، وَفِي ذَلِكَ ظَفَرٌ لَهُمْ بِمَا يَرْجُونَ ، وَمَا يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ ، وَهَذَا الظَّفَرُ بِالْبَغِيَّةِ ، وَدُخُولُ الْجَنَّةِ ، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

وَلِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ وَالْمُشْرِكَاتِ ، فِي الدُّنْيَا بِالْقَهْرِ وَالْعَلَبَةِ ، وَبِتَسْلِيلِ النَّبِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطُؤُونَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَكَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِمُ الدَّوَائِرَ وَقَدْ دَعَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هَؤُلَاءِ بِأَنْ تَدُورَ عَلَيْهِمْ أَحْدَاثُ الزَّمَنِ بِالسَّوَاءِ ، وَأَنْ تَنْزَلَ بِهِمُ النَّكَبَاتُ وَالْمَصَائِبُ ، ثُمَّ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْذَرَهُمْ بِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَصِيرًا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ .

## ١٨- سلامة القصد والعمل :

بِحَيْثُ يَسْلَمُ مَعْتَقُهَا مِنَ الانْحِرَافِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ — عَزَّ وَجَلَّ — فَلَا يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ ، وَلَا يَرْجُو سِوَاهُ .

قال تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة : ٥]

وهنا كذلك مفرق طريق . . مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل . التحرر من عبودية الأوهام . والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع . وإذا كان الله وحده هو الذي يُعبد ، والله وحده هو الذي يُستعان ، فقد تخلص الضمير البشري من استدلال النظم والأوضاع والأشخاص ، كما تخلص من استدلال الأساطير والأوهام والخرافات . .

وهنا يعرض موقف المسلم من القوى الإنسانية ، ومن القوى الطبيعية . .

فأما القوى الإنسانية - بالقياس إلى المسلم - فهي نوعان : قوة مهتدية ، تؤمن بالله ، وتتبع منهج الله . . . وهذه يجب أن يؤازرها ، ويتعاون معها على الخير والحق والصالح . . وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه . وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها .

ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أو عاتية . فهي بضالها عن مصدرها الأول - قوة الله - تفقد قوتها الحقيقة . تفقد الغذاء الدائم الذي يحفظ لها طاقتها . وذلك كما ينفصل جرم ضخيم من نجم ملتهب ، فما يلبث أن ينطفئ ويرد ويفقد ناره ونوره ، مهما كانت كتلته من الضخامة . على حين تبقى لأية ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها : { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة : ٢٤٩] } غلبتها باتصالها بمصدر القوة الأول ، وباستمدادها من النبع الواحد للقوة وللغزة جميعاً .

وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصدقة ، لا موقف التخوف والعداء . ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشيتته ، محكومتان بإرادة الله ومشيتته ، متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه .

إن عقيدة المسلم توحى إليه أن الله ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقاً مساعداً متعاوناً؛ وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها . ويتعرف إليها ، ويتعاون وإياها ، ويتجه معها إلى الله ربه وربها . وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحياناً ، فإنما تؤذيه لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها ، ولم يهتد إلى الناموس الذي يسيرها .

ولقد درج الغربيون - ورثة الجاهلية الرومانية - على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم : « قهر الطبيعة » . . ولهذا التعبير دلالة الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله ، وبروح الكون المستجيب لله . فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمن الرحيم ، الموصول الروح بروح هذا الوجود المسبحة لله رب العالمين . . فيؤمن بأن هنالك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة . أنه يعتقد أن الله هو مبدع هذه القوى جميعاً . خلقها كلها وفق ناموس واحد ، لتتعاون على بلوغ الأهداف المقدرة لها بحسب هذا الناموس . وأنه سخرها للإنسان ابتداءً ويسر له كشف أسرارها ومعرفة قوانينها . وأن على الإنسان أن يشكر الله كلما هيا له أن يظفر بمعونة من إحداها . فالله هو الذي يسخرها له ، وليس هو الذي يقهرها : { سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ [الحج : ٦٥] } .

وإذن فإن الأوهام لن تملأ حسه تجاه قوى الطبيعة؛ ولن تقوم بينه وبينها المخاوف . . إنه يؤمن بالله وحده ، ويعبد الله وحده ، ويستعين بالله وحده . وهذه القوى من خلق ربه . وهو يتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها ، فتبذل له معونتها ، وتكشف له عن أسرارها . فيعيش معها في كون مانوس صديق ودود . . وما أروع قول الرسول - ﷺ - وهو ينظر إلى جبل أحد : « هذا جبل يحبنا ونحبه » ففي

هذه الكلمات كل ما يحمله قلب المسلم الأول محمد - ﷺ - من ود وألفة وتجاوب ، بينه وبين الطبيعة في أضخم وأخشن مجالها .<sup>١٠٥٩</sup>

#### ١٩ - الربوبية المطلقة هي مفرق الطريق :

بين وضوح التوحيد الكامل الشامل ، والغيب الذي ينشأ من عدم وضوح هذه الحقيقة بصورتها القاطعة . وكثيراً ما كان الناس يجمعون بين الاعتراف بالله بوصفه الموجد الواحد للكون ، والاعتقاد بتعدد الأرباب الذين يتحكمون في الحياة . ولقد يبدو هذا غريباً مضحكاً . ولكنه كان وما يزال . ولقد حكى لنا القرآن الكريم عن جماعة من المشركين كانوا يقولون عن أربابهم المتفرقة : { ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } كما قال عن جماعة من أهل الكتاب : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } وكانت عقائد الجاهليات السائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام ، تعج بالأرباب المختلفة ، بوصفها أرباباً صغاراً تقوم إلى جانب كبير الآلهة كما يزعمون! فإطلاق الربوبية في هذه السورة ، وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعاً ، هي مفرق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة .

لتنجس العوالم كلها إلى رب واحد ، تقر له بالسيادة المطلقة ، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة ، وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب . . ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة . وإلى أن هذه الرعاية لا تنقطع أبداً ولا تفتقر ولا تغيب ، لا كما كان أرقى تصور فلسفي لأرسطو مثلاً يقول بأن الله أوجد هذا الكون ثم لم يعد يهتم به ، لأن الله أرقى من أن يفكر فيما هو دونه! فهو لا يفكر إلا في ذاته! وأرسطو - وهذا تصوره - هو أكبر الفلاسفة ، وعقله هو أكبر العقول!

لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار . . يختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة ، والفلسفة بالأسطورة . . والضمير الإنساني تحت هذا الركام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون ، ولا يستقر منها على يقين . وكان التيه الذي لا قرار فيه ولا يقين ولا نور ، هو ذلك الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها ، وصفاته وعلاقته بخلائقه ، ونوع الصلة بين الله والإنسان على وجه الخصوص . ولم يكن مستطاعاً أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكون ، وفي أمر نفسه وفي منهج حياته ، قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصوره لإلهه وصفاته ، وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح مستقيم في وسط هذا العماء وهذا التيه وهذا الركام الثقيل .

<sup>١٠٥٩</sup> - في ظلال القرآن - ( ١ / ٦ )

ولا يدرك الإنسان ضرورة هذا الاستقرار حتى يطلع على ضخامة هذا الركام ، وحتى يرود هذا التيه من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار التي جاء الإسلام فوجدها ترين على الضمير البشري ، والتي أشرنا إلى طرف منها فيما تقدم صغير .

ومن ثم كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة ، وتحديد التصور الذي يستقر عليه الضمير في أمر الله وصفاته ، وعلاقته بالخلائق ، وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين .

ومن ثم كان التوحيد الكامل الخالص المجرد الشامل ، الذي لا تشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد . . هو قاعدة التصور التي جاء بها الإسلام ، وظل يجلوها في الضمير ، ويتتبع فيه كل هاجسة وكل شائبة حول حقيقة التوحيد ، حتى يخلصها من كل غيش . ويدعها مكينة راكزة لا يتطرق إليها وهم في صورة من الصور . . كذلك قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا الوضوح في صفات الله وبخاصة ما يتعلق منها بالربوبية المطلقة . فقد كان معظم الركام في ذلك التيه الذي تخبط فيه الفلسفات والعقائد كما تخبط فيه الأوهام والأساطير .<sup>١٠٦٠</sup>

## ٢٠- تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة :

فهي تأمر أهلها بكل خير ، وتنهاهم عن كل شر ، فتأمرهم بالعدل والاعتدال ، وتنهاهم عن الظلم والانحراف .

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل : ٩٠]

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَيَنْدُبُ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ ، وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحْمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي الْقُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ ، وَيَنْهَى عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، مِمَّا يَأْتِيهِ الْعَبْدُ سِرّاً وَخَفِيَةً وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ ، لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ ، فَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ .

لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعا ، ثم لينشئ عالماً وقيماً نظاماً . جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس؛ إنما العقيدة وحدها هي الآصرة والرابطة والقومية والعصبية .

ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات ، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب ، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود :

<sup>١٠٦٠</sup> - في ظلال القرآن - ( ١ / ٢ )

جاء { بالعدل } الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل ، لا تميل مع الهوى ، ولا تتأثر بالود والبغض ، ولا تتبدل بمحارة للصهر والنسب ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف . إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع ، وترن بميزان واحد للجميع .

وإلى حوار العدل . . { الإحسان } . . يلطف من حدة العدل الصارم الجازم ، ويدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إثارة لود القلوب ، وشفاء لغل الصدور . ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحاً أو يكسب فضلاً .

والإحسان أوسع مدلولاً ، فكل عمل طيب إحسان ، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل ، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه ، وعلاقاته بأسرته ، وعلاقاته بالجماعة ، وعلاقاته بالبشرية جميعاً .

ومن الإحسان { إيتاء ذي القربى } إنما يبرز الأمر به تعظيماً لشأنه ، وتوكيداً عليه . وما يبني هذا على عصبية الأسرة ، إنما يبنيه على مبدأ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام . وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل .

{ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى } . . والفحشاء كل أمر يفحش أي يتجاوز الحد . ومنه ما خصص به غالباً وهو فاحشة الاعتداء على العرض ، لأنه فعل فاحش فيه اعتداء وفيه تجاوز للحد حتى ليدل على الفحشاء ويختص بها . والمنكر كل فعل تنكره الفطرة ومن ثم تنكره الشريعة فهي شريعة الفطرة . وقد تنحرف الفطرة أحياناً فتبقى الشريعة ثابتة تشير إلى أصل الفطرة قبل انحرافها . والبغى الظلم وتجاوز الحق والعدل .

وما من مجتمع يمكن أن يقوم على الفحشاء والمنكر والبغى . . ما من مجتمع تشيع فيه الفاحشة بكل مدلولاتها ، والمنكر بكل مغرراته ، والبغى بكل معقباته ، ثم يقوم . .

والفطرة البشرية تنتفض بعد فترة معينة ضد هذه العوامل الهدامة ، مهما تبلغ قوتها ، ومهما يستخدم الطغاة من الوسائل لحمايتها . وتاريخ البشرية كله انتفاضات وانتفاضات ضد الفحشاء والمنكر والبغى . فلا يهم أن تقوم عهود وأن تقوم دول عليها حيناً من الدهر ، فالانتفاض عليها دليل على أنها عناصر غريبة على جسم الحياة ، فهي تنتفض لطردها ، كما ينتفض الحي ضد أي جسم غريب يدخل إليه . وأمر الله بالعدل والإحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغى يوافق الفطرة السليمة الصحيحة ، ويقويها ويدفعها للمقاومة باسم الله . لذلك يجيء التعقيب : { يعظكم لعلكم تذكرون } فهي عظة للتذكر تذكروا وحي الفطرة الأصيل القويم .<sup>١٠٦١</sup>

٢١- تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور .

<sup>١٠٦١</sup> - انظر : أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ١٩٩١ ) وفي ظلال القرآن - ( ٤ / ٤٨٤ )

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ "المستدرك للحاكم ١٠٦٢

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي أَوْ قَالَ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، قَالَ : فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ، يَقُولُ : إِذَا أَصْبَحْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصُّبْحَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ " صحيح ابن حبان ١٠٦٣

## ٢٢- تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنة :

لأنه يعلم أن الكتاب والسنة حق وصواب ، وهدى ورحمة ؛ فينبعث بذلك إلى تعظيمهما ، والأخذ بهما .

قال تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب : ٣٦] فليس للمؤمن ولا للمؤمنة إذا قضى الله ورسوله قضاءً ، أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَهُمْ ، وَلَا أَنْ يُخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُمَا . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ ، وَنَهَيَا عَنْهُ ، فَقَدْ جَارَ عَنِ السَّبِيلِ الْقَوِيمِ ، وَسَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ .

وليس لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به ، لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة؛ وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها لأن ما يحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم! وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح؛ وإن هم إلا أجراء ، لهم أجرهم على العمل ، وليس لهم ولا عليهم في النتيجة! عندئذ أسلموا أنفسهم حقيقة لله . أسلموها بكل ما فيها؛ فلم يعد لهم منها شيء . وعندئذ استقامت نفوسهم مع فطرة الكون كله؛ واستقامت حركاتهم مع دورته العامة؛ وساروا في فلکهم كما تسير تلك الكواكب والنجوم في أفلاكها ، لا تحاول أن تخرج عنها ، ولا أن تسرع أو تبطئ في دورتها المتناسقة مع حركة الوجود كله .

وعندئذ رضيت نفوسهم بكل ما يأتي به قدر الله ، لشعورهم الباطن الواصل بأن قدر الله هو الذي يصرف كل شيء ، وكل أحد ، وكل حادث ، وكل حالة . واستقبلوا قدر الله فيهم بالمعرفة المدركة المريحة الواثقة المطمئنة .

١٠٦٢ - المستدرك للحاكم (٧٨٤٦) صحيح

١٠٦٣ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤٧٢) (٦٩٨) وصحيح البخارى - المكثر (٦٤١٦)

وشيثاً فشيثاً لم يعودوا يحسون بالمفاجأة لقدر الله حين يصيبهم ، ولا بالجزع الذي يعالج بالتجمل؛ أو بالألم الذي يعالج بالصبر . إنما عادوا يستقبلون قدر الله استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمر مألوف في حسه ، معروف في ضميره ، ولا يثير مفاجأة ولا رجفة ولا غرابة!

ومن ثم لم يعودوا يستعجلون دورة الفلك ليقضوا أمراً هم يريدون قضاءه ، ولم يعودوا يستبطنون الأحداث لأن لهم أرباباً يستعجلون تحقيقه ، ولو كان هذا الأرب هو نصر دعوتهم وتمكينها! إنما ساروا في طريقهم مع قدر الله ، ينتهي بهم إلى حيث ينتهي ، وهم راضون مستروحوون ، يبذلون ما يملكون من أرواح وجهود وأموال في غير عجلة ولا ضيق ، وفي غير من ولا غرور ، وفي غير حسرة ولا أسف . وهم على يقين أنهم يفعلون ما قدر الله لهم أن يفعلوه؛ وأن ما يريد الله هو الذي يكون ، وأن كل أمر مرهون بوقته وأجله المرسوم .

إنه الاستسلام المطلق ليد الله تقود خطاهم ، وتصرف حركاتهم؛ وهم مطمئنون لليد التي تقودهم ، شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين ، سائرون معها في بساطة ويسر ولين . وهم مع هذا يعملون ما يقدرون عليه ويبذلون ما يملكون كله ، ولا يضيعون وقتاً ولا جهداً ، ولا يتركون حيلة ولا وسيلة . ثم لا يتكلفون ما لا يطيقون ، ولا يحاولون الخروج عن بشريتهم وما فيها من خصائص ، ومن ضعف وقوة؛ ولا يدعون ما لا يجدونه في أنفسهم من مشاعر وطاقات ، ولا يحبون أن يحمداً بما لم يفعلوا ، ولا أن يقولوا غير ما يفعلون .

وهذا التوازن بين الاستسلام المطلق لقدر الله ، والعمل الجاهد بكل ما في الطاقة ، والوقوف مطمئن عند ما يستطيعون . . هذا التوازن هو السمة التي طبعت حياة تلك الجماعة الأولى وميزتها؛ وهي التي أهلتها لحمل أمانة هذه العقيدة الضخمة التي تنوء بها الجبال!

واستقرار ذلك المقوم الأول في أعماق الضمائر هو الذي كفل لتلك الجماعة الأولى تحقيق تلك الخوارق التي حققتها في حياتها الخاصة ، وفي حياة المجتمع الإنساني إذ ذاك .

وهو الذي جعل خطواتها وحركاتها تتناسق مع دورة الأفلاك ، وخطوات الزمان ، ولا تحتك بها أو تصطدم ، فتعوق أو تبطل نتيجة الاحتكاك والاصطدام . وهو الذي بارك تلك الجهود ، فإذا هيثمر ذلك الثمر الحلو الكثير العظيم في فترة قصيرة من الزمان .

ولقد كان ذلك التحول في نفوسهم بحيث تستقيم حركتها مع حركة الوجود ، وفق قدر الله المصروف لهذا الوجود . . كان هذا التحول في تلك النفوس هو المعجزة الكبرى التي لا يقدر عليها بشر؛ إنما تتم بإرادة الله المباشرة التي أنشأت الأرض والسموات ، والكواكب والأفلاك؛ ونسقت بين خطاها ودوراتها ذلك التنسيق الإلهي الخاص .<sup>١٠٦٤</sup>

<sup>١٠٦٤</sup> - في ظلال القرآن - (٦ / ٨٥)

## ٢٣- تَكْفُلُ لِمَعْتَقِهَا الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ :

ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة ؛ ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله ، ووجوب إفراده بالعبادة دون من سواه ، وذلك — بلا شك — سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين ؛ فالأمن قرين الإيمان ، وإذا فقد الإيمان فقد الأمن ، قال — تعالى — : ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) [الأنعام : ٨٢] .

فأهل التقوى والإيمان لهم الأمن التام ، والاهتداء التام في العاجل والآجل ، وأهل الشرك والمعصية هم أهل الخوف وأولى الناس به ، فهم مهددون بالعقوبات والنقمات في سائر الأوقات .  
بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ هُوَ الْحَقِيقُ بِالْأَمْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ فَقَالَ : الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ ( يَلْبِسُوا ) بِظُلْمٍ ، وَلَا كُفْرٍ ، وَلَا شِرْكَ بِاللَّهِ ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .<sup>١٠٦٥</sup>

وإذا كان الشرك بالله مصدر المخاوف والأوهام ، فلا غرابة في أن المشركين يعيشون دائماً في قلق واضطراب وخوف من مغيبات القدر والمستقبل. أما المؤمنون الموحدون فلهم الأمن المطلق بشرط وجود الوصفين : وهما الإيمان ، وهو كمال القوة النظرية ، وعدم الإيمان بالظلم ، وهو كمال القوة العملية. والمراد من الظلم هنا : هو الشرك لأنه الظلم الأكبر ، ولقوله تعالى حكاية عن لقمان ، إذ قال لابنه وهو يعظه : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ والمراد هنا : الذين آمنوا بالله ، ولم يثبتوا لله شريكاً في العبادة.<sup>١٠٦٦</sup>

## ٢٤- تعترف بالعقل وتحدد مجاله :

فالعقيدة الإسلامية تحترم العقل السوي ، وترفع من شأنه ، ولا تحجر عليه ، ولا تنكر نشاطه ، والإسلام لا يرضى من المسلم أن يطفئ نور عقله ، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها .

قال تعالى : { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } [الرعد : ١٩]

لَا يَسْتَوِي الْمُهْتَدِي مِنَ النَّاسِ ، الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ، الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، مَعَ الضَّالِّ ، الَّذِي لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالْأَعْمَى لَا يَهْتَدِي إِلَى خَيْرٍ ، وَلَا يَفْهَمُهُ ،

<sup>١٠٦٥</sup> - أيسر التفاسير لأسعد حومد - ( ١ / ٨٧٢ )

<sup>١٠٦٦</sup> - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ج ٧ ، ص : ٢٧٥

وَلَوْ فَهِمَهُ مَا انْقَادَ إِلَيْهِ ، وَلَا صَدَّقَ بِهِ وَلَا انْتَفَعَ . ؟ فَالَّذِينَ يَتَعَبُّونَ وَيَعْتَبِرُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ ، وَالْبَصَائِرِ الْمُدْرِكَةِ (أُولُو الْأَلْبَابِ) .

فالعمى وحده هو الذي ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة التي لا تخفى إلا على أعمى .  
والناس إزاء هذه الحقيقة الكبيرة صنفان : مبصرون فهم يعلمون ، وعمى فهم لا يعلمون ! والعمى عمى البصيرة ، وانطماس المدارك ، واستغلاق القلوب ، وانطفاء قبس المعرفة في الأرواح ، وانفصالها عن مصدر الإشعاع . .

{ إنما يتذكر أولو الألباب } . . الذين لهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحق فتذكر ، وتنبه إلى دلائله فتفكر .

## ٢٥- تعترف بالعواطف الإنسانية ، وتوجهها الوجهة الصحيحة :

فالعواطف أمر غريزي ، ولا يتجرد منه أي إنسان سوي ، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامة جامدة ، بل هي عقيدة حيّة ، تعترف بالعواطف الإنسانية ، وتقدرها حق قدرها ، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها ، بل تُقوِّمها ، وتسمو بها ، وتوجهها الوجهة الصحيحة ، التي تجعل منها أداة خير وتعمير ، بدلاً من أن تكون معولاً هدمٍ وتدمير .

## ٢٦- العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات :

سواء مشكلات الفرقة والشتات ، أو مشكلات السياسة والاقتصاد ، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر ، أو غير ذلك .

فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة ، والأهواء المتفرقة ، وأغنى بها المسلمين بعد العيلة ، وعلمهم بما بعد الجهل ، وبصرهم بعد العمى ، وأطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف  
قال تعالى : { وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [الأنفال : ٢٦]  
يُنَبِّئُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ ، فَقَدْ كَانُوا قَلِيلِي الْعَدَدِ ، مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، يَعْتَدِي عَلَيْهِمُ النَّاسُ ، خَائِفِينَ مِنْ مُجْرِمِي قُرَيْشٍ ، فَقَوَّاهُمْ وَآوَاهُمْ ، وَنَصَرَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَكُلُّ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ تَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ مِنْ عِبَادِهِ .

والعصبة المسلمة التي تجاهد اليوم لإعادة إنشاء هذا الدين في واقع الأرض وفي حياة الناس ؛ قد لا تكون قد مرت بالمرحلتين ، ولا تذوقت المذاقين . . ولكن هذا القرآن يهتف لها بهذه الحقيقة كذلك .  
ولئن كانت اليوم إنما تعيش في قوله تعالى : (إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس) . .

فأولى لها أن تستجيب لدعوة الحياة التي يدعوها إليها رسول الله ؛ وأن تترقب في يقين وثقة ، موعود الله للعصبة المسلمة ، موعوده الذي حققه للعصبة الأولى ، ووعد بتحقيقه لكل عصبة تستقيم على طريقه ، وتصبر على تكاليفه . . وأن تنتظر قوله تعالى: (فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) .

وهي إنما تتعامل مع وعد الله الصادق - لا مع ظواهر الواقع الخادع - ووعد الله هو واقع العصبة المسلمة الذي يرجح كل واقع! <sup>١٠٦٧</sup>

فالله يحقق لمن امثّل أوامره سعادة الدنيا ، وعزة السلطان ، والتمكين في الأرض ، والأمن من المخاوف ، والنصر على الأعداء ، ويمنحهم أيضا الفوز والنجاة والرضوان في الآخرة. فإن تنكروا للأوامر الإلهية ولم يشكروا النعم ، كحال المسلمين اليوم ، صاروا أذلة ضعافا. وسنة الله في ذلك هي :  
إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [الأعراف ٧ / ١٢٨]. <sup>١٠٦٨</sup>



---

<sup>١٠٦٧</sup> - في ظلال القرآن - ( ١ / ٢١٤ )

<sup>١٠٦٨</sup> - التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج - ( ٩ / ٢٩٦ )

## الباب الثامن

### فوائد الإيمان وثمراته

إن من حكمة الله الربانية أن جعل قلوب عباده المؤمنين تحسُّ وتتذوق وتشعر بثمرات الإيمان لتندفع نحو مرضاته والتوكل عليه سبحانه وتعالى. فإن شجرة الإيمان إذا ثبتت وقويت أصولها وتفرعت فروعها، وزهت أغصانها، وأينعت أفنانها عادت على صاحبها وعلى غيره بكل خير عاجل وآجل في الدنيا والآخرة. وثمار الإيمان وثمراته وفوائده كثيرة قد بينها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

فمن أعظم هذه الفوائد والثمار:

أولاً: الاعتبار بولاية الله الخاصة التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون، وتسابق فيه المتسابقون، وأعظم ما حصل عليه المؤمنون .

قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) [يونس/٦٢-٦٤] .

فكل مؤمن تقى، فهو لله ولي ولاية خاصة، من ثمراتها ما قاله الله عنه: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥٧) سورة البقرة ، أي : يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر، وحاصل ذلك : أنه يخرجهم من ظلمات الشرور المتنوعة إلى ما يرفعها من أنوار الخير العاجل والآجل. وإنما حازوا هذا العطاء الجزيل: بإيمانهم الصحيح، وتحقيقهم هذا الإيمان بالتقوى، فإن التقوى من تمام الإيمان.

ثانياً: الفوز برضى الله ودار كرامته:

قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) } [التوبة/٧١، ٧٢] ، فنالوا رضا ربهم ورحمته، والفوز بهذه المساكن الطيبة: بإيمانهم الذي كملوا به أنفسهم، وكمّلوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستولوا على أجل الوسائل، وأفضل الغايات وذلك فضل الله.

ثالثاً : أن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكروه، وينجيهم من الشدائد:

كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (٣٨) سورة الحج ، أي: يدفع عنهم كل مكروه، يدفع عنهم شرّ شياطين الأنس وشياطين الجن، ويدفع عنهم الأعداء، ويدفع عنهم المكارة قبل نزولها، ويرفعها أو يخففها بعد نزولها.

ولما ذكر تعالى ما وقع فيه يونس - عليه السلام - وأنه (... فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: ٨٧] قال: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: ٨٨]. إذا وقعوا في الشدائد، كما نجينا يونس قال النبي ﷺ : « دَعَوْهُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ » (أخرجه الترمذي) <sup>١٠٦٩</sup>. وقال تعالى: (... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [الطلاق: من الآية ٤].

فالْمُؤْمِنُ الْمُتَّقِي ييسر الله له أموره وييسره لليسرى، ويجنبه العسرى: ويسهل عليه الصعاب، ويجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب. وشواهد هذا كثيرة من الكتاب والسنة .

رابعاً: أن الإيمان والعمل الصالح - الذي هو فرعه - يثمر الحياة الطيبة في هذه الدار، وفي دار القرار:

قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٩٧) سورة النحل ، وذلك أنه من خصائص الإيمان، أنه يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما رزق الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة. فإن أصل الحياة الطيبة: راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشويشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح.

خامساً: إن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والإخلاص:

ولهذا يذكر الله هذا الشرط الذي هو أساس كل عمل، مثل قوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} (٩٤) سورة الأنبياء .

أي لا يحدد سعيه ولا يضيع عمله، بل يُضاعف بحسب قوة إيمانه، وقال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا} (١٩) سورة الإسراء ، والسعي للآخرة: هو العمل بكل ما يقرب إليها، ويدين منها، من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمدٍ

<sup>١٠٦٩</sup> - سنن الترمذي (٣٨٤٥) صحيح = النون : الحوت

- ﷺ - فإذا تأسست على الإيمان، وانبت عليه: كان السعي مشكوراً مقبولاً مضاعفاً، لا يضيع منه مثقال ذرة.

وأما إذا فقد العمل الإيمان، فلو استغرق العامل ليله ونهاره فإنه غير مقبول قال تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً) [الفرقان: ٢٣] وذلك: لأنها أسست على غير الإيمان بالله ورسوله - الذي روحه: الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول - قال تعالى: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا (١٠٦) [الكهف/١٠٣-١٠٧] ، فهم لما فقدوا الإيمان، وأحلوا محلّه الكفر بالله وآياته - حبطت أعمالهم قال تعالى: (...لَعَنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ...) [الزمر: من الآية ٦٥] .

ولهذا كانت الردة عن الإيمان تحبط جميع الأعمال الصالحة، كما أن الدخول في الإسلام والإيمان يجب ما قبله من السيئات وإن عظمت. التوبة من الذنوب المنافية للإيمان، والقاحلة فيه، والمنقصة له - تجب ما قبلها . قال تعالى مبينا صفات عباده الصالحين: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) [الفرقان/٦٨-٧٠] } ، و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ » (أخرجه ابن ماجه) ١٠٧٠ .

#### سادساً: أن صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم

ويهديه إلى علم الحق، وإلى العمل به وإلى تلقي المحاب بالشكر، وتلقي المكارة والمصائب بالرضا والصبر :

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (٩) سورة يونس .

وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١١) سورة التغابن .

ولو لم يكن من ثمرات الإيمان، إلا أنه يسلي صاحبه عن المصائب والمكارة التي تعترض كل أحد في كل وقت، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسل عنها، ومهون لها وذلك: لقوة إيمانه وقوة توكله، ولقوة رجائه بثواب ربه، وطمعه في فضله؛ فحلاوة الأجر تخفف مرارة الصبر قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا

فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا { (١٠٤) سورة النساء

سابعاً : ومن ثمرات الإيمان ولوازمه حبُّ الله لهم :

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم: ٩٦] أي بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان، يحبُّهم الله ويجعلُ لهم المحبة في قلوب المؤمنين. وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ الْمُؤْمِنُونَ من عبادِهِ حصلتْ له السعادة والفلاح والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين من الثناء والدعاء له حياً وميتاً، والافتداء به وحصول الإمامة في الدين . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبْهُ . فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبُوهُ . فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ » (أخرجه البخاري) ١٠٧١ .

وهذه أيضاً من أجل ثمرات الإيمان: أَنْ يجعلَ اللهُ للمؤمنين الذين كملوا إيمانهم بالعلم والعمل - لسان صدق - ويجعلُهم أئمةً يهتدون بأمرِهِ كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (٢٤) سورة السجدة، فبالصبر واليقين - اللذين هما رأس الإيمان وكماله - نالوا الإمامة في الدين ١٠٧٢ .

ثامناً :رفع مكانتهم في الدارين :

قال تعالى: { ... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ .. } (١١) سورة المجادلة . فهم أعلى الخلق درجةً عند الله وعند عباده في الدنيا والآخرة، وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح وعملهم ويقينهم، والعلم واليقين من أصول الإيمان.

تاسعاً : حصول البشارة بكرامة الله والأمن التام من جميع الوجوه :

قال تعالى: (...وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: من الآية ٢٢٣)، فأطلقها ليعمَّ الخيرُ العاجلُ والآجلُ، وقيدَها في مثل قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥) سورة البقرة ، فلهم البشارة المطلقة والمقيّدة، ولهم الأمن المطلق في مثل قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام: ٨٢] ولهم الأمن المقيّد في مثل قوله تعالى : (...فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[الأنعام: من الآية ٤٨]. فنفي عنهم الخوفَ لما يستقبلونه، والحزنَ مما مضى عليهم، وبذلك يتمُّ لهم الأمنُ.

١٠٧١ - برقم (٦٠٤٠)

١٠٧٢ - موسوعة كتب ابن القيم - (ج ٦٩ / ص ٨٨)

فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة: آمِنَ مَنْ سَخَطَ اللَّهُ وَعَقَابَهُ، وَأَمِنَ مِنْ جَمِيعِ الْمَكَارِهِ وَالشَّرُورِ. وله البشارة الكاملة بكل خير، كما قال تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٦٤) سورة يونس .

ويوضح هذه البشارة قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)}

[فصلت/٣٠-٣٣] ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٢٨) سورة الحديد ، فرتب على الإيمان حصول الثواب المضاعف، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته ، ويمشي به يوم القيامة : {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٢) سورة الحديد ، فالمؤمن من يمشي في الدنيا بنور علمه وإيمانه، وإذا أطفئت الأنوار يوم القيامة: مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم، وكذلك رتب المغفرة على الإيمان، ومن غفرت سيئاته سلم من العقاب، ونال أعظم الثواب. ١٠٧٣

### عاشراً: حصول الفلاح في الدارين

الذي هو: إدراك غاية الغايات، فإنه إدراك كل مطلوب، والسلامة من كل مرهوب، والهدى الذي هو أشرف الوسائل.

كما قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) } [البقرة/٢-٥] فهذا هو الهدى التام، والفلاح الكامل.

فلا سبيل إلى الهدى والفلاح - اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما - إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله. فالهدى أجل الوسائل، والفلاح أكمل الغايات ١٠٧٤.

### الحادي عشر: الانتفاع بالمواعظ والتذكير بالآيات.

قال تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذريات: ٥٥) وقال تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) [الحجر: ٧٧] وهذا: لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه، علماً وعملاً،

١٠٧٣ - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - (ج ١ / ص ٤٣)

١٠٧٤ - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - (ج ١ / ص ٤٣)

وكذلك معه الآلة العظيمة والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة، والآيات الدالة على الحق، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به.

### الثاني عشر : الإيمان يقطع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضر بدينهم

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٥) سورة الحجرات، أي: دفع الإيمان الصحيح -الذي معهم - الريب والشك الموجود، وإنزاله بالكلية، وقاوم الشكوك التي تلقيها شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمارة بالسوء. فليس لهذه العلل المهلكة دواء إلا تحقيق الإيمان.

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ » ١٠٧٥.

وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتِهِ » (أخرجه مسلم) ١٠٧٦.

وبهذا بين ﷺ الدواء النافع لهذا الداء المهلك. وهي ثلاثة أشياء: ١- الانتهاء عن الوسوس الشيطانية ٢- والاستعاذة من شر من ألقاها وشبه بها؛ ليضل بها العباد ٣- والاعتصام بعصمة الإيمان الصحيح الذي من اعتصم به كان من الآمنين. وذلك: لأن الباطل يتضح بطلانه بأمور كثيرة أعظمها: العلم أنه منافي للحق، وكل ما ناقض الحق فهو باطل، قال تعالى {فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} (٣٢) سورة يونس.

### الثالث عشر : أن الإيمان ملجأ المؤمنين في كل ما يلزم بهم:

من سرور وحزن وخوف وأمن، وطاعة، ومعصية، وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها، فيلجؤون إلى الإيمان عند الخوف فيطمئنون إليه فيزيدهم إيماناً وثباتاً، وقوة وشجاعة، ويضمحل الخوف الذي أصابهم كما قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) { [آل عمران/١٧٣-١٧٥] . لقد اضمحل الخوف من قلوب هؤلاء الأخيار، وخلفه قوة الإيمان وحلاوته، وقوة التوكل على الله، والثقة بوعد.

١٠٧٥ - أخرجه مسلم برقم (٣٦٠)

١٠٧٦ - برقم (٣٦٢)

ويلجؤونَ إلى الإيمانِ عند الطاعةِ والتوفيقِ للأعمالِ الصالحة: فيعترفون بنعمةِ الله عليهم بها، وأن نعمتهُ عليهم فيها أعظمُ من نعمةِ العافيةِ والرزقِ، وكذلك يحرصونُ على تكميلها، وعملِ كلِّ سببٍ لقبولها، وعدمِ ردّها أو نقصها. ويسألون الذي تفضلَ عليهم بالتوفيق لها: أن يتمَّ عليهم نعمتهُ بقبولها، والذي تفضلَ عليهم بحصول أصلها: أن يتمَّ لهم منها ما انتقصوه منها {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} (٦١) سورة المؤمنون، ويلجؤون إلى الإيمانِ إذا ابتلوا بشيءٍ من المعاصي بالمبادرة إلى التوبةِ منها، وعملِ ما يقدرُون عليه من الحسناتِ - لجبر نقصها. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} (٢٠١) سورة الأعراف، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم - ملجؤونهم إلى الإيمانِ ومفرعهم إلى تحقيقه، ودفع ما ينافيه ويضاده، وذلك من فضل الله عليهم ومنه<sup>١٠٧٧</sup>.



---

<sup>١٠٧٧</sup> - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - (ج ١ / ص ٤٦)

## المراجع والمصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أضواء البيان للشنقيطي
- ٣- أيسر التفاسير لأسعد حومد
- ٤- التحرير والتنوير لابن عاشور
- ٥- التفسير الحديث لدروزة- موافق للمطبوع
- ٦- التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع
- ٧- التفسير المنير — موافقا للمطبوع
- ٨- التفسير الواضح — موافقا للمطبوع
- ٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي
- ١٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
- ١١- الدر المنثور للسيوطي - موافق للمطبوع
- ١٢- تفسير ابن أبي حاتم
- ١٣- تفسير ابن كثير - دار طيبة
- ١٤- تفسير السعدي
- ١٥- تفسير الشعراوي
- ١٦- تفسير الشيخ المراغي — موافقا للمطبوع
- ١٧- تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة
- ١٨- تفسير الطبري - طبع دار هجر
- ١٩- تفسير القرطبي — موافق للمطبوع
- ٢٠- تفسير الفخر الرازي — موافق للمطبوع
- ٢١- تفسير روح المعاني للألوسي - دار الطيب العلمية
- ٢٢- زاد المسير في علم التفسير
- ٢٣- فتح القدير للشوكاني
- ٢٤- في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع
- ٢٥- محاسن التأويل تفسير القاسمي
- ٢٦- أركان الإيمان
- ٢٧- أشراف الساعة
- ٢٨- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة
- ٢٩- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة
- ٣٠- اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث
- ٣١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم
- ٣٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

التوحيد للناشئة والمبتدئين	- ٣٣
العقيدة وأثرها في بناء الجيل	- ٣٤
النهاية في الفتن والملاحم موافق للمطبوع	- ٣٥
الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة	- ٣٦
جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (١٣١٧)	- ٣٧
شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (٧٩٢)	- ٣٨
شرح الطحاوية - ط دار السلام (٧٩٢)	- ٣٩
شرح الطحاوية في العقيدة السلفية	- ٤٠
عقد الدرر في أخبار المنتظر	- ٤١
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	- ٤٢
قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر	- ٤٣
منهاج السنة النبوية	- ٤٤
نواقض الإيمان القولية والعملية	- ٤٥
أخبار مكة للأزرقي	- ٤٦
أخبار مكة للفاكهي (٢٧٢)	- ٤٧
اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة	- ٤٨
الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم	- ٤٩
الأدب المفرد	- ٥٠
السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة	- ٥١
السنن الكبرى للبيهقي - المكثر	- ٥٢
الشمائل المحمدية للترمذي	- ٥٣
الفوائد لتمام ٤١٤	- ٥٤
المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)	- ٥٥
المستدرک للحاکم مشکلا	- ٥٦
المسند الجامع	- ٥٧
المعجم الأوسط للطبراني	- ٥٨
المعجم الصغير للطبراني	- ٥٩
المعجم الكبير للطبراني	- ٦٠
المنتقى من السنن المسندة لابن الجارود	- ٦١
بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث	- ٦٢
تهذيب الآثار للطبري	- ٦٣
جامع الأصول في أحاديث الرسول	- ٦٤
دلائل النبوة للبيهقي	- ٦٥

سنن أبي داود - المكثر	- ٦٦
سنن ابن ماجه - المكثر	- ٦٧
سنن الترمذى - المكثر	- ٦٨
سنن الدارقطنى - المكثر	- ٦٩
سنن الدارمى - المكثر	- ٧٠
سنن النسائى - المكثر	- ٧١
شرح مشكل الآثار (٣٢١)	- ٧٢
شرح معاني الآثار (٣٢١)	- ٧٣
شعب الإيمان (٤٥٨)	- ٧٤
صحيح ابن حبان	- ٧٥
صحيح ابن خزيمة	- ٧٦
صحيح البخارى - المكثر	- ٧٧
صحيح مسلم - المكثر	- ٧٨
كشف الأستار	- ٧٩
مجمع الزوائد	- ٨٠
مسند أبي يعلى الموصلى	- ٨١
مسند أحمد (عالم الكتب)	- ٨٢
مسند أحمد - المكثر	- ٨٣
مسند البزار كاملاً	- ٨٤
مسند الحميدى - المكثر	- ٨٥
مسند الشاشى ٣٣٥	- ٨٦
مسند الشاميين ٣٦٠	- ٨٧
مسند الطيالسى ٢٠٤	- ٨٨
مشكل الآثار للطحاوى	- ٨٩
مصنف ابن أبي شيبة	- ٩٠
مصنف عبد الرزاق مشكل	- ٩١
معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)	- ٩٢
موسوعة السنة النبوية	- ٩٣
موطأ مالك - المكثر	- ٩٤
فتح الباري لابن حجر	- ٩٥
آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمى	- ٩٦
إثبات عذاب القبر للبيهقى	- ٩٧
الإيمان لابن منده	- ٩٨

الاعتقاد للبيهقي	٩٩-
البعث لابن أبي داود السجستاني	١٠٠-
البعث والنشور للبيهقي	١٠١-
الحوض والكوثر لبقّي بن مخلد	١٠٢-
الدعاء للطبراني - العلمية	١٠٣-
السنة لأبي بكر بن الخلال	١٠٤-
السنة لابن أبي عاصم	١٠٥-
السنة لعبد الله بن أحمد	١٠٦-
السنن الواردة في الفتن للداني	١٠٧-
العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني	١٠٨-
الفتن لحنبل بن إسحاق	١٠٩-
الفتن لنعيم بن حماد	١١٠-
القدر لابن وهب	١١١-
القضاء والقدر للبيهقي	١١٢-
المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني	١١٣-
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي	١١٤-
صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني	١١٥-
صفة الجنة لابن أبي الدنيا	١١٦-
صفة النار لابن أبي الدنيا	١١٧-
مسند إسحاق بن راهويه	١١٨-
آداب الزفاف	١١٩-
السلسلة الصحيحة	١٢٠-
السلسلة الضعيفة	١٢١-
صحيح أبي داود	١٢٢-
صحيح ابن ماجه	١٢٣-
صحيح الترغيب والترهيب	١٢٤-
صحيح الترمذي	١٢٥-
صحيح وضعيف الجامع الصغير	١٢٦-
صحيح وضعيف سنن أبي داود	١٢٧-
صحيح وضعيف سنن ابن ماجه	١٢٨-
صحيح وضعيف سنن الترمذي	١٢٩-
صحيح وضعيف سنن النسائي	١٣٠-
الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار	١٣١-

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	١٣٢-
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم	١٣٣-
بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي	١٣٤-
تحفة الأحوذى	١٣٥-
حاشية ابن القيم على سنن أبي داود	١٣٦-
حاشية السندي على ابن ماجه	١٣٧-
حاشية السندي على النسائي	١٣٨-
دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين	١٣٩-
شرح ابن بطلال	١٤٠-
شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم	١٤١-
شرح رياض الصالحين لابن عثيمين	١٤٢-
عمدة القاري شرح صحيح البخاري	١٤٣-
فتح الباري لابن رجب	١٤٤-
فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين	١٤٥-
فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري	١٤٦-
فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢	١٤٧-
معالم السنن للخطابي	١٤٨-
الحاوي للفتاوى للسيوطي	١٤٩-
الدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية	١٥٠-
الفقه الإسلامي وأدلته	١٥١-
الفقه على المذاهب الأربعة	١٥٢-
الموسوعة الفقهية الكويتية	١٥٣-
فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة	١٥٤-
فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء	١٥٥-
فتاوى واستشارات الإسلام اليوم	١٥٦-
مجموع الفتاوى لابن تيمية	١٥٧-
مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤٢١)	١٥٨-
السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث	١٥٩-
السيرة النبوية لابن كثير	١٦٠-
الشفاء بتعريف حقوق المصطفى مفهرس ومشكل	١٦١-
زاد المعاد في هدي خير العباد	١٦٢-
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد	١٦٣-
سيرة ابن هشام	١٦٤-

أخبار القضاة	١٦٥-
تاريخ دمشق	١٦٦-
تقريب التهذيب	١٦٧-
تهذيب الكمال	١٦٨-
تهذيب الكمال للمزي	١٦٩-
سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع]	١٧٠-
لسان الميزان للحافظ ابن حجر	١٧١-
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	١٧٢-
جامع لطائف التفسير	١٧٣-
تفسير المنار	١٧٤-
تفسير روح البيان — موافق للمطبوع	١٧٥-
زهرة التفاسير لأبي زهرة	١٧٦-
مجلة مجمع الفقه الإسلامي	١٧٧-
تفسير البيضاوي — موافق للمطبوع	١٧٨-
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	١٧٩-
المنتظم لانب الجوزي	١٨٠-
البداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع	١٨١-
تاريخ الرسل والملوك للطبري	١٨٢-
اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث	١٨٣-
الوحيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة	١٨٤-
شرح الفتوى الحموية	١٨٥-
أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة	١٨٦-
التمهيد لشرح كتاب التوحيد	١٨٧-
الفصل في الملل لابن حزم	١٨٨-
شرح العقيدة الواسطية	١٨٩-
محمل اعتقاد أئمة السلف	١٩٠-
مسند أبي عوانة	١٩١-
أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر	١٩٢-
الخلاصة في العقيدة الإسلامية	١٩٣-
الصواعق المحرقة	١٩٤-
العلمانية والرد عليها	١٩٥-
الغلو في التكفير	١٩٦-
الولاء والبراء	١٩٧-

التفسير الميسر	١٩٨-
جُزءُ حَبْلِ بْنِ إِسْحَاقَ	١٩٩-
أشراط الساعة	٢٠٠-
مجموع فتاوى ابن باز	٢٠١-
<a href="http://www.islamtoday.net/toislam/art-١٠٣-٢.htm">http://www.islamtoday.net/toislam/art-١٠٣-٢.htm</a>	٢٠٢-
مدارج السالكين	٢٠٣-
الحبائث في أخبار الملائك	٢٠٤-
حاشية الجمل على الجلالين	٢٠٥-
موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع	٢٠٦-
النهاية في غريب الحديث	٢٠٧-
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية	٢٠٨-
الدر المختار وحاشية ابن عابدين	٢٠٩-
الفرق بين الفرق	٢١٠-
الكشاف وبذيله الإنصاف لابن المنير	٢١١-
لوامع الأنوار البهية للسفاريني	٢١٢-
الصارم المسلول	٢١٣-
شرح الشفا	٢١٤-
الأذكار للنووي	٢١٥-
جلاء الأفهام لابن القيم	٢١٦-
الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ	٢١٧-
تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية	٢١٨-
أنوار البروق في أنواع الفروق	٢١٩-
البحر المحيط للزركشي	٢٢٠-
إرشاد الفحول للشوكاني	٢٢١-
التربية القيادية	٢٢٢-
التاريخ الإسلامي للحميدي	٢٢٣-
السيرة النبوية لأبي فارس	٢٢٤-
المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة	٢٢٥-
الفتح الرباني للساعاتي	٢٢٦-
الخصائص الكبرى للسيوطي	٢٢٧-
والسيرة النبوية لأبي فارس	٢٢٨-
صفوة البيان لمعان القرآن	٢٢٩-
فتاوى الإسلام سؤال وجواب	٢٣٠-

معجم مقاييس اللغة	٢٣١-
مفردات الراغب	٢٣٢-
مجموعة رسائل ابن عابدين	٢٣٣-
المحلي على جمع الجوامع مع حاشية العطار	٢٣٤-
كشاف اصطلاحات الفنون	٢٣٥-
تعريفات الجرجاني	٢٣٦-
قطر الولي للشوكاني	٢٣٧-
بستان العارفين للنووي	٢٣٨-
المعتمد لأبي يعلى	٢٣٩-
الفتاوى الحديثية لابن حجر المكي	٢٤٠-
مختصر الفتاوى المصرية	٢٤١-
تفسير البيضاوي	٢٤٢-
حلية الأولياء لبي نعيم	٢٤٣-
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية	٢٤٤-
تحفة المحتاج	٢٤٥-
مسلم الثبوت	٢٤٦-
بدائع الفوائد	٢٤٧-
حاشية المدابغي على فتح المعين لابن حجر المكي	٢٤٨-
شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي	٢٤٩-
التحفة العراقية في أعمال القلوب	٢٥٠-
الروح لابن القيم	٢٥١-
الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي	٢٥٢-
فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٢٥٣-
بداية المجتهد ونهاية المقتصد	٢٥٤-
أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السلفي	٢٥٥-
البرهان المؤيد أحمد الرفاعي	٢٥٦-
نظم المتناثر في الحديث المتواتر	٢٥٧-
لسان العرب	٢٥٨-
الصحاح للجوهري	٢٥٩-
المنهاج في شعب الإيمان	٢٦٠-
الحكم الجديدة بالإذاعة	٢٦١-
المنار المنيف لابن القيم	٢٦٢-
تاريخُ المَدِينَةِ لِابْنِ شَبَّةَ	٢٦٣-

السُّنَنُ الْوَارِدَةُ فِي الْفِتَنِ لِلدَّانِي	٢٦٤-
معجم البلدان ياقوت الحموي	٢٦٥-
الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة	٢٦٦-
الإشاعة في أشراط الساعة	٢٦٧-
التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح	٢٦٨-
عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر	٢٦٩-
تفسير البغوي	٢٧٠-
لطائف المعارف	٢٧١-
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين	٢٧٢-
عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام	٢٧٣-
فتاوى الأزهر	٢٧٤-
القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي	٢٧٥-
أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية	٢٧٦-
الإيمان بيوم القيامة وأهواله - علي بن نايف الشحود	٢٧٧-
الاستعداد للموت - علي بن نايف الشحود	٢٧٨-
الخصال الموجبة لظل العرش - علي بن نايف الشحود	٢٧٩-
المفصل في أحاديث الفتن - علي بن نايف الشحود	٢٨٠-
المفصل في أحاديث الملاحم - علي بن نايف الشحود	٢٨١-
المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد - علي بن نايف الشحود	٢٨٢-
المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - علي بن نايف الشحود	٢٨٣-
المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه - علي بن نايف الشحود	٢٨٤-
المفصل في علوم الحديث - علي بن نايف الشحود	٢٨٥-
صفة الجنة في القرآن والسنة - علي بن نايف الشحود	٢٨٦-
صفات العميان في القرآن الكريم - علي بن نايف الشحود	٢٨٧-
صفة النار في القرآن والسنة - علي بن نايف الشحود	٢٨٨-
وجوب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء من أحوالنا - علي بن نايف الشحود	٢٨٩-
موسوعة كتب ابن القيم	٢٩٠-
التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي	٢٩١-
المكتبة الشاملة الإصدار الثالث	٢٩٢-
برنامج قالون	٢٩٣-

## الفهرس العام

٦	الباب الأول
٦	مفهوم العقيدة الإسلامية
٧	الباب الثاني
٧	أهمية العقيدة في حياة الإنسان
١٠	الباب الثالث
١٠	مفهوم الإيمان
١٥	الباب الرابع
١٥	نواقض الإيمان القولية والعملية
١٥	المبحث الأول
١٥	الكفر
١٥	ب- أنواع الكفر:
١٧	ج- حكم الكفر:
١٩	المبحث الثاني
١٩	الشرك
١٩	أ- أنواع الشرك:
١٩	ب- حكم من أشرك بالله عزَّ وجلَّ:
٢١	المبحث الثالث
٢١	الردة
٢١	أ- المرتد:
٢١	ب- أنواع الردة:
٢١	١- الردة في الاعتقاد:
٢٢	٢- الردة في الأقوال:
٢٢	٣- الردة في الأفعال:
٢٥	المبحث الرابع
٢٥	النفاق
٢٥	أ- معنى النفاق:
٢٥	ب- صفات المنافقين:
٢٧	ج- أنواع النفاق:
٢٧	د- حكم النفاق:

٣٠	.....	<b>الباب الخامس</b>
٣٠	.....	<b>الإيمان بالغيب</b>
٣٠	.....	المبحث الأول
٣٠	.....	مفهوم الغيب في الإسلام
٣٠	.....	المطلب الأول
٣٠	.....	أهمية الإيمان بالغيب
٣٣	.....	المطلب الثاني
٣٣	.....	الفارق كبير بين من يؤمن بالغيب وبين من لا يؤمن به
٣٥	.....	المطلب الثالث
٣٥	.....	اليهود أول من كذب بالإيمان بالغيب
٣٦	.....	المبحث الثاني
٣٦	.....	أقسام الغيب
٣٦	.....	المطلب الأول
٣٦	.....	الغيب المطلق
٣٧	.....	المطلب الثاني
٣٧	.....	الغيب المقيّد النسبي
٣٩	.....	المطلب الثالث
٣٩	.....	الغيب المقيّد غير النسبي
٤٤	.....	<b>الباب السادس</b>
٤٤	.....	<b>أركان الإيمان</b>
٤٥	.....	<b>الركن الأول</b>
٤٥	.....	<b>الإيمان بالله تعالى</b>
٤٥	.....	المبحث الأول
٤٥	.....	الإيمان بوجوده وجوداً ذاتياً حقيقياً
٤٥	.....	المطلب الأول
٤٥	.....	التدين فطرة
٤٥	.....	*الشواهد العقلية :
٤٨	.....	*-شواهد من الطبيعة :
٤٩	.....	*-دليل الفطرة
٥٠	.....	المطلب الثاني
٥٠	.....	نظرة الإسلام للفطرة
٥٢	.....	المطلب الثالث

٥٢	..... منهج المعرفة في أمور الاعتقاد (مصادر التلقي )
٥٤	..... المطلب الرابع
٥٤	..... مصادر التلقي
٥٤	..... المصدر الأول : الخبرُ الصادقُ من الله تعالى أو من رسوله ﷺ :
٥٤	..... المصدر الثاني : الفطرة التي جعلها الله تعالى غريزة في الناس :
٥٤	..... المصدر الثالث : العقلُ :
٥٦	..... المطلب الخامس
٥٦	..... الشواهد العقلية
٥٨	..... المطلب السادس
٥٨	..... شواهد من الطبيعة
٦٢	..... المطلب السابع
٦٢	..... العلاقة بين الدين والعلم
٦٤	..... المطلب الثامن
٦٤	..... الخلاصة
٦٥	..... المبحث الثاني
٦٥	..... منهج القرآن في تقرير وجود الله تعالى
٦٥	..... المطلب الأول
٦٥	..... القرآن يتوجه بالخطاب إلى المشاعر
٦٨	..... المطلب الثاني
٦٨	..... مخاطبة العقل
٦٩	..... المبحث الثالث
٦٩	..... منهج القرآن في أدلته العقلية
٧٠	..... المبحث الرابع
٧٠	..... أنواع التوحيد
٧٠	..... المطلب الأول
٧٠	..... الإيمان بربوبيته تعالى
٧١	..... المطلب الثاني
٧١	..... الإيمان بالوحيته تعالى
٧٢	..... المطلب الثالث
٧٢	..... الإيمانُ بحاكميته تعالى
٧٧	..... المطلب الرابع
٧٧	..... توحيد الأسماء والصفات

٧٧	١. ذات الله تعالى: .....
٧٧	٢. صفات الله تعالى وأسمائه: .....
٧٨	٣- فوائد التعريف بالصفات: .....
٧٩	المطلب الخامس .....
٧٩	الأسس التي يقوم عليها توحيد الذات والصفات .....
٧٩	الأساس الأول .....
٧٩	أنه لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .....
٧٩	الأساس الثاني .....
٧٩	تزيه الله تعالى عن أن يشبه شيئاً من خلقه في ذاته أو صفاته أو أفعاله .....
٧٩	الأساس الثالث .....
٧٩	أنه لا سبيل لإدراك الكيفيات والهيئات فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله .....
٨١	المطلب السادس .....
٨١	أفعال الله تعالى .....
٨٣	المبحث الخامس .....
٨٣	أسباب التركيز على عقيدة التوحيد .....
٨٣	المطلب الأول .....
٨٣	توحيده تعالى في ربوبيته خلقاً وملكاً وتدبيراً .....
٨٤	المطلب الثاني .....
٨٤	إفراد الله تعالى بالعبادة حتى لا يتخذَ إلهَ غيره بأي وجهٍ من الوجوه المقتضية للعبادة .....
٨٨	الأسس التي يقوم عليها توحيد الذات والصفات .....
٨٩	المبحث السادس .....
٨٩	ثمرات الإيمان بالله تعالى .....
٩٤	<b>الركن الثاني</b> .....
٩٤	<b>الإيمان بالملائكة</b> .....
٩٤	المبحث الأول .....
٩٤	ما يتعلق بالإيمان بهم .....
٩٤	المطلب الأول .....
٩٤	تمهيد .....
٩٥	المطلب الثاني .....
٩٥	ما الملائكة؟ .....
٩٦	المطلب الثالث .....
٩٦	حكم الإيمان بالملائكة .....

٩٧	المبحث الثاني .....
٩٧	صفات الملائكة .....
٩٧	المطلب الأول .....
٩٧	صفاتهم الخلقية .....
١٠٤	المطلب الثاني .....
١٠٤	صفاتهم الخلقية .....
١٠٩	المطلب الثالث .....
١٠٩	مقامات الملائكة .....
١١٣	المبحث الثالث .....
١١٣	أعمال الملائكة .....
١١٣	١- إعمار السموات بالعبادة : .....
١١٣	٢- تدبير أمر الخلائق : .....
١١٥	٣- حراسة السماء : .....
١١٥	٤- حماية الرسل والوحي : .....
١١٥	٥- سوق السحب وإنزال المطر : .....
١١٦	غيث الاستقاء : .....
١١٧	٦- الموكل بالجبال : .....
١١٧	٧- حراسة مكة والمدينة من الدجال : .....
١١٨	٨- الموكل بالرحم وتصوير الأجنة : .....
١١٩	٩- الموكلون بحفظ الإنسان : .....
١٢٢	١٠- كتابة الأعمال : .....
١٢٥	١١- مصاحبة الإنسان : .....
١٢٥	١٢- توفي أرواح بني آدم : .....
١٢٨	تبشير المسلمين : .....
١٢٩	تعذيب الكافرين : .....
١٣١	١٣- سؤال الموتى في قبورهم : .....
١٣١	١٤- إبلاغ كلام الله تعالى وحكمه إلى عباده المرسلين : .....
١٣٢	١٥- حمل العرش : .....
١٣٢	١٦- رعاية الجنة وأهلها، والقيام على النار ومن فيها : .....
١٣٣	١٧- حضور مجالس الذكر : .....
١٣٤	١٨- وضع أجنتها لطالب العلم والاستغفار له : .....
١٣٥	١٩- ومنهم الموكل بالصُّور : .....

٢٠-	ومنهم زوار البيت المعمور :	١٣٥
٢١-	تبليغ الرسول ﷺ السلام من أمته :	١٣٦
	المبحث الرابع .....	١٣٧
	الملائكة والأنبياء عليهم السلام .....	١٣٧
١-	الملائكة وآدم عليه السلام :	١٣٧
٢-	الملائكة تبشر إبراهيم بإسحاق عليهما السلام :	١٣٩
٣-	الملائكة وإسماعيل عليهما السلام :	١٤٠
٤-	الملائكة ولوط عليه السلام .....	١٤٢
٥-	حمل الملائكة للتابوت في عهد نبي من أنبياء بني إسرائيل :	١٤٩
٦-	بشارة الملائكة لزكريا عليه السلام :	١٥٠
٧-	الملائكة وعيسى بن مريم عليه السلام :	١٥١
٨-	الملائكة والنبي محمد ﷺ .....	١٥٣
أ-	تهيئة النبي ﷺ لاستقبال الوحي :	١٥٣
ب-	ولاية جبريل والملائكة للرسول ﷺ :	١٥٤
ج-	الوحي إليه :	١٥٤
د-	تعليمه :	١٥٦
هـ-	مدارسته القرآن الكريم :	١٥٦
و-	الملائكة تحمي رسول الله ﷺ :	١٥٧
ز-	الملائكة تكشف السحر عن النبي ﷺ :	١٥٨
ح-	نصر الملائكة له في غزواته .....	١٥٩
ط-	رقية جبريل للرسول ﷺ :	١٦٠
	المبحث الخامس .....	١٦٢
	الملائكة والمؤمنون .....	١٦٢
١-	الصلاة على المؤمنين .....	١٦٢
أ-	الذين ينتظرون صلاة الجماعة :	١٦٣
ب-	الذين يُصَلُّون في الصف الأول :	١٦٣
ج-	الذين يَصِلُونَ الصفوف :	١٦٣
د-	الذين يتسحرون :	١٦٣
هـ-	الذين يَصَلُّون على النبي ﷺ :	١٦٣
و-	الذين يعلمون الناس الخير :	١٦٤
ز-	الذين ينفقون أموالهم .....	١٦٤
ح-	الذين يزورون المرضى :	١٦٤

- ٢- محبتهم لصالح المؤمنين : ..... ١٦٥
- ٣- تثبيت المؤمنين عند القتال : ..... ١٦٥
- ٤- تأييدهم ونصرهم للمؤمنين : ..... ١٦٥
- ٥- التأمين على دعائهم : ..... ١٦٦
- ٦- فضل التوافق بين تأمين المؤمنين وحمدهم لله وبين تأمين وحمد الملائكة : ..... ١٦٧
- ومن ذلك التوافق في التأمين : ..... ١٦٧
- ومن ذلك التوافق في الحمد : ..... ١٦٧
- ٧- تتبعهم خلق الذكر وحفهم أهلها بأجنحتهم : ..... ١٦٧
- ٨- تكريمهم لطالب العلم : ..... ١٦٨
- ٩- كتابة المصلين يوم الجمعة الأول فالأول : ..... ١٦٨
- ١٠- تعاقب الملائكة على المصلين : ..... ١٦٩
- ١١- الملائكة تبلغ النبي ﷺ سلام أمته : ..... ١٦٩
- ١٢- تبشير المؤمنين وولايتهم لهم : ..... ١٦٩
- ١٣- ولايتهم الخاصة للشهداء : ..... ١٧٠
- المبحث السادس..... ١٧٢
- خصوصيات بعض المؤمنين مع الملائكة..... ١٧٢
- ١- الملائكة ومريم عليهم السلام : ..... ١٧٢
- ٢- جبريل يحمل البشارة لخديجة رضي الله عنها : ..... ١٧٥
- ٣- الملك يقرئ عائشة السلام ويبشر بها النبي ﷺ : ..... ١٧٥
- ٤- تبشير الملك بسيادة فاطمة على نساء أهل الجنة : ..... ١٧٥
- ٥- جبريل يبشر بسيادة الحسن والحسين على شباب أهل الجنة : ..... ١٧٦
- ٦- الملائكة تستمع لقراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه : ..... ١٧٦
- ٧- الملائكة تشهد جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه : ..... ١٧٧
- ٨- تزلمهم عندما يقرأ المؤمن القرآن : ..... ١٧٨
- المبحث السابع..... ١٨٠
- حقوق الملائكة على المؤمنين..... ١٨٠
- ١- الإيمان بهم : ..... ١٨٠
- ٢- موالاتهم جميعاً : ..... ١٨٠
- المبحث الثامن..... ١٨١
- آداب المؤمنين مع الملائكة..... ١٨١
- ١- الاستحياء منهم : ..... ١٨١
- ٢- ترك ما يؤذيهم : ..... ١٨١

١٨١	موقف الملائكة من عصاة بني آدم .....
١٨٢	١- لعنهم كاتم العلم الشرعي : .....
١٨٢	٢- لعنهم الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله : .....
١٨٣	٣- لعنهم من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً : .....
١٨٣	٤- لعنهم من يشير إلى أخيه بحديدة : .....
١٨٣	٥- لعنهم من سب أصحاب الرسول ﷺ : .....
١٨٣	٦- الملائكة تلعن المرأة الممتنعة عن فراش زوجها : .....
١٨٤	موقف الملائكة من الكافرين .....
١٨٤	(١) لعنهم : .....
١٨٤	(٢) قتالهم للكفار في غزوة بدر : .....
١٨٥	٣- إنزال العذاب بالكافرين : .....
١٨٥	٤- الملائكة واختضر من الظالمين والكافرين : .....
١٨٧	المبحث التاسع .....
١٨٧	الملائكة والدار الآخرة .....
١٨٧	أ- الملائكة وبداية أحداث الساعة : .....
١٨٧	ب- الملائكة تسوق الناس إلى الخسر : .....
١٨٧	ج- تنزل الملائكة يوم القيامة : .....
١٨٨	د- مجئ الملائكة صفا صفا : .....
١٨٩	الملائكة تجئ بجهنم : .....
١٨٩	هـ- الملائكة تسوق الكافرين إلى جهنم : .....
١٩٠	خزنة جهنم وصفتهم : .....
١٩٢	الملائكة تسوق المؤمنين إلى الجنة وفداً : .....
١٩٢	خزنة الجنة : .....
١٩٢	استقبال خزنة الجنة للمؤمنين : .....
١٩٢	الملائكة يدخلون على أهل الجنة : .....
١٩٤	المبحث العاشر .....
١٩٤	ثمرات الإيمان بالملائكة .....
١٩٦	المبحث الحادي عشر .....
١٩٦	الإيمان بالجن .....
١٩٦	المطلب الأول .....
١٩٦	طوائف الجن .....
١٩٨	المطلب الثاني .....

١٩٨	قدرات الجن
٢٠٠	المطلب الثالث
٢٠٠	مساكنُ الجن
٢٠١	المطلب الرابع
٢٠١	طعامُ الجنّ
٢٠٣	المطلب الخامس
٢٠٣	العلاقة بين الجن والإنس
٢٠٩	<b>الركن الثالث</b>
٢٠٩	<b>الإيمان بالكتب السماوية</b>
٢٠٩	المبحث الأول
٢٠٩	حكم الإيمان بالكتب السماوية
٢١٨	المبحث الثاني
٢١٨	موقفنا من الكتب السماوية السابقة
٢٢٠	المبحث الثالث
٢٢٠	ما تضمنته الكتب السابقة وموقفنا منه
٢٢١	المبحث الرابع
٢٢١	الإيمان المفصل بالقرآن الكريم
٢٢٦	المبحث الخامس
٢٢٦	أعدى أعداء البشرية اليوم
٢٣٧	المبحث السادس
٢٣٧	ثمراتُ الإيمان بالكتب السماوية
٢٤٥	<b>الركن الرابع</b>
٢٤٥	<b>الإيمان بالرسل</b>
٢٤٥	المبحث الأول
٢٤٥	تعريف النبي والرسول والفرق بينهما
٢٤٧	المبحث الثاني
٢٤٧	حكم الإيمان بالرسل وأدلته
٢٤٩	المبحث الثالث
٢٤٩	أول الرسل وآخرهم
٢٥٠	المبحث الرابع
٢٥٠	الرسُل من جنس البشر
٢٥١	المبحث الخامس

٢٥١	..... كيفية الإيمان بالرسول
٢٥٧	..... المبحث السادس
٢٥٧	..... ما يجب علينا نحو الرسول
٢٦٥	..... المبحث السابع
٢٦٥	..... أولو العزم من الرسول
٢٦٨	..... المبحث الثامن
٢٦٨	..... خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته
٢٦٨	..... أولاً : خصائصه ﷺ :
٢٧٧	..... المبحث التاسع
٢٧٧	..... حقوق النبي ﷺ على أمته
٢٧٧	..... أولاً — الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أتى به
٢٧٧	..... ثانياً- وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته
٢٧٨	..... ثالثاً- اتباعه ﷺ واتخاذ قُدوة في جميع الأمور والافتداء بهديه
٢٧٩	..... رابعاً — محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين،
٢٨١	..... خامساً- وجوب احترامه وتوقيره ونصرته
٢٨١	..... سادساً- الصلاة عليه ﷺ
٢٨٢	..... سابعاً — وجوب التحاكم إليه والرضي بحكمه ﷺ
٢٨٤	..... ثامناً- وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة
٢٨٩	..... تاسعاً — إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير
٢٩١	..... عاشراً- محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاهم جميعاً والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء
٢٩٣	..... المبحث العاشر
٢٩٣	..... رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ
٢٩٤	..... تَرْتُبُ الْحُكْمِ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ فِعْلِهِ فِي الرُّؤْيَا :
٢٩٦	..... المبحث الحادي عشر
٢٩٦	..... ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده
٢٩٩	..... المبحث الثاني عشر
٢٩٩	..... الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته
٢٩٩	..... تعريف الإسراء لغة وشرعا :
٢٩٩	..... حقيقة الإسراء وأدلته :
٣٠٢	..... المعراج وحقيقته :
٣١٥	..... بعض الدروس من الإسراء والمعراج

٣١٩	المبحث الثالث عشر.....
٣١٩	القول في حياة الأنبياء عليهم السلام.....
٣٢٤	المبحث الرابع عشر.....
٣٢٤	معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.....
٣٢٤	أمثلة لبعض معجزات الأنبياء :.....
٣٢٥	كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ :.....
٣٢٩	الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْمُعْجَزَةِ :.....
٣٢٩	– أَمَّا وَجُوهُ التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْمُعْجَزَةِ فَهِيَ :.....
٣٣٠	خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ الْبُعْتَةِ :.....
٣٣٠	كَرَامَةُ الْوَلِيِّ مُعْجَزَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ :.....
٣٣١	الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ :.....
٣٣١	قَوْلُ مَنْ ادَّعَى مَا لَا يُمَكِّنُ عَادَةً :.....
٣٣٢	حُكْمُ الْإِيمَانِ بِالْمَعْجَزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ :.....
٣٣٣	المبحث الخامس عشر.....
٣٣٣	الولي والولاية في الإسلام.....
٣٣٣	تعريف الولي والولاية :.....
٣٣٣	مَفْهُومُ وَلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى :.....
٣٣٤	الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَلِيِّ وَالنَّبِيِّ :.....
٣٣٤	أ – الْعِصْمَةُ :.....
٣٣٥	ب – الْإِيمَانُ بِهِ وَوُجُوبُ الْإِتِّبَاعِ :.....
٣٣٥	ج – الْوَحْيُ :.....
٣٣٥	د ( وَجُوبُ تَبْلِيغِ الْوَحْيِ :.....
٣٣٥	هـ – الْأَمْنُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ :.....
٣٣٥	و ( خَتْمُ النَّبَوَّةِ :.....
٣٣٥	ز ( حُكْمُ السَّبِّ :.....
٣٣٥	فَضْلُ النَّبِيِّ عَلَى الْوَلِيِّ :.....
٣٣٦	مَعْيَارُ التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.....
٣٣٧	أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَلَى طَبَقَتَيْنِ :.....
٣٣٧	سَابِقُونَ مُقَرَّبُونَ وَأَصْحَابُ يَمِينٍ مُقْتَصِدُونَ.....
٣٤١	أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مُقْتَصِدُونَ وَسَابِقُونَ.....
٣٤٣	التفاضل في ولاية الله تعالى.....
٣٤٧	المبحث السادس عشر.....

٣٤٧	المبحث السادس عشر
٣٤٧	ثمراتُ الإيمان بالرسول
٣٤٩	<b>الركن الخامس</b>
٣٤٩	<b>الإيمان بالقضاء والقدر</b>
٣٤٩	المبحث الأول
٣٤٩	تعريف القضاء والقدر
٣٥٠	المبحث الثاني
٣٥٠	الفرق بين القضاء والقدر
٣٥١	المبحث الثالث
٣٥١	علم الله تعالى بما كان وبما سيكون
٣٥٢	المبحث الرابع
٣٥٢	الأدلة على إثبات القدر
٣٥٣	المبحث الخامس
٣٥٣	الخيرُ والشرُّ مقدران
٣٥٦	المبحث السادس
٣٥٦	مراتب القدر
	المرتبة الأولى : علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علماً
٣٥٦	المرتبة الثانية : كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة
٣٥٧	١ - التقدير العمري :
٣٥٨	٢ - التقدير الحولي :
٣٥٨	٣ - التقدير اليومي :
٣٥٩	المرتبة الثالثة : الإيمانُ بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة
٣٥٩	ولكن الإرادة نوعان :
٣٥٩	المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء
٣٦٢	غنى الله تعالى عن عباده
٣٦٧	المبحث الثامن
٣٦٧	آثار الإيمان بالقدر
٣٧٢	<b>الركن السادس</b>
٣٧٢	<b>الإيمانُ باليوم الآخر</b>
٣٧٢	المبحث الأول
٣٧٢	الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

المبحث الثاني .....	٣٧٥
الإيمان بأشراط الساعة .....	٣٧٥
المطلب الأول .....	٣٧٥
أهمية الإيمان بالغيبات .....	٣٧٥
المطلب الثاني .....	٣٧٧
وجوب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ .....	٣٧٧
المطلب الثالث .....	٣٧٩
معنى الأشراط والعلامات لغة .....	٣٧٩
المطلب الرابع .....	٣٨١
الأدلة من الكتاب والسنة على أشراط الساعة وعلاماتها .....	٣٨١
المطلب الخامس .....	٣٨٣
بعض علامات الساعة الصغرى .....	٣٨٣
المطلب السادس .....	٣٩٤
أشراط الساعة الكبرى .....	٣٩٤
أولاً : خروج المهدي .....	٣٩٤
ثانياً: فتنة المسيح الدجال . .....	٤٠٥
ثالثاً : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام .....	٤١٥
رابعاً: خروج يأجوج ومأجوج .....	٤٣٩
خامساً: طلوع الشمس من مغربها . .....	٤٤٩
سادساً : خروج الدابة . .....	٤٥٤
سابعاً: الدخان الذي يكون في آخر الزمان .....	٤٥٨
ثامناً : الخسوفات الثلاثة .....	٤٦٣
تاسعاً : النار التي تحشر الناس .....	٤٦٤
المبحث الثالث .....	٤٦٩
الإيمان بالبعث بعد الموت .....	٤٦٩
المطلب الأول .....	٤٦٩
مفهومُ الإيمان باليوم الآخر .....	٤٦٩
المطلب الثاني .....	٤٧٠
ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر .....	٤٧٠
١. الإيمان بالبعث : .....	٤٧٠
٢. الإيمان بالحساب والجزاء: .....	٤٧٠
٣. ونؤمنُ بحوض نبينا محمدٍ عليه الصلاة والسلام في عرصات القيامة .....	٤٧٠

٦.	ونؤمنُ بالصِّراطِ المنصوبِ على مَنَ جهنمَ.....	٤٧١
٧.	ونؤمنُ بالجنةِ والنارِ، وأُهما مخلوقتانِ لا تفنيانِ.....	٤٧٢
٨.	والجنةُ دارُ النعيمِ التي أعدَّها اللهُ تعالى للمؤمنين في مقعدٍ صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدرٍ.....	٤٧٦
٩.	وأما النارُ فهي دارُ العذابِ التي أعدَّها اللهُ تعالى أصلاً للكافرين.....	٤٧٦
١٠.	ونؤمنُ بالشفاعةِ التي أذنَ اللهُ تعالى بها لنبيه محمد ﷺ.....	٤٧٧
١٤ -	ويُخرجُ اللهُ تعالى من النارِ أقواماً بغيرِ شفاعةٍ، بفضلِهِ سبحانه ورحمته.....	٤٧٩
١٥ -	ويبقى في الجنةِ فضلٌ فينشئُ اللهُ له أقواماً فيدخلهم الجنةَ.....	٤٨٠
١٦ -	ونؤمنُ برؤيةِ المؤمنين ربَّهم يومَ القيامةِ، وفي الجنةِ.....	٤٨٠
المبحث الرابع.....		٤٨٢
حقائق هامة عن البعث والنشور.....		٤٨٢
المطلب الأول.....		٤٨٢
البعث ضرورة شرعية وعقلية.....		٤٨٢
المطلب الثاني.....		٤٨٣
إمكانُ البعث.....		٤٨٣
المبحث الخامس.....		٤٨٤
ثمرات الإيمان باليوم الآخر.....		٤٨٤
المطلب الأول.....		٤٨٤
الثمرات عامة.....		٤٨٤
المطلب الثاني.....		٤٨٧
الثمرات الخاصة للإيمان باليوم الآخر.....		٤٨٧
١ - الإخلاصُ لله (عز وجل) والمتابعةُ للرسول ﷺ.....		٤٨٧
٢ - الحذرُ من الدنيا والزهدُ فيها والصبرُ على شدائدِها وطمأنينةُ القلبِ وسلامتهُ.....		٤٨٧
٣ - التزوُّدُ بالأعمالِ الصالحةِ وأنواعِ القرباتِ، واجتنابُ المعاصي والمبادرةُ بالتوبةِ والاستغفار.....		
٤ - الدعوةُ إلى الله عز وجل والجهادُ في سبيله.....		٤٨٨
٥ - اجتنابُ الظلمِ بشئٍ صورته.....		٤٨٩
٦ - حصولُ الأمنِ والاستقرارِ والألفةِ بين الناسِ بالحكمِ بشريعةِ الله.....		٤٩٠
٧ - تقصيرُ الأملِ وحفظُ الوقتِ.....		٤٩٧
٨ - سلامةُ التفكيرِ وانضباطُ الموازينِ وسموُ الأخلاق.....		٤٩٧
٩ - الفوزُ برضا الله سبحانه وجنته، والنجاةُ من سخطه والنار.....		٤٩٨
١٠ - تقويةُ الدافعِ الداخلي للعملِ الصالحِ، واستشعارُ قيمةِ الحياةِ، وأنها ابتلاءٌ للآخرةِ ومزرعةٌ لها.....		
		٤٩٩

- ١١- تسليّة المؤمن عما يفوته في الدنيا ..... ٤٩٩
- ١٢- ازدياد الخوف والحشية من الله تعالى ..... ٤٩٩
- ١٣- الإيمان بالآخرة صمام الأمان لهذا الإنسان في هذه الدار ..... ٥٠٠
- ١٤- الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته، ..... ٥٠٠
- ١٥- اليقين بالآخرة يؤدي للهداية والفلاح : ..... ٥٠٠
- ١٦- الذين آمنوا بالله واليوم الآخر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : ..... ٥٠١
- ١٧- الإيمان بالله واليوم الآخر ، مع الأخذ بلوازمهما يجعل البلاد آمنة من غضب الله ومقته ،  
ويرزقها من الطيبات : ..... ٥٠١
- ١٨- الإيمان بالله واليوم الآخر هو منبع كل خير ، وسبب كل بر : ..... ٥٠٢
- ١٩- الإيمان بالله واليوم الآخر ، هو الذي يجعل الإنسان يحافظ على الأمانة : ..... ٥٠٢
- ٢٠- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل الإنسان ينتصر على نفسه وهواه : ..... ٥٠٢
- ٢٢- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يمنع المرء من الرياء : ..... ٥٠٣
- ٢٣- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعلنا نرد كل ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله ﷺ : ..... ٥٠٣
- ٢٤- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل المرء راسخاً في العلم : ..... ٥٠٣
- ٢٥- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل المرء يعمر مساجد الله ويحافظ عليها : ..... ٥٠٣
- ٢٦- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يثبت المؤمنين في القتال ، فلا يفرون ، ولا يستأذنون : ..... ٥٠٤
- ٢٧- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل المرء يتفجع بالموعظة : ..... ٥٠٤
- ٢٨- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل المرء لا تأخذه رافة في دين الله : ..... ٥٠٥
- ٢٩- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل المرء يؤاخذ من حاد الله ورسوله : ..... ٥٠٥
- ٣٠- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل المرء يعترف بجريمته ، ويطلب تطهيره منها : ..... ٥٠٥
- ٥٠٧ ..... **الباب السابع**
- ٥٠٧ ..... **أهم خصائص العقيدة الإسلامية**
- ١- إن أولى خصائص هذه العقيدة أنها ربانية من عند الله ..... ٥٠٧
- ٢- ومن خصائص هذه العقيدة أنها ثابتة : ..... ٥٠٨
- ٣- ومن خصائص هذه العقيدة واضحة : ..... ٥١٠
- ٤- فطرية العقيدة الإسلامية : ..... ٥١١
- ٥- عقيدة توقيفية مبرهنة : ..... ٥١١
- ٦- عقيدة ثابتة ودائمة : ..... ٥١٢
- ٧- إنها عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط : ..... ٥١٣
- ٨- أنها تقوم على التسليم لله - تعالى - ولرسوله ﷺ : ..... ٥١٤
- ٩- اتصال سندها بالرسول ﷺ والتابعين وأئمة الدين قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً : ..... ٥١٤

- ١٠- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس : ..... ٥١٤
- ١١- ألها قد تأتي بالحر ، ولكن لا تأتي بالحل : ..... ٥١٥
- ١٢- العموم والشمول والصالح : ..... ٥١٥
- ١٣- ألها سبب للنصر والظهور والتمكين : ..... ٥١٥
- ١٤- ألها ترفع قدر أهلها : ..... ٥١٥
- ١٥- العقيدة الإسلامية عقيدة الألفة والاجتماع : ..... ٥١٥
- ١٦- ألها تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياح : ..... ٥١٦
- ١٧- ألها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكرية : ..... ٥١٦
- ١٨- سلامة القصد والعمل : ..... ٥١٧
- ١٩- الربوبية المطلقة هي مفرق الطريق : ..... ٥١٩
- ٢٠- تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة : ..... ٥٢٠
- ٢١- تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور . ..... ٥٢١
- ٢٢- تبث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنة : ..... ٥٢٢
- ٢٣- تكفل لمعتنقيها الحياة الكريمة : ..... ٥٢٤
- ٢٤- تعترف بالعقل وتحدد مجاله : ..... ٥٢٤
- ٢٥- تعترف بالعواطف الإنسانية ، وتوجهها الوجهة الصحيحة : ..... ٥٢٥
- ٢٦- العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات : ..... ٥٢٥
- ٥٢٧ ..... **الباب الثامن.**
- ٥٢٧ ..... **فوائد الإيمان وثمراته**
- أولاً: الاغتيابُ بولاية الله الخاصة التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون، وتسابق فيه المتسابقون، وأعظم ما حصل عليه المؤمنون . ..... ٥٢٧
- ثانياً: الفورُ برضى الله ودار كرامته: ..... ٥٢٧
- ثالثاً: أن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكارهِ، وينجيهم من الشدائد: ..... ٥٢٨
- رابعاً: أن الإيمان والعمل الصالح - الذي هو فرعه - ينمى الحياة الطيبة في هذه الدار، وفي دار القرار: ..... ٥٢٨
- خامساً: إن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والإخلاص: ..... ٥٢٨
- سادساً: أن صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم ..... ٥٢٩
- سابعاً: ومن ثمرات الإيمان ولوازمه حبُّ الله لهم : ..... ٥٣٠
- ثامناً: رفعُ مكانتهم في الدارين : ..... ٥٣٠
- تاسعاً: حصولُ البشارة بكرامة الله والأمن التام من جميع الوجوه : ..... ٥٣٠
- عاشراً: حصولُ الفلاح في الدارين ..... ٥٣١
- الحادي عشر : الانتفاعُ بالمواعظ والتذكيرُ بالآيات. ..... ٥٣١

- الثاني عشر : الإيمانُ يقطعُ الشكوكَ التي تعرضُ لكثيرٍ من الناس فتتضرر بدينهم ..... ٥٣٢
- الثالث عشر : أن الإيمانَ ملجأُ المؤمنينَ في كلِّ ما يلُمُّ بهم: ..... ٥٣٢